

التاريخ العسكري لبنى اسرائيل من خلال كتابهم

اللواء الركن

د. ياسين سويد

(مقاعد)

(قراءة جديدة للعهد القديم)

الجزء الأول



هذا الكتاب

هو الأول من نوعه في المكتبة العربية. يدرس سلوك العبرانيين وممارساتهم في الحرب. استناداً إلى معتقداتهم الدينية كما وردت في العهد القديم. ويستنتج من خلال ذلك. الجذور الدينية للعنف العسكري كما مارسها الصهيونية ضد العرب. في القرن العشرين. أنها عقيدة العنف والإرهاب والابادة والقتل الجماعي. باعتبار أن «الأخريين» هم «غريباء» أو «غوييم». وأن الشعب اليهودي وحده. هو «الشعب المختار» الذي يستحق الحماة.

كتاب لا بد من قراءته للتعرف إلى الجذور الدينية للفكر العسكري الصهيوني.

المؤلف في سطور

ضابط سابق في الجيش اللبناني برتبة لواء ركن. من مواليد ١٩٣١. حاز على شهادة الأركان من كلية الأركان ببيروت. تابع دورات عسكرية عدد في فرنسا وبلجيكا. وتسلم مراكز عمادة في الجيش اللبناني. عضو مؤسس في «المنتدى القومي العربي» و «الهيئة الوطنية لمقاومة الجائونج». ببيروت. عضو في اللجنة الدولية للتاريخ العسكري وفي اللجنة الدولية للعلوم التاريخية.

حاز على إجازة الحقوق من الجامعة اللبنانية ببيروت (١٩٦٤).

حاز على دكتوراه دولة في التاريخ من جامعة السوربون بفرنسا بدرجة مشرف جداً (١٩٦٤).

استاذ سابق في الجامعة اللبنانية. كلية الآداب. الفرع الأول (١٩٩٠-١٩٩٥).

حاز على العديد من الأوسمة. أهمها: الاستحقاق اللبناني لدرجة أولى والأمر الوطني من رتبة كومندور. ووسام النورج العربي.

لغ كتباً عديدة في التاريخ العام والعسكري. الإسلامي والعربي. وفي الأسرانية. وأسهم في وضع كتاب «المنظمة الوطنية الصادر عن وزارة الدفاع الوطني اللبنانية (عقد ١٩٦٣). وفي وضع كتاب «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالتعاون مع قيادة الجيش اللبناني (عقد ١٩٦٣). كما أسهم في تأليف الموسوعة العسكرية ومعارف أساميته وعربيه وقادة مسلمون وعرب). والسماسية (فصل عن لبنان). والفلسطينية (بحث موسع عن الأسرانية العسكرية الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي والأراضي الإسرائيلية).

نشر العديد من المقالات في الصحف اللبنانية والعربية. وفي العديد من المحاضرات في الأندية

الثقافية اللبنانية والعربية

ISBN 978-9953-88-489-1



9 789953 884891



التاريخ العسكري
لبني اسرائيل
من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)
(الجزء الأول)



Copyright © Allprints Distributors & Publishers

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في
نطلق استعادة المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل،
سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك
النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على لشرطة أو سواها وحفظ
المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص. ب.: ٨٣٧٥ - بيروت لبنان

تلفون: ٧٥٠٨٧٢ - ٣٤٤٢٣٦ - ٣٥٠٧٢٢ ١ ٩٦١ +

تلفون + فاكس: ٣٤١٩٠٧ - ٣٤٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ ١ ٩٦١ +

email: tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الثالثة ٢٠٠٧

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاخراج الفني: تركية التاني

اللواء الركن د. ياسين سويد

(متقاعد)

التاريخ العسكري لبنى اسرائيل

من خلال كتابهم
(قراءة جديدة للعهد القديم)

(الجزء الأول)







مدخل لا بد منه

اول ما يتبادر الى الذهن، في الحديث عن بني اسرائيل، السؤال التالي: هل وجد بنو اسرائيل (أو من يسمون بالعبرانيين) في مصر، حقيقة؟ وماذا تقول الآثار (الفرعونية خصوصاً) ومصادر التاريخ والتراث عن ذلك؟ لا شيء، كما يبدو، (انظر ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠٧-٤٠٨ وبورتر، هارفي، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٢٤)، سوى ما ورد في العهد القديم من قول على لسان «أحيور» رئيس بني عمون «لأليفانا» رئيس قواد جيش آشور الذي كان يحاصر مدينة «بيت فلولي» إحدى مدن مملكة يهوذا، قال أحيور: «ليسمع سيدي كلاماً من فم عبدك فأخبرك بالحقيقة عن ذلك الشعب الساكن في تلك الناحية الجبلية والمقيم بالقرب منك، ولا يخرج كذب من فم عبدك، ان هذا الشعب هو من نسل الكلدانيين، أقاموا أولاً فيما بين النهرين، لانهم ابوا اتباع آلهة آبائهم المقيمين بأرض الكلدانيين. وخرجوا عن طريق آبائهم وسجدوا لاله السماء، للاله الذي عرفوه. فطردوا من وجه آلهتهم وهربوا الى ما بين النهرين وأقاموا هناك أياماً كثيرة. وأمرهم الههم ان يخرجوا من مقامهم ويذهبوا الى أرض كنعان، فسكنوا هناك وامتلاوا ذهباً وفضة وكثرت قطعانهم جداً، ونزلوا الى مصر لان المجاعة عمت وجه أرض كنعان، وأقاموا هناك فظلوا على قيد الحياة، وصاروا جمهوراً كبيراً وكان نسلهم لا يحصى. فقاومهم ملك مصر وخدعهم بتسخيرهم لعمل اللبن وأذلّوهم واستعبدوهم. فصرخوا الى الههم فضرب كل أرض مصر ضربات لا علاج لها، وطردهم المصريون من وجههم، فجفف الله البحر الأحمر أمامهم وقادهم في طريق سيناء وقادش برزنيح، فطردوا جميع سكان البرية وأقاموا في أرض الأموريين وأبادوا جميع الحشبونيين بقوتهم. وبعد ان عبروا الاردن، استولوا على كل الناحية الجبلية وطردوا من وجههم الكنعانيين والفرزيين واليبوسيين وشكيم وجميع الجرجاشيين وأقاموا هناك أياماً كثيرة. وما داموا لا يخطئون الى الههم، كانت الخيرات معهم، لانه كان معهم اله يبيغض الائم. ولما حادوا عن الطريق

الذي رسمه لهم، أبعدوا الى حد بعيد في حروب عديدة، وتم جلاؤهم الى أرض غير أرضهم، ولم يبق من هيكل الالههم الا الاساس، وسقطت مدنهم في أيدي خصومهم. والآن، فقد تابوا الى الالههم وصعدوا من الشتات الذي تشقتوا فيه واستعادوا اورشليم حيث مقدسهم، وأقاموا في الناحية الجبلية، فقد كانت غير مأهولة. والآن، فإن كانت في هذا الشعب جهالة وأخطأوا الى الالههم ورأينا ان عندهم سبب الضعف هذا، نصعد ونحاربهم. وان لم يكن إثم في أمتهم، فليعدل سيدي، لئلا يدافع عنهم ربهم والالههم، فنكون عرضة لتغيير الارض كلها» (سفر يهوديت ٥: ٢١-٥).

واحدة من أساطير العهد القديم ألفها مؤلف مجهول في أواخر القرن الثاني ق.م. فصدقها التوراتيون وضموها الى كتابهم المقدس، وصدقها شعبهم، ثم سعوا لاقناع العالم الحديث بها كي يستطيعوا تحقيق أطماعهم في اقامة وطن قومي لهم في فلسطين.

ويبدو أن «أحيور العموني» شخصية أسطورية اراد مؤلف سفر يهوديت، من خلالها، سرد ما ألفه عن أصل بني اسرائيل ومسيرتهم التاريخية عبر قرون لكي يصل بهم، بالتالي، الى «أرض الميعاد، أرض بني اسرائيل» كما يدعي واضعو التوراة والعهد القديم. أما «أليفانا» فهو اسم فارسي لاحد ضباط جيش ارتخششتا الثالث (٣٥٩-٣٢٨ ق.م.) ولم تذكر المصادر التاريخية المعروفة غزوته هذه لأرض فلسطين، مما يؤكد ان الرواية ملفقة بكاملها (انظر: العهد القديم، سفر يهوديت، مع المدخل والحواشي، ص ٨٩٩-٩٢٦).

ملاحظة: اعتمدنا، كمرجع اساسي لهذا الكتاب، الكتاب المقدس، العهد القديم، طبعة دار المشرق، بيروت، ١٩٩١.



نحن لم نقرأ «العهد القديم» من منطلق ايمان به، فذلك أبعد ما يكون عن قناعاتنا، وإنما قرأناه من منطلق انه كتاب موضوع لغايات سياسية بحتة عبّر عنها «موشي دايان» تعبيراً صادقاً عندما صرّح لصحيفة «جيروزايم بوست» بتاريخ ١٠ آب ١٩٦٧ بقوله:

«إذا كان لدينا كتاب التوراة،

«وإذا اعتبرنا أنفسنا شعب التوراة،

«فيجب ان نمتلك كل أرض التوراة».

ي.س.



«إن التوراة (أسفار موسى الخمسة) والأسفار التاريخية (في العهد القديم) ليست، كما برهنت تأويلاتها منذ أكثر من قرن، سوى تقييش (تجميع) مكتوب لتقاليد شفوية نقلت عن رواة من القرن التاسع ق.م.، ونسأخ لسليمان كان همهم الأساسي تبرير فتوحات داود ومملكته، بعد تضخيمها، ولا توجد أية إمكانية لإجراء تقاطع تاريخي ما (للتأكيد صحتها) سواء بواسطة بقايا أثرية أو بواسطة مستندات أخرى غير الروايات التوراتية. والحدث الأول الذي أكدته التواريخ الخارجية يتعلق بسليمان، حيث وجدت آثار تتعلق به في المحفوظات الآشورية .

«وبعدها، لم يوجد أي مصدر خارجي لروايات التوراة يمكننا، بواسطته، ان نتأكد من تاريخيتها».

(Garaudy, Roger, Les Mythes fondateurs de la politique israélienne, P.52)





مقدمة

لا بد من قراءتها

عندما دعاني الصديق الدكتور أنيس صايغ، رئيس تحرير «الموسوعة الفلسطينية» إلى الإسهام في هذه الموسوعة، بكتابة بحث عن «الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية»، رأيت أن أبدأ هذا البحث بفصل عن «الجزور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية». وقد تمّ ذلك فعلاً، إلا أن الدكتور الصديق أثر أن يكون هذا الفصل موضوعاً للكتاب بالمعنى نفسه.

وأعجبتني الفكرة، فرحت أسعى إلى تحقيقها، وذلك بقراءة دقيقة «للعهد القديم» وما يتصل بهذا الموضوع من مصادر ومراجع وأبحاث، وخصوصاً «التلمود» و«بروتوكولات حكماء صهيون». وتكونت لدي فكرة شاملة وعميقة عن تأثير التعاليم الدينية اليهودية (التوراتية والتلمودية) في تكوين العقيدة العسكرية الصهيونية (يهودية العصر الحديث)، ولا سيما أن الكتاب المقدس لليهود يشتمل على نوع من الحروب لم تتضمنه أية كتب أخرى، في أي زمن، وقد تميزت تلك الحروب بأعمال عنف وإرهاب نادرة، بقسوتها ووحشيتها، في تاريخ البشرية جمعاء.

وعكفت على البحث في «التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتابهم»، مستعيناً، في ذلك، بالعديد من المصادر والمراجع، القديم منها والحديث، مناقشاً الأحداث ما أمكن، تارة، وسارداً إياها بلا مناقشة تارة أخرى، وذلك وفقاً لحاجة كل حدث إلى المناقشة أو عدمها، ومحاولاً، في كل حال، أن أبين «لا عقلانية» معظم الأحداث الواردة في «كتاب اليهود» ولا منطقيتها ولا واقعيّتها، ومبرهنناً، بالعديد من الحجج الدامغة، أن هذا الكتاب لا يصلح، إطلاقاً، لأن يعتبر مرجعاً، أو مستنداً تاريخياً، يعتدّ به من قبل أي باحث رصين.

الا أنني، استكمالاً للبحث، لم اكتف بما ورد في «العهد القديم» من حروب، بل جاوزته إلى العهود التي تلت العهد القديم، مثل الحروب في العهود المتأخرة للمكابيين (منذ النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد حتى مطلع القرن الميلادي الأول)، ثم حروب

اليهود ضد الرومان (منذ النصف الثاني من القرن للميلادي الأول حتى قرابة منتصف القرن الميلادي الثاني)، مستعيناً، كمصدر رئيسي، بكتاب المؤرخ اليهودي الشهير، «فلافيوس جوزيفوس» (وهو أقدم مؤرخ يهودي عاش في القرن الميلادي الأول)، ثم بالعديد من المصادر والمراجع الأخرى (كما هو وارد في فهرس المصادر والمراجع)، حتى انتهت إلى العام ١٢٥م وهو عام هزيمة اليهود على يد الرومان وخروجهم من فلسطين.

كل ذلك في سبيل تأكيد حقيقة اعتقدها راسخة وجلية وهي تأثير العقيدة اليهودية (كما فصلها، بوضوح، الكتاب المقدس لليهود) في العقيدة العسكرية الصهيونية، فجاء ذلك في الباب الأخير من الكتاب، وقد حمل هذا الباب العنوان الذي كان السبب الأساسي للبحث كله، وهو «الجزور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية». وقد قسمت هذا الباب إلى عشرة فصول هي: الطبيعة العدوانية لبني اسرائيل، والعنف والارهاب، والاحتلال والتوسع والسيطرة، والاتكالية أو سياسة الاعتماد على الغير، والحرب الجماعية أو الامة المسلحة، وقواعد الحرب ومبادئها، والسلوك العام في الحرب، والتعبئة النفسية والمعنوية، والاسطورة في التاريخ العسكري لبني اسرائيل في العهد القديم، والحقد اليهودي المتجذر، دينياً وتاريخياً، على الفلسطينيين. ثم ختمت الكتاب ببحث مستفيض اعتبرته استنتاجاً استقطب كل ما خرجت به، من خلال هذا البحث، من نتائج وقناعات تتعلق بصحة نسبة هذا الكتاب (التوراة، وهي الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم) إلى النبي موسى (عليه السلام)، ثم بصحة اعتبار هذا الكتاب برمته (العهد القديم) كتاباً مقدساً، مع مناقشة صريحة ودقيقة لتلك النتائج والقناعات.

إلا أن أهم ما بينته في هذا البحث، الذي استمر العمل به أكثر من ثلاث سنوات، هو أن العبرانيين دخلوا أرض كنعان (أو أرض الميعاد كما جاء في كتابهم)، في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، باعتبارهم غزاة ومعتدين أمرهم ربهم (يهوه) أن يغزوا أرضاً ليست لهم (أرضاً تدر لبناً وعسلاً) يقطنها سبعة شعوب (الحثيون والجرجاشيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون والحويريون واليبوسيون)، وقبلهم (العمالقة) على طريقهم من مصر إلى أرض كنعان، وإن يغنوا تلك الشعوب وينتزعوا منها أرضها وديارها وحقولها، بلا شفقة ولا رحمة. وهكذا كان، إذ قاتل العبرانيون أهل تلك الأرض (فلسطين) واحتلوا أرضهم وانتزعوها منهم، إلا أنهم لم يستطيعوا إقناعهم، كما أمرهم ربهم.

ويبدو ان العبرانيين لم يستطيعوا الانصهار في شعب مصر عندما نزحوا إليها، في عهد اخيه يوسف وأبيه يعقوب، مما جعل فرعون مصر يُقطعهم أرضاً نائية عن قلب مصر، بين بحر القصب والبحر الكبير (البحر الأحمر والبحر المتوسط) هي «أرض جاسان»، هؤلاء العبرانيون، أنفسهم، لم يستطيعوا الانصهار كذلك، في شعوب أرض كنعان التي أتوها غزاة معتدين، كما انهم لم يستطيعوا التآلف مع الشعوب الأخرى التي غزت أرض كنعان بعد ذلك (من آشوريين وكلدانيين وبابليين ورومان). وهذا ما يفسر عدم انصهارهم في أي شعب من شعوب البلدان التي سكنوها واعتبرتهم مواطنين فيها (بينما لم يعتبروا هم، أنفسهم كذلك) وذلك منذ بدء وجودهم، حتى اليوم.

إلا انه، منذ ان دفعت بكتابي هذا إلى المطبعة (في أواخر عام ١٩٩٥) وحتى قبيل صدوره (في أواخر عام ١٩٩٧)، جرت أحداث عدة كان لا بد لي من ان أتوقف عندها، عارضاً ومحللاً ومناقشاً، رغم اني كنت قد تعرضت لبعض هذه الأحداث خلال البحث، ومن ذلك:

أولاً: زيارتي للمملكة الأردنية الهاشمية (خلال عام ١٩٩٦)، ومحاولة استكشاف (ميدانية) لحقيقة موت موسى على جبل «نبو» ودفنه هناك (الباب الأول: الفصل الثالث)، ثم اسطورة توقف مياه الأردن عند عبور يشوع النهر بالعبرانيين إلى أريحا، في «أرض الميعاد» (الباب الأول: الفصل الثالث: والباب السادس: الفصل التاسع).

ثانياً: صدور كتاب للفيلسوف الفرنسي «روجيه غارودي» عن «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية *Les Mythes fondateurs de la politique israélienne*» يعالج العديد من الاساطير في حياة الشعب اليهودي، ومنها «مهارق الغاز» التي «أشيع» ان ألمانيا الهتليرية قد أحرقت فيها ملايين اليهود، والتي عرفت، عالمياً، بالهولوكوست (Holocauste)، وما رافق ذلك من مناقشات راوحت بين النفي والتأكيد. وقد تعرضنا لهذا الموضوع في كتابنا هذا (الخاتمة).

ثالثاً: تسلم الصهيونية الأصولية المتطرفة (حزب الليكود بزعامة بنيامين نتنياهو) الحكم في دولة اسرائيل (خلال عام ١٩٩٦). وما تلاه من أحداث دامية في الضفة الغربية المحتلة، مما دفعنا إلى مراجعة شاملة لكتاب نتنياهو «مكان تحت الشمس» حدّدنا، من خلالها، شخصية هذا الصهيوني الأصولي المتطرف، وأهدافه، وتطلعاته التي لا يمكن ان

تؤدي إلى سلام واستقرار في منطقة الشرق الأوسط إن هو استمر في النهج السياسي الذي عبّر عنه في كتابه ذلك.

نحن ندرك أن التعرض لمثل هذه المواضيع، في مقدمة، أي كتاب، هو أمر مخالف للمنطق السائد في كتابة المقدمة لأي كتاب، إلا أننا إن نكون منصفين إن نحن أغفلناها، خصوصاً وأن موضوع البحث يتطلب التعرض لها، ولا سيما القسم المتعلق، منه، بالجنود الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية، وفيما يلي عرض موجز للأحداث الثلاثة:

أولاً: (جبل نبو) وعبور العبرانيين لنهر الأردن: في أثناء زيارتي للمملكة الأردنية الهاشمية، بدعوة كريمة من قيادة الجيش العربي الأردني، في حزيران عام ١٩٩٦، وخلال جولة قمت بها على المواقع التاريخية لمعارك الفتوح الإسلامية (سهل مؤتة وسهل اليرموك وطبقة فحل)، صعدت إلى جبل «نبو» واستدرت، غرباً، نحو سهل فسيح يمتد أمام الناظر إلى مسافة لا يحدها النظر، شمالاً وغرباً، بينما يحده، جنوباً، البحر الميت. يقع هذا الجبل جنوب غربي عمان، مقابل أريحا، شرق نهر الأردن (انظر: سياغة، على خارطة فلسطين أو الأردن)، ويرتفع عن سطح البحر نحو ٨٠٠ متر، حيث ينبسط أمامه وادي الأردن، حتى البحر الميت جنوباً، وتُرى، من أعلى قمة فيه، أرض فلسطين (أو أرض الميعاد؟) كمن يرى راحة كفه بناظريه.

يقول «العهد القديم» إن رب بني إسرائيل أمر موسى بأن يصعد إلى أعلى قمة في هذا الجبل (وتدعى: رأس الفسجة) ثم يسرح ناظريه نحو أرض فلسطين، أرض الميعاد، التي لن يسمح له بدخولها، ويموت هناك، على قمة جبل «نبو» حيث دفن في الوادي «في أرض مؤاب، تجاه بيت فغور (في الفسجة)». ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا. إلا أن معلومات أثرية تذكر أن موسى دفن على قمة الجبل نفسه، وأن ديراً شُيّد في الموقع نفسه الذي دفن فيه، وهذا الدير هو نفسه الذي أعاد «الآباء الفرنسيون» حراس الأرض المقدسة» ترميمه عام ١٩٣٣، كما أن صليبياً رفع في المكان نفسه (انظر الصورة رقم ١) وأقيم نصب تذكاري تخليداً لذكرى مماته (انظر للصورة رقم ١١). ولكن أحداً من الباحثين، الأثريين خصوصاً، لم يستطع تأكيد هذه المعلومات، أو نفيها، وظل قبر موسى مجهولاً «إلى يومنا هذا».

إنحدرنا من قمة جبل «نبو» جنوباً حتى البحر الميت، ثم انطلقنا بمحاذاة نهر الأردن،

شمالاً، حتى جسر «الأمير عبدالله» (سويمه) حيث عايناً، ميدانياً، حوض النهر وقاعه، وكان يبدو شبه جاف (بسبب فصل الصيف، وهو وقت الحصاد الذي عبر فيه العبرانيون النهر، كما جاء في العهد القديم)، إلا أنه لم يتسنّ لنا معاينة النهر كله، شمالاً، حتى «آدام» (أو جسر دامية، أو جسر الأمير محمد) حيث يذكر «العهد القديم» أن مياه النهر قد توقفت «كتلة واحدة»، وأن جريان للنهر قد «انقطع تماماً، وعبر الشعب قبالة أريحا».

وفي حوارٍ مع صديق سبق أن كان ضابطاً كبيراً في الجيش العربي الأردني، (اللواء الركن فخري أبو طالب، سفير المملكة الأردنية الهاشمية بلبنان)، وهو ذو خبرة مؤكدة في معرفة حوض نهر الأردن وقاعه، من «جسر دامية» إلى مصبه في «البحر الميت»، استطعنا استنتاج ما يلي:

يبلغ طول مجرى النهر من «جسر دامية» إلى مصبه، نحو ٢٥ كلم، وهو ينحدر انحداراً نسبياً، إلا أنه يجري، لمسافة طويلة، في سهل منبسط (في غور الأردن)، وفي مجرى قليل العمق إلى درجة أن القعر يبدو، في بعض الأماكن، جافاً، وأن ضفتي النهر تبدوان منبسطتين، وإلى مسافة طويلة، على جانبيه، دون أن تشكلا انحداراً يذكر نحو مجراه.

وبسبب انحداره في مجراه نحو مصبه (في البحر الميت)، يصبح النهر غير صالح للملاحة على الإطلاق، كما أنه يلاحظ، في هذا المجرى، العديد من المخاضات التي تستخدم، عادة، لعبور المارة من ضفة إلى أخرى، دون أي جهد أو خطر، وخصوصاً في فصل الجفاف، أي فصل الصيف، إلا أنه يصبح صعب العبور في فترة وجيزة من فصل الشتاء، عندما تذوب ثلوج الجبال المحيطة به، فيرتفع منسوب المياه فيه.

أما، إن، فرضيتان:

الأولى: أن النهر لم يكن قابلاً للملاحة بسبب انحدار مجراه من الشمال إلى الجنوب، كما أنه لم يكن قابلاً للعبور على طول مجراه، خلال الفترة التي تحدث عنها العهد القديم، ومعنى ذلك أن العالم الممتد على طول ضفتي هذا النهر لم يكن قادراً على التواصل، وذلك غير حقيقي، تاريخياً على الأقل.

والثانية: إذا كان النهر غير قابل للملاحة بسبب انحدار مجراه، فإنه يظل قابلاً للعبور في أوقات محددة، وخصوصاً في وقت الجفاف وانقطاع الأمطار (الصيف)، وهو ما يؤكد وجهة نظرنا في أنه لم يكن في مجرى هذا النهر، وعلى مر العصور، مياه متدفقة، بالوتيرة

نفسها، في كل وقت، مما يدع مجالاً للاعتقاد ان عبور النهر لم يكن بحاجة إلى «معجزة» لكي يتم.

ربما يقول قائل إن آلاف السنين التي مرت على حصول هذه «المعجزة» قد تكون تسببت في حدوث تغيير (جيولوجي) ما في مجرى النهر وشكل حوضه، أو تغيير في قوة تدفق المياه فيه. إلا أن ذلك يظل افتراضاً يصعب، إن لم يستحل، نفيه أو تأكيده، مما لا يغير في تصورنا (المبني على واقع الحال) شيئاً.

ومما يعزز اعتقادنا هذا ان المسيح (عليه السلام) قد اعتمد عن يد يوحنا، في (نهر) الأردن» (العهد الجديد: مر ١: ٩)، ويذكر ان عمادة المسيح تمت، في مياه هذا النهر، في مكان منه يدعى، اليوم، بالمفطس، ويقع بين جسر اللنبي (جسر الملك حسين) وجسر سويمه (جسر الأمير عبدالله) قبالة «أريحا» تقريباً، (انظر خارطة فلسطين ١٩٤٨)، كما ان «المفطس» يقع على خط النظر المباشر الذي يصل جبل «نبو» بأريحا، أي أن الذي يتطلع إلى أريحا، من جبل نبو، لا بد من أن يمر نظره في هذا الموقع من النهر، وهو مخاضة قليلة العمق يمكن لعبور النهر ان يجتازها بلا صعوبة.

ويذكر «بطرس عبد الملك» في كتابه «قاموس الكتاب المقدس»، ان مدينة كانت قائمة على الضفة الشرقية للأردن «حيث يُظن انه موضع المخاضة التي عبر فيها العبرانيون النهر ايام يشوع»، وكانت هذه المدينة تسمى «بيت عبّرة» وتعني، بالعبرية «بيت المخاضة» (او بيت العبور)، ويتابع عبد الملك: «وفي بيت عبّرة هذا كان يعمّد يوحنا المعمدان». وجاء في «العهد الجديد» (يو: ٢٨)، انه في «بيت عنّيا، عبر الأردن... كان يوحنا يعمّد» وليس «بيت عبّرة» كما ذكر عبد الملك، (قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٣)، ولكن عبد الملك يستلرد قائلاً: إن اسم «بيت عبّرة» هذا ورد «بيت عنّيا» في «بعض المخطوطات القديمة». ثم يعود فيؤكد «ان موضع المخاضة المشار اليها آنفاً هو مخاضة الحجلة» (ص.ن.). ويظهر على خارطة فلسطين (١٩٤٨) موقع يدعى «بيت حجلة» او «عين حجلة»، وهو يقع على الضفة الغربية للنهر جنوب شرقي اريحا وشمال غربي جسر الأمير عبدالله وجنوب غربي «المفطس» الذي سبق ان اشرنا اليه، «حيث كان يوحنا يعمّد»، وحيث عمّد المسيح (ع) «عن يد يوحنا» (مر: ٩). وتقع «بيت حجلة» على مسافة نحو ٣ كلم غرب نهر الاردن، حيث تقع على موازاتها شرقاً، وعلى النهر، «مخاضة حجلة» المشار اليها آنفاً. وتتصل هذه المخاضة «بالمفطس» من الجنوب، بحيث تشكل امتداداً له، في مجرى النهر جنوباً.

وقد أقام العبرانيون، بعد عبورهم النهر، أول معيبر لهم عبر الأردن غرباً، في مكان يسمى «الخطاط» وهو يقع شرق أريحا (Smith, Horowitz Atlas P. 71) وغرب «المقسط» (انظر الخريطة).

فهل يتكون «المقسط» هو الموقع نفسه الذي عبر منه يشوع، بشعبه، نحو أريحا؟

الخريطة



لأننا: «غارودي» وكتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) «روحية غارودي» فيلسوف وفكر فرسي، بدأ حياته ماركسياً، وانتهى إسلامياً، وكان، في كل حال، معادياً للصهيونية كاشفاً عيوبها ومقاطعها، إلى أن شغف الصهيونية عليه عرباً لا هوادة فيها. وقد شرح «غارودي»، في مقدمة كتابه هذا، كما في أحاديثه معنا عند إقامتنا التمتعة به، خلال زيارته لبلعتان بدعوة من «المنتدى القومي العربي» في تونس / يوليو ١٩٩٦ (بمناسبة ذكرى ثورة ٢٢ يوليو الناصرية)، بعض ما تعرض له، على

أيدي الصهاينة الفرنسيين، من معاناة. يذكر «غارودي»، أنه، خلال الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وقف، مع الأب لولون (Lelong) والقس ماتيو (Matthiot) وجاك فوفي (J. Fauvet) ضد هذا الاجتياح، وذلك في موقف اعنوه في جريدة «اللوموند» الفرنسية بتاريخ ١٧ حزيران/يونيو ١٩٨٢، معتبرين أنه (أي الاجتياح) يدخل في «منطق الصهيونية السياسية»، مما أثار عليهم حنق «الليكرا LICRA» أي «الجمعية الدولية المعادية للعنصرية واللاسامية» (La Ligue internationale contre le Racisme et l'Antisémitisme) التي اتهمتهم بالعنصرية ومعاداة السامية، وأدعت عليهم، بهذه التهمة، أمام القضاء الفرنسي الذي برأهم منها، وأيد هذه البراءة حكم صدر عن محكمة التمييز الفرنسية بتاريخ ٢٤ آذار/مارس ١٩٨٢، إذ اعتبرت هذه المحكمة أن النقد الموجه من المفكرين الثلاثة هو «نقد مشروع لسياسة دولة، وللعقيدة التي توحى بهذه السياسة، ولا يمكن اعتباره تعريضاً عنصرياً»، وردت كل طلبات الجهة المدعية^(١).

إلا أن المعركة الحقيقية بين «غارودي» والصهاينة الفرنسيين كانت تلك التي جرت إثر سعي المفكر الفرنسي إلى نشر كتابه (الذي نحن بصدد) في مطلع العام (١٩٩٦)، إذ امتنعت معظم دور النشر الفرنسية، التي سبق أن نشرت للعديد من الكتب للمؤلف، عن نشر هذا الكتاب، خشية أن تتعرض لحملات الإعلام الفرنسي الموالي للصهيونية، وذلك بسبب «الارهاب الفكري» الذي يمارسه «اللوبي» الصهيوني على هذا الإعلام، بحسب رأي الرئيس الفرنسي الأسبق الجنرال شارل ديغول^(٢). مما اضطر المؤلف إلى نشره على نفقته الخاصة، فثار عليه الإعلام الفرنسي المتصهين ونعته بأسوأ النعوت^(٣).

(١) -Garudy, R. Les Mythes fondateurs de la politique israélienne P.11

(٢) -Néel, PP. 12 & 217-218 ويذكر «غارودي» في حديث لصحيفة «الحياة» بتاريخ ١٢ أيار/مايو ١٩٩٦ (الملحق) أن ديغول قال، ذات يوم، وبعد أن انتقدته الكنيسة الفرنسية، بعنف، بسبب فرضه عقوبات على إسرائيل (بعد حرب عام ١٩٦٧): «لم أكن أعرف أن فرنسا صارت يهودية».

(٣) -ومما قيل فيه:

«مع روجيه غارودي، يمكننا أن نتوقع كل شيء» (Le Grand Enchaîné).

«إنه غرق انتحاري لرجل كان يمكن أن يكون الشاهد على عصره» (La Croix).

«انتقل غارودي إلى المعسكر المعادي للسامية» (La Libération).

«احمر (شيوعي) قديم انتقل إلى الجانب الآخر من المائدة: (الفاشيين)» (Le Monde).

«إن «قانون غايوس» (وهو القانون الذي وضع في فرنسا لمعاقبة الذين يشكون بعدالة محاكمات نورمبرغ، والذين يوسمون بالعنصرية واللاسامية) هو... وحده، الكفيل بأسكات «رجل طبعته نزعتة الانسانية عصره» بكامله» (L'Humanité).

«إنه تواطؤ اسمر-احمر (فاشي-شيوعي)» (Le Figaro).

ومع هذا، فإن «غارودي» لم يعدم مدافعين جريئين تولوا الدفاع عنه والوقوف إلى جانبه في معركته الشرسة هذه، ومن أهم هؤلاء:

– الأبّاتي بيار (L'Abbé Pierre) الذي اشتهر في فرنسا والعالم بنزعه الإنسانية، وقد تعرض لانتقادات عنيفة من الإعلام الفرنسي المتصهين، وغلاة انصار الصهيونية في فرنسا، مما اضطره إلى أن يغادر فرنسا إلى أحد الأديرة في إيطاليا، قرفاً واشمئزاً وإحباطاً.

كان «الأبّاتي بيار» رئيساً لجمعية «عمّاس» الدولية للإغاثة والرعاية، كما كان عضو شرف في جمعية «الليكر» LICRA التي سبق ذكرها، وصديقاً حميماً للفيلسوف «غارودي». وقد عرف بحماسه للقضية الفلسطينية ودعمه لها، وعطفه على الفلسطينيين الذين دفعوا، بحسب رأيه، ثمن أخطاء أوروبا ضد اليهود، وخصوصاً في الحرب العالمية الثانية، فهو يقول: «الجرائم التي تعرض لها اليهود وأدت إلى قيام إسرائيل، بعد طرد الفلسطينيين من أراضيهم، لم تكن من صنع أي عربي، بل من صنع أوروبي. وعندما أردنا المغفرة، بعد ذلك، اخترنا الحل الأكثر سهولة، أي طرد الفلسطينيين من أراضيهم... لقد مسحنا أيدينا في ظهر آخر، إنه أمر حرج قول ذلك، لأن الأمر يتعلق بدولة إسرائيل». وزار «الأبّاتي بيار» بعد ذلك قطاع غزة (في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٥) حيث «طلب، باسم الأوروبيين، المغفرة من الشعب الفلسطيني الذي تعرض لمأساة نتيجة قيام دولة إسرائيل»^(٤).

وعندما أصدر «غارودي» كتابه الأخير (الذي نحن بصددّه) أيده الأبّاتي بيار بقوة، وأعلن ذلك صراحة، مما أثار ضده الإعلام الفرنسي المتصهين، بالإضافة إلى العديد من الجمعيات والمؤسسات والشخصيات الفرنسية الموالية لإسرائيل والصهيونية، ولكنه لم يتراجع عن آرائه، بل قال: «بعدما تنتهي العاصفة، أعتقد أن كثيراً من الفرنسيين سيقولون: لقد ساعدنا على أن نرى بصورة أكثر وضوحاً، وعقدت «الليكر» لقاءً معه، وحاول أعضاءها أن يثبّوه عن موقفه فلم يستطيعوا، مما جعل هذه الجمعية تقرر طرده من عضويتها. وحاول الوزير الفرنسي السابق «برنار كوشنر» (وكان قد ألف كتاباً، بالتعاون مع الأبّاتي بيار نفسه، عام ١٩٩٣ بعنوان: الله والبشر)، وكذلك الطبيب الفرنسي الشهير

(٤) جريدة الحياة، أمان (ملحق أسبوعي)، تاريخ ١٢ ليار ١٩٩٦ (مقالة بعنوان: الأب بيار وقضية غارودي).

«شوانزبرغ» (وكلاهما من أنصار إسرائيل والصهيونية) ثنيه عن موقفه، فلم يستطيعا. كما أن «مجلس أساقفة الكنائس الكاثوليكية الفرنسية» أصدر بياناً أدان فيه «غارودي» بسبب كتابه، وانتقد «الآباتي بيار»، الذي وقف إلى جانب (غارودي) في أزمتة هذه^(٥).

إلا أن «الآباتي بيار»، الرجل المسن (الذي جاوز الثمانين)، لم يتمكن من الصمود طويلاً أمام الحملات المسعورة التي شنّها عليه الإعلام الفرنسي المتصهين، وكذلك الشخصيات الفرنسية البارزة، اليهودية، وغير اليهودية، من الممالئين للصهيونية، فأصدر بياناً أدان فيه «كل الذين يريدون، بشكل أو بآخر إنكار أو تزوير أو جعل الكارثة اليهودية أمراً عادياً»، متخلياً بذلك، عن دعمه لصديقه القديم «غارودي»، إلا أنه غادر فرنسا، بعد ذلك، متخلياً عن كل مهماته فيها.

— المحامي «غاستون پرنو» (Gaston Pernot) دكتور في الحقوق، وحامل وسام جوقة الشرف الفرنسية، وديغولي قديم (منذ عام ١٩٤٠)، ومقاتل في صفوف القوات الفرنسية الحرة (F.F.L)، وأحد المعتقلين في سجون مصانع «بوشنولد Buchenwald» و«دورا Dora» الألمانية طوال ١٨ شهراً (١٩٤٣-١٩٤٥)، حيث خرج منها معاقاً، وقد مات، في هذه السجون، «آلاف الفرنسيين» الذين كانوا، في معتقلاتهم، مع اليهود، جنباً إلى جنب. يقول «پرنو»: «في أي مجتمع نعيش، حيث لا يكون لنا الحق في أن ننقد، بأية وسيلة كانت، اليهود والاسرائيليين والصهاينة، بدون أن نوسم، تلقائياً، بالعنصرية وبمعاداة السامية؟. ليعلم الصحافيون أن الغالبية الكبرى من المعتقلين في المعسكرات النازية لم تكن من اليهود، بينما أبرزت كل وسائل الإعلام «الفرضية» بأن اليهود، وحدهم، هم الذين كانوا معتقلين، وهم الذين أفنوا. ولتعلموا، أيضاً، أن عدد المعتقلين الفرنسيين كان نحو ٢٥٠ ألف معتقل، منهم نحو ٢٥ ألف يهودي فرنسي، وقد عاد من هؤلاء المعتقلين ما يراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ألف معتقل، منهم ١٥ ألف يهودي».

ويستطرد «پرنو» في المقالة نفسها (التي نشرت في جريدة «الفيغارو» الفرنسية):

«لماذا لا يتكلم أحد عن كل المعتقلين غير اليهود؟ يتحدثون عن معتقل «أوشفيتز Auschwitz» .. ولكنهم ينسون أن يقولوا أنه، في اتفاق مصانع «دورا» فقط ... مات الآلاف

من المعتقلين الفرنسيين من جراء الإرهاق وسوء المعاملة. لقد كانت «دورا» كذلك معسكر إفناء بسبب العمل الإجباري وبسبب الجوع. صحيح أن في «أوشفيتز»، هلك نحو ٨٠٠ ألف يهودي، من كل أوروبا، ومنذ عام ١٩٤٢، ولكن يجب أن لا ننسى أن أوائل المعتقلين الذين هلكوا كانوا نحو ٤٠٠ ألف جندي سوفياتي، يضاف إليهم نحو ١٥٠ ألف غجري (تزيغاني Tziganes) ونحو ٥٠٠ إلى ٦٠٠ ألف بولوني، ومعتقلون من جنسيات أخرى.... ولا يتكلم أحد عن هؤلاء، في أي مكان. لماذا، إذن، لا نتكلم إلا عن التضحية باليهود ونخفي استشهاد المعتقلين الباقين؟».

ويقول «برنو» في معرض دفاعه عن «غارودي»:

«إن «غارودي»، كمعتقل قديم، لم يقل شيئاً منكراً عندما أكد أنه قد تم إخفاء اعتقال «غير اليهود»، وأنه يرفض اللعب بالأرقام، إذ أعلن رسمياً، في البدء، عن هلاك ستة ملايين يهودي في «أوشفيتز»، ثم تقلص هذا العدد، الآن، إلى مليون واحد. فهل لن من لا يؤكد ذلك (الرقم الأول) يكون مراجعاً (Révisionniste)، وهو النعت الذي أطلق على المؤرخين الفرنسيين الذين يطالبون بإعادة النظر بما كتب عن محارق الغاز النازية ضد اليهود)، أو سلبياً، أو حتى معادياً للسامية؟».

وينتهي «برنو» مقالته هذه بقوله:

«في المعسكرات، لم يكن هناك احتكار لبعض الفئات. لقد كنا، جميعاً، على قدم المساواة أمام العذاب والموت. ونحن لا نرضى بالقول إن الاعتقال كان حكراً على بعض دون بعض آخر، كما أننا لا نرضى بأن يعمد الصحافيون، الذين لم يعرفوا الاعتقال ولا الحرب، إلى دعم احتكار كهذا».

فماذا قال «روجيه غارودي» في كتابه «الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية» حتى استحق كل هذا العداء والاضطهاد، إلى درجة تحطيم واجهات المكتبات التي تجرأت على عرض كتابه هذا في فرنسا، كما حدثنا «غارودي» نفسه؟.

يصرّ «غارودي» في كتابه هذا، على أن الاساطير التوراتية هي التي «أسست» السياسة الصهيونية الاسرائيلية، ولا تزال تسيّرُها وتؤثر فيها. ويعتبر الكتاب رداً على «الهرطقة» الصهيونية التي تُحل «دولة اسرائيل» محل «إله اسرائيل» (p.7)، والتي تحاول أن تقنع العالم «باسطورة حديثة» هي أن دولة اسرائيل قد قامت «كرد من الله على محارق الغاز».

النازية «الهولوكوست»، مع الإشارة إلى أن مستوطنني اسرائيل ليسوا، جميعهم، من الناجين من تلك المحارق، بل هم، في غالبيتهم، من يهود البلاد العربية المجاورة لفلسطين المحتلة، باعتراف «اسحق رابين» نفسه (p.9).

ويحاول «غارودي»، من منطلقات عقيدية، مسيحية ويهودية، ومن خلال حقائق تاريخية سياسية، أن ينقض، بجرأة وشجاعة نادرتين، كل «الأساطير المؤسسة» لا سياسة اسرائيل فحسب، بل «لدولة اسرائيل» نفسها، مقدماً، لأجل ذلك، العديد من الحجج والبراهين الدامغة، وهذا ما جعل الصهيونية للعالمية تحاربه إلى درجة «الخنق الإعلامي» و«الموت الأدبي» للذي يصفه «غارودي» نفسه، في كتابه، كما يلي:

«بدأ الخنق الاعلامي: لا يمكنني الوصول إلى التلفاز، ويُرفض نشر مقالاتي، واُقلعت في وجهي كل أبواب دور النشر الكبرى، إلى درجة أن أحد كبار الناشرين لكتبي قال لمدير إدارته: إذا نشرت كتاب غارودي، فلن تتمكن بعد ذلك، من الحصول على حقوق ترجمة الكتب الاميركية». ويستطرد «غارودي» قائلاً: «نشر كتابي يعني: تفجير منزل الناشر... تلك هي قصة حبس إنسان... إنه موتي الأدبي»^(١).

يبدأ «غارودي» كتابه بمناقشة اسطورة «الوعد الالهي» لبني اسرائيل في «أرض الميعاد» أو «الأرض المحتلة»، كما يسميها (P.29)، وذلك من وجهة نظر مفكرين مسيحيين يرون أن البحث التاريخي الحديث «حوّل، إلى حالة خيالية، الوصف الكلاسيكي للخروج من مصر واحتلال أرض كنعان والوحدة الوطنية اليهودية قبل الشتات، والحدود المرسومة بدقة»، وذلك لأن عمل المؤرخ التوراتي هو أنه «لا يبتئنا عن الرواية، بل عن الرواة»، وهكذا، فإن معظم المؤولين اعتبروا، ويعتبرون الوعد (للأباء الأولين)، بصورته الكلاسيكية، أداة «لتبرير متأخر للاحتلال اليهودي لفلسطين، أو، بصورة أكثر واقعية، لعدّ السيطرة اليهودية حتى الحدود التي بلغتها مملكة داود» (p.32). بل إن بعض هؤلاء المفكرين يرى أن جميع شعوب للشرق الأوسط نالت، في العصور القديمة، «وعوداً مماثلة، من آلهتها التي وعدتها بالأرض ما بين النهرين حتى مصر»، لذا، فإنه «سيكون أمراً

(١) Garudy, op. Cit. P. 218 وكان «غارودي» قد سبق أن نشر في كبريات دور النشر الفرنسية أربعين كتاباً، وترجمت كتبه إلى سبع وعشرين لغة (ibid).

استثنائياً حقاً، ان لم يتلق العبرانيون مثل هذا الوعد»، (P.33). حتى ان العديد من المفكرين اليهود (مثل الحاخام المر برجييه (Elmer Berger)، الرئيس السابق للرابطة اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية) يرون انه «من غير المقبول، لأي كان، ان يدعى أن إقامة دولة اسرائيل الحالية هو تحقيق لنبوءة توراتية، وان كل الاعمال التي قام بها الاسرائيليون لإنشاء دولتهم هي أعمال موافق عليها، سلفاً، من الله»، لذا، فان سياسة اسرائيل الحالية «دمرت، او، على الاقل، أفسدت المعنى الروحي لاسرائيل». وينتهي «المر برجييه» الى القول بأنه «ليس لدولة اسرائيل الحالية أي حق في ان تستند إلى الادعاء بانها تحقق مشروعاً إلهياً لعصر مسيحي. إن في ذلك ديماغوجية مطلقة للأرض وللدن، فلا الشعب ولا الأرض مقدسان، ولا يستحقان أي امتياز روحي من العالم. كما ان الشمولية (التوتاليتارية) الصهيونية التي تسعى إلى إخضاع كل الشعب لليهودي، بالعنف او بالقوة، تجعل منه شعباً بين باقي الشعوب، ومثلها» (P. 36 - 37).

وينتقل «غارودي» بعدها، إلى مناقشة اسطورة «الشعب المختار» فيرى ان «ليس لها أي أساس تاريخي» (P.43). ويرى ان «وحدانية الاله» لم توجد مع «العهد القديم»، بل ان هذا «الكتاب المقدس» لليهود لم يقل «بالوحدانية»، انما اعترف بتعدد الآلهة، معتبراً ان «إله بني اسرائيل» متفوق على غيره من الآلهة وان كانت تتناب الغيرة منهم (P.43). وان «الوحدانية» لم تتأكد، عند العبرانيين، الا بعد النفي (أي في منتصف القرن السادس ق.م)، حيث انتقل العهد القديم من صيغة «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي» (خر ٢٠: ٢). وصيغة «لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حواليك، لان الرب الهك غيور في وسطكم» (تش ٦: ١٤ و ١٥) إلى صيغة «توجهوا إلي فتخلصوا، يا جميع أقاصي الأرض، فإني أنا الله، وليس من إله آخر» (اش ٤٥: ٢٢).

أما اسطورة بشوع عن «التصفية العرقية» لغير اليهود، فيلاحظ المؤلف، كما يلاحظ أي قارئ للعهد القديم، أنها تتمتع بتغطية واقية من «رب الجنده» إله بني اسرائيل الذي يأمر بقتل كل الاجناس، ذكراً وإناثاً، من أجل بقاء شعبه. ويعلق «غارودي» على ذلك بقوله إن هذه «التصفية العرقية» قد أضحت منهجية منتظمة في «دولة اسرائيل» الحديثة، وهي ناجمة عن مبدأ «الصفاء العرقي» الذي يحرم «اختلاط الدم اليهودي بالدم غير الصافي للآخرين جميعاً» (P.57). ثم يعمد المؤلف إلى إجراء مقارنة بين الصهيونية والنازية فيعتبر ان الصهيونية تستلهم النازية التي ترى انه «يجب منع كل اختلاط يمكن أن يتم، مستقبلاً، بين الدم الالمانى والدم اليهودي» بحسب شهادة المتهم الالمانى «يوليوس سترابشر

Julius Streicher أثناء محاكمته في «نورمبرغ» إذ يقول إنه قد كتب «مقالات عدة» داعياً إلى اتخاذ «العنصر اليهودي، أو للشعب اليهودي، كنموذج يقتدى به» في مجال تطبيق «القانون الموسوي» الذي يصرّ على «التمييز العنصري» بين اليهود وسواهم من الشعوب (P.59 - 60). وينتهي «غارودي» إلى استنتاج خطير هو أن «الاضطهاد والإبادة البطيئة للجنس» الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني «أخذ في التوسع، بشكل لم يسبق له مثيل» (PP. 61 - 62).

وينتقل المؤلف، بعدها، للحديث عن «اساطير القرن العشرين» التي تفتنت الصهيونية في استخدامها واستغلالها، متحدية، في ذلك، للعالم بأسره، وقد نجحت، في هذا التحدي، أيما نجاح. وهذه الأساطير هي:

١- اسطورة الصهيونية المضادة للفاشية.

٢- اسطورة عدالة «نورمبرغ».

٣- اسطورة الستة ملايين (الهولوكوست).

٤- اسطورة «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض».

يتحدث المؤلف عن الاسطورة الأولى «الصهيونية المضادة للفاشية» فيؤكد ما هو عكسها، أي التفاء النازية بالصهيونية واتفاقهما معاً على حساب الشعب اليهودي، وذلك عندما يستشهد بنص للكاتب الصهيوني «بارزوهاره» في كتابه «بن غوريون، النبي المسلح» فيذكر أنه، في عام ١٩٤١، ارتكب اسحق شامير «جريمة لا تغتفر من الناحية الاخلاقية، وذلك عندما عقد تحالفاً مع هتلر، ومع ألمانيا النازية، ضد بريطانيا العظمى»، ثم يؤكد المؤلف، كذلك، أن «المجموعة الصهيونية الالمانية، وكانت قلة في ذلك الحين،... انخرطت، من عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٤١، في سياسة تفاهم، بل وتحالف، مع هتلر» (P.65). ويصل اليقين بالمؤلف إلى القول أن «الهدف الاساسي للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود بقدر ما كان خلق دولة يهودية في فلسطين»، مدعماً يقينه هذا بتصريح لبن غوريون بتاريخ ٧ كانون الاول / ديسمبر ١٩٢٨ يبدو فيه أقل حرصاً على أطفال اليهود الالمان منه على انشاء الدولة اليهودية. إذ يقول: «لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ حياة كل الأطفال (اليهود) الالمان وذلك بنقلهم إلى انكلترا، أو انقاذ نصفهم وذلك بنقلهم إلى أرض اسرائيل، لاخترت الحل الثاني، وذلك لأنه يجب أن نأخذ بالاعتبار، ليس فقط حياة هؤلاء الأطفال، بل

تاريخ شعب اسرائيل ايضاً». كما يصرح مفكر يهودي آخر هو «توم سيفيف» بقوله (في كتابه: المليون السابع): «إن انقاذ يهود أوروبا ليس على رأس لائحة اهتمامات الطبقة (الصهيونية) القائدة. إن تأسيس الدولة هو الذي يحظى بالأولوية في نظرهم» (P.67).

ويرى المؤلف ان مبادئ الصهيونية لم تكن تتعارض مع المبادئ النازية، إذ إنه، بينما كانت الأولى تهدف إلى تهجير اليهود من ألمانيا (والعالم كله) إلى فلسطين، كانت الثانية تهدف، في الوقت نفسه، إلى تهجير اليهود من ألمانيا، ولا بأس ان كان التهجير يقودهم إلى فلسطين، وذلك ما كتبه «بولو شوانت» إلى وزير الداخلية الألمانية عام ١٩٣٥ (PP.70-71). وقد شعر «ناحوم غولدمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي «بالتعاسة والخجل» عندما واجهه وزير الخارجية التشيكية «ادوارد بينيز» بامتناع منظمته اليهودية عن مقاطعة هتلر ورفضها تنظيم مقاومة ضده (P.74). ويصل الأمر بالقادة الصهاينة إلى حد التآمر على اليهود، وذلك عندما اتفق «رودولف كاستنر» نائب رئيس المنظمة الصهيونية، مع «أدولف ايخمان» على ان يقنع الأول ٤٦٠ ألف يهودي هنغاري بأن نقلهم لن يكون إلى أوشفيتز (حيث محارق الغاز) وانما هي عملية ترحيل (ترانسفير) فقط، هذا إذا قبل الثاني (ايخمان) بذهاب ١٦٨٤ يهودياً (من الراسماليين والتقنيين والعسكريين) إلى فلسطين (P.75).

وفي ميناء حيفا، بتاريخ ٢٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٠، أقدم «بن غوريون» قائد «الهأغانا» في فلسطين، على نصف باخرة فرنسية (الباهرة باتريا) كانت تقل يهوداً قررت بريطانيا «انقاذهم من هتلر» ونقلهم إلى «جزيرة موريس»، مروراً بحيفا، فقتل، في هذه العملية، ٢٥٢ يهودياً، وذلك بهدف زيادة سخط اليهود على الدولة المنتدبة التي لم تكن تسمح، في نظر اليهود، بهجرة كافية لهم إلى فلسطين (P.81).

ويسهب المؤلف في الحديث عن الاسطورة الثانية، «اسطورة عدالة نورمبرغ» فيفضح أسرار هذه المحاكمة الصورية لزعماء ألمانيا النازية، ودور الصهيونية في تدبيرها وإدارتها وتدبيح أحكامها، ويناقش وثائقها وشهادات الشهود فيها، وخصوصاً ما يتعلق منها بدعوى محارق الغاز النازية في «أوشفيتز» فيظهر مدى تدخل الصهيونية في مسار هذه الدعوى وفي الأحكام التي صدرت عن المحكمة بصدها، ولا بد من ان يعمد القارئ إلى مراجعة هذا الفصل بنفسه لكي يطلع على الفضيحة الصهيونية الكبرى التي

تبناها العالم الحر، بعيد الحرب العالمية الثانية، وسماها «محاكمات نورمبرغ» (PP. 91 - 150).

ثم يفرد المؤلف فصلاً خاصاً للتحقيق في قضية محارق الغاز النازية المسماة «الهولوكوست»، وهي الأسطورة الثالثة التي يسميها «أسطورة الستة ملايين»، وينتهي الى القول بان العالم قد نسي المحارق الكبرى، سواء عمليات إفناء الجنس التي قام بها العبرانيون، في أرض كنعان ضد الشعوب التي كانت تقطن تلك الأرض قبلهم، أو محرقة «درسد» الانكلواميركية (في ١٢ شباط / فبراير عام ١٩٤٥) حيث هلك، في بضعة ساعات فقط، نحو ٢٠٠ ألف مدني، أو محرقتي هيروشيفا وناغازاكي، في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) حيث هلك نحو ٢٠٠ ألف نسمة وقضي على نحو ١٥٠ ألف جريح بالموت البطيء في مدد متفاوتة (154 - 152 PP)، وينتقل إلى التأكيد بان «محارق الغاز» النازية ضد اليهود ان هي الاكذبة كبرى اجترحها اليهود للوصول، عن طريقها، إلى إقامة وطن لهم في فلسطين، على حساب الشعب الفلسطيني، وعلى أرضه، مبيئاً ذلك بحقائق دامغة لا مجال لنكرانها (167 - 159 PP). وهم لا يتورعون عن ان يربطوا، بكل وقاحة، بين اسرائيل والهولوكوست والرغبة الألهيية، فيعلنوا ان «إقامة دولة اسرائيل» ليست سوى «ردّ من الله على الهولوكوست» (P. 156).

وتبقى الأسطورة الرابعة التي يسميها المؤلف «أسطورة أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، وهي أسطورة مضحكة مبكية في آن، خصوصاً وان «العالم الحر» لم يرفض هذه الأسطورة، بل صدّقها، وأقام لليهود دولة على حساب شعب طرد من أرضه ووطنه، ولا يزال هذا العالم يعاني، إلى اليوم، من سلوكه المستهجن والغريب تجاه هذا الشعب وتلك الأرض.

المضحك، في هذه الأسطورة، أن نسمع «غولدامائير»، (وكانت رئيسة لحكومة سابقة في اسرائيل) تقول، في تصريح لها الى جريدة «سانداي تايمز» الانكليزية بتاريخ ١٥ حزيران / يونيو عام ١٩٦٩: «لا يوجد شعب فلسطيني... ليس الأمر كما لو أننا اتينا وطردهم، وأخذنا بلادهم. إنهم غير موجودين». وتلقّى «العالم الحر» هذا التصريح، دون ان يرف له جفن او يتحرك ضمير.

والمبكي، في هذه الأسطورة، ان الشعب الذي قالت عنه «غولدامائير» انها لم تطرده

من أرضه ووطنه، وأنه «غير موجود»، لا يزال إلى اليوم، يقاتل العدو المحتل، بلا تعب ولا كلل، و«العالم الحر» كله يتفرج على الدماء الفلسطينية تهرق بلا حدود، والشهداء الفلسطينيين يسقطون بلا نهاية، دون أن يرف لهذا العالم جفن، أو يتحرك ضمير.

ونكتفي، مما أورده المؤلف، في حديثه عن ردّ هذه الاسطورة، بشهادتين أوردهما في الفصل المتعلق بالحديث عنها، وهما:

«شهادة الكونت «فولك برنادوت» وسيط منظمة الأمم المتحدة في حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، وذلك في أول تقرير له عن مهمته بتاريخ ١٦ ايلول / سبتمبر ١٩٤٨، وقد جاء في هذا التقرير: «سيكون الأمر إهانة للمبادئ الأولية إذا منع هؤلاء الأبرياء، ضحايا النزاع، من العودة إلى وطنهم، بينما نرى المهاجرين اليهود يتوافدون إلى فلسطين، وأكثر من ذلك، يهددون، بصورة دائمة، بأن يحلوا محل اللاجئين العرب المتجذرين في هذه الأرض منذ قرون»، ثم يستطرد: «إن الغزو الصهيوني يتم على نطاق كبير، وتدمير القرى يجري بلا ضرورة عسكرية ظاهرة» (P.174). ولا عجب أن قتل «برنادوت» بعد ذلك، في فلسطين وفي اليوم التالي لوضع هذا التقرير، أي بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٤٨، على يد اليهود أنفسهم، وفي أثناء قيامه بمهمته الانسانية.

«شهادة البروفسور «اسرائيل شاحاك»:

«أنا يهودي يعيش في اسرائيل، واعتبر نفسي مواطناً محترماً للقوانين. أقوم بخدمتي العسكرية في الجيش كل عام، رغم اني أتجاوز الاربعين، ولكني لست «مخلصاً» لدولة اسرائيل او لاية دولة أخرى او منظمة، بل انا متمسك بمثلي العليا. واعتقد ان عليّ ان اقول الحقيقة، وان افعل كل ما يجب لانقاذ العدالة والمساواة للجميع. انا متعلق باللغة والشعر العبريين، وأحب الاعتقاد بانني احترم، بتواضع، بعض القيم لأنبيائنا القدامى». ويستطرد «شاحاك»:

«يعتقد اليهود، ويقولون ثلاث مرات في اليوم، ان اليهودي يجب ان يكرّس نفسه لله، والله وحده... ولكن يبدو لي ان اكثرية شعبه أضاعت إلهها، وأحلت محله وثناً، تماماً كما كانوا (العبرانيون) عندما عبدوا عجل الذهب، في الصحراء، وقدموا له كل ما لديهم من ذهب، ليقيموا له تمثالاً. ان اسم «وثنهم» الجديد هو «دولة اسرائيل»، (PP. 189 - 190).

ويختتم «غارودي» كتابه القيم بالحديث عن «الاستخدام السياسي للاسطورة» في

الدولة العبرية، فيتحدث عن دور «اللوبي» الصهيوني في كل من الولايات المتحدة الأميركية (212 - 193 PP) وفرنسا (229 - 213 PP)، ثم يتحدث عن اسطورة اخيرة هي «اسطورة المعجزة الاسرائيلية: التمويل الخارجي لاسرائيل» ويستهل حديثه عنها بكلمة لليهودي «يشايهاو ليبوتيز»: «تأتي قوة القبضة اليهودية من الكف الفولاذي الاميركي الذي يغطيها، والدولارات التي تحشوها» (P. 231).

ثم يتحدث عن قصة «التعويضات الالمانية لاسرائيل» كما يرويها «ناحوم غولدمان» (233 - 231 PP)، ثم الدعم الاميركي المستمر للدولة العبرية (241 - 235 PP).

ورغم ان هذا الكتاب يتضمن، في غالبيته، شهادات لمفكرين وسياسيين عالميين، يهود (وخصوصاً المؤرخين الاسرائيليين الجدد منهم) وغير يهود، فانه يظل، بحد ذاته، شهادة قيمة، تشهد على العنصرية اليهودية والطغيان الصهيوني، وعلى الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني، من جراء تلك العنصرية وهذا الطغيان اللذين لم يسلم منهما «العالم الحر»، فكان هو المظية التي استخدمتها الصهيونية، خلال هذا القرن، لتحقيق اطماعها، والبقرة الحلوب التي عاشت اسرائيل، ولا تزال تعيش، من ضرعها السخي.

ثالثاً: الليكود في الحكم: نتنياهو وآراؤه الصهيونية الاصولية:

الصهيونية الاصولية تحكم الدولة العبرية. هذا ما وجب قوله عندما تسلم «نتنياهو»، زعيم حزب الليكود، الحكم في اسرائيل.

ولد «بنيامين نتنياهو» في تل أبيب عام ١٩٤٩، ونال شهادة «ماجستير في إدارة الأعمال» من معهد «ماساشوستس للتكنولوجيا» في «فيلادلفيا» بالولايات المتحدة الأميركية، كما نال الهندسة المعمارية من جامعة (إم. آي. تي. MIT) في الولايات المتحدة الأميركية. ثم خدم في الجيش الاسرائيلي خمس سنوات سرح بعدها برتبة نقيب، وشارك في العديد من الحروب العربية الاسرائيلية. وقد شغل عدة مناصب رئيسية في الدولة العبرية منها: قنصل اسرائيل في واشنطن (١٩٨٢ - ١٩٨٤)، ثم سفير اسرائيل وممثلها الدائم في الامم المتحدة (١٩٨٤ - ١٩٨٨)، ثم انتخب (عام ١٩٨٨) نائباً في الكنيست الثاني عشر، عن تكتل الليكود اليميني المتطرف، وعين، في العام نفسه، نائباً لوزير الخارجية الاسرائيلية (١٩٨٨ - ١٩٩١)، ثم نائباً لوزير الاعلام، في مكتب رئيس الحكومة (١٩٩١).

(١٩٩٢ -)، وفي هذا العام (١٩٩٢) انتخب رئيساً لتكتل الليكود. وهو يعتبر من أكثر المتشددين والمطرفين في حركة «حيروت» التي تشكل دعامة أساسية في هذا التكتل^(٧).

يذكر «نتنياهو» في كتابه «مكان تحت الشمس» أن جده لأمه، ويدعى «إبراهيم ماركوس»، هاجر إلى فلسطين عام ١٨٩٦ وأقام في مستوطنة «ريشون لتسيون» اليهودية، وانتسب إلى حركة «هواة صهيون»، وأن أمه ولدت عام ١٩١٢ في مستوطنة «بتاح تكفا» في فلسطين كذلك، وأن جده لأبيه، الحاخام نتان ميلويسكي، التزم بالحركة الصهيونية، منذ مطلع شبابه «في عقد التسعينات من القرن الماضي» ونشر مبادئها بين اليهود في شرق سيبيريا حتى مينوسوتا، في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم هاجر من «ترايست» إلى فلسطين عام ١٩٢٠، واستقرت الأسرة، في آخر المطاف، في مستوطنة «روش بينا» في الجليل الأعلى، قرب صفد^(٨).

إلا أننا نستنتج، من السيرة المقتضبة التي يقدمها «نتنياهو» عن جده لأمه، أن هذا الجد كان قد انتسب باكراً إلى حركة «هواة صهيون» أو «أحباء صهيون»، وهي حركة صهيونية متطرفة، وأن جده لأبيه كان حاكماً ملتزماً بالحركة الصهيونية كذلك، مما يشير إلى أن «بنيامين» نشأ وترعرع في بيئة دينية صهيونية متعصبة، وهذا ما يفسر لنا تعصبه وتشدده في السعي لتحقيق الأهداف الأساسية للحركة الصهيونية.

ولأجل هذا، نرى «نتنياهو» ينتسب إلى أكثر الحركات الصهيونية تعصباً وتشدداً، وهي حركة «حيروت»، ثم إلى التكتل البيميني الأكثر تطرفاً وهو تكتل الليكود.

تعتبر حركة حيروت (الحرية) أحد أهم الحركات والأحزاب المكوّنة لهذا التكتل، وكانت قد تأسست عام ١٩٤٨، وتنتمي إلى التيار الإصلاحي الذي تزعمه «فلاديمير جابوتنسكي»، وكان «مناحيم بيغن» أول زعيم لها. وقد اشتركت هذه الحركة رسمياً، إلى جانب عدة كتل وأحزاب أخرى، في تشكيل تكتل الليكود، بتاريخ ١٢ أيلول / سبتمبر ١٩٧٢، بينما كانت تشكل بدورها، مع حزب الأحرار، تحالفاً باسم «غاحل»^(٩). ونستنتج،

(٧) جريس، صبري، وخليفه، أحمد، دليل إسرائيل العام، ص ٥٥٦، ومجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ ص ٧١

(٨) نتنياهو، بنيامين، مكان تحت الشمس، تعريب محمد عودة الدويري، ص ٤٧ و ٧٠ و ٢٢٢

أما عنوان الكتاب بالإنكليزية فهو «مكان بين الأمم A place among the Nations»

(٩) عبد الله، هاني، الأحزاب السياسية في إسرائيل، ص ٨ و ١٨، وتعتبر حركة «حيروت» أكثر الحركات الإسرائيلية تصلباً ونطرفاً، وهي العمود الفقري لتكتل الليكود. وتطالب هذه الحركة بإرضاء إسرائيل التي تشمل، في زعمها، ضفتي الأردن، الشرقية والغربية، لذا، فإن شعارها هو: خارطة الضفتين وقد كتب تحت أحدهما، هذه لنا، وتحت الثانية، وهذه أيضاً لنا. ثم رسمت بتدقيق كتب تحتها: وبهذا فقط. (عباس، محمود، طريق لوسلو، ص ٦١).

من البرنامج الانتخابي لتكتل الليكود عام (١٩٩٦) أهم أهدافه ومبادئه، مع الإشارة إلى أن هذا البرنامج لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن تلك الأهداف والمبادئ، نظراً لكونه يخاطب مواطنين عرباً إسرائيليين خطاباً سياسياً لا بد من أن يختلف عن الخطاب العقيدي لحركات هذا التكتل وأحزابه، وأهم هذه الأهداف والمبادئ:

• حق الشعب اليهودي في «أرض إسرائيل».

• تعزيز الهجرة ودعم الاستيطان.

• حكم ذاتي للفلسطينيين، على أن تبقى شؤون الأمن والخارجية خصوصاً من مسؤولية دولة إسرائيل.

• معارضة إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

• حق الجيش الإسرائيلي وقوى الأمن الإسرائيلية «بحرية عمل كاملة في كل مكان، في كفاحها ضد الإرهاب» (أي ضد مقاومة الفلسطينيين للاحتلال).

• إبقاء «المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل، والاستيطان اليهودي، تحت حكم إسرائيلي كامل».

• المحافظة «على مصادر المياه الحيوية... في יהודה والسامرة» (أي الضفة الغربية) بيد إسرائيل.

• «القدس الكاملة الموحدة هي عاصمة إسرائيل».

• إغلاق «مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في المدينة (القدس) بما في ذلك بيت الشرق».

• نهر الأردن هو «الحدود الشرقية لدولة إسرائيل، جنوب بحيرة طبرية، وسيكون هذا الخط حدوداً دائمة بين دولة إسرائيل والمملكة الأردنية».

• تطبيق «قانون الدولة (إسرائيل) وقضائها وإدارتها على هضبة الجولان»، وبذلك تتقرر «سيادة إسرائيل الكاملة على هذا الجزء من البلد»^(١٠).

(١٠) مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٢٧ ص ٨٠، ٨١.

هذه هي أهداف تكتل الليكود ومبادئه كما أعلنها في برنامجها الانتخابي لهذا العام (١٩٩٦)، وهي أهداف ومبادئ لا تنسجم، بالكامل، مع أهداف الصهيونية ومبادئها، بل هي معتدلة بالنسبة إلى ما التزم به «نتنياهو» في كتابه «مكان تحت الشمس».

فكيف ينظر رئيس الحكومة الاسرائيلية «الليكودية»، بنيامين نتنياهو، إلى المشكلة الفلسطينية ومصير الفلسطينيين؟ وإلى أين يصل به خياله الجموح لتحقيق الأطماع الصهيونية في الأرض العربية؟ هذا ما سوف نستخلصه من مراجعتنا لكتاب هذا، محاولين أن نبرز، بكل أمانة ودقة وصدق، آراءه التي أعلنها قبل تسلمه الحكم، تاركين للقارئ أمر المقارنة والقياس والاستنتاج بين ما أعلنه نتنياهو، في كتابه، وبين ما باشر بتطبيقه، عملياً، في المدة التي قضاها في الحكم حتى اليوم، وأغلب الظن أنه لن يجد كبير فرق بين آرائه النظرية وهو خارج الحكم، وممارسته العملية واليومية للحكم.

تسلم «نتنياهو» الحكم بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ١٩٩٦، وبعد اقتراع على رئاسة الوزارة في الدولة العبرية، نال إثره، ما نسبته ٥٥,٥٪ من أصوات الناخبين اليهود، وما نسبته ٥,٢٪ من أصوات الناخبين العرب، في هذه الدولة، بينما نال منافسه «شيمون بيريز»، رئيس حزب العمل، وموقع «اتفاق أوسلو» مع الفلسطينيين، ما نسبته ٤٤,٤٪ من أصوات اليهود، وما نسبته ٩٤,٧٪ من أصوات العرب^(١١)، مما يعني أن أكثرية «ضئيلة جداً» من يهود إسرائيل، وأقلية «ضئيلة جداً» من عربها يؤيدون خطة حزب الليكود ورئيسه «نتنياهو» في إدارة مفاوضات السلام مع العرب، بينما يؤيد نحو نصف يهودها، وأكثريّة عربها، خطة حزب العمل ورئيسه «شيمون بيريز».

ورغم ذلك، أصر «نتنياهو» على مواقفه المتصلبة والمتشددة، رافضاً الاعتراف بما اتفقت عليه حكومة العمل (السابقة) مع منظمة التحرير الفلسطينية، ورافضاً التفاوض مع سوريا (ولبنان) على الأسس التي انبثقت عن مؤتمر مدريد للسلام (الذي عقد عام ١٩٩١) برعاية الراجعيين الأميركيين والروس، وضارباً عرض الحائط بالإدارة الدولية الجماعية لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط. وبلغ «تهوّر»ه السياسي، إلى حدّ تحدي العرب والمسلمين في قلب القدس الشريف وبجوار المسجد الأقصى، وذلك بإعادة فتح

(١١) مجلة «الدراسات الفلسطينية» عدد ٢٧ ص ٧٥.

«النفق، أو قناة الماء» التي كان «اليبوسيون»، البناة الأولون لبيوس (أورشليم) قد حفرها، لإيصال الماء، عبرها، من عين تقع خارج أسوار مدينتهم، إلى داخلها»^(١٢).

وقامت، في فلسطين، اثر هذا التحدي، انتفاضة (٢٥ - ٢٨ أيلول / سبتمبر ١٩٩٦) أدت إلى استشهاد نحو ٦٥ فلسطينياً ومقتل نحو ١٥ جندياً إسرائيلياً. وقد كان لهذه الانتفاضة الدموية صدى كبير في مختلف أنحاء العالم، خصوصاً وأن التصرف السيء والمشين واللائساني لرئيس الحكومة الاسرائيلية قد أثار غضب العديد من الدول والشعوب، وحنقها واشمئزازها.

وفي مقدمة الطبعة العربية لكتابه، لا يتورع «نتنياهو» عن أن يستفز القاريء العربي، بل العرب والعالم أجمع، عندما يرفض التنازل عن مكاسب إسرائيل «في حرب الأيام الستة»، ويرفض، بالتالي، مبدأ «الأرض مقابل السلام» الذي قام مؤتمر مدريد على أساسه، وعلى أساسه جرت المفاوضات بين العرب وحكومة حزب «العمل»، كما يرفض، صراحة، التفاوض على أساس اتفاق «أوسلو» مع الفلسطينيين، وبالتالي، التنازل عن الضفة الغربية (المعروفة، في القاموس اليهودي، بيهودا والسامرة) وقطاع غزة وهو رافض، قطعاً، وبصورة جازمة، إقامة «دولة فلسطين» في هاتين المنطقتين من الأرض الفلسطينية المحتلة (ص ٣٠ - ٣١). ويبرر «نتنياهو» رفضه هذا، بالنظرية التالية:

«إذا لم يكن هنالك حق لليهود في الاستيطان في الخليل وفي بيت إيل، فليس لهم الحق أيضاً في البقاء في حيفا ويافا».

«إن من شأن التنازل عن الضفة الغربية تعزيز المطالبة بالجليل والنقب ومناطق أخرى، في دولة إسرائيل فقط».

«سيؤدي الاستمرار في تطبيق اتفاق أوسلو إلى تطويق إسرائيل بحزام من قواعد الارهاب الاسلامي، هدفها الوحيد القضاء على دولة إسرائيل» (ص ٣٥).

«سنؤدي عودتنا إلى خطوط عام ١٩٦٧ لابتعاد العرب، تدريجياً، عن السلام، ولزيادة الاعمال الارهابية، لتأخذ أبعاداً أوسع من تلك التي عرفناها حتى اليوم». (ص ٣٦ - ٣٧).

(١٢) قال داود لرجاله وهم يحاصرون ييوس (التي هي اوروسالام او اورشليم): «كل من يضرب اليبوسي، فليبلغ من القناة الى اولئك العرج والعميان (وهم اليبوسيون المداقعون عن ييوس) الذين ييفضون نفس داود» (المهد القديم، ٢ ص ٥: ٨٧)، وهذا ما يؤكد حفر «اليبوسيين» لتلك القناة.

ويعتقد «نتنياهو» أن «أرض إسرائيل» التي قرر «مؤتمر فرساي» منحها لليهود، كوطن قومي لهم، تشمل «ضفتي نهر الأردن» وهي المنطقة التي تسمى «أرض إسرائيل الانتدابية» أي «المنطقة التي كُلفت بريطانيا عام ١٩٢٠ أن تقيم فيها وطناً لليهود» و«شملت أراضي دولتي الأردن وإسرائيل اليوم» (ص ٤٢). ويستطرد «نتنياهو»: «والأسوأ من هذا، أنهم يقولون لنا، إن الرغبة في أن يكون عرض دولتنا ٦٥ كلم بدلاً من ١٥ كلم، تعتبر دليلاً على أن الشعب اليهودي شعب عدواني وتوسعي» (ص ٤٤).

إن القارئ الحيادي الذي يقرأ نتنياهو، في كتابه هذا، وهو يدافع، بإيمان والتزام كبيرين، عن عقيدته الصهيونية الاصولية، يكاد يقتنع بوجهة نظره التي يطرحها (بتأثير بالغ) خصوصاً إذا لم يكن ملماً بتاريخ شعب فلسطين وبالمشكلة الفلسطينية (التي جعلت منها الصهيونية، ببراعة تامة، مشكلة شرق أوسطية فحسب). وانني، إذ أطرح أفكار «نتنياهو» الواردة في هذا الكتاب دون تعليق ودون مناقشة في العمق، نظراً لما يتطلبه هذا العمل من جهد ليس مجاله هنا، أدعو المفكرين العرب إلى قراءة هذا الكتاب ومناقشته والرد عليه، وذلك منعاً للخطر الذي يحمله، بين دفتيه، على قضيتنا الكبرى، قضية فلسطين.

الكتاب مليء بالأضاليل زاهر بالمغالطات، في كل وجوها، السياسية والتاريخية والدينية، وهي أضاليل ومغالطات تعتمد «نتنياهو» الاعتماد عليها، بإيمان عميق منه، ربما، كي يقنع القارئ بالقضية (الصهيونية) التي يدافع عنها، وبصحة الحجج والبراهين التي يسردها، والتي يمكن أن تؤثر في القارئ الجاهل وغير المطلع، وهنا تكمن خطورتها.

ففي (الفصل الأول) من الكتاب (ظهور الحركة الصهيونية) يحاول «نتنياهو» أن يقدم للقارئ مطالعة مضلّة عن الظلم الذي لحق باليهود (من أوروبا وليس من العرب، في كل حال)، وأن «للشعب اليهودي الحق في العودة لاحتلال مكانة محترمة ومتساوية مع باقي الشعوب» (ص ٤٩) و«أنهم (أي اليهود) يعيشون في أوساط كل الأمم، لكنهم لا ينصهرون فيها» بحسب رأي «جان جاك روسو» (ص ٥٠)، مما يجعل «فكرة المساواة (بين اليهود وغيرهم من المواطنين في أية دولة) في الحقوق المدنية ضرورة، ولكنها غير كافية لحل المشكلة اليهودية» (ص ٥١). وانطلاقاً من هذه الفرضيات والقناعات، يرى «نتنياهو» أن «الحركة الصهيونية» هي التعبير الوحيد والسليم لانقاذ الشعب اليهودي من غربته وعزله واضطهاد الآخرين له، خصوصاً إذا أعيد إلى أرضه «التاريخية» التي يسميها دائماً «أرض

اسرائيل» وليس «فلسطين»، هذه الأرض التي يراها «مهملة وفقيرة» (ص ٥٨)، زاعماً ان «اليهود لم يسلبوا العرب أرضهم، انما العرب هم الذين سلبوا أرض اليهود» (ص ٦٢). وإذا كان «توينبي»، المؤرخ البريطاني الشهير، قد أنصف العرب في كتاباته غير المنحازة لليهود، فذلك لأنه «لا يحب اليهود»، هكذا بكل بساطة (ص ٦٤). أما القدس، فهي مدينة اليهود التاريخية، كما يرى «نتنياهو» (وسواء من اليهود)، ناكراً ما ورد في «العهد القديم» من ان القدس كانت، أصلاً «للببوسيين» القادمين من الجزيرة العربية، وهم بناتها الأول، وقد احتلها داود بالقوة عام ١٠٠٠ ق.م.

لكل هذه الأسباب والذرائع، يرى «نتنياهو» أن الدعوة الصهيونية للعودة إلى «أرض اسرائيل» و«أورشليم» دعوة محقة، وان هدف هذه الحركة هو، في الأساس، «إقامة وطن قومي لليهود على ضفتي الأردن» (ص ٨٢) وليس غرب النهر فحسب.

ويكرر «نتنياهو» في (الفصل الثاني) من الكتاب (التخلي عن الصهيونية)، المغالطات والأضاليل التي سبق ان قدمها في الفصل الأول، سواء من جهة الإدعاء بأن «أرض اسرائيل» تشمل «ضفتي الأردن» أي فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية، زاعماً ان بريطانيا قد تخلت عن جزء من «أرض اسرائيل إلى الملك عبد الله»، ملك الأردن، متخيلة بذلك عن المبدأ الأساسي للصهيونية، ومترجمة عن «التعهدات التي أخذتها على عاتقها بموجب وعد بلفور» ويستطرد «نتنياهو» قائلاً، وبأسف كبير: «وبجرة قلم واحدة، انتزع من الأراضي المخصصة للشعب اليهودي ما يقارب ٨٠٪ من هذه الأراضي، وتم إغلاق شرق الأردن بكاملها في وجه الاستيطان اليهودي إلى يومنا هذا» (ص ٨٥)، وهكذا، وبكل بساطة، يحاول «نتنياهو» تزوير التاريخ وخداع العالم بأباطيله وأضاليه ومغالطاته.

وينتقل «نتنياهو»، من جديد، إلى الحديث عن الظلم الذي أحاق باليهود، في أوروبا، زاعماً ان البريطانيين عملوا «من أجل تدمير الوطن القومي اليهودي.... بل أصبحوا شركاء في جريمة إبادة اليهود في أوروبا» (ص ١٠٤)، ثم يتحدث عن «حرب الاستقلال» عام ١٩٤٨، وكيف انتصر اليهود فيها على العرب، مجتمعين، وهم «دون طائرات، ولا دبابات، ولا مدافع» (ص ١١٢)، بالإضافة إلى ما قدمته بريطانيا للعرب، وكانت قد استعانت بهم «في النصف الأول من القرن العشرين» فكانت بريطانيا، في نظره، «الرائدة في مقاومة الحركة الصهيونية» (ص ١١٢).

وتتجلى سادية هذا الرجل في عدائه للعرب وفي قدرته الفائقة على قلب الحقائق والتفنن في تقديم الأكاذيب، وفي ادعائه بأنه «كان من الضروري إيجاد حقوق تاريخية عربية لمواجهة الحقوق التاريخية اليهودية، وإن يمحو من الذاكرة قرارات مؤتمر فرساي، وعصبة الأمم، ووعد بلفور، وإعادة كتابة تاريخ النزاع، تاريخ الحروب العربية ضد اليهود بعد قيام الدولة. وفي سبيل إنجاح إدخال هذه الأكاذيب إلى عقول مواطني العالم الغربي وحكوماته، كان يتوجب على العرب شن هجوم مباشر على الصهيونية بهدف زعزعة مكانتها كحركة أخلاقية (٩) تسعى لتحقيق العدالة. وكانت الإدعاءات العربية الكاذبة، كلها، تتركز على إظهار حقيقة أن خلق «دولة إسرائيل» كان تصرفاً لا أخلاقياً. ولذا، كان يتوجب عليهم القضاء تماماً على الشخصية الإيجابية للحركة الصهيونية التي سادت، بشكل خاص، في أعقاب الحركة النازية» (ص ١١٧).

وكانما يتوجب على العرب عموماً، والفلسطينيين خصوصاً، أن يدفعوا، هم دون سواهم، ثمن المظالم التي لحقت باليهود (بحسب زعمهم) من جراء «الحركة النازية» فيصرخ «نتنياهو» متألماً: «لقد عانى الشعب اليهودي من الاحتقار والاذلال والقمع والعنف، أكثر من أي شعب آخر، ولم تنشأ الحركة الصهيونية إلا لتحقيق الحرية والعدالة لشعبها، وهكذا، بعد ألفي سنة من العبودية، أصبح الشعب اليهودي حراً مستقلاً، هذا هو المعنى الحقيقي للصهيونية» (ص ١١٨).

وتنقلب (حقيقة القضية الفلسطينية) رأساً على عقب، عند نتنياهو، في (الفصل الثالث)، من كتابه، وذلك عندما يعتبر أن «مصر، بزعامة جمال عبد الناصر، حاولت... إغتيال زعماء الأردن ولبنان والعراق، وفي عام ١٩٥٨، حاولت فرض حكمها على سوريا، وفي عام ١٩٦٢، شنت حرباً بشعة لاحتلال اليمن...» (ص ١٢٧). ثم يحاول أن يلعب على التناقضات العربية مشيراً إلى الخلافات والنزاعات والحروب التي جرت، وتجري، فيما بينها، (بين الجزائر والمغرب، وبين اليمنين، وبين السعودية واليمن، وبين العراق والكويت... الخ...) ثم يعتبر أن لسوريا «مكانة محترمة بين الدول العدائية» سواء بالنسبة إلى الأردن أم العراق أم لبنان. وخصوصاً باعتبارها أن لبنان «جزء لا يتجزأ من سوريا» وأن «أرض إسرائيل (أي فلسطين والأردن) جزء لا يتجزأ من سوريا الكبرى»، وأنها «تطالب بالسيطرة على لواء اسكندرون التركي»، وكذلك ليبيا، الدولة العدوانية التي «احتلت جزءاً كبيراً من أراضي تشاد» (ص ١٢٧-١٢٩). كل ذلك لكي يخلص إلى نتيجة

واحدة هي ان العنف السائد بين الانظمة العربية هو الذي يؤدي إلى التوتر السائد في منطقة الشرق الأوسط وليس ما يسمى «بالقضية الفلسطينية». ثم يعدد، في صفحات عدة متتالية، أعمال العنف التي يزعم ان بعض الدول العربية قد أجرتها ضد بعضها الآخر، وذلك طيلة الفترة الممتدة منذ الثلاثينات حتى اليوم، وهو ما يسميه «بالإرهاب العربي» (ص ١٣٠-١٣٨).

ويتساءل «نتنياهو» عن «جذور الظواهر، السياسية والاجتماعية والنفسية، القوية التي يبدو انها حكمت، بحرب دائمة، على أمة يبلغ تعدادها ١٥٠ مليون نسمة، كانت لها حضارة أثرت، في الماضي، على البشرية كلها».

ويعزو «نتنياهو» جذور هذه الظواهر إلى «ثلاثة عناصر»:

١- أزمة الشرعية ٢- الرغبة في الوحدة ٣- العداء للغرب

ويزعم ان هذه العناصر الثلاثة «مرتبطة بتصاعد الاسلام المتطرف».

ثم يتحدث عن كل من هذه العناصر الثلاثة، فيرى انه «منذ انهيار الامبراطورية العثمانية...، لم يُتفق على مسألة: من هي الحكومة العربية الشرعية، ونتيجة لذلك، ظل أي هيكل سياسي أقيم، في العالم العربي، يرتكز على أرجل هشة» (ص ١٣٩). ويعزو ذلك كله إلى لعبة المصالح التي لعبتها الدولتان الاستعماريتان «بريطانيا وفرنسا» وذلك بتقسيم العالم العربي إلى دويلات «بحيث كانت كل واحدة من هذه الدول أصغر من ان تصبح دولة قوية بقدراتها الذاتية» (ص ١٤٠). مما جعل «الزعماء العرب مشغولين باستمرار، ليس بحماية أنفسهم من الانقلابات والاغتيالات، إنما بكل أنواع محاولات الاندماج مع دول أخرى» ثم يعدد بعض محاولات الاندماج هذه، (الجمهورية العربية المتحدة، والاتحاد الهاشمي وغيرهما)، ولا ينسى ان يعتبر الوجود السوري بلبنان ضمّاً فعلياً بالقوة، منذ عام ١٩٩١ (ص ١٤١). ويظل «الشعور بالاحباط لدى العرب، بسبب عدم قدرتهم على الاتحاد وتثبيت وضعهم السياسي» وكذلك «الحدود الجائرة التي رسمها الأوروبيون على خارطة العالم العربي، في نظر غالبية العرب» من أهم الأسباب التي أدت إلى ان يسود الشارع العربي شعور بان صدام حسين هو «بسمارك العرب» (ص ١٤٢). وهكذا تظل مشاعر القومية العربية والرغبة في الوحدة هي «حجر الأساس لنظرية الوحدة العربية الشاملة، التي تتجسد «بالرغبة في إلغاء كل الحدود» (ص ١٤٣).

وإذ يعتبر «نتنياهو» أن «جذوة الحنين لتحقيق حلم الوحدة العربية لا تزال متوهجة»، فهو يرى أنه كلما فشلت «القومية العربية في تحقيق هذا الهدف... كلما تعززت قوة الأصولية الإسلامية» (ص ١٤٤). ثم ينسب إلى «الاسلام الاصولي» أهدافاً أهمها «سيطرة الاسلام على العالم كله، وإلحاق الهزيمة بالكافرين غير المسلمين في حرب مقدسة» هي «الجهاد» (ص ١٤٥)، معتبراً أن الاسلام الاصولي خطر، ليس على «الدول غير الاسلامية القوية التي يصعب مهاجمتها بصورة مباشرة» بل «على الدول الاسلامية بالذات» وهي «الحكومات الكافرة في ٤٠ دولة اسلامية»، التي يرغب الاسلام الاصولي في شطبها «نهائياً، ودمجها في دولة اسلامية واحدة» (ص ١٤٥).

من كل ما تقدم، توصل «نتنياهو» إلى التصورات التالية (التي يرى فيها حقائق):

- أن «الصراع بين الحركة الاسلامية المتطرفة، والقومية العربية، حول السيطرة على الفرد العربي» هو السبب في «رفض أي طلب يتعلق باستقلال سياسي، أو بالحريات الدينية، لمن هم ليسوا عرباً أو مسلمين».

- يعتبر العرب انفسهم «أوصياء على الاسلام» ويدّعون أن «المنطقة الممتدة من المحيط الاطلنطي حتى الخليج العربي» هي أرضهم لوحدهم، لذا، فهم يطمحون لأن يفرضوا، على الشعوب والديانات الأخرى التي تشاركهم هذه الأرض، ولا تعترف بتفوقهم عليها، «السيادة العربية الاسلامية».

- «على هذه الخلفية فقط، يمكن أن نفهم رفض العالم العربي لوجود اسرائيل» (ص ١٤٧).

- «إن توأم التطرف العربي، القومية العربية والاسلام الاصولي، هما الجذور الحقيقية للنزاع في الشرق الأوسط».

- «إن رفض النظام الديموقراطي وقيمه (في العالم العربي) هو جزء من العداء العام للغرب» (ص ١٤٨).

- كانت المجابهة الأولى بين العرب والغرب في العصر الاسلامي الاول، ويومها، صدّ «شارل مارتيل» العرب المسلمين عن بوابة الغرب في «بواتيه» (عام ٧٢٢م)، وبعدها، انتظر الغرب المسيحي ٢٥٠ عاماً لكي يستعيد صقلية، و ٨٠٠ عام لكي يستعيد أسبانيا.

- وفي العام ١٠٩٩م غزا الغرب للعالم العربي وهزم الصليبيون العرب والمسلمين «وتلقى العرب إهانة أخرى... عندما سقطت القدس بأيدي الصليبيين».

- وكانت المجابهة الثانية يوم غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨، فقد أصيب «العالم العربي بصدمة شديدة» إذ أن الغرب «عدوهم التاريخي، الذي كانوا ينظرون اليه بإزدراء شديد، يتفوق عليهم».

- وفي «الثلاثينات من القرن التاسع عشر» عاد الغرب الى العالم العربي (فرنسا في الجزائر، وبريطانيا في شبه الجزيرة العربية، ثم في مصر)، وحتى «منتصف القرن العشرين، كان العالم العربي كله، تقريباً، بأيدي غربية، وكان ذلك الوضع، في نظر العرب، يشكل ذروة الإذلال» (ص ١٤٩-١٥٠).

- «على خلفية هذه الكراهية العميقة تجاه الغرب فقط، يمكننا ان نفهم، بصورة صحيحة، الرفض الشديد الذي يبديه معظم العرب لوجود اسرائيل» (ص ١٥٢).

- ويستطرد «نتنياهو» مطلقاً، على هواه، أسباب عدا العرب للكيان الصهيوني الذي زرع في قلب فلسطين: «الحقيقة، أقول: إن كراهية العرب للغرب نشأت قبل انضمام اسرائيل لقائمة اعداء العرب بالف سنة، إذن، فالعرب لا يكرهون الغرب بسبب اسرائيل، بل يكرهون اسرائيل بسبب الغرب» (ص ١٥٥). هراء بهراء، وجملة من الأضاليل الخادعة المبنية على جملة من الأكاذيب التي تزور التاريخ فتكتبه على هواها، وتسخره لمصالحها، كما عودتنا الصهيونية باستمرار.

ويختتم «نتنياهو» تحليله هذا، مطلقاً أسباب عدم «تسوية النزاع العربي الاسرائيلي»:

- «رفض القومية (العربية) لوجود أية سيادة غير عربية في الشرق الأوسط».

- «سعي الاسلام الاصولي لتطهير المنطقة من أي نفوذ غير اسلامي».

- «عداء العالم العربي الشديد والتاريخي للغرب».

ويستنتج: «عندما نتفحص كل هذه العناصر مجتمعة، نرى بوضوح ان مصدر رفض وجود اسرائيل، ليس خاصاً بالدولة اليهودية: عدا العرب لاسرائيل هو جزء واحد ضئيل فقط من عدا أو سع بكثير، كان سيظل موجوداً، حتى لو لم تقم دولة اسرائيل» (ص ١٥٦).

وفي (الفصل الرابع)، يقلب «نتنياهو» (حقيقة السبب والمسبب) في الصراع القائم بين العرب واسرائيل، إذ يعتبر ان سبب الصراع هم العرب (المعتدون) وليس اليهود

(المعتدى عليهم) في نظر «نتنياهو». ذلك ان اسرائيل لم تهاجم العرب، بل ان العرب (وخصوصاً الفلسطينيين) هم الذين هاجموا.

ويقلب «نتنياهو» حقائق المشكلة الفلسطينية بصورة مدهشة، إذ انه يتعمد ان «يطمس»، نهائياً، أساس المشكلة وهو الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وطرد أهلها منها، ويتحدث عن احتلال اسرائيل لارض عربية بعد حرب عام ١٩٦٧ (ص ١٦٢). وهو، إذ يعود إلى سرد الاحداث في المنطقة منذ عام ١٩٤٨، فانه يسردها بالشكل الذي يروق له، معتبراً ان ما يسرده هو «الحقائق» وليس غيره، فما هي هذه «الحقائق» في نظره:

- يعتبر «نتنياهو» ان العرب فشلوا عام ١٩٤٨ في محاولتهم «إبادة الدولة اليهودية»، فبدأوا «بالأعمال الإرهابية» ضدها «من خارج الحدود».

- وفي العام ١٩٥٦ قامت اسرائيل بحملة على سيناء (عملية قadesh) فاحتلتها، ودمرت «قواعد الإرهاب في قطاع غزة»، ولكنها انسحبت من سيناء بسبب «ضغوط من جانب الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي» (ولا ذكر لأي اتفاق تم سراً بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل يومذاك للقيام بعملية السويس).

- في الستينات، استؤنفت «الأعمال الإرهابية» ضد اسرائيل من «هضبة الجولان» ومن «الضفة الغربية»، واستعدت كل من سوريا ومصر والأردن للهجوم على اسرائيل، «وكان النصر العربي بادياً في متناول اليد لانه ما كان على العرب سوى بتر اسرائيل الى جزأين، في أضيق نقطة، في منطقة نثانيا» حيث المسافة بين الحدود الأردنية والبحر المتوسط «١٦ كلم فقط» (ص ١٦٤-١٦٥). العرب، إذن، مستعدون للهجوم، وفي أواخر ايار (١٩٦٧) أصبحت «نوايا الحرب» عندهم «أكثر وضوحاً» (ص ١٦٧)، وعندها «وقفت اسرائيل أمام خيارين: إما القضاء على الخطر الذي يهدد حياتها، وإما قذفها الى البحر، إختارت الحياة» (ص ١٦٩).

بهذه المبررات، يتذرع «نتنياهو» لتبرير بدء اسرائيل بحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، ويقرر: «لم تخرج اسرائيل أبداً لاحتلال أرض، إنما أرغمت على خوض حروب دفاعية، الواحدة تلو الأخرى، ضد أنظمة حكم ذات ايديولوجية تدعو الى إبادة اسرائيل» (ص ١٧١-١٧٢).

وبلا خجل، يستطرد «نتنياهو»: «من الغريب ان الأكاذيب التي يروجها العرب حول غريزة التوسع الاسرائيلية لا زالت مقبولة رغم ما وافقت عليه اسرائيل عام ١٩٧٩، في

إطار اتفاق السلام مع مصر، بشأن إعادة ٩١٪ من الأراضي التي احتلتها في حرب دفاعية» (ص ١٧٢).

ويستغرب «نتنياهو» كيف يطالب العرب بحق «تقرير المصير» للشعب الفلسطيني، و«بالحقوق الشرعية» لهذا الشعب، وبحقه في «وطن خاص به»، ويعتبر أن هذه المطالبة «أصبحت عملة متداولة، بعد هزيمة العرب في عام ١٩٦٧»، وأن العالم العربي بدأ، بعد حرب الأيام الستة، «يتحدث عن الشعب الفلسطيني الذي احتلت أراضيه، وكان أمة فلسطينية قد خلقت فجأة من العدم»! (ص ١٧٦، ١٧٧).

وإذ ينكر «نتنياهو» إنكاراً تاماً، وجود الشعب الفلسطيني، يعود إلى «الذخعة» ذاتها التي بدأ بها كتابه، وهي أن «أرض إسرائيل» الانتدابية تشمل «مناطق إسرائيل والأردن معاً» وأن الأردن هي فلسطين، وأنه لا يوجد «شعب فلسطيني غربي» في الضفة الغربية لنهر الأردن، و«شعب فلسطين شرقي» في الضفة الشرقية لهذا النهر، ثم يتساءل: «كم عدد الدول العربية التي يجب أن نقيمها على «أرض إسرائيل» لتلبية مطلب تقرير المصير «لهذه الشعوب الفلسطينية»؟»، وينتهي إلى القول: «أن مطالبة العرب الفلسطينيين بتقرير المصير مطالبة كاذبة، فسكان الأردن، جميعهم، عرب فلسطينيون... وحقيقة أن قسماً من عرب فلسطين هاجروا عام ١٩٤٨، إلى جزء آخر من فلسطين، لا تسمح لأي كان بالقول أن العرب الفلسطينيين ليست لهم دولة خاصة بهم، وسُلبوا حق تقرير المصير» (ص ١٨٠).

تحليل خادع ومضلل، والمشكلة أن «نتنياهو» يخترع فرضية معينة فيصدقها، ثم يبني عليها كل ما يخطر بباليه من فرضيات أخرى تصبح، عنده، قناعات يبني عليها الحلول التي يشتهي والتي تلائم مصلحة الكيان الصهيوني الذي أقيم. اغتصاباً، على أرض فلسطين العربية.

ومن هذا المنطلق، نراه يرفض رفضاً مطلقاً إقامة «كيان فلسطيني ما» في الضفة الغربية وغزة، زاعماً أن حل «ما يدعى بالقضية الفلسطينية» يمكن أن يتم «في إطار الدولتين المستقلتين: إسرائيل والأردن، دون أن تقام بينهما دولة ثالثة مصطنعة وغير مستقرة» (ص ١٨٠).

ويزعم «نتنياهو» أن تلبية مطالب الفلسطينيين بحق تقرير المصير سوف «يلحق الضرر بحقوق الأقليات في العالم كله»، إذ من يمنع أية أقلية، في أي بلد، من أن تطالب بمثل

هذا الحق؟ ويعطي مثلاً على ذلك، الولايات المتحدة الاميركية، معتبراً ان تطبيق «المبدأ الفلسطيني» هذا، ان هو إلا «قنبلة سياسية مؤقتة قد تفجر النظام الداخلي للولايات المتحدة الاميركية، وتقوّض السلام بين دول متجاورة تعيش اقلية من احداها في اراضي الدولة المجاورة» (ص ١٨٣).

وهكذا يستنتج «نتنياهو»، وببساطة متناهية، انه «في أية تسوية يتم التوصل إليها، بغض النظر عن كيفية رسم الحدود الدائمة على الخارطة، يجب ان يعيش العرب الى جانب اليهود تحت سيادة اسرائيلية. إذ توجد داخل حدود عام ١٩٦٧ اقلية عربية لا بأس بها داخل اسرائيل» (ص ١٨٤)، مقدماً، لاجل ذلك، نموذجاً واقعياً، في نظره، هو «عرب الجليل والنقب» ومتسائلاً، في الوقت نفسه: «إذا كانت كل اقلية تستحق دولة خاصة بها، فهل يحق ايضاً، لعرب الجليل والنقب، ان تكون لهم دول خاصة بهم؟» (ص ١٨٥).

وعلى هذا، يعتبر «نتنياهو» ان العرب «أوجدوا هوية فلسطينية جديدة، وخلقوا، بالاكاذيب، شعباً جديداً مختلفاً هو: الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة» (ص ١٨٦).

واستناداً الى ما يراه «نتنياهو» من حق اسرائيل في «كل ارض اسرائيل» يرى ان من حق اليهود «السكن في الجليل ونابلس وشرق القدس... تماماً كحقهم بالسكن في حيفا ويافا وتل ابيب وغرب القدس» وذلك «بمقتضى وعد بلفور، وقرارات مؤتمر فرساي وقرار الانتداب» (ص ٢٠٠).

وينتهي «نتنياهو» مطالعته هذه بشأن الفلسطينيين وفلسطين، واليهود و«ارض اسرائيل» بقوله: «ان نضال العرب، اليوم، لإبعاد اليهود من «يهودا او السامرة» (وهو الاسم الذي يطلقه اليهود على الضفة الغربية)، مثل نضالهم، في الثلاثينات، لإبعاد اليهود من «ارض اسرائيل» كلها، لا يركز الى الحق حتى ولو حظي بتأييد دولي» (ص ٢١٠).

ويتحدث نتنياهو في (الفصل الخامس) عما يسميه «حصان طرواده» وهو يعني بذلك «منظمة التحرير الفلسطينية».

يعتبر «نتنياهو» منظمة التحرير الفلسطينية منظمة ارامية تأسست لكي تدمر الكيان الصهيوني القائم في فلسطين، وهو ان يكتب ذلك في العام ١٩٩٥، أي بعد اعتراف هذه المنظمة باسرائيل واعتراف حكومة العمل الاسرائيلية بالمنظمة، وبعد تعديل ميثاق

المنظمة الذي الغى البنود التي كانت تشير الى هدف تدمير اسرائيل، وبعد اتفاق اوسلو، فان ذلك يعني بان زعيم تكتل الليكود غير مؤمن بمصداقية ما جرى بين الطرفين الفلسطيني والاسرائيلي، والأخطر من ذلك، غير موافق عليه.

ويعتبر «نتنياهو» كذلك أن لدى منظمة التحرير مشروعاً تسعى الى تنفيذه على مراحل، وهذا المشروع هو:

١- اقامة «دولة فلسطينية في أية منطقة تنسحب اسرائيل منها» (بند ٢ من الميثاق الوطني الفلسطيني).

٢- «تستخدم الدولة، التي ستقام، كقاعدة لهجوم عسكري شامل على اسرائيل المقزمة» (بند ٨ من الميثاق نفسه)، (ص ٢٥٠).

وهو، اذ يشير الى هذا المشروع في كتابه، فذلك يعني انه لا يزال مصراً على الاعتقاد، رغم الاتفاقات المعقودة بين اسرائيل ومنظمة التحرير، ان هذه المنظمة تسعى لازالة اسرائيل من خارطة. ونحن لا ننفي حقه في ذلك، طالما اننا نعتقد بان الكيان العبري لن تكتب له الحياة طويلاً في قلب هذا الوطن العربي المتنامي والمتزايد والمتطور الى الافضل مع الزمن. ويؤكد ظنه، وظننا، ذلك الحوار الذي دار بين «نتنياهو» نفسه وبين احد الفلسطينيين المقيمين في مخيم «جباليا» بغزة، وسجله «نتنياهو» في كتابه.

سأل «نتنياهو» ذلك الفلسطيني (الطاعن في السن):

«س: من اين انت؟»

«ج: من المجدل (مجدل، هو الاسم العربي لمستوطنة اشكلون).

«س: ومن اين اولادك؟»

«ج: من المجدل (توقعت ان يكون اولاده من ابناء جبيلي، لذلك من المحتمل ان يكونوا من مواليد المجدل حقاً، لكن شيئاً ما دفعني للسؤال ثانية).

«س: ومن اين احفادك؟»

«ج: من المجدل

«س: هل ستعود الى المجدل؟»

«ج: إن شاء الله (يحل السلام ونعود الى المجدل)».

وتابع نتنياهو:

«وقلت انا ايضاً: إن شاء الله أنت تزور المجدل، ونحن نزور جباليا. ولكن ابتسامته تلاشت دفعة واحدة وقال: نحن نعود الى المجدل، وانتم تعودون الى بولندا» (ص ٢٥٦).

في نظري، ليس هناك كلام أبليغ من هذا الكلام تعبيراً عن رأي العربي، أي عربي، أمس واليوم وغداً، وفي كل زمان ومكان.

ومن هذا المنطلق يرى «نتنياهو» ان أخطر سلاح يمكن ان يملكه الفلسطينيون هو سلاح «الدولة الفلسطينية»، وان الثلاثي الذي يعتبره «غير مقدس» و«المتمثل بالاهداف العليا للمنظمة» هو:

- دولة فلسطينية مستقلة - وتقرير المصير - والعودة

والى جانب هذا الثلاثي «ادوات للتنفيذ الثلاثية».

- الميثاق الوطني الفلسطيني - ومشروع المراحل - والكفاح المسلح. (ص ٢٥٩)

ولاجل ذلك، فهو (أي نتنياهو) يهيب بالاسرائيليين:

«إن دولة منظمة التحرير الفلسطينية، التي ستززع على بعد ١٥ كلم من شواطئ تل اببيب. ستشكل خطراً مميناً على الدولة اليهودية... لكن الفشل الاكثر فداحة هو فشل اسرائيل ذاتها، ليس لانها لم تمنع نمو مكانة (حصان طروادة) هذا، فحسب، انما لأن اوساطاً واسعة، داخل اسرائيل، مستعدة لقبول الاكاذيب والاستسلام للخدعة التي تهدد بالخطر وجود الشعب اليهودي ودولته كلها.

«والآن، لم يبق امام الاسرائيليين الراغبين في الحياة خيار سوى البدء، ولو في هذا الموعد المتأخر، في شرح وتوضيح معنى السلام «الطروادي» الذي تعرضه منظمة التحرير الفلسطينية على اسرائيل» (ص ٢٧٢).

ولاجل ذلك، ايضاً، يستعرض «نتنياهو» في (الفصل السادس) نوعين من السلام:

النوع الاول: سلام بين دول ديموقراطية.

والنوع الثاني: سلام مع دول ديكتاتورية.

واذ يستبعد النوع الأول من السلام المفترض ان يقوم بين الدول العربية والدولة العبرية، باعتبار ان الدول العربية، كلها، هي دول ديكتاتورية، وان إسرائيل هي الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، بينما لم تجر، في أية دولة عربية، انتخابات حرة، ولا توجد صحافة حرة، ولا حقوق مواطنة حقيقية... ولا توجد دولة عربية واحدة تبدي، ولو مؤشراً واحداً ضعيفاً، في العالم الديموقراطي» (ص ٢٨١)، لذا، فان السلام الوحيد الممكن، بين العرب واسرائيل هو سلام ردع، وان تحقيق هذا السلام مرتبط «بصورة مباشرة، بقدرة اسرائيل على الردع». إذ انه «كلما بدت اسرائيل أقوى، كلما أبدى العرب موافقتهم على إبرام سلام معها، وكلما أبدت ضعفاً وتردداً، كلما زادت احتمالات الحرب ضدها» (ص ٢٨٨). ومع ذلك، «فإن قوة الردع الاسرائيلية لا تحول دون خروج العرب لمحاربة اسرائيل، فحسب، إنما أيضاً دون خرقهم لوضع السلام معها»، وعلى هذا فإن «الامن، في الشرق الأوسط، وهو قوة الردع المعتمدة على قوة الحسم» يظل «العنصر الحيوي للسلام، ولا بديل له» (ص ٢٨٩)، كما ان «السلام الممكن تحقيقه، في الشرق الأوسط، مع الدول الديكتاتورية، منوط، قبل كل شيء بالامن، وليس العكس» (٢٩٠)، وهو ما يسمى «سلام الردع... وهذا هو السلام الوحيد الممكن تحقيقه، حالياً، بين اسرائيل والعرب»، إنه «سلام مسلح وحذر، يوفر لاسرائيل درجة كافية من القوة القادرة على ردع الجانب العربي عن استئناف الحرب» (ص ٢٩١). سلام قائم على الردع إذن، وأمن يسبق السلام وليس العكس. انه «سلام يرتكز على قوة ردع اسرائيلية دائمة، تعتمد على تعاضل مستمر لقوتها العسكرية» (ص ٢٩١). ذلك ما يؤمن به «نتنياهو» كطريق وحيد للسلام مع العرب، كما يؤمن بان العرب «ان يظلوا يضربون الجدار برؤوسهم الى الأبد»، ولكنهم «إذا شعروا ان جدار الامن الاسرائيلي ينهار» فان تقدمهم «التدريجي» نحو السلم «قد ينقلب، بطريقة عين» الى خطر حقيقي (ص ٢٩١ - ٢٩٢).

ويتحدث «نتنياهو» في (الفصل السابع) عن «الجدار الواقعي» للدولة العبرية، وهو بحسب تعريفه له «الصور العالي المتمثل بجبال الضفة الغربية وهضبة الجولان» (٢٩٢). وهو يعتبر هذه الجبال، والهضبة، جداراً واقياً لاسرائيل من أي غزو عربي محتمل، للأسباب التالية:

- حاجة اسرائيل للإبقاء على «محطات الانذار المبكر» التي اقامتها على «قمم جبال نابلس وهضبة الجولان» بعد احتلالها عام ١٩٦٧ (ص ٣٠٠).

- حاجة الجيش الاسرائيلي للانتشار، بفعالية، في مناطق الضفة الغربية، بحيث لا يكون مضطراً «لضغط نفسه داخل الحدود الحالية لاسرائيل».

- الحماية التي يقدمها «سور الضفة الغربية» كحاجز طبيعي، ليس للساحلي وسكانه، فحسب، بل للجيش الاسرائيلي ايضاً، بحيث يمنحه حرية التحرك «لنقل قوات الاحتياط الى الجبهة».

- توفير «العمق الاستراتيجي» للدولة العبرية، بحيث يطيل «المسافة التي سيضطر العدو لقطعها، قبل ان يتغلغل داخل المناطق الاسرائيلية الآهلة بالسكان» كما انه يتيح للقيادة «الوقت اللازم لتجنيد قوات الاحتياط» (ص ٢٠١).

- بالاضافة الى «العمق الاستراتيجي» التي تمنحها جبال الضفة الغربية للدولة العبرية، فانها تمنحها، كذلك، إرتفاعاً استراتيجياً ملائماً للحماية وإعاقة تقدم العدو نحو قلب اسرائيل، باعتبارها «تشكل عائقاً يصعب جداً اجتيازه بالنسبة للمهاجم من الشرق».

- ان انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية يشكل أكبر خطر عليها، إذ إنها تعود إلى مشكلة «البطن الطري» بحيث يصبح عرضها، في إحدى النقاط، بين حدودها الشرقية والغربية (البحر المتوسط) نحو ٥ كلم وهي مسافة تجتازها للقوات المهاجمة «في غضون بضع ساعات» (ص ٢٠٢).

- يمنع هذا الجدار الواقعي الجيش الاسرائيلي، في عصر الصواريخ، وقتاً اثنان من الذهب، ذلك انه، «في عصر الصواريخ، تزداد أهمية الأرض، ولا تنقص» مما «يزيد من أهمية السيطرة على منطقة تمنح الجيش الاسرائيلي قدرة الامتصاص لهجوم أرضي يُشن خلال قصف صواريخ بعيدة المدى، وتُبعد الصواريخ القصيرة المدى عن أهدافها» (ص ٣١٠ . ٣١١).

- تشكل هضبة الجولان «حاجزاً طبيعياً يحمي اسرائيل»، ذلك ان ارتفاعها يبلغ ١٢٠٠ م وعرضها ٢٥ كلم، كما انها تعتبر منطقة حيوية لها. إذ ان هذه الهضبة «تسيطر على مياه الأردن وبحيرة طبريا، أي على ٤٠٪ من احتياطي المياه في اسرائيل، والتنازل عن هذه السيطرة يعني ان نضع بأيدي السوريين القوة «لتجفيف اسرائيل» (ص ٢٢٢). وقد سبق لرابين ان قال: «ان من ينزل عن هضبة الجولان، يكون قد تخلى عن أمن اسرائيل» (ص ٢٢٤).

- ان «استمرار سيطرة اسرائيل على الجولان يعتبر عنصراً حيوياً للمحافظة على السلام، او، على الأقل، لضمان حالة اللاحرب مع سوريا» (ص ٣٢٥).

- ان «معظم الجمهور الاسرائيلي يؤمن بان اسرائيل لا تستطيع العودة الى حدود حزيران ١٩٦٧، دون ان تعرض وجودها للخطر، وانه لا يحق لها التفريط بالسيطرة الاستراتيجية على الجولان ومناطق الضفة الغربية».

- لا تعتبر سيطرة اسرائيل على جبال الضفة الغربية وهضبة الجولان «عائقاً امام السلام» بل هي «عائق امام الحرب». لذا، فان ما يمكن استنتاجه من ذلك هو ان شعار «أراضي مقابل السلام، غير صحيح من أساسه» (ص ٣٢٨).

الا ان «المشكلة السكانية» في الضفة وهضبة الجولان لا تزال تقض مضجع «نتنياهو» الذي افرد، لمعالجة هذه المشكلة، فصلاً خاصاً هو (الفصل الثامن):

يذكر «نتنياهو» ان عدد السكان العرب في الضفة الغربية يبلغ مليون نسمة، وان اسرائيل، اذا استمرت في السيطرة على هذه الضفة، فانها «لن تستطيع المحافظة على الطابع الديموغرافي للدولة اليهودية» (ص ٣٢٩).

وعرض، لمعالجة هذه المشكلة، اقتراحين مختلفين:

- الأول: يساري، ويدعو الى انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية «من جانب واحد».

والثاني: يميني، ويدعو الى «ترحيل السكان العرب من الضفة الى الاردن» (ص ٣٢٩).

إلا ان «نتنياهو» لا ينحاز لأي من الاقتراحين، بل يدعو الى تكثيف الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة (عام ١٩٤٨ و عام ١٩٦٧)، وذلك من شأنه ان يضع «نهاية للحلم العربي برؤية دولة اليهود تنهار كدولة الصليبيين التي ظلت تصغر وتتقزم حتى تلاشت نهائياً».

لاجل ذلك، يرى «نتنياهو» ضرورة:

- «إحياء الدافع الصهيوني في أوساط يهود العالم».

- «إنشاء علاقات سلام مبنية على الأمن مع «جيراننا العرب».

- «إحداث تحول أساسي في النظامين، السياسي والاقتصادي، في اسرائيل» (ص

٣٤٨).

وذلك عن طريق:

- تنمية دوافع الهجرة «بصورة منهجية». وفي لوساط كافة الجاليات اليهودية في العالم، و«تعميق الثقافة اليهودية، وتدريس اللغة العبرية»، في المهاجر، وذلك «لمنع عملية انصهار اليهود في بلاد المهجر، الأخذ بالتسارع».

- إقناع اليهود الذين يرغبون في الهجرة إلى إسرائيل «بان بقاء الدولة مضمون».

- اعتبار التحول في النظامين «السياسي والاقتصادي» ضرورياً لكي يؤدي «تعزيز الدافع الصهيوني» إلى تحقيق نتائج مؤثرة، ولتزويد الدولة باقتصاد «فعال وقوي» يمكنها من «توطين ملايين اليهود» (ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

لم أقرأ، في حياتي، رجلاً يجيد فن تشويه الحقائق وقلبها رأساً على عقب، مثل «بنيامين نتنياهو»، فهو، أذ نقرأه، تكاد تصدقه وتقتنع بما يقوله أن لم تكن على معرفة دقيقة وإطلاع عميق بتفاصيل القضية التي يعرضها عليك أو المشكلة التي يحدثك عنها. فهو يقول، في (الفصل التاسع) من الكتاب، وتحت عنوان «سلام دائم» أن السلام مع العرب ممكن أن هو ارتكز على «أسس متينة»، وهذه الأسس، في نظره، هي: «الامن، والعدل، والحقيقة بشكل خاص»، ذلك لأن «الحقيقة كانت الضحية الأولى في المعركة العربية ضد إسرائيل، والسلام الذي يرتكز على أنصاف الحقائق، وعلى التشويه، لا بد من أن يتحطم، في النهاية، على صخرة الواقع في الشرق الأوسط» (ص ٢٦١).

كم هي عميقة الفجوة بين «الحقيقة» التي يشوهها «نتنياهو» وقلبها رأساً على عقب، وبين «الواقع» الظالم والدامي الذي يريد أن يقيم عليه «سلمه» مع العرب، خصوصاً وأنه يرى أن «معارضة العرب لوجود إسرائيل كانت، وما زالت، العقبة الرئيسية التي تحول دون تحقيق السلام» (ص ٢٦١) وليس أي شيء آخر على الإطلاق.

وعلى هذا، فإن «نتنياهو» يعرض على العرب أن يتكيفوا «مع الواقع» الذي «ظلموا» يرفضونه إلى اليوم، ويكفي، من وجهة نظره، أن يعترفوا «بحق إسرائيل في البقاء» بينهم «رسمياً ودون أي تحفظ»، أي أن يقتنعوا بقبول «مبدأ العيش المتبادل» الذي «تقوم على أساسه» علاقاتهم مع إسرائيل. وأن يقتلعوا من رؤوسهم، وبصورة نهائية، فكرة العداء لليهود «ليس من أجل إسرائيل فقط، بل من أجل العرب أنفسهم، ومن أجل سلام العالم أجمع» (ص ٢٦٢).

ويحاول «نتنياهو» أن يعقد «مقارنة» يعتبرها «كاذبة» بين مطالب العرب واعترافهم

بحق اسرائيل في الوجود، معتبراً ان «من يُجري مثل هذه المقارنة» انما «يتجاهل بذلك الحقيقة التاريخية، ويخلط بين السبب والمسبب»، ولا يتورع عن ان يتماهى في تضليله للقارئ بأن يتصور «وضعا عكسياً»: «اسرائيل ترفض الاعتراف بحق سوريا بالوجود، وتهدد بالقضاء عليها، اذا لم تخرج من قطعة ارض تطالب بها اسرائيل لنفسها» (ص ٣٦٢)، وهكذا يقزّم «نتنياهو» قضية اغتيال شعب بكامله (الشعب الفلسطيني) وتشريدته وتشتيته وانتزاع ارضه ووطنه منه، وتهديد أمة بأسرها (الأمة العربية) بأمنها وقوميتها ومستقبلها، لكي يتحول كل ذلك الى نزاع سخيف بين دولتين (سوريا واسرائيل) على قطعة ارض مختلف عليها.

وهو يحاول ان يوهم القارئ ان العرب «يدّعون» ان الظلم الذي لحق بالفلسطينيين لا يسمح لهم «بالتسليم بوجود اسرائيل قبل رفع هذا الظلم»؛ وينطلق من هذا (الوهم المخالف للحقيقة) الى القول ان هذا الادعاء هو «إخفاء للحقيقة». إنه يطلق الخدعة فيعتبرها حقيقة، ثم يبني عليها الحلول التي يريد، والتي تلائم الاهداف الصهيونية التي يسعى لتحقيقها، مدّعياً انه ينطلق من «دراسة للحقائق التاريخية» ليس أكثر. فالعرب، في نظره لم يطالبوا «ولو تلميحاً، بإقامة دولة فلسطينية»، لذا، فان «العلاقة التاريخية بين رفض العرب الاعتراف باسرائيل، وبين مطالبتهم بدولة فلسطينية، ليس لها دليل على أرض الواقع»، وعلى هذا، فانه «لو تم حلّ القضية الفلسطينية، ستبقى هناك عناصر قوية، في العالم العربي والاسلامي، تسعى للقضاء على اسرائيل» (ص ٣٦٢). صحيح ما يقوله «نتنياهو» هذه المرة، فان حلّ «القضية الفلسطينية» لا يمكن ان يتم مع بقاء اسرائيل كدولة يهودية قائمة في قلب الوطن العربي، وانما يتم بقيام دولة فلسطينية علمانية يجتمع فيها العربي واليهودي، تماماً كما ورد في النص الأصلي لميثاق منظمة التحرير الفلسطينية، قبل تعديله.

ويطرح «نتنياهو» مشكلة الفلسطينيين ويطالب، بانسانية لم نعهدها به، ان تحظى قضيتهم «بحل منطقي يأخذ بالحسبان وضعهم وضائقتهم»!! وذلك إلى «جانب حقوق اليهود وأمن اسرائيل»، ولكنه يرفض ان يكون الفلسطينيون «بمئة المسدس المحشو والملصق بصدغ اسرائيل» أي انه يرفض، صراحة، إقامة دولة لهم في الأرض المحتلة من فلسطين عام ١٩٦٧، أي في الضفة الغربية وقطاع غزة، فهي دولة «تقسم القدس، وتحاذي تل أبيب، وتشكل خطراً على وجود اسرائيل» (ص ٣٦٢ - ٣٦٤).

ويزعم «نتنياهو» ان العرب يتساملون: «إذا لم تتنازل اسرائيل عن المناطق المحتلة، ماذا نستفيد من السلام؟»، ويبدأ بتصوير «المكاسب» التي يحققها العرب من هذا السلام الذي تقدمه اسرائيل لهم، إلا أنه لا ينسى ان يوجه الى «كل زعيم عربي يصرّ على الخروج الى الحرب» تهديداً واضحاً وصريحاً بما قد احرزته اسرائيل من «التقدم التكنولوجي العسكري»، والقنابل الذكية، والصواريخ، وغيرها من أسلحة الدمار الشامل. وبينما هو يسهب في شرح ما يمكن ان تكلف الحروب العرب من خسائر «دمار مزدوج: دمار عسكري ودمار اقتصادي» (ص ٢٦٧)، يتحول الى اسلوب مكرر يعتمد الى اغراء العرب بما يمكن ان يستفيدوه، من اسرائيل بالذات، نظراً لتقدمها العلمي والتكنولوجي، في مختلف المجالات (ص ٣٦٨ - ٢٧٠).

ويعود «نتنياهو» ليحدثنا عن ديكتاتورية الأنظمة العربية ليخلص من ذلك الى ان على اسرائيل ان تميز بين «السلام المرغوب» و «السلام الموجود»، مكرراً نظريته السابقة وهي ان السلام الممكن مع تلك الأنظمة هو «السلام الموجود» (اي سلام الردع) وليس السلام الذي يرغب كل اسرائيلي في ان يقوم بين العرب واسرائيل وهو «السلام المتبع بين الدول الديمقراطية، والذي لا يحتاج الى حراب للمحافظة على بقائه» (ص ٢٧٢)، ولكن «نتنياهو» يقرر ان العرب «لا زالوا غير مستعدين للديموقراطية، وان الديموقراطية لا تنسجم مع الاسلام» (ص ٢٧٤). إنه افتراء على العرب والإسلام لا مثيل له.

ويدلنا «المصلح الاجتماعي الفريد المتميز، نتنياهو» الى الطريق التي يجب ان نسلوها، نحن العرب، لتحقيق الديموقراطية، لكي نصبح جديرين بالحياة، بسلام (حقيقي وليس تكتيكياً) الى جانب البلد الديموقراطي الوحيد في هذا الشرق، اسرائيل (ص ٢٧٤)، إلا انه يعود فيقرر ان العرب ليسوا قادرين اليوم على صنع الديموقراطية في أنظمتهم، فهم إذن ليسوا قادرين على صنع «سلام الديموقراطيات» التي تطمح اسرائيل إليه، وان السلام الوحيد الممكن مع العرب، في هذه الحالة، هو «سلام الردع» (ص ٢٧٥).

ثم يعود للحديث، من جديد، عن السلام المرتكز على الأمن «قبل كل شيء»، ويستطرد منه الى الحديث عن «الحدود الآمنة» بالنسبة الى اسرائيل. فيقرر ان «حدود ما قبل حرب الايام الستة كانت حدود حرب وليست حدود سلام»، ثم يسأل: «الى أي مدى يجب توسيع هذه الحدود لتحقيق الأمن المطلوب لضمان بقاء السلام؟» ويجيب بنفسه عن هذا السؤال بان «الجدار الواقعي» الذي سبق ان تحدث عنه (وهو سلسلة جبال الضفة

الغربية وهضبة الجولان) هو الذي يحمي اسرائيل، لذا فان انسحاب اسرائيل منه غير ممكن «دون تعريض نفسها لخطر حقيقي» ولهذا، فهي «ليست قادرة على التخلي عن السيطرة العسكرية على هذا الجدار» (ص ٢٧٧).

ويعود «نتنياهو» فيكرر مخاوفه من قيام دولة فلسطينية الى جوار الكيان العبري في الضفة والقطاع، معتبراً ان هذه الدولة «لا تشكل تهديداً تكتيكياً فحسب، انما هي تهديد استراتيجي من الدرجة الاولى على وجود دولة اسرائيل. وسيزداد الوضع خطورة اذا ما استخدمت الدولة الفلسطينية نقطة انطلاق لتوسع الاسلام الاصولي» (ص ٢٧٩). ثم يتوسع في تصور الأخطار التي تهدد اسرائيل في حال قيام هذه الدولة: «جبهة شرقية قومية متحدة مع العراق، او جبهة اسلامية متطرفة بزعامه إيران»، وعلى هذا، فهو يعتبر ان «المطالبة بقيام دولة فلسطينية في الضفة للغربية تنعارض، كلياً، مع السعي لتحقيق سلام حقيقي» كما انها «تجاهل حقيقة وجود دولة فلسطينية قائمة حالياً» هي «الأردن». وينتهي «نتنياهو» الى تقرير ان الحل الصالح للنزاع بين الشعبين هو «إقامة دولتين: دولة يهودية للشعب اليهودي المقيم غرب نهر الاردن، ودولة عربية للشعب العربي الذي يقيم معظمه شرق الأردن» (ص ٢٨٠)، أما المطالبة بقيام فلسطين أخرى غير الاردن، كما يرغب الفلسطينيون، فما هو سوى «تثبيت حقوق فلسطينية على حساب اليهود» (ص ٢٨١).

وتستمر المغالطات التي يقدمها «نتنياهو» لتشمل مدينة القدس، حيث يعتبر ان «القدس الشرقية» ليست وقفاً على العرب وحدهم، كما ان «مدينة داود»، كانت «عاصمة الشعب اليهودي لأكثر من الف سنة» (متناسياً ان «مدينة داود» هذه ليست سوى مدينة «يبوس» التي بناها اليبوسيون الآتون من شبه الجزيرة العربية واحتلها داود قهراً وعنفه عام ١٠٠٠ ق.م.، كما سبق ان قدمنا). واستناداً الى مغالطاته، يقرر «نتنياهو» انه «يجب ان لا يطلب من اسرائيل التفاوض بشأن أي جزء من القدس... تماماً، مثلما لا يجوز ان نطلب من الاميركيين التفاوض على واشنطن، ومن الانكليز على لندن، ومن الفرنسيين على باريس»، خصوصاً وان هذه المدينة لم تكن، طيلة عمرها «ومنذ نشأتها... مفتوحة أمام أبناء كافة الديانات الا وهي تحت الحكم الاسرائيلي، وتحظى الأماكن المقدسة هذه بحماية متساوية» (ص ٢٨٢-٢٨٣)، اكانيب، مجرد اكانيب، تنفاسي، بكل وقاحة عهد التسامح العربية والاسلامية في المدينة المقدسة، وعهد الظلم والطغيان الذي يقاسيه عرب القدس المحتلة من جراء الاحتلال الصهيوني البغيض، وآخر فصوله: شهداء الانتفاضة الأخيرة.

والذي يثير غيظ القاريء العربي حقاً، هو ادعاء المؤلف بما قدمته الصهيونية من «تنازلات» لحساب العرب طيلة هذا القرن، ففي عام ١٩١٩ تنازلت الصهيونية عن مطالبتها بمياه الليطاني، وفي عام ١٩٢٢، تنازلت الصهيونية عن نحو ٨٠٪ من «أراضي الوطن القومي اليهودي في شرق الأردن» لقيام المملكة الأردنية الهاشمية. وفي عام ١٩٧٩ (في إطار اتفاقية السلام مع مصر) تنازلت الصهيونية عن سيناء وأخلت آلاف اليهود، وهدمت البيوت والمدارس والمزارع التي بنتها في الصحراء طيلة ١٥ عاماً، وتنازلت حتى عن كل مطالبها القومية والاستراتيجية والاقتصادية المتمثلة في هذا الجزء من الأرض التي تلقى فيها الشعب اليهودي الثورة ليصبح أمة، وفي عام ١٩٨٩ تنازلت إسرائيل عن طابا للمصريين. (ص ٢٨٥).

لا تعليق على كل هذا الخداع.

ولكن، ليس هذا هو كل شيء، إذ إن «الأسوأ والأخطر من هذا كله»، تنازل حكومة اليسار العمالية، عام ١٩٩٤ عن «قطاع غزة ورأس الجسر في أريحا» تمهيداً «لتوسّع سلطة المنظمة (منظمة التحرير الفلسطينية) إلى بقية الضفة الغربية» (ص ٢٨٥).

ويستطرد «نتنياهو هو» (بالم عميق): «منذ ٧٥ سنة واليهود يقدمون التنازلات المتكررة عن مطالب جوهرية واستراتيجية وتقليدية وتاريخية، في سبيل إرضاء جيرانهم العرب، ومن خلال الأمل في شراء سلام» (ص ٢٨٥).

ومن خلال هذا الاستطراء، يخلص «نتنياهو هو» إلى مطالبة العرب الذين يملكون «مساحات كبيرة من الأرض تبلغ ٥٠٠ ضعف مساحة إسرائيل» بتنازل «ضئيل مقابل التنازلات الكبيرة التي قدمها اليهود» وهو «التنازل عن أربعة أجزاء من عشرة آلاف جزء (٠,٠٠٤) من المناطق الواسعة التي يسيطرون عليها أي عن «الضفة الغربية، قلب الوطن القومي اليهودي، والسوار الواقعي لدولة إسرائيل، والتي تشكل استمراراً للجدار الواقعي في هضبة الجولان» (ص ٢٨٦).

ويتساءل «نتنياهو هو» بعد كل ذلك: «ماذا سيكون مصير العرب المقيمين في هذه المنطقة؟» (الضفة الغربية وهضبة الجولان). ثم يبدأ بالتحليل:

- في الجولان: ١٦ ألف درزي فقط.

- في الضفة الغربية: «السكان قليلون نسبياً» إلا أن تجمعاتهم تقع «على مرتفعات

جبلية حيوية، من الناحية الاستراتيجية، للدفاع عن اسرائيل) (نابلس، جنين، رام الله، الخليل).

في غزة، كثافة سكانية، الا ان غزة ليست ذات أهمية استراتيجية بالنسبة الى اسرائيل.

المطلوب: «إبعاد خطر الإرهاب القادم من غزة، ومن أماكن أخرى في البلاد» وذلك «بإعادة منح حرية للعمل للجيش الاسرائيلي وقوات الأمن» في هذه المناطق (ص ٢٨٧).

وينتقد «نتنياهو» إتفاق «الحكم الذاتي» بين حكومة حزب «العمل» ومنظمة التحرير الفلسطينية، فيذكر ان هذا الاتفاق جاوز، بكثير، الحدود التي نصت عليها اتفاقيات «كامب دايفيد» بشأن الفلسطينيين وهي: «تسوية تمنح الإدارة الذاتية لعرب الضفة الغربية وغزة، من خلال الإبقاء على موضوعي السيادة والأمن بأيدي اسرائيل»، فيقول ان «رابين» استخدم المصطلح نفسه «الحكم الذاتي» الذي ورد في الاتفاقية المصرية - الاسرائيلية. «لإقامة بنية أساسية للدولة الفلسطينية في كل مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة» (ص ٢٨٩). ويحتج «نتنياهو» على هذا الاتفاق (اتفاق أوسلو)، معتبراً ان «الحكم الذاتي لا يعني دولة» بل انه «نوع من نظام حكم داخلي يسمح لاقليات قومية او دينية بإدارة شؤونها تحت سيادة شعب آخر» (ص ٣٩٠)، منسجماً، بذلك، مع وجهة النظر التي سبق ان أوردها في كتابه هذا، بشأن الضفة الغربية، والتي ترى في الضفة الغربية جزءاً لا يتجزأ من «أرض اسرائيل»، يستحيل التخلي عنه.

ويعرض «نتنياهو»، بدلاً من ذلك، وجهة نظره في إمكان «تحقيق توازن عملي بين مطلبين الأمن لليهود، والحكم الذاتي للعرب»، فيرى انه «يمكن تطبيق الحكم الذاتي على السكان العرب في مناطق التجمع السكاني العربي، وعدم تطبيقه على المناطق القليلة السكان، بحيث تظل هذه المناطق ضمن مناطق الأمن الاسرائيلية التي اتفق بشأنها في كامب دايفيد، والتي اعترفت بها اتفاقات أوسلو أيضاً» (ص ٣٩١). وقد تمسك «نتنياهو» بنظريته هذه بعد تسلمه سدة الحكم في الدولة العبرية، مصراً على رفض اتفاق أوسلو، ومعارضاً، معارضة صارمة، أي توجه ولو كان ضمناً، من الفلسطينيين نحو إقامة دولة لهم.

وفي كل حال، يضع «نتنياهو» شروطاً مشددة لأي حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة والقطاع ومن هذه الشروط:

١. عدم موافقة اسرائيل على وضع يمنع القوات الاسرائيلية من التدخل خارج «معسكراتها المغلقة» في منطقة الحكم الذاتي، لذا، «يجب تمكين قوات الجيش الاسرائيلي من الوصول الى أية زاوية في المنطقة، وذلك بهدف المحافظة على المصالح القومية الحيوية لاسرائيل وأهمها» «المحافظة على الأمن الاستراتيجي» للدولة العبرية، أي «المحافظة على قدرة الدولة في الدفاع عن نفسها». وهذا يعني: «السيطرة الكاملة على غور الأردن، وعلى المحاور المؤدية اليه من وسط البلاد، والسيطرة على ظهر الجبل، والاحتفاظ بمنشآت عسكرية حيوية في أماكن ذات أهمية استراتيجية في الضفة الغربية».

٢. ضمان سيطرة اسرائيل على «مصادر المياه في الضفة الغربية» أي «المناطق الواقعة فوق أحواض المياه الجوفية الحيوية للاقتصاد المائي الإسرائيلي».

٣. ضمان احتفاظ اسرائيل «بحق المراقبة الديموغرافية». وكما لا تعدد منظمة التحرير الفلسطينية الى إغراق الضفة الغربية «بأكثر من مليون لاجئ» إضافي» كما أعلنت، يجب ان تحتفظ اسرائيل «بسيطرتها على المعابر الحدودية لمنع دخول أعداد كبيرة من السكان المعادين لاسرائيل، والسعي الى «توطين اللاجئين الفلسطينيين في الأماكن التي يتواجدون فيها حالياً».

٤. «اتخاذ إجراءات كفيلة بضمان وحدة القدس تحت السيادة الاسرائيلية» (ص ٣٩٢ - ٣٩٣).

ويشدد «نتنياهو» على ان يكون الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية «حكماً ذاتياً فقط، وليس دولة عربية جديدة» (ص ٣٩٤).

ويصل «نتنياهو» في نهاية المطاف الى وضع «مشروع سلام مقترح» كما يلي:

١. «اتفاقيات ثنائية بين اسرائيل والدول العربية، بما فيها تحديد رسمي للحدود بينها، وتسويات سلمية».

٢. «تقديم مساعدات دولية من قبل بقية دول العالم».

٣. «اتفاقيات ثنائية بين اسرائيل والفلسطينيين، يتحدد فيها كيف يمكن ان يعيش العرب واليهود معاً، ويتم الاتفاق على مسائل الحكم الذاتي والأمن» (ص ٣٩٨).

وذلك يشمل:

.الاتفاق على مسألة «الأراضي المختلف عليها».

.«معاهدات سلام رسمية بين الدول العربية واسرائيل».

.«ترتيبات أمنية مع الدول العربية تحمي اسرائيل من أي هجوم».

.«تطبيع العلاقات بين الدول العربية واسرائيل، وإلغاء المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل».

.«وقف الدعاية اللامامية واللاهيهونية الرسمية في المدارس ووسائل الإعلام في الدول العربية».

.وجود «هيئة دولية تمنع بيع أسلحة ووسائل قتال غير تقليدية لأنظمة الحكم المتطرفة في الشرق الأوسط».

.«مشروع دولي لتوطين اللاجئين».

.«تعاون إقليمي لتطوير مصادر المياه وحماية الطبيعة والبيئة». ويختتم «نتنياهو» مشروعه هذا بقوله:

«هذه هي الطريقة لتحقيق سلام بيننا وبين العرب في الشرق الأوسط» (ص ٣٩٩).

هذا هو المشروع الذي يحمله «نتنياهو» الى العرب كرئيس لحكومة الدولة العبرية، خلفاً لحزب «العمل» ولاتفاقية «أوسلو» واتفاقات مدريد وواشنطن.

وبالنسبة، فإن «القوة اليهودية» هي الضمانة الوحيدة لأمن اسرائيل في المشرق العربي. هذا ما يقره «نتنياهو» في الفصل الأخير من كتابه (الفصل العاشر) وتحت عنوان «مسألة القوة اليهودية».

يقول «نتنياهو»: «نستطيع القول، بالتأكيد، ان النزاعات السياسية والدينية، في الشرق الأوسط، لن تنتهي في المستقبل المنظور، الا إذا قبلنا بفكرة أن «نهاية التاريخ» تقف على الأبواب، وأن عهد المسيح يقترب» (ص ٤١٣).

ويستطرد: «لقد ركز العرب سعيهم، في الدرجة الأولى، على تجريد اليهود من كل جانب أو رمز يحتوي على ما يشير الى عدالة نضالهم، وشوّهوا تاريخ اسرائيل بصورة مدهشة، وزرعوا، بدلاً منها، تاريخاً فلسطينياً كله من نسج الخيال، والأكاذيب: حل العرب

مكان اليهود في كونهم أبناء هذه الأرض منذ بدء الخليقة (!!)، في حين أن اليهود احتلوا مكان العرب في الدور التاريخي «للغزاة» الأجانب، واستبدل الشتات اليهودي «بشتات» فلسطيني فظيع».

«كل هذه الأمور استهدفت إقناع شعوب العالم بأن إسرائيل الحققت ظلماً شديداً بالعرب، وأنهم، أي العرب، يحاولون رفع هذا الظلم فقط، وأن أهل المنطق، في كل العالم، يجب أن يساعدوهم على رفع هذا الظلم» (ص ٤٢٠).

«كل ما تقدم (يقول نتنياهو أخيراً) يقودنا إلى استنتاج واضح هو: القوة، هي حجر الزاوية لكل جهد يستهدف كسب حلفاء جدد، والمحافظة على تحالفات قديمة» (ص ٤٣٤).

فهل يسمع العرب ويدركون ما يقوله «نتنياهو»؟

وهل يشك عربي واحد، ولو للحظة واحدة، في أن السلام مع هذا الرجل مستحيل؟



عودة إلى كتابنا الذي نقدمه في هذه العجالة:

لقد وضعنا الكتاب في جزئين:

الأول: ويتضمن تفصيلاً وافياً لحروب العبرانيين بحسب ما رواها العهد القديم، دون أن نسجل على أنفسنا أننا مقتنعون بصحة ما ورد في هذا الكتاب من حوادث وأخبار، وإنما لكي نؤكد أن العلاقة بين العقيدة العسكرية الصهيونية (يهودية العصر الحديث) وبين جذورها الدينية في العهد القديم هي علاقة ثابتة، كما يتبين للقارئ من دراستنا الواردة في الباب الأخير من الكتاب.

وقد تضمن الجزء الأول أربعة أبواب الأول منها (سير الاقتراب من الهدف، وهي التسمية التي أطلقناها على مسيرة العبرانيين من مصر إلى أرض كنعان) وقد تحدثنا فيه عن خروج العبرانيين من مصر وتيهيمهم في سيناء وعبورهم إلى أرض كنعان، مع دراسة وافية لمسرح العمليات (في أرض كنعان، حيث ما يسميه العهد القديم: أرض الميعاد)، ودراسة لوسائل القتال التي استخدمها العبرانيون في حروبهم ذلك الحين.

وتحدثنا في الباب الثاني (الاجتياح، وهي التسمية التي أطلقناها على الغزو العبراني الأول لفلسطين) عن حروب يشوع وحروب القضاة وحروب الملوك مع أهل البلاد الأصليين.

وتحدثنا في الباب الثالث (حروب الملوك) عن الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل، والحروب بين المملكتين وأهل البلاد.

وتحدثنا في الباب الرابع (حروب الغزاة العبرانيين مع الغزاة الآخرين على أرض كنعان) عن حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين والآشوريين والكلدانيين، ثم عن ثورة المكابيين (العبرانيين) ضد السلوقيين.

وخصصنا الجزء الثاني من الكتاب للبابين: الخامس والسادس، وقد تضمن الباب الخامس (ما لم يرد في كتاب اليهود (العهد القديم) عن حروبهم)، وتحدثنا فيه عن ما تبقى من حروب اليهود في عهد الأسرة المكابية (وهي تتمة للحروب المكابية التي وردت في العهد القديم)، وعن حروب الرومان ضد اليهود، واستعنا، في هذا الباب، بصورة رئيسية، بكتاب المؤرخ اليهودي المعاصر لحروب القرن الأول الميلادي «فلافيوس جوزيفوس» كما سبق أن قدمنا في مطلع المقدمة.

أما الباب السادس فهو الباب الذي من أجله كان الكتاب (الجنور الدينية للعقيدة العسكرية الصهيونية)، وقد توسعنا في بحث هذه الجنور بشكل مفصل بحيث لم نهمل أية علاقة، مهما كانت صغيرة وثانوية، بين العقيدة العسكرية الصهيونية، في العصر الحديث، وما سبق أن رأيناه من حروب اليهود في العهد القديم.

ولم نهمل نقاطاً مهمة من البحث أوردناها في (الخاتمة والاستنتاج) ننصح القارئ بالعودة إليها، كما أننا لم نهمل تفسير أسماء الأعلام (وخصوصاً الأماكن والمواقع والبلدان التي مرت معنا في أثناء دراستنا للعمليات العسكرية) بحسب ما ورد في بعض المراجع والمصادر المهمة والموثوقة. ولم نهمل، كذلك، أن نوضح، للقارئ، ما ورد من معارك، في خرائط توضيحية مفصلة، ورسوم تخطيطية.

راجين أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، أمانة للتاريخ، وخدمة للقضية الكبرى، قضية أمتنا العربية الخالدة.

بيروت في ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٩٧

اللواء الركن د. ياسين سويد

ملاحظة يشكر المؤلف جميع الذين أسهموا في إنجاز هذا العمل بدءاً من طبع
الأصول ومراجعتها وصولاً إلى الطبع النهائي للكتاب، بالإضافة إلى رسم الخارطات
والتدقيق فيها



جبل نبو - اعلى قمة تشرف على نهر الاردن واريحا في فلسطين



جبل نبو - النصب التذكاري تخليداً للنبي موسى

الباب الأول

سير الاقتراب من الهدف

ـ الفصل الاول: الخروج من مصر.

ـ الفصل الثاني: التيه في سيناء.

ـ الفصل الثالث: العبور الى أرض كنعان.

ـ الفصل الرابع: دراسة مسرح العمليات.

ـ الفصل الخامس: وسائل القتال المستخدمة في حروب

العبرانيين، في الالف الاول قبل الميلاد.

الفصل الأول

الخروج من مصر

لم يكن موسى (ع) قد تلقى، بعد، الرسالة الالهية، يوم أقدم، في مصر، على قتل أحد رعايا فرعون دفاعاً عن أحد العبرانيين، أبناء قومه، ثم فر من مصر الى أرض مدين^(١) عبر اليابسة التي تفصل بين البحرين: بحر القلزم او الأحمر، والبحر الكبير او المتوسط، وذلك هرباً من بطش فرعون وعقابه، بعد ان افتضح أمره^(٢) وكان عمر موسى آنذاك أربعين عاماً^(٣).

مكث موسى في أرض مدين أربعين عاماً كذلك، حيث تزوج من صفورة ابنة يثرو، كاهن مدين، وأنجب منها ولدين. وذات يوم، تجلّى له الرب على شكل نار في علفقة «تشتعل بالنار وهي لا تحترق»، ونادى الرب موسى «من وسط العلفقة» قائلاً انه قد نظر الى «مذلة» شعبه الذي في مصر، أي العبرانيين، وانه نزل لكي ينقذهم ويخرجهم الى «أرض طيبة واسعة، الى أرض تدرّ لبناً وحليباً وعسلاً» الى أرض «الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»^(٤) وهذه الشعوب هي التي كانت، في ذلك الحين، تقطن أرض فلسطين وأرض كنعان، ولم يكن للعبرانيين وجود يذكر، ولاحق مشروع في تلك الأرض.

(١) للدلالة على أسماء الاعلام (الأماكن وسواها) راجع آخر الكتاب: معجم أسماء الاعلام.

(٢) راجع تفاصيل هذه الحادثة في الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج ٢: ١١-٢١.

(٣) الدبس، يوسف، تاريخ سوريا النديري والديني، ج٢ ٩٢. ويذكر الطبري ان موسى مخرج الى مدين خائفاً وله احدى واربعون سنة (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ٢٨٦).

(٤) العهد القديم، خر ٣: ٨، ١٧. ويصف ملير "Ed - Meyer" وب بني اسرائيل بأنه مشرير، مقلق، متعطش للدم، يتسكع في الليل، ويهرب من النور في النهار (Freud, S. L'homme Moïse et la religion monothéiste P.142).

وأمر الرب موسى أن يذهب، أرسلك إلى فرعون، أخرج شعبي بني إسرائيل من مصر»^(٥) كما أمره أن يستعين بأخيه هارون في تنفيذ هذه المهمة^(٦). وكان عمر موسى، يوم خرج بالعبرانيين من مصر، ثمانين عاماً، وكان عمر هارون ثلاثة وثمانين^(٧).

لقد حدد الرب، إذن، مهمة موسى، تحديداً دقيقاً، وهكذا وبكلمات أشعل رب العبرانيين، في فلسطين وأرض كنعان، حروباً استمرت قروناً، ولما تنته.

والتقى موسى بأخيه هارون في البرية، عند جبل الله، حوريب^(٨)، فمضيا معاً إلى مصر للقاء فرعون، ودارت بين فرعون وموسى مساجلات سحرية ثم عجائبية أفرد لها العهد القديم فصلاً من أسفاره^(٩)، وخصّها القرآن الكريم بالآية الكريمة «ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بَيِّنَاتٍ» (الاسراء ١٧ / ١٠١)، وهذه الآيات، كما وردت في العهد القديم هي: العصا والدم والضفادع والبعوض والذباب وموت المواشي والقروح والبثور والبرد والجراد والظلام^(١٠)، ومع ذلك، لم يفلح موسى في اقناع فرعون بالسماح للعبرانيين بمغادرة البلاد، إذ كان الرب يقسّي قلب فرعون ويحرضه على الرفض، بعد كل آية أو نازلة^(١١)، عندها، قرر الرب قتل أبكار مصر كأخر آية من آياته لتأديب فرعون وعقابه «فلما كان نصف الليل، ضرب الرب كل بكر في أرض مصر، من بكر فرعون الذي سيجلس على عرشه، إلى بكر الأسير الذي في الحب، وجميع أبكار البهائم»^(١٢)، فاستسلم فرعون وأذن لموسى بإخراج بني إسرائيل من مصر، مع غنمهم وبقرهم^(١٣).

(٥) م. ن. خر ٣: ١٠.

(٦) م. ن. خر ٤: ١٦-١٤. وقد وردت في القرآن الكريم آيات تؤكد ما ورد في التوراة من قصة موسى مع فرعون في مصر وقصته كذلك يوم خاطبه ربه في أرض مدين. راجع القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨ / الآيات ١٥-٢٥. ولا نجد في هذه السورة من القرآن الكريم، وهي تروي قصة موسى مع فرعون، ما يشير إلى الأرض الموعودة، فلسطين (راجع السورة).

(٧) العهد القديم، خر ٧: ٧.

(٨) العهد القديم، خر ٤: ٢٧.

(٩) العهد القديم، خر ٧-١٠.

(١٠) وذكرها تفسير الجلايين كما يلي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطنس والسنين ونقص الثمرات (انظر تفسير الآية ١٠١ من سورة الإسراء/ ١٧).

(١١) راجع ذلك في النص التوراتي نفسه خر ٧-١٠.

(١٢) العهد القديم، خر ١٢: ٢٩.

(١٣) م. ن. خر ١٢: ٣٦-٣٢.

كان العبرانيون يقيمون بأرض جاسان^(١٤) عندما قرر موسى اخراجهم من مصر، فأمرهم ان يطلبوا من المصريين أمتعة من الفضة والذهب، وثياباً، «فاعاروهم اياها، وهكذا سلبوا المصريين»^(١٥)، ثم ارتحل موسى بهم ليلاً «من رعمسيس الى سَكُوت» وكان عديدهم نحو ستمائة ألف رجل ماشٍ «ما عدا العيال» وخرج معهم «خليط كثير وغنم وبقر ومواش وافرة جداً»^(١٦)، ثم انتقلوا من سَكُوت الى ايتام «في طرف البرية»^(١٧) وكانت مدة اقامة العبرانيين في مصر اربعماية وثلاثين سنة^(١٨).

تابع بنو اسرائيل طريقهم في الصحراء فنزلوا امام «فم الحيروت، بين مجدول والبحر، امام بعل صفون... تجاهه على البحر، الا ان الرب عاد «ففسى قلب فرعون» الذي هب لمطاردة بني اسرائيل بجنده وخيله ومركبائه «ست مئة مركبة ممتازة، وجميع مراكب مصر، وعلى كل منها ضباط»^(١٩)، فأسقط في يد بني اسرائيل وايقنوا بانهم هالكون لا محالة، لولا ان امر ربهم موسى ان يضرب البحر بعصاه، فاذا بريح شرقية شديدة تعصف على البحر طوال الليل فتغرقه، فيدخل بنو اسرائيل، مع ظعنهم ومواشيهم، في البحر ويسيرون في الطريق التي انشقت فيه حتى وصلوا الى الشاطئ المقابل. وما ان هم فرعون وجيشه بسلوك الطريق نفسها حتى عاد البحر الى حالته الاولى باشارة من يد موسى، والمصريون في وسطه، فغرقوا جميعهم في البحر، بحر القلزم^(٢٠). ويذكر التلمود انه عندما وصل بنو اسرائيل الى شاطئ البحر انقسموا الى اربع فئات:

(١٤) العهد القديم، تث ٤٦: ٢٨، تث ٤٧: ٢٧.

(١٥) العهد القديم، خر ١٢: ٣٥-٣٦.

(١٦) م. ن. خر ١٢: ٣٧-٣٨. وسار موسى في الساقة وهارون في المقدمة (الطبري المصدر السابق، ج ١: ٤١٤).

وجاء في مكان آخر من العهد القديم ان بني اسرائيل خرجوا «من ارض مصر، مسلمين» (العهد القديم، خر ١٢: ١٨)، وذلك يعني ان «الستماية ألف رجل ماشٍ» هم الفئة القادرة على حمل السلاح والقتال (ما بين سني العشرين والستين عاماً) وهم يشكلون، عادة ثلث مجموع الشعب، أي شعب. وينتج عن ذلك ان عدد شعب بني اسرائيل الذي خرج من مصر يقارب المليون نسمة (٦٠٠ × ٣ = ١٨٠٠ ألف نسمة) هذا بالإضافة الى مخليط كثير وغنم وبقر ومواش وافرة جداً.

(١٧) م. ن. خر ١٣: ٢٠. وكان الرب يسير امامهم نهراً في عمود من غمام ليهديهم للطريق. وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم وذلك لكي يسبروا نهراً وليلاً. (م. ن. خر ١٣: ٢١).

(١٨) العهد القديم، خر ١٢: ٤٠-٤١.

(١٩) العهد القديم، خر ١٤: ٢-٩ وورمت في التوراة. النسخة الفرنسية موع كل منها طاقمها كاملاً (La Bible, Exode 14: 7) "Chacun avec son équipage complet".

(٢٠) العهد القديم، خر ١٤: ٢٦-٢٨ وقد جاء في القرآن الكريم آيات تؤكد ذلك. قال تعالى: «فلَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ. وَازْدَلَّجْنَا لَهُمُ الْخَازِئِينَ. وَاجْتَبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ لِجَمْعِ عِبَادِنَا الَّذِينَ يَرْضَوْنَ الْعَزْوَاقَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ لَكُم مِّنْ مُّؤْمِنِينَ» (الشعراء ٢٦/ ٦٧-٦٧).

- فئة تقول بان يرموا بأنفسهم في اليم، بلا خوف.

- واخرى تقول بالعودة الى مصر.

- وثالثة تقول بالقتال.

- ورابعة تكتفي باستلهاهم للعون الالهي.

وقد أجاب موسى كلا من هذه الفئات الجواب الملائم،

- فقال للأولى «لا تخافوا، اصمدوا تعاينوا الخلاص الذي يجريه الرب اليوم لكم».

- وقال للثانية «فانكم كما ترون المصريين اليوم، لن تعودوا ترونهم للابد».

- وقال للثالثة «الرب يحارب عنكم».

- وقال للرابعة «وانتم هانئون» (هكذا وردت في العهد القديم، سفر الخروج، وأما في

التلمود، فقد وردت: أما انتم، فكونوا ساكتين)^(٢١).

أما العبرانيون فتابعوا مسيرهم، بعد خروجهم من البحر، الى «برية شور» فساروا فيها ثلاثة أيام واصلوا بعدها الى «ايليم» حيث وجدوا الماء والنفيل «فخيموا هناك عند المياه»^(٢٢) وبعد استراحة قصيرة في «ايليم» انتقل بنو اسرائيل الى «برية سين»، بين ايليم وسيناء، وكان ذلك بعد مرور شهر ونصف الشهر على خروجهم من مصر^(٢٣). وكان ان جاع بنو اسرائيل فانزل الرب لهم المن والسلوى، غذاءهم الوحيد الذي استمروا عليه طيلة أربعين عاما، وهي مدة تيههم في سيناء^(٢٤). والمن شيء دقيق مثل سقيط الندى، يغطي

(٢١) Schwab, Maïso (traducteur), le Talmud de Jérusalem, vol. IV P. 158 (٢١).

والعهد القديم، خر ١٤: ١٣.

(٢٢) العهد القديم، خر ١٥: ٢٢-٢٧. وايليم هو المكان الثاني الذي حل فيه بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر، ويرجع انه وادي فرندل، حاليا، على مسافة ٦٣ ميلا جنوب شرقي السويس (عبد الملك، المصدر السابق، ص ١٤٤).

(٢٣) العهد القديم، خر ١٦: ١، وبرية سين هي اول برية سيناء، وصل اليها العبرانيون بعد ان عبروا البحر الاحمر من ايليم الى رفيديم (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٩٧).

(٢٤) م.ن. خر ١٦: ٣٥. وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤكد ذلك، قال تعالى: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَرْسَلْنَاكُمْ مِنْ غَدُوكُمْ وَأَوْعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَرَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى، خَلُّوا مِنْ طَبِيبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى. (طه ٨٠-٨١)». وقال «وَرَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَرَزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى، خَلُّوا مِنْ طَبِيبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ، وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (البقرة ٢/ ٥٧). ويلاحظ في هذه الآيات، وفي غيرها (الأعراف ٧/ ١٦٠) ان الله عز وجل حذر اليهود الذين عاصروا النبي (ص)، ان لا يطغوا فيحل عليهم غضبه، وقد نامضوا النبي وحاربه وعارضوه وحاولوا قتله، فنزلت بهم الآية الكريمة: «لَتَجَنَّبُنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَفْرَكُوا الْخ...» (المائدة ٥/ ٨٢) أي ان الله عز وجل وضع اليهود بمنزلة المشركين.

وجه الارض غداة كل يوم، فيتكتل كالجليد على الارض، ويلتقطه بنو اسرائيل قبل بزوغ الشمس كل يوم، يلتقط كل واحد منهم حاجته لليوم كله، ولا يمكن اختزانه لليوم التالي، ما عدا يوم السبت حيث لا من ولا سلوى، فيلتقط المرء منهم يوم الجمعة، حاجته ليومين. ويزوب المن عند طلوع الشمس، وينتفن ان بقي لليوم التالي، ما عدا السبت. أما السلوى فهي نوع من الطير كان يغطي وجه السماء عشية كل يوم فيلتقطه بنو اسرائيل ويتغذون بلحمه عشاء كل يوم^(٢٥).

ومن ايليم، انتقل بنو اسرائيل الى رفيديم^(٢٦) فنزلوا فيها، ولم يكن هناك ماء فاروى الله الى موسى فضرب بعصاه صخرة حيث تفجرت للماء منها^(٢٧).

الحرب في رفيديم بين بني اسرائيل والعمالقة:

وكان يقطن هذه الارض شعب من العمالقة ما ان راوا العبرانيين ينزلون في ديارهم حتى استنفروا للقتال وهاجموهم في رفيديم، فاستنفر موسى (ع) شعبه وعين على جيشه قائدا هو «يشوع بن نون» (الذي سيكون خليفته على بني اسرائيل بعد موته)، ودار قتال بين الفريقين انتهى بهزيمة العمالقة^(٢٨).

ومما يجدر ذكره ان موسى (ع) وقف على شرف عال يراقب المعركة، ويبيده عصاه، «فكان اذا رفع موسى يده يغلب بنو اسرائيل، واذا حطها تغلب العمالقة»^(٢٩) والسؤال الذي يتبادر الى الذهن في هذا المجال: هل كان موسى (ع) يخفض يده لكي يهزم شعبه؟ وما هي مصلحته في ذلك؟ ثم، اوليس المقصود من هذه العبارة هو ان موسى كان يرفع يده ابتهاجا عندما يغلب بنو اسرائيل ثم يخفضها عندما يهزمون؟

(٢٥) م. ن. خر. ١٦: ٢٧، وجاء في مكان آخر من العهد القديم ان المن مكبزو الكزبرة ومنظره كمنظر النمل، وكان الشعب يتفرق فيلتقطوه ويطعمونه بالرحى، او يدقوه في الهاون ويطبخوه في القدر ويصنموه فطائر. وكان طعمه كطعم فطائف بزيت، وكان عند نزول الندى على المخيم ليلا ينزل المن عليه (العهد القديم، عد ١١: ٩-٧).

(٢٦) م. ن. خر. ١٧: ٩.

(٢٧) م. ن. خر. ١٧: ٦-٧.

(٢٨) م. ن. خر. ١٧: ٨-١١.

(٢٩) م. ن. خر. ١٧-١٢. ويبدو ان موسى اقتبس هذه الحركة من تقليد فرعوني. فقد كان الفرعون يحمل، في حروبه، عصا آمنون المقدسة يرفعها كلما اراد لجيوشه النصر (مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ١٢٠).

غادر العبرانيون رفديديم بعد انتصارهم على العمالقة، وفي نهاية الشهر الثالث لخروجهم من مصر كانوا قد وصلوا الى جبل الله (جبل سيناء او حوريب)^(٢٠) فنزلوا بإزائه، حيث التقى موسى حماءه (الكاهن يترو) وزوجته (صفورة) ولديه (جرشوم واليعازار)، وقصّ موسى على حميه ما تعرض له بنو اسرائيل من مشقة وعناء عند خروجهم من مصر وبعده، فأشار عليه حمّوه ان يولّي على شعبه رؤساء فئات بين ألف ومئة وخمسين وعشرة^(٢١) لحل مشاكل الناس والقضاء فيما بينهم، على ان يكون هؤلاء الرؤساء مهرةً انقياء لله جديرين بالثقة «يكرمون الكسب»^(٢٢) فعمل موسى بنصيحة حميه واختار «أناسا مهرة من كل اسرائيل، فأقامهم رؤساء على الشعب، رؤساء ألف ومئة وخمسين وعشرة»^(٢٣)، وربما كانت حرب موسى مع العمالقة قد أوحى اليه بتنظيم شعبه تنظيمًا عسكريًا هرميًا بالشكل الذي فعل.

انتهت المرحلة الاولى من مسيرة العبرانيين نحو هدفهم المحدد وهو أرض الميعاد، أي أرض الكنعانيين وباقي الشعوب التي تقطن فلسطين منذ أقدم العصور. وفي بركة سيناء، عند جبل الله (جبل سيناء او حوريب) كان مقدرا ان يجتمع موسى بربه ليتلقى منه الأوامر للمرحلة الجديدة «ونزل الرب على جبل سيناء، الى رأس الجبل، ونادى الرب موسى الى رأس الجبل فصعد»^(٢٤). وعلى قمة جبل سيناء، تم اللقاء التاريخي بين الرب ونبيه موسى، وأمام الرواية التوراتية للحدث الكبير، تزدحم التساؤلات والاستفسارات في فكر كل باحث في هذا المضمون: يقول العهد القديم ان الرب هبط على جبل سيناء «أمام الشعب كله»، وكان هبوطه بشكل نار سبقتها «رعود وبروق» وتركت خلفها، على الجبل دخانًا كثيفًا. وبينما كان صوت البروق يشتد، كان موسى يتكلم «والله يجيبه في الرعد». وما ان نزل الرب على الجبل حتى نادى موسى اليه فصعد موسى الى الجبل للقاء ربه^(٢٥).

(٢٠) العهد القديم، خر ١٩: ١-٢. ويطلق على جبل سيناء اسم حوريب ايضا. وقد وصله العبرانيون بعد ثلاثة أشهر من خروجهم من مصر، حيث أقاموا عنده سنة. وقد أعطى الرب الوصايا العشر لموسى على هذا الجبل (عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٩٨).

(٢١) العهد القديم، خر ١٨: ٢١.

(٢٢) م.ن. خر. ١٨: ٢١.

(٢٣) م.ن. خر ١٨: ٢٥.

(٢٤) م.ن. خر ١٩: ٢٠.

(٢٥) م.ن. خر ١٩: ١١ و ١٨ و ١٩ و ٢٠.

وكان شعب بني اسرائيل يشاهد ما يجري، من موقعه عند سفح الجبل فتأخذ بني اسرائيل الرعدة ويظلمون واقفين بعيدا، ويقولون لموسى «كلمنا انت فنسمع، ولا يكلمنا الله لثلاث نموت» فيتقدم موسى «الى الغمام المظلم الذي فيه الله»، ويوجه الرب خطابه الى موسى قائلا: «كذا تقول لبني اسرائيل، قد رأيتم اني من السماء خاطبتكم»^(٣٦).

ويلتقي موسى ربه على قمة جبل سيناء، ويعطي الرب موسى أوامرا ووصايا وتوجيهات دينية، جوهرية وشكلية، تملا عددا من فصول «سفر الخروج»^(٣٧)، ثم ينتقل الرب الى وضع استراتيجية الاحتلال في رسمها لموسى رسما دقيقا، يقول الرب لموسى:

«ان ملاكي يسير أمامك ويدخلك أرض الاموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين، وأبيدهم... وأرسل رعيي أمامك وألقي رعيي في كل الشعوب التي تدخل اليها، وأجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين أمامك». ولا يكتفي الرب بذلك بل هو يسلط «الزنابير» تسير امام جيش المبرانيين لكي تطرد اهل البلاد الاصليين أي «الحويين والكنعانيين والحثيين». وتتجلى البراعة الاستراتيجية في تخطيط الرب لاحتلال «أرض الميعاد» عندما ينهب موسى انه لن يطرد جميع اهل تلك الأرض دفعة واحدة «كيلا تصير الأرض قفرا فتكثر عليك وحوش الحقول». وانما سيطردهم من وجهه «قليلا قليلا» الى ان يشتد ساعد الشعب، شعب بني اسرائيل، وينمو ويقوى، فيرث الأرض وحده، ولا يفوت الرب ان يحدد لموسى الأرض التي وعد بها بني اسرائيل، فاذا هي ممتدة من «بحر القلزم الى بحر فلسطين، ومن البرية الى النهر»، أما سكان تلك الأرض من غير المبرانيين، فيقول الرب لبني اسرائيل، ولموسى نبيه، بشأنهم: «انني أسلم الى أيديكم سكان الأرض فتطردوهم من أمام وجهك»، ويرفض الرب ان يقطع موسى لهؤلاء السكان عهدا، بل انه يمنع عليهم البقاء في تلك الأرض كي لا يفسدوا على موسى وبني اسرائيل ديانتهم^(٣٨).

ولكن كيف تم اللقاء بين موسى وربه، وما هي الصيغة التي تم فيها ذلك اللقاء؟ يقول

(٣٦) م.ن. خر ٢٠: ١٨ و ١٩ و ٢١ و ٢٢.

(٣٧) م.ن. خر: ٢٦: ٣١

(٣٨) م.ن. خر ٢٣: ٢٣ و ٢٧ و ٢٢. وبحر القصب: بحر القلزم او البحر الاحمر. وبحر فلسطين: البحر المتوسط والبرية: برية سيناء. والنهر: نهر الفرات، وهي الحدود النظرية لمملكتي داود وسليمان (انظر: م.ن. ص ١٩٤ حاشية ١٢، و. لنا) Bible, exode 23: 31

العهد القديم: أمر الرب موسى أن يصعد إليه، إلى الجبل لكي يعطيه «لوحى الحجارة والشرية والوصية» وكان الرب قد كتبها لكي يعلمها موسى لبني اسرائيل، فصعد موسى ومعه هارون وناداب وأبيهو «وسبعون من شيوخ اسرائيل» فراوا الههم «وتحت رجله شبه صنع بلاط سفير، وشيء أشبه بالسماء نفسها نقاء»^(٢٩)، أما موسى فقال للشيوخ «انتظرونا ههنا حتى نرجع اليكم» ثم صعد، لوحده، إلى قمة الجبل «فغطى الغمام الجبل... وكان منظر مجد الرب كنار لكلة في رأس الجبل أمام عيون بني اسرائيل» و«دخل موسى في وسط الغمام»، وأقام في الجبل «أربعين يوما وأربعين ليلة»^(٣٠).

لقد حاول موسى أن يرى وجه الرب ففشل، مع أن الرب كان يكلمه «وجهها إلى وجهه كما يكلم المرء صديقه»^(٣١)، وقال موسى للرب ذات يوم: «أرني مجدك»، فقال له الرب: «أما وجهي فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يراني انسان ويحياء ثم أردف الرب قائلا لموسى: «هوذا مكان بجانبى. قف على الصخرة، فيكون، اذا مر مجدي، اني أجعلك في حفرة الصخرة، وأظلك بيدي حتى أمر، ثم أرفع يدي فترى ظهري؛ وأما وجهي فلا يري»^(٣٢).

أمام هذه النصوص التراثية عن اللقاء بين موسى وربه نقف عاجزين عن أن نجيب عن الكثير من التساؤلات والاستفسارات التي يتمخض بها الفكر تجاهها، تاركين لذوي الاختصاص في اللاهوت الموسوي أن يتولوا هذه المهمة التي لا تدخل، أصلا، في نطاق بحثنا هذا.

كانت مدة الأربعين يوما وليلة التي مكثها موسى على الجبل، بجوار ربه، كافية لأن يفرغ صبر شعبه فينقلب عليه وعلى ربه ويتخذ لنفسه ربا آخر، عاجلا من ذهب^(٣٣). ولم يتمكن أخوه هارون من ضبط الأمور خلال غيابة فانقاد لجمهور الشعب وشاركه في

(٢٩) م.ن. خر ٢٤: ١-١٠.

(٣٠) م.ن. خر ٢٤: ١٨-١٩.

(٣١) م.ن. خر ٣٣: ١١.

(٣٢) م.ن. خر ٣٣: ٢٢-٢٣. وجاء في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك: قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أِنِّي أَنظُرُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّيْتُ لِرَبِّىَ لَنَحْشُرَكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوِّفَ تَرَانِىَ لَقَدْ أَتَيْتُكَ بِرَبِّكَ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ نَقًا وَخَرُّ مُوسَى سَجْدًا. لَلْمُنَاقِقِينَ إِلَيْكَ وَتَمَّا أَتَى الْكُفْرَانِ» (الاعراف ١٤٣/٧).

(٣٣) م.ن. خر ٣٢: ٧-٨.

صنع ربه الذهبي الجديد. ورغم ان موسى عاقب المرتدين بقتلهم، اذ قتل «الواحد أخاه والآخر صاحبه وقريبه» فسقط من الشعب، خلال يوم واحد «نحو ثلاثة آلاف رجل» و«ضرب الرب الشعب لانه صنع العجل، ذلك الذي صنعه هارون»^(٤٤).

وكان الرب قاسيا جدا على شعبه بعد حادثة المروق، او الارتداد، هذه، اذ فرض ان يتيه هذا الشعب في سيناء، طيلة اربعين عاما، وذلك حتى يغنى كل الجيل الذي مرق وارتد، بمن فيهم هارون وموسى، فيموت هارون وبعده موسى، ويدخل الأرض الموعودة، بعد موتهما، جيل جديد بقيادة يشوع.

اختلاف الباحثين:

اختلف الباحثون في العديد من النقاط المتعلقة بخروج العبرانيين من مصر، وخصوصاً تاريخ خروجهم، والمسلك الذي سلكوه، وعيدهم عندما خرجوا. وسنحاول ان نبحث في نقاط الاختلاف هذه:

١- تاريخ خروج العبرانيين من مصر:

يبدو ان ما زخرت به عملية خروج العبرانيين من مصر، من غموض وعجائبية، أثار الكثير من الشكوك حول صحة العملية نفسها، حتى ان بعض الباحثين تساءل عما اذا كانت هذه العملية قد حدثت فعلا، فالمصدر الوحيد لها هو «العهد القديم، سفر الخروج» بما يتضمنه من غموض وأعمال خارقة انفردت الكتب السماوية (العهد القديم والقرآن الكريم) بذكرها، بينما لم نجد لها في التاريخ القديم اي ذكر، ولم يوجد في الحفريات المصرية اية اشارة تدل على حدوثها، باستثناء ما ورد من نقوش على مسلة مرنبتاح Merneptah (او منفتاح) (١٢٣٦-١٢١٤ ق.م). من الأسرة التاسعة عشرة، في القرن الثالث عشر ق.م. (١٢٢٠-١٢٠٠ ق.م). حيث ورد اسم «اسرائيل» في قصيدة تمجد انتصار مصر على أعدائها، وقد جاء في هذه القصيدة: «واسرائيل خربت، وزالت بذرتها، وأصبحت فلسطين

(٤٤) م.ن. خر ٢٢: ٢٧-٢٨ و ٣٥.

أرملة لمصر»، وهذه هي «الاشارة الوحيدة الى اسرائيل في أي نص مصري»^(٤٥). وثابت من هذا النص ان اسرائيل المشار اليها كانت في فلسطين ولم تكن في مصر في «أرض جاسان»، وهذا ما يجعلنا نعتقد ان خروج بني اسرائيل من مصر يرجع الى زمن أقدم من زمن مرنبتاح.

ويتذرع الذين ينكرون حصول حدث انتقال العبرانيين من مصر الى فلسطين بالقول انه من المستحيل ان يقدم شعب بكامله (نحو مليوني نسمة) على الانتقال من موقع الى آخر خارج البلد الذي يعيش فيه دون ان يترك خلفه أي أثر على وجوده في هذا البلد، خصوصاً وان بني اسرائيل مكثوا في مصر زهاء ٤٢٠ عاماً وهي فترة ليست بقصيرة على الاطلاق، كما انهم قاموا بأعمال لا تزال آثارها تدل على عظمة فراعنة مصر بينما ينظر اليها العبرانيون كنموذج ساطع من نجاح اضطهادهم واذلالهم. اذ انهم قد سخرُوا، خلال الفترة التي قضوها هناك، للقيام بأعمال البناء، فشاركوا في تشييد الأهرام، كما انهم بنوا مدناً عديدة اهمها مدينتا فيثوم ورعمسيس^(٤٦).

أما الباحثون الذين يقرون بخروج العبرانيين من مصر فقد انقسموا الى فئتين:

- واحدة تقول بانهم خرجوا منها، على يد موسى، في القرن الخامس عشر ق.م، وبالتحديد عام ١٤٩٢ ق.م، وانهم وصلوا الى فلسطين عام ١٤٥٢ ق.م، أي بعد أربعين عاماً من مكوثهم في التيه بسيناء، معتمدين على ما جاء في سفر الملوك الاول من ان هيكل سليمان قد بني بعد ٤٨٠ عاماً من خروج العبرانيين من مصر (سفر الملوك الاول: ٦)، وبما ان بناء الهيكل قد تم عام ١٠١٢ ق.م. فيكون خروج العبرانيين من مصر قد جرى عام ١٤٩٢ ق.م. ومن هذه الفئة:

- الأب فيغورو الذي وضع جدولاً بين فيه، بالتفصيل، وبالسنوات، أهم المحطات في تاريخ العبرانيين منذ خروجهم من مصر وحتى بناء هيكل سليمان^(٤٧).

(٤٥) ولسون، جون. الحضارة المصرية. تمريب: احمد فخري، ص ٤٠٦. وانظر Barnavi, Elie, Histoire universelle des Juifs, P. 4.

(٤٦) الدبس. تاريخ سوريا، ج ٢: ٨٧-٨٨.

(٤٧) م. ن. ج ٢: ٣٥٧-٣٥٨. والأب فيغورو Fulcan Vigouroux كاهن فرنسي مختص بتأويل الكتاب المقدس. من مؤلفاته: الرجيز في التوراة Mémuel Biblique. وقاموس الكتاب المقدس. ولد في ثلثت عام ١٨٢٧ وتوفي عام ١٩١٥.

- الأب مور الذي وضع جدولاً مماثلاً لجدول فيغورو بين فيه، بالسنوات كذلك، أهم المحطات في تاريخ العبرانيين منذ ولادة اسحق بن ابراهيم (٢٢٢٠ ق.م) حتى خراب السامرة على يد سرجون الآشوري (٧٢١ ق.م). - الآن مور يرى أن خروج العبرانيين من مصر قد تم عام ١٥٠٠ ق.م. وليس عام ١٤٩٢ ق.م. كما يرى فيغورو^(٤٨).

- واخرى تقول بأن خروج العبرانيين من مصر كان في أوائل القرن الثالث عشر ق.م في عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م)، وانهم خرجوا في عهد سيتي الثاني (١٢١٦ - ١٢١٠ ق.م)^(٤٩). وحثهم في ذلك ان اضطهادهم وتسخيرهم قد تم في عهد رمسيس الثاني (١٢٠٤ - ١٢٣٧ ق.م) (وقد بنوا في عهده مدينة رمسيس)، فلا بد من ان يكونوا قد خرجوا من مصر بعد ذلك التاريخ وليس قبله. ومن هذه الفئة:

- ماسبرو، صاحب كتاب «تاريخ شعوب المشرق»، ويرجح انهم خرجوا في عهد سيتي الثاني ابن رمسيس الثاني^(٥٠).

ونتوقف، من بين الباحثين المعاصرين، عند اثنين هما:

- جيمس بريتشارد واضع «أطلس العالم التوراتي Atlas du monde Biblique» والذي يرجع ان خروج العبرانيين قد تم في السنوات الاولى من القرن ١٣ ق.م ويحاول ان يستدل على ذلك من خلال نقوش وجدت على مسلة الفرعون مرنبتاح (منفتاح) في السنة الخامسة من حكمه (بدأ حكمه عام ١٢٣٦ ق.م) حيث ذكرت هذه النقوش ان الفرعون المذكور بعث ابنه سيتي (الذي سيصبح الفرعون سيتي الثاني) بغزوة تادييية لشعب اسرائيل المقيم في ارض كنعان (مدن عسقلان وجزر وبنوام) وحقق على هذا الشعب انتصاراً عظيماً، ويرى بريتشارد ان هذا هو الدليل الوحيد لوجود الشعب الاسرائيلي في ارض كنعان في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد^(٥١).

(٤٨) م.ن. ٢ ج. ٢٥٨ - ٢٥٩، الأب دي مور De More كامن بلجيكي. اما الجدول الذي وضعه لتحديد تاريخ خروج العبرانيين من مصر فقد نشر في مجلة كاثوليكية تدعى مجلة المباحث الدينية، وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ ايلول ١٨٩٣.

(٤٩) م.ن. ٢ ج. ٨٨، وانظر Pritchard, Atlas du Monde Biblique, PP. 18- 19.

(٥٠) م.ن. ٢ ج. ٨٨، Pritchard, Ibid.

(٥١) Pritchard, Ibid P. 18 - 19 et 51, 56 (٥١) وانظر، ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠٤ - ٤٠٩.

- ايلي بارنافي، واضع «التاريخ العالمي لليهود Histoire universelle des Juifs» والذي يرى ان العبرانيين خرجوا من مصر على موجتين متباعدين، وانه لم يكن هناك «خروج مكثف، واحد ومنظم، ولكن كان هناك مدّ طويل من هجرة القبائل السامية المختلفة التي دخلت ارض كنعان، وهناك فقط انتهت بالانصهار بشعب»^(٥٢).

٢- المسلك الذي سلكه العبرانيون عند خروجهم من مصر:

كرر العهد القديم، في عدة مواضع منه، للمسلك الذي سلكه العبرانيون لدى خروجهم من مصر. وقد حدد هذا المسلك كما يلي:

- رعمسيس - سَكُوت - ايتام - فيهيروت (فم الحيروت تجاه بعل صفون وقرب مجدول او مجدل) - العبور في وسط البحر - برية ايتام - مارة - ايليم - بحر القصب (القلزم) - برية سين - دفقة - ألوش - رفيديم - برية سيناء - قبروت هتاوه (قبور الشهوة) - حصيروت - رتمة - رمون فارص - لبنة - رسة - قهيلا تا - جبل شافر - حرادة - مقهيلوت - تاحت - تارح - متقة - خشمونة - موسيروت - بني يعقان - حور هجد جاد (كهف هجد جاد) - يطبانة - عبرونة - عصيون جابر - برية صين (قادش) - جبل هور (في طرف ارض أدوم) - صلحونه - فونون - أوبوت - عبي هعباريم (تلال العباريم، عند حدود مؤاب) - ديبون جاد - علمون دبلاتائيم - جبال العباريم (تجاه نبو) - عربية مؤاب (صحراء مؤاب، على اردن اريحا، من بيت يشموت الى آبل شطيم في عربية مؤاب). هذا هو المسلك الذي سلكه بنو اسرائيل في رحلتهم من مصر الى ارض كنعان، وفقا لما جاء في العهد القديم^(٥٣). كما وردت، في مواضع اخرى من الكتاب نفسه، اشارات الى هذا المسار^(٥٤) لا نرى حاجة لاستعادتها. ويبرر رب بني اسرائيل رجوع العبرانيين من ايتام الى فيهيروت بانه «لم يسيرهم في طريق ارض الفلسطينيين، مع انه قريب» (وهو الطريق العادي المحاذي للشاطئ، ويمر بالقنطرة حاليا) لانه خشي ان يندم الشعب «اذا رأى هربا فيرجع الى

(٥١) Prichard, *Ibid* P. 18 - 19 et 51, 56 (٥١) ولنظر، ولسون، جون، الحضارة المصرية، ص ٤٠٤ - ٤٠٩.

(٥٢) Barnavi, *Op. Cit.* P. 4.

(٥٣) العهد القديم، عدد ٢٢: ١ - ٤٩.

(٥٤) انظر، م. ن. خر ١٢: ٣٧ وخر ١٢: ٢٠ وخر ١٤: ٢٠ وخر ١٥: ٢٢.

مصر» لذا «حوّل الله الشعب الى طريق برية بحر القصب، وصعد بنو اسرائيل من ارض مصر مسلحين»^(٥٥). ويبدو ان موسى فوجئ بالبحر امامه وبفرعون خلفه، فلم يكن عنده منصرف فاختر البحر بدلا من ان يختار منازل فرعون. ويشير قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء ٦٢/٢٦] أي ان البحر انفلق اثني عشر فرقا بعدد أسباط بني اسرائيل الاثني عشر. وقد ورد في تفسير الجلالين لهذه الآية «فانشق (البحر) اثني عشر فرقا». الا اننا لم نجد مثل ذلك في العهد القديم حيث جاء فيه: «ومدّ موسى يده على البحر، فدفع الرب البحر بريح شرقية شديدة طول الليل، حتى جعل البحر جافا، وقد انشقت المياه. ودخل بنو اسرائيل في وسط البحر، على اليبس، والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم. وجذّ المصريون في أثرهم، ودخل وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه الى وسط البحر» (.....) فقال الرب لموسى: مد يدك على البحر فترتد المياه على المصريين، على مراكبهم وفرسانهم. فمد موسى يده على البحر فارتد البحر عند انبثاق الصبح الى ما كان عليه، والمصريون هاربون نحوه، فدحر الرب المصريين في وسط البحر. ورجعت المياه فغطت مراكب جيش فرعون كله وفرسانه الداخلين وراءهم في البحر، ولم يبق منهم أحد. وسار بنو اسرائيل على اليبس في وسط البحر والمياه لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم». وكان خروج بني اسرائيل من مصر في عيد الفصح من فصل الربيع^(٥٦).

يبدو ان هذا المسلك قد أثار خلافا بين الباحثين، بصرف النظر عما احتواه من عمل عجائبي (معجزة شق البحر على يد موسى) يقف أمامه المؤرخ العلمي حائرا بين انكاره وتصديقه (وقد ورد ذكره في القرآن الكريم كما في العهد القديم) مما دفع بعضهم الى تعليل هذا الحدث العجائبي تعليلا علميا، كما سنرى.

رأى بعض مهندسي قناة السويس^(٥٧)، الذين قاموا بدراسات لكشف غوامض هذا المسلك، ان البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الاحمر في ذلك الحين، حتى ان بعضهم زعم انه اجتاز تلك البحيرات، وفيما يلي موجز لتصور فرديناند دي لسبس، مهندس القناة:

(٥٥) م.ن. خر ١٢: ١٧-١٨.

(٥٦) م.ن. خر ١٤: ٢١-٢٣ و ٢٦-٢٩. وعد ٢٣: ٢.

(٥٧) ومنهم: فرديناند دي لسبس (الديس، المصدر السابق، ج ٢: ١١٥-١١٦).

كان البحر الأحمر متصلاً بالبحيرات المرة الواقعة شماله، في الشمال الشرقي من مصر، وقد سار موسى من رعمسيس المدينة (حيث يُرى الآن صخر يمثل أحد الفراعنة ويسمى رعمسيس) إلى سَكُوت، وتعني المظلة أو الخيمة، ويسمى العرب هذه المحلة (أم الخيم)، ومنها إلى إيتام (وهي مكان عشيرة تسمى باسمها: إيتا ميس). ولما وصل موسى إلى إيتام أحس بأن فرعون يتعقبه بجيشه، فعاد إلى اللوراء، ونزل ببحيروت (فيبحيروت أو فم الحبيروت) وهي (محل القصب) ويسمى العرب هذا المحل (وادي بيت البوز أو وادي القصب) حيث تكثر المستنقعات من مياه البحر الأحمر. وكانت فيبحيروت (بحيروت أو فم الحبيروت) تقع بين البحر الأحمر جنوباً ومجدول (مجدل) شمالاً وبعل صفون شرقاً وبيتوم غرباً. وتُرى أطلال مجدول (أو مكنول أو مكدلون) على جانب الطريق المؤدي إلى سوريا، أما بعل صفون فكانت هيكلًا شديد على مرتفع. عندما وصل بنو إسرائيل إلى فيبحيروت (أو فم الحبيروت) ظهرت عليهم ملاحع جيش فرعون ولم يكن أمامهم من طريق للهرب إلا البحر شمالاً، فهبت ريح شديدة جعلت المصريين يمسكون عن مطاردة بني إسرائيل، وكانت هذه الريح من القوة بحيث أدت إلى كشف اليابسة في موضع من المواضع بالبحر، حيث المياه لم تكن عميقة (ويذكر دي لسبس أنه كان بنفسه شاهداً ذات يوم على هذه الريح وشدها) فاغتنم موسى هذا «العون الإلهي» واجتاز مع شعبه البحر من اليابسة التي انفرجت الماء عنها عند هبوب الريح. ولما سكنت الريح عادت المياه إلى ما كانت عليه، وكان ارتفاعها يبلغ ما بين متر و ٣٠ سم ومتر و ٨٠ سم، ففرق فرعون وجيشه في البحر إذ فاجأتهم المياه^(٥٨). وقد ندد الأب فيغورو بأقوال مهندس قناة السويس هذه، ورد على ذلك بقوله أن الآثار المصرية لم تاتنا بأية إشارة تدل على أن البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الأحمر «بل أنبأتنا بما يخالف ذلك وهو احتفار قناة تصل بينهما»^(٥٩). ويستلرد فيغورو: «لم يكن البحر الأحمر، في أيام موسى، متصلاً بالبحيرات المرة، ولا في وقت الانواء الشديدة، ولا حاجة إلى الجدول عن ظاهرات آيات الكتاب المصرية بأن العبرانيين عبروا البحر الأحمر أو بحر سوف أو بحر القلزم، والمعنى واحد»^(٦٠).

ويحاول فيغورو أن يعال ما جاء في العهد القديم تعليلاً علمياً، فيقول: ارتحل بنو إسرائيل من جاسان، في وادي طميلات، إلى سكوت، ثم إلى إيتام، وكان لزاماً عليهم أن

(٦٠) م. ن. ص. ن. وذلك في كتابه «الكتاب والاكتشافات الحديثة».

يسيروا الى جانب الماء لكي يستقوا ويسقوا ماشيتهم، ومن ايتام كان بوسعهم ان يتجهوا شمالا بشرق، على طريق الساحل، مرورا بغزة، الى فلسطين، الا انهم خافوا ان يهربوا من بطش فرعون فيقعوا في ايدي الفلسطينيين، عندها أمر الرب موسى ان يعود بهم نحو الجنوب، اي نحو البحر الأحمر وجبل سيناء، فانتقلوا من ايتام الى امام البحر «وكان مسيرهم على شاطئ البحيرات للمرة الغربي، قضى عليهم بذلك احتياجهم الى الماء والكلال ماشيتهم»^(٦١).

وهكذا نرى ان بعض الباحثين يحاول جاهدا ان يعثر على تحليل علمي للأحداث التي جرت خلال انتقال موسى ببني اسرائيل من مصر الى فلسطين، ويبدو ان كلا من دي لسبس وفيغورو لم يوفقا بتعليقهما لهذه الأحداث، فعملية «الريح الشديدة» التي هبت وأزالت الماء لكي تفتح للعبرانيين طريقا في البحر ثم سكنت لينفلق البحر على جند فرعون فيفرقهم، هي عملية غير منطقية وغير علمية ولا يقبلها عقل. ولذا كان فيغورو لم يخرج عما ورد في العهد القديم من تحليل، فانه لم يأت بجديد على ما هو وارد في الكتاب المقدس.

ويذكر الباحث الأثري «سليم حسن» ان المهندس المصري «علي بك شافعي» كتب مقالة بهذا الصدد جمع فيها «الآراء التي أولي بها في هذا الموضوع، وأضاف اليها ملاحظاته وبحوثه الخاصة، وخرج منها بنتيجة تعد، حتى الآن، أحسن ما وصل اليه العلم الحديث في هذه المسألة الشائكة المعقدة». كما يذكر انه ناقش المهندس «شافعي» بنفسه واقتنع «الى حد بعيد» بمقولته، خصوصا وان المهندس شافعي كان قد أرفق مقالته بمخطط يبين المسلك الذي سلكه موسى في خروجه من مصر (انظر المخطط). ويبدو من قراءة المخطط المذكور انه لا يختلف في شيء، تقريبا، عن الطريق التي رسمها مهندسو قناة السويس، حيث يذكر «علي بك شافعي» ان موسى سلك بجماعته الطريق من رعمسيس (حيث بات ليلته الأولى) الى ايتام (حيث بات ليلته الثانية) ففم الحيروت (حيث بات ليلته الثالثة)، ومنها سلك طريق البحر بعد ان جفت مأوه بسبب «الريح الشرقية العاتية» التي هبت عليه، ثم سار في صحراء «ايتام» باتجاه «مدين حيث كان حموه وزوجته»^(٦١ مكرر).

(٦١) م.ن. ص. ١١٧-١١٨.

(٦١ مكرر) حسن، سليم، مصر القديمة، ج ٧: ١١٨-١٢٠.

ويحاول بريتشارد ان يناقش الاطروحة نفسها، ولكنه يعود فيفترض عدة مسالك ممكنة ومحتملة من خلال ما ورد في العهد القديم نفسه، ودون الخروج على النص التوراتي^(٦٢). والسؤال المهم الذي يطرحه (إيلي بارنافي Barnavi) حول هذه الاطروحة، هو: كيف يمكن لشعب يشكل بمجموعه مليوني نسمة (باعتبار ان عدد الرجال القادرين على حمل السلاح هو ٦٠٠ ألف نسمة، أي ثلث الشعب، والباقي اطفال ونساء وشيوخ) ان ينتقل، مع ما يملك من أمتعة وماشية، دون ان يترك خلفه أثرا ما، ولهذا، يفترض، كما سبق ان قدمنا، انه لم تكن هناك هجرة جماعية واحدة ومنظمة للشعب العبري من مصر، وانه: إما ان يكون العبرانيون قد خرجوا من مصر على موجتين متتابعتين، وأما ان يكون قد حدث مد طويل من هجرة القبائل السامية المختلفة للتي، ما ان دخلت بلاد كنعان، حتى انصهرت بشعب واحد^(٦٣)، ومع ذلك، يحاول بارنافي ان يفترض مسالك مختلفة لخروج العبرانيين، مبنية على افتراضات وجدها هو ممكنة، ووفقا لما ورد في العهد القديم^(٦٤).

يبقى ان ما يمكننا قوله في هذا المجال هو ان ما ورد في العهد القديم من أعداد امر مبالغ فيه الى حد كبير، فإذا كان العبرانيون يشكلون نحو مليوني نسمة مع ما يمتلكون من متاع وأدوات وإذا كان جيش فرعون يضم مليوناً وسبعمائة ألف حصان، كما يقول الطبري^(٦٥) او «سبعين ألفاً من دهم الخيل، سوى ما جنده من شيات الخيل» كما يقول في رواية أخرى^(٦٦)، وإذا كان عبور البحر قد تم خلال ليلة واحدة، أي في ساعات لا تتجاوز العشر، إذا كان ذلك ما تزويه الأسفار، فإن في الامر استحالة مادية ولا شك.

ونحن اذ نميل الى ما يراه بارنافي من ان هجرة الساميين (ومنهم العبرانيون) من مصر لم تكن واحدة مكثفة ومنظمة، بل كان هناك مد من الهجرات لفترات طويلة، فإن ما يمكننا قوله ان المبالغة في الأرقام الى حد الاستحالة تجعل الأمر غير قابل للتصديق، وان الخروج الذي تم على يد موسى هو إحدى هذه الهجرات.

ويشارك بريتشارد بارنافي في هذا الافتراض، فهو يتساءل عما إذا كان هناك رحلة

(٦٢) Pritchard, Op. Cit. P. 56 - 57 Carte

(٦٣) Barnavi, Op. Cit. P. 4

(٦٤) Ibid, P. 5 (carte)

(٦٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ١: ٤١٤.

(٦٦) م. ن. ج ٤٢٠٠١ وشية: من ألوان البهائم، وهي بياض في سواد أو سواد في بياض. وجمعها شيات أو هي كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره

واحدة فقط في الصحراء؟ ويبقى السؤال في نظره بلا جواب. الا انه يرى «ان هناك احتمالا بان يكون الذين غادروا مصر الى بلاد كنعان قد غادروها بمجموعات صغيرة سالكين مسالك مختلفة»^(٦٧).

وتحاول مجموعة المؤلفين التي وضعت موسوعة «التاريخ العام للديانات *Histoire des Religions*» ان تجد تعليلا لهذه الحادثة الخارقة، فتذكر ان الطبيعة الطوبوغرافية لخليج السويس تسمح بالاعتقاد أن حصولها امر ممكن، وباعتبارها واقعة تاريخية صحيحة، «فالاختيار الدقيق جدا لساعة العبور ومكانه بفضل جَزَر استثنائي منخفض تلتها ريح شمالية شديدة زادت من تماسك المعبر، استطاع تسهيل عبور الفارين»^(٦٨).

ولكننا، اذ نستبعد احتمال صحة هذا التعليل، خصوصا وان عدد العبرانيين يزيد على المليون نسمة باستثناء ما خرج معهم من ماشية وبهائم ومركبات ومعدات، نرى ان أي جزر للبحر، مهما كان استثنائيا، لا يمكن ان يتيح هذا العبور الضخم، ثم ان أي مد لا يمكن ان يفرق جيشا ضخما كجيش فرعون.

ويقدم لنا «مقار»^(٦٩) تحليلا مبنيا على دراسة جغرافية لطبيعة الأرض في ذلك الزمن، ربما كان هو الأقرب الى المنطق والواقع، يقول «مقار» وفقا للعهد القديم: ارتحل العبرانيون من رعسيس الى سكوت ومنها الى ايتام (في طرف البرية). ومن ايتام عادوا الى قم الحيروت التي قبالة بعل صفون (بلزيوم) ونزلوا امام مجدل. ثم ارتحلوا من امام الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية (عد ٣٣ : ٨٥). ذلك يعني ان موسى خرج من مصر الى سيناء، ما بين خليج السويس والبحيرات المرة، فتاه في الصحراء (كما هو مبين في الخارطة) الى ان جاءت التعليمات للعودة الى (بعل صفون) بين مجدل والبحر (والبحر هنا هو البحر المتوسط وليس البحر الأحمر كما ورد في العهد القديم) أي بين خطي الطول ٣٢ و ٣٣ وشمال خط العرض ٣١، وهذا امر مستحيل «الا اذا كان يهوه قد نقل البحر الأحمر شمالا، من موضعه الجغرافي... وأوصله في الطريق بالبحيرات المرة (ولم يكن البحر الأحمر متصلا بهذه البحيرات) وجعله يلتحم بالبحر - الأبيض شمالا»^(٧٠).

(٦٧) - Pritchard, Op. Cit. P. 56 - 67.

(٦٨) - Aubrey, Jannine et autres, Histoire générale des Religions, P. 339.

(٦٩) مقار، شفيق، قراءة سياسية للتوراة، ص ٢٢٧ - ٢٢١، وخارطات ص ٢٧٢ - ٢٧٦.

(٧٠) م.ن. ص ٢٢٠.

ويعزو «مقار» هذا الخلط في العهد القديم الى ان مؤلفي التوراة الذين كتبوه في عهد متأخر جدا عن عهد موسى (نحو ٧ قرون)، وكانوا في بابل، تأثروا بالأسطورة التي تقول ان الاسكندر المقدوني قد شق الماء امامه لكي يعبر الى الامبراطورية الفارسية ويدمرها، وان هذا ممكن ان يحدث لسواه، وهو موسى، وفقا لما رواه المؤرخ اليهودي يوسيفوس^(٧١). ولكن سها عن بال كتبة التوراة في بابل ان مجدل وبعل صفون وفم الحيروت هي مواقع قريبة من للبحر للمتوسط وبعيدة عن البحر الاحمر، وربما كان الأمر كما يراه «سيفغوند فرويد» وهو انه يمكن الافتراض بان الخروج قد جرى «بطريقة سلمية تماما وبلا مطاردة ولا اجتياح للفرس وراكبه» وهو مناقض تماما «للحكاية الدرامية التي تحكيها التوراة»^(٧٢). (انظر الخارطة رقم ١).

٣- عدد العبرانيين الذين خرجوا من مصر:

تكرر، في العهد القديم، ذكر عدد الرجال الذين خرجوا مع موسى من مصر، فقد مر معنا انه، «رحل بنو اسرائيل من رعسيس الى سكوت بنحو ست مئة ألف ماش من الرجال ما عدا العيال. وصعد معهم ايضا خليط كثير وغنم وبقر ومواش وافرة جدا»^(٧٣) ويقول الطبري في هذا: «كان موسى على ساقه بني اسرائيل، وكان هارون امام مقدمتهم.... وخرج موسى في ستمائة وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وانما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية. وتبعهم فرعون، وعلى مقدمته ماهان، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان»^(٧٤).

وقد أشرنا، فيما سبق، الى رأينا الخاص ورأي بعض الباحثين، في الأعداد المقدمة، ورأينا ان المبالغة فيها (نحو المليونين عبراني يجتازون البحر خلال ساعات مع أمتعتهم ومواشيهم، ونحو مليون وسبعمائة ألف حصان مع ستمائة مركبة ممتازة وجميع مراكب مصر^(٧٥)) يتبعونهم ويفرقون في اليم)، تؤدي ولا شك الى الاستحالة المادية في تنفيذها،

(٧١) م.ن. ص ٣٢٨.

(٧٢) م.ن. ص ٣٣١.

(٧٣) العهد القديم، خر ١٢: ٣٧-٣٨.

(٧٤) الطبري، المصدر السابق، ج ١: ٤١٤.

(٧٥) العهد القديم، خر ١٤: ٧.

هذا لو اقتنعنا انها صحيحة. ولا يمكننا القول بأنه ربما لم يفرق من جند فرعون سوى نفر قليل ما دام العهد القديم يؤكد ان المياه رجعت وفغطت مراكب جيش فرعون كله وفرسانه الداخليين وراءهم في البحر ولم يبق منهم احد^(٧٦).

واستنادا الى عملية حسابية بسيطة قائمة على افتراض، ربما كان خاطئا، حاول الدبس أن يؤكد ما ورد في العهد القديم، فقال: دخل بنو اسرائيل الى مصر في عهد يعقوب وكانوا ٦٧ ذكرا، ومكثوا هناك ٤٣٠ عاما، فاذا اعتبرنا ان ذرية الذكر الواحد في هذه المدة تبلغ ٢٤٥٧٦ نسمة، فتكون ذرية ٦٧ ذكرا هي: ١٦٤٦٥٩٢ نسمة، فاذا أسقطنا من هذا العدد نصفه (عدد النساء)، كان الباقي ٨٢٣٢٩٦ نسمة، واذا اسقطنا ربع الناتج (وهو عدد الاطفال والشيوخ)، كان الباقي، وهم للرجال القادرين على حمل السلاح ٦١٧٤٧٢ رجلا، وهذا ما ورد في العهد القديم عن عدد الرجال القادرين على حمل السلاح والذين خرجوا مع موسى^(٧٧). الا انه لا يمكننا الاعتماد على حسابات نظرية كهذه الحسابات، لكي نؤكد صحة ما جاء في العهد القديم.

لا بد، اذن، من أن نقشبت بالسؤال الذي سبق أن طرحه بريتشارد: هل كان هناك أكثر من موجة من الهجرات العبرانية من مصر الى بلاد كنعان؟ وكذلك بالاحتمال الذي افترضه كل من بريتشارد وبارنافي: موجات من الهجرة متعددة، احداها تلك التي تمت بقيادة موسى. ولا نرى حلا آخر لمشكلة العدد الضخم الذي يستحيل، عمليا، تنفيذه بالشكل الذي ورد في العهد القديم، وهكذا تصبح العملية الحسابية المذكورة آنفا، والتي أوردها الدبس (نقلا عن العالم فلأس) فرضية محتملة.

وهناك تساؤل آخر لا بد من طرحه: اذا كان من المستحيل أن يعبر مليونان من بني اسرائيل مع أبقارهم ومواشيهم ومركباتهم، البحر خلال ما يقارب العشر ساعات، مهما كانت المساحة التي انفرجت من البحر لكي يعبروا، فكيف يمكن أن يفرق، في لجة هذا البحر، ما مقداره، بحسب رواية العهد القديم، مليون وسبعماية ألف حصان وستماية مركبة، على كل حصان فارس، وعلى كل مركبة طاقم كامل (ثلاثة رجال على الأقل)، فيكون مقدار ما جمع فرعون من رجال في جيشه: ١٧٠٠٠٠٠ رجل، ما عدا الستماية

(٧٦) م.ن. خر ٢٨:١٤.

(٧٧) الدبس المصدر السابق، ج ٢: ١١٠-١١١. وقد استند الدبس في حساباته هذه الى عالم يدعى (فلأس) كان قد نشر مقالة بهذا الصدد بعنوان (في الشعوب القديمة) طبعت في امستردام بهولندا عام ١٧٦٩.

مركبة ورجالها، وكم يلزم فرعون من الوقت لكي يجمع هذا الجيش؟ ولماذا لم تترك هذه المجزرة الرهيبة أي أثر يستدل منه الباحثون على صدق هذه الرواية؟ وتاريخ مصر زاهر بآثار الفراغة من كل جيل؟

يبقى، في ختام البحث، أن نشير إلى رأي لايان ولسون، حيث يقول: «حكاية التوراة عن خروج بني اسرائيل من مصر... تظل حكاية مراوغة للخافية، ومفتقرة إلى أي سند وثائقي يبرر النظر إليها كمسرد حقيقي لوقائع حدثت فعلاً»^(٧٨). وكيف لا تكون هذه الأحداث مفتقرة إلى سند وثائقي حقيقي ما دام تاريخ مصر برمته، وقد سُجل بأدق تفاصيله منذ أربعة آلاف سنة، لم يأت على ذكر هذه الأحداث من قريب أو بعيد، كأن لم يكن في تاريخ مصر موسى وعبرانيون، رغم أن سجلات تاريخ مصر، منذ أقدم العصور «اكتظت بأدق التفاصيل حتى عن أصغر الأشياء المتعلقة بطريقة حياة المصريين وما حدث لهم منذ ٤٠٠٠ عام»، كما يقول ولسون؟^(٧٩) كما لم تسجل هذه الأحداث في أي تاريخ آخر من تواريخ الأمم والشعوب في ذلك الحين، وخصوصاً تلك الأمم التي «اثارت مصر فضول شعوبها، واهتمام حكامها ومؤرخيها» ومنها اليونان التي «انشغلت بمصر وثقافتها وديانتها وأحداث تاريخها»^(٨٠).

(٧٨) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٤ - ٢ نقلاً عن «لايان ولسون، الخروج» (Wilson, Yan, Exodus).

(٧٩) م. ن. ص. ن. نقلاً عن لايان ولسون كذلك.

(٨٠) م. ن. ص. ١٩٧.



الفصل الثاني

التيه في سيناء

المسير من بحر القصب (القلزم) الى برية سين:

بعد ان خرج بنو اسرائيل من بحر القصب (القلزم) اجتمعوا في الصحراء في مكان يدعى «عيون موسى»^(١) ومنه انطلقوا في «برية شور» حيث ساروا ثلاثة ايام حتى انتهوا الى «مارة» وهي عين ماء مرّ جاء في العهد القديم ان الرب اطاع موسى على شجرة ما ان وضع من أغصانها في العين حتى حلت ماء فاشرب بنو اسرائيل منها^(٢). ويذكر الرحالة «فيغورو» ان بني اسرائيل ساروا في هذه الطريق، من «عيون موسى» الى «مارة» على ساحل البحر الاحمر ولمسافة ثمانين كلم، لمدة ثلاثة ايام، ومنها ساروا الى «أيليم» حيث يوجد «اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فخيّموا هناك عند المياه»^(٣). ومن «أيليم» انتقل بنو اسرائيل الى «برية سين» التي بين «أيليم وسيناء» فوصلوها في «اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني» لخروجهم «من أرض مصر»^(٤).

ولكن المؤرخ «الدبس» يرى ان بني اسرائيل انتقلوا من «أيليم» أي (وادي غرنديل) الى «وادي طيبة» على مسافة ٢٥ كلم من أيليم. ومن «وادي طيبة» الى «برية سين» كان بإمكانهم ان يختاروا احدى طريقين:

(١) يذكر «الدبس» ان العبرانيين حاولوا في هذا الموضع بعد عبورهم البحر الاحمر، وان للرحالة «فيغورو» اكتشف هذا المكان في رحلته بالصحراء في ٨ آذار عام ١٨٨٨. حيث وجد ١٢ نيمًا مالح للمياه (الدبس). تاريخ سوريا الجنوبي والديني، ج ٢، ١٢٤-١٢٥.

(٢) العهد القديم: خر ١٥: ٢٢-٢٥.

(٣) العهد القديم: خر ١٥: ٢٧.

(٤) م. ن. خر ١: ١٦.

- الأولى: طريق البحر، وهي التي تحاذي ساحل البحر الأحمر لعدة كيلومترات، ثم تصعد «بوادي فيران» نحو الجبل.

- والثانية: طريق الشمال، وهي التي تذهب من «وادي طيبة» جنوباً بشرق إلى الطرف الغربي للموضع المعروف «بديّة الرملة» إلى أن يتصل بالطريق الأولى.

ويجمع علماء البعثة الانكليزية التي زارت هذه المنطقة عام ١٨٦٩، برئاسة هنري بالمر، أن بني اسرائيل سلكوا الطريق الأولى «لسهولة مسلكه ووجود الماء فيه» رغم أن الثانية أقرب إلى «برية سين»^(٥). (انظر الخارطة رقم ١).

التعبئة العسكرية:

في «اليوم الأول من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر»^(٦) أمر الرب بتعبئة المقاتلين من بني اسرائيل «بعشائرهم وبيوت آبائهم، بعد أسماء الذكور رأساً رأساً، من ابن عشرين فصاعداً، كل من يخرج إلى الحرب»^(٧)، فعمد موسى يعاونه هارون، إلى تقسيم بني اسرائيل، «بحسب جيوشهم»^(٨) وقال لما أمره الرب، فوزع مقاتليهم على أسباطهم، من كل سبط جيش، وجعل لكل سبط رئيساً هو «رب بيت آبائه»^(٩) فكانت تعبئة المقاتلين كما يلي:

عدد المقاتلين	الرئيس (رؤساء ألوف اسرائيل)	السبط
٤٦٥٠٠	البصور بن شفيروود	١- راوبين
٥٩٣٠٠	شكوميئيل بن صور يشئاي	٢- شمعون
٧٤٦٠٠	نحشون بن مينيئيل	٣- يهوذا
٥٤٤٠٠	نفتاليم بن صوفر	٤- يوساف
٥٧٤٠٠	الغلب بن حيلون	٥- زبولون
٤٠٥٠٠	اليشاماع بن ميهود	٦- لفرائيم
٣٢٢٠٠	جوليثيل بن فدهصور	٧- منسى
٣٥٤٠٠	أبيئان بن جدعوني	٨- بنيامين
٦٣٧٠٠	أليميئيل بن عيشئاي	٩- دان
٤١٥٠٠	فجهيئيل بن عكران	١٠- اشير
٤٥٦٥٠	ألياساف بن نموشيل	١١- جاد
٥٣٤٠٠	أحيرع بن عيئان	١٢- نفتالي
٦٠٣٥٥٠ مقاتلاً ^(١٠)		

(جدول رقم ١)

(٥) اللدس، م.ن. ج٢: ١٢٧.

(٦) العهد القديم، عد١: ١.

(٧) م.ن. عد١: ٢ و٣.

(٨) م.ن. عد١: ٣.

(٩) م.ن. عد١: ٤ وكان الأسباط متفرعين إلى عشائر، والعشائر إلى بيوت. (العهد القديم، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

الحواشي، ص٥).

(١٠) م.ن. عد١: ٥-١٥.

أي: ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون مقاتلاً^(١١)، باستثناء «اللاويين» الذين أوكل إليهم أمر خدمة «مسكن الشهادة»، وجميع أمتعته، وكل ماله^(١٢).

ثم وزع موسى الجيوش حول خيمة الموعد (أو خباء المحضر أو خيمة الاجتماع)^(١٣) وعيّن لكل جيش موقعا أو «مخيما»، وراية خاصة به، فكان توزيع تلك الجيوش حول خيمة الموعد أو بيت الرب كالآتي:

١. من الجهة الشرقية:

- مخيم يهوذا، وإلى جانبه: يسّاكر، ثم زبولون، والمجموع: ١٨٦٤٠٠ مقاتلاً يرحلون في الطليعة^(١٤) بحسب راياتهم.

٢. من الجهة الجنوبية:

- مخيم راوبين، وإلى جانبه: شمعون، ثم جاد، والمجموع: ١٥١٤٥٠ مقاتلاً، ويرحلون بعد يهوذا^(١٥) بحسب راياتهم.

٣. من الجهة الغربية:

- مخيم أفرائيم، وإلى جانبه: منسى، ثم بنيامين، والمجموع: ١٠٨١٠٠ مقاتل، ويرحلون بعد راوبين^(١٦) بحسب راياتهم.

٤. من الجهة الشمالية:

- مخيم دان، وإلى جانبه: أشير، ثم نفتالي، والمجموع: ٥٢٤٠٠ مقاتل ويرحلون في الأخير بحسب راياتهم^(١٧).

(١١) م. ن. عد. ١: ٢٠-٤٦.

(١٢) م. ن. عد. ١: ٥٠. ومسكن الشهادة هو متابوت الشهادة الذي كانت فيه لوحة الشريعة الإلهية المسماة «شهادة» (العهد

العتيق، الحواشي، ص ٤). ويسمى أيضاً متابوت العهد (انظر: عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٩-٢١٠).

(١٣) م. ن. عد. ٢: ٢٨. وخيمة الموعد (أو خباء المحضر أو خيمة الاجتماع) هي الخيمة التي أقامها موسى في البرية لكي يسكن الله

فيها بين شعبه (خر ٢٥: ٨ و٩) ولذا سميت «المسكن» أو «مسكن الشهادة» إذ كانت تودع فيها ألواح التاموس والشهادة،

كما أطلق عليها اسم «بيت الرب» (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٥٢).

(١٤) العهد القديم، عد. ٢: ٩-٩.

(١٥) م. ن. عد. ٢: ١٠-١٦.

(١٦) م. ن. عد. ٢: ١٨-٢٤.

(١٧) م. ن. عد. ٢: ٢٥-٣١.

ويكون مخيم «اللاويين» في الوسط، حول خيمة الموعد حيث يرحلون معها «في وسط سائر المخيمات» أي بين راوبين وأقراثيم^(١٨).

وكان موسى وهارون قد أحصيا اللاويين فبلغوا ٢٢٢٧٢ ذكرا من ابن شهر فصاعدا^(١٩)، وقد وزعواهم بحسب عشائرتهم، حول خيمة الموعد على الشكل التالي:

١- من الجهة الغربية (وراء المسكن):

- عشيرتا جرشون، وعددهما ٧٥٠٠ ذكر، وتحرسان «مسكن الخيمة وغطاءها وستار باب خيمة الموعد وستائر الفناء، وستارة باب الفناء الذي حول المسكن وحول المذبح»^(٢٠).

٢- من الجهة الجنوبية (الجانب الجنوبي للمسكن):

- عشائر القهاتيين، وعددها ٨٦٠٠ ذكر، وتحرس «التابوت والمائدة والمنارة والمذابح وأمتعة المقدس التي يخدمون بها والحجاب وجميع لوازمه»^(٢١).

٣- من الجهة الشمالية (الجانب الشمالي للمسكن):

- عشيرتا مراري، وعددهما ٦٢٠٠ ذكر، وتحرسان «الواح المسكن وعوارضه وأعمدته وقواعده وجميع أمتعته ولوازمه، وأعمدة الفناء التي حواليه وقواعدها وأوتادها وحبالها»^(٢٢).

٤- من الجهة الشرقية (أمام المسكن، تجاه خيمة الموعد):

- موسى وهارون، وبنو هارون، ويحرسون المقدس «وأي غيرهم تقدم فليقتل»^(٢٣).

(١٨) م.ن. عدد: ١٧.

(١٩) م.ن. عدد: ٤٣.

(٢٠) م.ن. عدد: ٢٥-٢٦.

(٢١) م.ن. عدد: ٢٨-٣١.

(٢٢) م.ن. عدد: ٣٣-٣٧.

(٢٣) م.ن. عدد: ٢٨.

ولم يكتف موسى باحصاء نكور اللاويين جميعهم، بل أخصى القادرين منهم على الخدمة العسكرية «من ابن ثلاثين سنة فصاعدا الى ابن خمسين سنة.. كل من يدخل الجيش ليعمل في خيمة المועد»^(٢٤) فبلغوا ٨٥٨٠ رجلا، موزعين كما يلي:

- عشائر القهاتيين: ٢٧٥٠ رجلا.

- عشائر بني جرشون: ٢٦٢٠ رجلا.

- عشائر بني مراري: ٣٢٠٠ رجل^(٢٥).

ويبدو ان تعديدا طرا، فيما بعد، على خدمة اللاويين في خيمة المועد، اذ ابلغ الرب موسى، بصددهم، حكما جديدا جاء فيه: «هذا شأن اللاويين: من سن خمس وعشرين سنة فصاعدا يدخل اللاوي الجيش لخدمة خيمة المועد. ومن خمسين سنة يخرج من جيش الخدمة فلا يخدم بعد ذلك. ويساعد اخوته في خيمة المועد على حفظ الاحكام، ولكنه لا يتولى خدمة. هكذا ترسم في امر واجبات اللاويين»^(٢٦). وكانت اشارة الاقامة والارتحال لبني اسرائيل هي تلك الغمامة التي كانت تظلل «مسكن الشهادة» او «خيمة المועد»، يقيمون حيث حلت ويرتحلون خلفها الى حيث تنتقل^(٢٧). وكانت تشكل، في منظرها، فوق المسكن، غمامة في النهار ونارا في الليل^(٢٨)، واذا ارتحل الشعب، كان الرب يسير امامه «نهارا في عمود من غمام... وليلا في عمود من نار»^(٢٩).

رموز النداءات:

وكان لا بد من رموز يضعها موسى لكي يستطيع ان يجمع اليه شعبه او يدعو اليه رؤساء هذا الشعب او قادة الجيوش، او لينقل اليهم اشارة المسير، فصنع «بوقين من فضة» وحدد الرموز التالية:

(٢٤) م.ن.عد.٤: ٢٣ و٢٩ و٣٠ و٤٣.

(٢٥) م.ن.عد.٤: ٢٦ و٤٠ و٤٤.

(٢٦) م.ن.عد.٢٤: ٢٦.

(٢٧) م.ن.عد.١٧: ٩.

(٢٨) م.ن.عد.١٥: ١٦.

(٢٩) م.ن.خر.١٣: ٢١.

- ١- النفخ في البوقين: اجتماع الجماعة.
 - ٢- النفخ في أحدهما: اجتماع الرؤساء (رؤساء الألوف).
 - ٣- نفخة متاف أولى: رحيل الأسباط النازلة في الجهة الشرقية.
 - ٤- نفخة متاف ثانية: رحيل الأسباط النازلة في الجهة الجنوبية.
 - ٥- متاف الأبواق: نداء الحرب.
 - ٦- النفخ في الأبواق: للأفراح والأعياد.
- وقد عين الكهنة للنفخ في الأبواق، كما حدد اجتماع الجماعة (وكذلك الرؤساء) عند باب خيمة الموعد^(٢٠).

المسير من برية سين إلى برية فاران:

في العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر، رحل بنو إسرائيل من «برية سيناء» إلى «برية فاران» وساروا بالترتيب التالي:

- ١- راية مخيم يهوذا، في الطليعة، وخلفها:
 - جيش بني يهوذا، وعليه نحشون بن عميناداب.
 - جيش بني يساكر، وعليه نثنائيل بن هُوعر.
 - جيش بني زبولون، وعليه أليآب بن حيلون.
- ٢- ثم راية مخيم رأوبين، وخلفها:
 - جيش بني رأوبين، وعليه أليصور بن شديئور.
 - جيش بني شمعون، وعليه شكوموئيل بن صوريشدأي.
 - جيش بني جاد، وعليه ألياساف بن دعوئيل.
- ٣- ثم القهاتيون من اللاويين، وهم خدمة المسكن، في الوسط.

(٢٠) م.ن. عد. ١٠: ٢-١٠.

٤- ثم راية مخيم بني أفرائيم، وخلفها:

- جيش بني أفرائيم، وعليه اليشاماع بن عميئود.

- جيش بني منسى، وعليه جمليثيل بن قدهصور.

- جيش بني بنيامين، وعليه ابيدان بن جدعوني.

٥- ثم راية مخيم بني دان، في الساقة، وخلفها:

- جيش بني دان، وعليه احيعازر بن عميشداي.

- جيش بني أشير، وعليه فجعيثيل بن عكران.

- جيش بن نفتالي، وعليه أهيرع بن عينان^(٣١).

سار بنو اسرائيل، بالترتيب المذكور أعلاه، من «برية سين» فزلوا «بدفقة» ومنها الى «الوش» ثم «رفيديم»^(٣٢).. ويذكر «الدبس» ان رفيديم القديمة تقع في «وادي فيران»^(٣٣) وهذا ما لم يذكره أي مصدر آخر، الا اننا نميل الى الأخذ به، خصوصاً وان علماء البعثة الانكليزية (المار ذكرها آنفا) يرون الرأي نفسه^(٣٤).

ومن رفيديم انتقل بنو اسرائيل الى برية سيناء ومنها الى «قبروت هتاوه» (او قبور الشهوة)^(٣٥) فحصبوت حيث أقاموا هناك^(٣٦) فترة من الزمن انتقلوا بعدها الى «برية فاران» في «قادش»^(٣٧) حيث أرسل موسى جواسيس لاستكشاف ارض كنعان^(٣٨).

بعثة التجسس الى ارض كنعان: (أنظر الخارطة رقم ١).

ما ان وصل موسى الى برية فاران حتى أعد بعثة وأرسلها الى ارض كنعان للتجسس

(٣١) العهد القديم، عد ١٠: ١٤-٢٧.

(٣٢) حيث جرت المعركة بين العبرانيين والعمالقة.

(٣٣) المصدر السابق، ج ٢: ١٣٣، ووادي فيران تعني (محل الراحة). (م. ن. ج ٢: ١٣٣).

(٣٤) م. ن. ج ٢: ١٣٢.

(٣٥) سميت «قبور الشهوة» لان فيها مدافن العبرانيين الذين جاعوا واشتهوا اللحم فانزل الرب عليهم المن والسلوى ولكنه غضب عليهم فضر بهم «ضربة عظيمة جداً» (العهد القديم، عد ١١: ٣٣ و٣٤).

(٣٦) العهد القديم، عد ١١: ٣٥.

(٣٧) م. ن. ج ١: ١٣ و٢٧.

(٣٨) م. ن. ج ١٣: ١٣ و١٤.

والاستطلاع، وكانت هذه البعثة مؤلفة من رجل واحد من كل سبط من أسباط اسرائيل،
وهم:

- شمعون بن زكور من سبط راوبين.
- شافاط بن حوري من سبط شمعون.
- كالب بن يفتنا من سبط يهوذا.
- يجال بن يوسف من سبط يساكر.
- هوشع بن نون من سبط افرايم.
- قلاطي بن رافو من سبط بنيامين.
- جد ينيل بن سودي من سبط زبولون.
- هدي بن سوسي من سبط منسى.
- عميثيل بن جملي من سبط دان.
- ستور بن ميكائيل من سبط آشير.
- نحبي بن وفسي من سبط نفتالي.
- جاوئيل بن ماكير من سبط جاد.

وسمى عليهم هوشع بن نون (او يشوع)، رئيسا، ثم اوصاهم قائلا: «اصعدوا من
النقب، تصعدون من الجبل، فتراوا الارض، كيف هي؟

- والشعب المقيم بها، اقوي هو ام ضعيف؟ اقليل هو ام كثير؟
- وكيف الارض التي هو ساكنها، اجيده هي ام رديئة؟
- وما المدن التي هو ساكنها، امنخيمات هي ام حصون؟
- وكيف الارض، امخصبة ام عقيمة؟ افياها شجر ام لا؟
- وتشددوا، وخذوا من ثمرها» (٣٩).

(٣٩) م.ن. ١٢: ٢٠ و ١٧: ٢٠.

وكان الوقت صيفا، وكانت الايام «ايام بواكير العنب»^(٤٠)، فسارت البعثة «من برية صين الى رحوب عند مدخل حماة»^(٤١)، وصعدت من النقب الى «حبرون» حيث كانت هناك عشيرة تدعى «بني عناق»^(٤٢)، ثم هبطت البعثة الى «أشكول»، حيث قطعت عنقودا من عنب المحلة «مع شيء من الرمان والتين» وحملت في طريق عودتها الى حيث أنت، الى «برية فاران في قادش»^(٤٣) ودامت رحلتها اربعين يوما^(٤٤).

بنو اسرائيل في القية:

لما وصلت البعثة حيث هو موسى وأخوه هارون وشعب بني اسرائيل في «برية فاران» التقتهم وافادتهم بما رأوا في أرض كنعان، فقالت انها رأت أرضا تدرّ حقيقه «لبنا، حليبا وعسلا» وأرتهم ثمرها من عنب ورمّان وتين^(٤٥)، وقالت ان شعب هذه الأرض قوي ويسكن مدنا «محصنة عظيمة جدا»^(٤٦)، وان فيها:

- العمالقة، ويقطنون في جنوب البلاد.

- والحثيين واليبوسيين والاموريين، ويقطنون الجبال.

- والكنعانيين، ويقطنون ساحل البحر وعلى ضفة الأردن^(٤٧).

وقد انقسمت البعثة، في الرأي، الى قسمين: واحد يرى ان من السهل احتلال البلاد والتغلب على أهلها وامتلاكها، وكان كالب بن يفنا، مبعوث سبط يهوذا، ويشوع بن نون،

(٤٠) م. ن. عد ١٣: ٢٠.

(٤١) م. ن. عد ١٣: ٢١.

(٤٢) العهد القديم، عد ١٣: ٢٣. وبني عناق، قوم كانوا يسكنون جنوب فلسطين، بين القدس والخليل، قبل غزو العبرانيين لأرض كنعان (عيد الملك، المصدر السابق، ص ٦٤٢).

(٤٣) العهد القديم، عد ١٣: ٢٦.

(٤٤) م. ن. عد ١٣: ٢٥.

(٤٥) م. ن. عد ١٣: ٢٧.

(٤٦) م. ن. عد ١٣: ٢٨.

(٤٧) م. ن. عد ١٣: ٢٩.

مبعوث سبط أفرائيم، من هذا الرأي، أما الباقيون فكانوا يرون صعوبة ذلك معتبرين أن من الصعب التغلب على أهل تلك البلاد لأنهم «أقوى منا»^(٤٨) وأن هذه الأرض «تاكل أهلها» وأن أصحابها «جبابرة» وأن بني إسرائيل في عيونهم «كالجراد»^(٤٩). ولكن شعب بني إسرائيل رفض المغامرة، وأبى أن يخوض حرباً مع أهل تلك الأرض، خصوصاً بعد أن سمع من رجال البعثة مبلغ قوتهم وجبروتهم، وارتفعت أصوات الجماعة تقول لموسى وهارون: «يا ليتنا متنا في أرض مصر، يا ليتنا متنا في هذه البرية، لماذا أتى الرب بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ اليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر»، بل أنهم تنادوا لإقامة رئيس عليهم والعودة إلى مصر^(٥٠). وحاول موسى وهارون، وكالب ويشوع، اقناع الجماعة بخطأ رأيها، وبأن للرب سيقاتل مع بني إسرائيل وينصرهم، ولكن عبثاً حاولوا، فكان للقرار الخطير الذي اتخذته الرب بأفناء كل الجيل الذي خرج من مصر، من «ابن عشرين سنة فصاعداً»، باستثناء كالب ويشوع،^(٥١) وقضى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة... «بعدد الأيام التي استطلعت الأرض فيها، وهي أربعون يوماً، كل يوم بسنة تحملون أثامكم أربعين سنة فتعرفون عدائي»^(٥٢). وأما رجال البعثة الذين ثبطوا عزائم الجماعة وحرصوها على عدم القتال ورفض مشيئة الرب وعصيان موسى وهارون فقد ماتوا «بضربة أمام الرب»^(٥٣)، أما كالب بن يفنا ويشوع بن نون فقد بقيا^(٥٤)، وهكذا قضى على بني إسرائيل أن يتيهوا في البرية أربعين عاماً حتى يفنى الجيل الذي خرج من مصر مع موسى وهارون، ولا يدخل أرض كنعان إلا أطفال ذلك الجيل «الذين قتلتم أنهم يصيرون غنيمة، أيام أدخل الأرض التي رذلتموها، وهم سيعرفونها»^(٥٥) فظلوا طوال هذه الفترة كلها تائهين في برية سيناء وفاران «يترددون حوالى جبال السراة وأرض ساعير وأرض بلاد الكرك والشوبك»^(٥٦) وقد ضعدوا جبال العمالة والكنعانيين

(٤٨) م. ن. عد. ١٤: ٣٦.

(٤٩) م. ن. عد. ١٤: ٣٣-٣٢.

(٥٠) م. ن. عد. ١٤: ٤-٤.

(٥١) م. ن. عد. ١٤: ٢٩-٣٠.

(٥٢) م. ن. عد. ١٤: ٣٣-٣٤.

(٥٣) م. ن. عد. ١٤: ٣٧.

(٥٤) م. ن. عد. ١٤: ٣٨.

(٥٥) م. ن. عد. ١٤: ٣٩.

فقاتلهم العمالقة والكنعانيون وهزموهم، وحطموهم، وطاردوهم حتى «حرمة»^(٥٧) وقد مات في التيه من جاوز العشرين عاما، فلم يدخل أحد منهم أرض كنعان (انظر الخارطة رقم ١).

كان موسى قد سلك، للوصول الى برية فاران، طريق: قبور الشهوة (او قبور هتاوه) - حصيروت (او حضيروت) - عصيون جابر، حتى اذا ما وصل الى برية فاران، أرسل بعثة للتجسس الى أرض كنعان. وما ان عادت هذه البعثة من مهمتها، وبعد أربعين عاما من التيه، تابع موسى ارتحاله ببني اسرائيل، فاجتاز «برية فاران» الى «برية صين»، ووصل الى قادش التي تقع على تخوم البريتين، او ضمن حدود إحداهما^(٥٨).

وفي قادش ضرب موسى الصخرة بعصاه فتفجرت ماء سقى منها الشعب والبهائم، فغضب الرب عليه لأنه كان قد أمره ان يكلم الصخرة لكي تتفجر الماء منها، لا ان يضربها بالعصا (كما فعل في رفيديم)، وقرر الرب، لذلك، ان لا يدخل موسى وهارون هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتها آياها،^(٥٩).

تقع قادش على تخوم أدوم، مملكة الأدوميين التي تقع بين برية صين وأرض كنعان، لذا، أرسل موسى، من قادش، رسلا الى ملك أدوم يطلب منه اجازة للمرور في أرضه مع بني اسرائيل، ويعدده بان «لن نمر بحقل ولا كرم، ولن نشرب ماء بئر، لكننا نسير في طريق الملك، ولن نميل يمنة ولا يسرة الى ان نعبر حدودك»^(٦٠). ولكن ملك الأدوميين رفض طلب

(٥٦) ابن خلدون، تاريخه ج ٢: ١٦٢. وقد ورد في القرآن الكريم آيات تؤكد تيه بني اسرائيل في البرية طيلة أربعين عاما، كقوله تعالى: «قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين واننا لن نخشعنا حتى يخرجوا منها، فان يخرجوا منها فاننا داخلون»، وقوله: «قالوا يا موسى اننا لن نخشعنا ابدا ما دلموا فيها فنذهب انت وربك فقاتلا اننا ههنا قاعدون» قال رب اني لا املك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين، (المائدة ٢٣/٥ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦).

(٥٧) العهد القديم، عد ١٤: ٤٥.

(٥٨) ذكر العهد القديم ان قادش كانت تقع في البريتين: برية فاران (عد ٢٧: ١٣). وبرية صين (عد ١: ٢٠). وما، وذكر عبد الملك انها كانت ضمن حدود برية صين، «جزءا من برية فاران» او «حداء بين البريتين» (عبد الملك، المصدر السابق ص ٥٦٧). لذا، يصعب على الباحث ان يحدد الموقع الذي أرسل منه موسى بعثة التجسس هل أرسلها من «برية فاران» بعد وصوله الى عصيون جابر، ام انه أرسلها من قادش؟

وهل تقع قادش في برية صين ام بين البريتين؟

(٥٩) العهد القديم، عد ٢٠: ١٢.

موسى وهدده بالقتل ان هو فعل، مما اضطر موسى الى ان يتحول عن ذلك ويميل الى «جبل هور» عند تخوم أرض أدوم ايضا. وأمر الرب موسى ان يأخذ أخاه هارون الى قمة الجبل لكي «ينضم الى قومه ويموت هناك» ومات هارون عن مائة وثلاثة وعشرين عاما، ودفن على قمة جبل هور وبكى عليه جميع اهل اسرائيل ثلاثين يوما^(٦١).

موقعة عرّاد:

وكان ملك عرّاد، وهو كنعاني، قد علم بقدوم بني اسرائيل على طريق اتاريم واقتربهم من مملكته، فهب لمقاتلتهم، حيث قاتلهم، فهزموه وسبوا مدينته «عرّاد» وحرّموا (قتلوا) أهلها، وسموها «حرمة»^(٦٢).

وارتحل موسى، بعد ذلك، من جبل هور «على طريق بحر القصب» ليدور بشعبه «حول أرض أدوم»^(٦٣)، فسار الى «أوبوت» ومنها الى «عابي عياريم» تجاه مواب، ثم الى «وادي زارد» حيث خيم خلف أرنون، في البرية، خارج حدود الأموريين «لأن أرنون هي حدود مواب، بين مواب والأموري»^(٦٤). ومنها انتقل ببني اسرائيل الى «البثر» ثم الى «المثانة» فنحليثيل فباموت فرأس الفسجة «الذي يشرف على البرية»^(٦٥) على تخوم الأموريين.

وعندما وصل موسى الى «رأس الفسجة» أرسل رسلا الى سيحون ملك الأموريين يطلب منه اجازة للمرور في أرضه مع بني اسرائيل، ويعدّه بان «لا نميل الى حقل ولا كرم، ولا نشرب ماء بئر، وإنما نسير في طريق الملك الى ان نعبر حدودك»^(٦٦) ولكن سيحون رفض طلب موسى، بل انه خرج اليه وحاربه فانهمزم امام بني اسرائيل الذين ورثوا أرضه

(٦٠) العهد القديم، عد ١٧:٢٠.

(٦١) العهد القديم، عد ٢٦:٢٠ و٢٩.

(٦٢) العهد القديم، عد ٣:٢١.

(٦٣) م.ن. عد ٤:٢١.

(٦٤) م.ن. عد ١٠:٢١ و١٣.

(٦٥) العهد القديم، عد ٢١:٢١ و٢٠.

(٦٦) العهد القديم، عد ٢١:٢١ و٢٢.

«من أرنون إلى يَبُوق إلى بني عَمُون»^(٦٧) وكانت حدود بني عَمُون منيعة فلم يقترب منها موسى، بل اكتفى بأن أخذ مدن الأموريين، وأهمها عاصمتهم «حشبون» وجميع توابعها. وكان سيحون قد حارب الموابيين واستولى على أرضهم حتى أرنون، فألقت جميع هذه الأرض، بما فيها أرض مواب، إلى إسرائيل^(٦٨). ثم احتل بنو إسرائيل يعزير التي كانت لا تزال للأموريين^(٦٩) ثم سلكوا طريق باشان فتصدى لهم عوج، ملك باشان، مع قومه في أدرعي، فهزموه وملكوا أرضه^(٧٠).

ثم تقدموا بعدها إلى صحراء مواب «التي عبر أردن أريحا» فنزلوا فيها^(٧١)، وأقاموا لهم مخيما في «شطيّيم» في سهول مواب، حيث «أخذ الشعب يزني مع بنات مواب»^(٧٢). (انظر الخارطة رقم ١).

وفي شطيّيم، أمر الرب موسى بأن يجري إحصاء جديدا لبني إسرائيل «من ابن عشرين فصاعدا، على حسب بيوت آبائهم، كل من يخرج إلى القتال من إسرائيل»^(٧٣)، فأجرى موسى الإحصاء الثاني لبني إسرائيل، وساعده في ذلك الكاهن العازار، ابن أخيه هارون، فكان عدد رجال بني إسرائيل كما يلي:

أما اللاويون، خَدَمَةُ المسكن، فقد احصوا الذكور منهم «كل ذكر من ابن شهر فصاعدا» فكان عددهم ٢٣ ألف ذكر^(٧٤). «أولئك محصو موسى والعازار الكاهن اللذين أحصيا بني إسرائيل في عربة مواب على أردن أريحا، ولم يكن فيهم أحد ممن أحصاهم موسى وهارون الكاهن حين أحصيا بني إسرائيل في بركة سيناء، لأن الرب قال أنهم يموتون في البرية، فلم يبق منهم أحد إلا كالب بن يَفَنَّا ويشوع بن نون»^(٧٥).

(٦٧) م. ن. عد ٢١: ٢٢ - ٢٤.

(٦٨) العهد القديم، عد ٢١: ٢٤ - ٢٦.

(٦٩) العهد القديم، عد ٢١: ٢٢.

(٧٠) العهد القديم، عد ٢١: ٢٣ - ٢٥.

(٧١) العهد القديم، عد ٢٢: ١.

(٧٢) العهد القديم، عد ٢٥: ١.

(٧٣) العهد القديم، عد ٢٦: ٢.

(٧٤) م. ن. عد ٢٦: ٦٢.

(٧٥) م. ن. عد ٢٦: ٦٣ - ٦٥.

العدد (من ابن عشرين سنة فصاعدا)	السيط
٤٢٧٢٠	١- راوبين
٢٢٢٠٠	٢- شمعون
٤٠٥٠٠	٣- جاد
٧٦٥٠٠	٤- يهوذا
٦٤٢٠٠	٥- يساكر
٦٠٥٠٠	٦- زبولون
٥٢٧٠٠	٧- منسى
٣٢٥٠٠	٨- افرايم
٤٥٦٠٠	٩- بنيامين
٦٤٤٠٠	١٠- دان
٥٣٤٠٠	١١- اشير
٤٥٤٠٠	١٢- نفتالي
٦٠١٧٢٠ رجال (٧٦)	

(جدول رقم ٢)

غزو مدين:

اعد موسى جيشا من ١٢ ألف مقاتل، ألفاً من كل سبط، لقتال مدين. وأمر عليه فنحاس ابن الكاهن العازار، وسار هذا الجيش الى مدين فقاتل المدينيين وهزمهم وقتل بهم فتكا ذريعا، اذ انه:

- قتل كل ذكر فيهم.

- وقتل ملوكهم الخمسة (أوي وراقم وصور وخور ورابع).

- وسبى نساءهم وأطفالهم.

- وغنم بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم.

- وأحرق مساكنهم وقصورهم (٧٧).

(٧٦) م.ن. عد. ٢٦: ٥١-٥٩.

(٧٧) م.ن. عد. ٣١: ١٠-١٢.

ولما عاد الجيش منتصرا، الى قواعده في صحراء مواب (على اردن اريحا)، غضب موسى على قاداته «رؤساء الالوف ورؤساء المعنات القادمين من قتال الحرب»^(٧٨) لانهم استبقوا الاناث كلهن، وأمرهم ان «اقتلوا كل ذكر من الاطفال، واقتلوا كل امرأة عرفت مضاجعة رجل. واما اناث الاطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم»^(٧٩).

احصاء غنائم الحرب: وأحصيت غنائم حرب موسى مع المدنيين فكانت كما يلي:

- من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال ٣٢٠٠٠ انثى
- من الغنم ٦٧٥٠٠٠ رأس
- من البقر ٧٢٠٠٠ رأس
- من الحمير ٦١٠٠٠ رأس^(٨٠).

توزيع غنائم الحرب:

القاعدة: تقسم الغنائم بين «أهل الحرب الذين خرجوا للقتال، وسائر الجماعة» ثم يؤخذ من «أهل الحرب الذين خرجوا للقتال، رأس واحد من كل خمسمئة من البشر والبقر والحمير والغنم» وذلك يؤخذ وضيعة للرب ويسلم للكهنة العازار. ثم يؤخذ من سائر الجماعة «من قسمة بني اسرائيل، واحد من خمسين من البشر والبقر والغنم والحمير وسائر البهائم» وتعطى للاويين «المسؤولين عن مسكن الرب»^(٨١). فكان توزيع هذه الغنائم على الشكل التالي:

(٧٨) م.ن. عد ٣١: ١٤-١٣.

(٧٩) م.ن. عد ٣١: ١٥ و ١٧ و ١٨.

(٨٠) م.ن. عد ٣١: ٣٢-٣٥.

(٨١) م.ن. عد ٣١: ٢٧-٣٠. وقارن مع الآية للكرية: «وَعَلَّمُوا ابْنِ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ لَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (الانفال ٨ / ٤١)». واما الاخمس الاربعه الباقية فتوزع على الثمانين، أي المقاتلين، بنسبة سهم للراجل وسهمين للفراس (عند ابي حنيفة) او ثلاثة (عند الشافعي). راجع كتابنا (الفن العسكري الاسلامي، اصوله ومصادره، ص ٥٤).

أ - حصّة المحاربين	العدد	ضريبة الرب
- من البشر (أي النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال)	١٦٠٠٠ نفس	٣٢ نفساً
- من الغنم	٣٣٧٥٠٠ رأس	٦٧٥ رأساً
- من البقر	٣٦٠٠٠ رأس	٧٢ رأساً
- من الحمير	٣٠٥٠٠ رأس	٦١ رأساً (٨٢).

ب - حصّة سائر الجماعة (بني اسرائيل):	العدد	حصّة اللاويين (١ / ٥٠)
- من البشر	١٦٠٠٠ نفس	٣٢٠ نفساً
- من الغنم	٣٣٧٥٠٠ رأس	٦٧٥٠ رأساً
- من البقر	٣٦٠٠٠ رأس	٧٢٠ رأساً
- من الحمير	٣٠٥٠٠ رأس (٨٣)	٦١٠ رؤوس

ج - قدّم قادة الجيش رؤساء الألوف ورؤساء للمئات ما غنموا من ذهب «من حِجْلٍ وسوار وخاتم وقرط وقلادة، قرباناً للرب، فكان جملة ما قدموه: ١٦٧٥٠ مثقالاً، اما ما غنمه اهل الحرب (من الجند) فقد بقي لهم (٨٤).

خسائر بني اسرائيل: لا شيء، ولم يفقد منا رجل (٨٥).

قضى بنو اسرائيل، في التيه أربعين عاماً، بين «برية فاران» و«صحراء مواب». ولم يبق، بعد هذه الفترة، من أولئك الذين عبروا البحر من مصر الى سيناء سوى اثنين هما

(٨٢) العهد القديم، عد ٣٦: ٣٦ - ٤٠.

(٨٣) م. ن. عد ٤٣: ٣١ - ٤٧.

(٨٤) م. ن. عد ٥٠: ٣٦ - ٥٣. والحِجْل، الخطلال، والمتقال، في اصطلاح الصاغة، درهم ونصف.

(٨٥) م. ن. عد ٤٩: ٣١.

كالب بن يَفْنَا ويشوع بن نون، حتى ان هارون قضى على جبل هور «في السنة الاربعين لخروج بني اسرائيل من ارض مصر، في الشهر الخامس، في اليوم الاول منه. وكان هارون ابن مئة وثلاث وعشرين سنة»^(٨٦) وتبعه بعد ذلك بقليل، موسى نفسه، حيث قضى على جبل «العباريم» او «نبو» قبل العبور الى ارض كنعان^(٨٧) لأن للرب قضى ان يقود بني اسرائيل الى تلك الأرض خليفة موسى «يشوع بن نون»، متهما هارون وموسى بالتقصير في تنفيذ أوامره، وبأنهما لم يؤمنا به ولم يقدساها «على عيون بني اسرائيل» لذلك حرمهما من دخول الأرض التي أعطاهما لشعبهم^(٨٨).

(٨٦) م.ن. عد ٢٢: ٢٨ و ٢٩.

(٨٧) هل مات موسى قتلا على يد شعبه؟ هنا ما اكتشفه J. سيلين E. Sellin الذي يرى ان اليهود «ثاروا عليه ثلث يوم، فقتلوه وتخلوا عن ديانة آتون التي كان قد فرضها عليهم» P. (Freud, Sigmund, L'Homme Moïse et la religion monothéiste)

142.

(٨٨) م.ن. عد ٢٠: ١٢.

الفصل الثالث

العبور الى أرض كنعان

أوامر العبور:

كان بنو اسرائيل في «عربة مواب على اردن اريحا» عندما تلقى موسى، من ربه، أوامر العبور (دون ان يكون له الحق بان يعبر بنفسه الى أرض كنعان، بل هو سوف يموت قبل دخولها)، وكانت تلك الأوامر كما يلي:

«كلم بني اسرائيل وقل لهم: انا انتم عبرتم الاردن الى ارض كنعان،

«فطرستم سكان تلك الارض من وجهكم، تزيلون جميع منقوشاتهم وأصنامهم المسبوكة، وتكون مشارفهم.

«وتملكون الأرض وتقيمون بها، فاني قد أعطيتكم اياها.

«ترثون الأرض بالقرعة على حسب عشائركم، الكثير تكثرون له ميراثه، والقليل تقللون له ميراثه، وحيث تقع القرعة على أحدكم، فليكن له، على حساب أسباط آبائكم تتقاسمون ميراثكم.

«وان لم تطردوا سكان تلك الأرض من وجهكم، كان من ثبقون منهم كإبرة في عيونكم وكمهامز في جوانبكم، وهم يضايقونكم في الأرض التي انتم قِيمون فيها، فيكون اني كما نويت ان أصنع بهم أصنع بكم»^(١). وخلاصة هذه الأوامر، ما يلي:

(١) العهد القديم، عد ٣٢: ٥٠-٥٦.

١- اغتصاب الأرض، واحتلالها بالقوة.

٢- وطرد جميع أهلها وابادتهم وتهديم أملاكهم ومعبوداتهم.

٣- وامتلاكها مع توارثها جيلا بعد جيل.

٤- وتقسيمها بين أسباط بني اسرائيل بالقرعة، للكثير كثير، وللقليل قليل.

٥- وعدم الابقاء على أحد من أهل الأرض فيها، تحت طائلة انزال العقاب نفسه بالباقيين منهم، وببني اسرائيل معا.

حدود أرض الميعاد:

يحد هذه الأرض:

- جنوبا، من بركة صين، جانب أدوم، من بحر الملح (البحر الميت) شرقا، ثم يستدير حتى جنوب عقبة العقارب فصين فقادش برنيع فحصر أكر فعصمون، ثم من عصمون الى وادي مصر (أو وادي العريش) فالبحر الكبير (المتوسط).

- غربا، البحر الكبير (البحر المتوسط).

- شمالا، من البحر الكبير حتى جبل هور، فمدخل حماة، فصدد، فزفرون، فحصر عينان.

- شرقا، من حصر عينان حتى شاقام فهرَبلة (شرق العين) فبحر كنّارة (بحيرة طبريا)، فنهر الأردن، فبحر الملح (البحر الميت)^(٢). (انظر الخارطة رقم ٢).

(٢) م. ن. عد ٢٤-١٢. وجبل هور: جبل يقع شمال جبيل في لبنان حاليا. (العهد القديم، ص ٢٤٤ حاشية ٢ وعبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٠٥ و 51 Map 47. Ahanni, the Macmillan Bible Atlas, P. 47). وهو غير جبل هور الواقع شمال شرقي قادش برنيع والمسمى جبيل مديرة، حيث مات هارون. وانظر لحدود أرض الميعاد، كذلك: سفر حزقيال ١٣٠٤٧.

خارطة رقم ٢: حدود أرض الميعاد والشعوب التي تقطنها



توزيع ارض الميعاد على أسباط بني اسرائيل:

(١) - سبطا جاد ورأوبين ونصف سبط منسى بن يوسف:

١- سبطا جاد ورأوبين: يأخذان مملكة سيحون (ملك الأموريين) ومملكة عوج (ملك باشان)^(٣)، وهذه وتلك تقع عبر الأردن شرقا.

ب - ماكير بن منسى ويائير بن منسى: يأخذان جلعاد ومزارعها من ارض الأموريين^(٤) وتقع كذلك عبر الأردن شرقا. وقد اشترط موسى، لذلك، ان يبقى النساء والأطفال والمواشي في الارض «في مدن جلعاد»، بينما «يعبر منهم (الأردن) كل مجهز للقتال أمام الرب»^(٥).

(٢) - باقي الاسباط، وهم تسعة أسباط ونصف السبط:

لهم ارض كنعان التي سبق أن جرى تحديدها، ويأخذون فيها ميراثا «بالقرعة»^(٦).

(٣) - اللاويون، ويأخذون من ميراث بني اسرائيل «مدنا يسكنونها»، ومراعي للمدن من حولها بحيث «تكون المدن مساكن لهم ومراعيها لبهائمهم وخيراتهم وجميع حيواناتهم»^(٧). أما عدد المدن التي تعطى لللاويين فهو ٤٨ مدينة، منها ٦ مدن تكون «مدن ملجأ تعطونها ليهرب اليها القاتل»^(٨) الذي «قتل نفسا سهوا.. حتى يقف أمام الجماعة للمحاكمة»^(٩). ويحدد موسى، بعد ذلك، لبني اسرائيل، احكام مقاضاة القاتل اللاجئ الى هذه المدن والعقوبات المحددة لكل حالة^(١٠).

(٣) المهد القديم، عد ٣٢: ٣٢ ووادي مصر مو وادي العريش. على الحدود بين مصر وفلسطين (م.ن. ص ٢٤٤ حاشية ٢).

(٤) م.ن. عد ٣٢: ٣٩-٤١.

(٥) م.ن. عد ٣٢: ٣٦-٣٧.

(٦) م.ن. عد ٣٤: ١٣.

(٧) م.ن. عد ٣٥: ٢٠.

(٨) م.ن. عد ٣٥: ٦.

(٩) م.ن. عد ٣٥: ١١-١٢.

(١٠) م.ن. عد ٣٥: ١٥-٢٤.

وصايا الرب لبني اسرائيل قبل دخولهم ارض كنعان:

تلقى موسى، قبل موته، وصايا الرب التي أمره ان ينقلها لبني اسرائيل، فنقلها اليه كاملة قبل موته. وقد أوصى الرب «اسرائيل»، قبل دخوله ارض كنعان، بما يلي: انك سوف تدخل «مدنا عظيمة حسنة لم تبناها، وبيوتا مملوءة كل خير لم تملأها، وآبارا محفورة لم تحفرها، وكروما وزيتونا لم تفرسها»^(١١) فانذا دخلت تلك الأرض، وهي ارض «الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع أمم أعظم وأكثر منك»^(١٢)، وانذا ما تمكنت منهم وهزمتهم، بارادة الرب إلهك، فحرّمهم تحرّما، لا تقطع معهم عهدا ولا تراف بهم، ولا تصاهرهم^(١٣) وسوف «تفترس جميع الشعوب التي يسلمها اليك الرب إلهك، فلا تعطف عينك عليها»^(١٤).

وتزداد حماسة الرب تجاه «اسرائيل» فينبئه انه سيجتاز الاردن لكي يطرد «أمم أعظم وأقوى» منه، ويمتلك مدنها وهي «عظيمة ومحصنة الى السماء»^(١٥). وان الرب إلهه سوف يعبر أمامه «كنار اكلة، هو يبيدهم وهو يذلهم» أمامه، وان «اسرائيل» سوف يطرد تلك الامم ويبيدها^(١٦).

ويكون الرب كريما جدا مع بني اسرائيل حين ينبئهم انه سوف يطرد من أمامهم جميع الامم التي ذكرها لهم، وانه «كل مكان تطأه أقدامكم انطلاقا من البرية يكون لكم، ولبنان؛ من النهر، نهر الفرات، الى البحر الغربي، تكون حدودكم. لا يقف انسان في وجوهكم....»^(١٧)، وهكذا نرى رب بني اسرائيل يصبر على ان يهبهم أرضا ليست لهم،

(١١) م.ن. تث ١٠: ١١-١١.

(١٢) م.ن. تث ٧: ١.

(١٣) م.ن. تث ٧: ٢.

(١٤) م.ن. تث ٧: ١٦.

(١٥) م.ن. تث ٩: ١.

(١٦) م.ن. تث ٩: ٣.

(١٧) م.ن. تث ١١-٢٢-٢٥ وقد ورد النص بالفرنسية كما يلي: "Tous les endroits où vous poserez le pied seront à vous; Votre pays s'étendra du désert au sud jusqu'aux montagnes du Liban, au nord, et de l'Euphrate, le grand fleuve, à l'est, jusqu'à la mer méditerranéenne à l'ouest. Personne ne pourra vous résister". (Deutéronome 11: 24-25) وتعمريه: كل الاماكن التي تخضعون فيها أقدامكم تصبح لكم: تمتد بلادكم من الصحراء، جنوبا، حتى جبال لبنان شمالا، ومن الفرات، النهر الكبير، شرقا، حتى البحر المتوسط غربا. لا يستطيع امرؤ ان يقاومكم.

ارضا تقطنها عدة أمم قبلهم، ويعاينهم على ان يطرد تلك الأمم من وجوههم وان ينصرهم عليها.

مبادئ عامة في الحرب:

ويحدد رب بني اسرائيل لشعب اسرائيل مبادئ عامة عليه ان يتقيد بها في الحرب، ومن هذه المبادئ:

— عدم الخوف من كثرة جيوش الاعداء ومراكبهم وخيلهم، وان كانوا اكثر منه عددا وعدة، فالرب هو الذي ينصره على تلك الجيوش رغم كثرتها^(١٨).

— عند الاستعداد للحرب، يقوم الكاهن بوظيفة الواعظ الذي يشجع الشعب على القتال وعدم الخوف، لان الرب سوف يسير للحرب معه بل سيقاقل عنه وينقذه^(١٩).

— ثم يقوم الكتبة بتحديد الفئات التي تعفى من الاشتراك بالحرب وهي:

أ- من بنى بيتا جديدا ولم يدشنه «كيلا يموت في الحرب فيدشنه رجل آخر».

ب- من غرس كرما ولم يأكل باكورته كيلا يموت في الحرب فيأكل رجل آخر باكورته.

ج- من خطب امرأة ولم يأخذها لثلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر.

د- من كان خائفا ضعيفا للقلب لثلا يذيب قلوب اخوته كقلبه^(٢٠).

— عند الانتهاء من ذلك، يعين الكتبة قادة الجيش، ويوصونهم بما يلي:

— اذا تقدمتم لقتال مدينة بعيدة وليست من مدن الأمم الموجودة في أرض كنعان

فادعوها الى السلم اولا، فان استسلمت، فسخروا كل اهلها لخدمتكم، وان لم تستجب

لدعوتكم وحاربتم، فحاصروها حتى تستسلم، ثم اضربوا «كل ذكر» فيها «بحد السيف».

وهأما النساء والاطفال والبهائم وجميع ما في المدينة فهو غنيمة لكم^(٢١). اما اذا كانت من

(١٨) م. ن. تث. ٢٠: ١.

(١٩) م. ن. تث. ٢٠: ٤.

(٢٠) م. ن. تث. ٢٠: ٥-٨ وبكورة الكرم: لول فلكية له.

(٢١) م. ن. تث. ٢٠: ٩-١٥.

مدن الأرض التي أورثكم إلهكم آياها، فلا تستبقوا منها نسمة، بل حرّموهم تحريماً: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمركم الرب إلهكم^(٢٢).

— إذا حاصرتُم مدينة لكي تفتحوها فلا تقطعوا شجرها إذا كان مثمراً، أما إذا لم يكن كذلك فاقطعوه وابنوا من أخشابهِ «آلات الحصار على المدينة» التي تحاربكم حتى تسقط^(٢٣).

— إذا خرجتم لقتال أعدائكم فهزمتوهم وسبيتم منهم سبياً، وكان في السبي امرأة جميلة فاتخذها أحدكم زوجة له، فعليها، حين تدخل بيته، أن «تخلق رأسها وتقليم أظفارها، وتنزع ثياب أسرها عنها» ثم تقيم في بيت زوجها حيث «تبكي أباهاً وأمها شهراً» ثم يدخل عليها بعد ذلك، أما إذا لم يردّها فليطلقها «حرة»، لا يبيعها ولا يظلمها^(٢٤).

— إذا خرجتم لقتال أعدائكم فاحتفظوا «من كل أمر سيء»: من كان منكم غير طاهر فليغتسل «عند اقتراب المساء»^(٢٥).

— إذا اتخذ أحدكم زوجة له ولم يمر على زواجه منها سنة واحدة «لا يفرج في الجيش، ولا يحمل عبئاً ما، بل ليتفرغ لبيته سنة واحدة يسرّ امرأته التي اتخذها»^(٢٦).

— ولا يفتأ رب بني إسرائيل يشجعهم على القتال والحرب ومواجهة الأعداء، فهو يوصيهم أن «تشددوا وتشجعوا ولا تخافوا ولا ترتعدوا أمامهم»، فإن الرب إلهكم سائر معكم، لا يهملكم ولا يترككم^(٢٧).

موت موسى وخلافة يشوع:

بعد أن بلغ موسى وصايا ربه إلى بني إسرائيل في صحراء موآب صعد إلى جبل

(٢٢) م.ن. تث. ٢٠: ١٦ و ١٧.

(٢٣) م.ن. تث. ٢٠: ١٩ و ٢٠.

(٢٤) م.ن. تث. ٢١: ١٠ و ١٤.

(٢٥) م.ن. تث. ٢٢: ١٠ و ١٢.

(٢٦) م.ن. تث. ٢٤: ٥.

(٢٧) م.ن. تث. ٣١: ٦.

«نبوء»، الى قمة «الفِصْجَة» تجاه أريحا، حيث أراه الرب «الأرض كلها، من جلعاد الى دان. ونفتالي كلها، أرض أفرائيم ومنسى، وأرض يهوذا كلها، الى البحر الغربي» كما أراه «النقب وناحية وادي أريحا، مدينة النخل، الى صوعه»^(٢٨)، ثم أمره الرب ان ينضم الى أهله، أخيه هارون، فمات موسى عن مائة وعشرين عاما، «لم يكلّ بصره ولم تذهب نضرتة»^(٢٩)، ودفن في الوادي «في أرض مواب تجاه بيت فغور، ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا»^(٣٠) وبكاء بنو اسرائيل «ثلاثين يوما»، وخلفه «يشوع بن نون» على بني اسرائيل^(٣١). وقد أكد الرب تأييده ليشوع، كخلف لموسى في قيادة بني اسرائيل بقوله له «لا يقف أحد أمامك طول أيام حياتك. كما كنت مع موسى أكون معك، لا أهملك ولا أتركك»^(٣٢).

الاستعداد للعبور:

ما ان تسلم يشوع قيادة بني اسرائيل خلفا لموسى، حتى بدأ يعدّهم لعبور الاردن باتجاه أرض كنعان، فدعا اليه «كتبة الشعب» وأمرهم بأن ينادوا الناس ويدعوهم للاستعداد والتجهّز، فيعدّ كل واحد منهم زادا لكي يعبر، وسيكون العبور «بعد ثلاثة أيام»^(٣٣). ثم أمر «الراوبيينين والجاديين ونصف سبط منسى» أن يتركوا نساءهم وأطفالهم ومواشيهم في الأرض التي أعطاهم موسى أياها «في عبر الاردن»، وأن يعبر «كل محارب بأسل» منهم، وهو مسلح، مع أخوته من بني اسرائيل، الى أرض كنعان لكي يساعدهم، ثم «ترجعون الى أرض ميراثكم»^(٣٤).

(٢٨) م.ن. تث ٣٤: ٢-٣.

(٢٩) العهد القديم، تث ٣٤: ٧-٥. وقد ورد في مكان آخر من العهد القديم أن الرب أمر موسى أن يصعد الى «جبل العباريم» حيث ينضم هناك الى أجداده. كما فعل هارون أخوه موفعل موسى كما أمره الرب (م.ن. عد ٢٧: ١٢ و ١٣ و ٢٢).

(٣٠) العهد القديم، تث ٣٤: ٦. وانظر رايلا سيلين "E. Sillim". بأن اليهود قتلوا موسى بعد أن شغلوا عن ديانة آتون التي كان قد فرضها عليهم. (Freud, S. L. "l'homme Moïse et la religion monothéiste", p. 142).

(٣١) العهد القديم، تث ٣٤: ٨-٩.

(٣٢) م.ن. يش ١: ٥.

(٣٣) م.ن. يش ١: ١٠-١١.

(٣٤) م.ن. يش ١: ١٢-١٥.

البعثة الثانية للتجسس على أرض كنعان:

ثم أعد يشوع بعثة للتجسس على أرض كنعان، هي الثانية بعد تلك التي بعثها موسى من قادش في بادية فاران. وكانت هذه البعثة مؤلفة من رجلين انطلقا من «شطيّيم» إلى أريحا، لكي يتجسسا أمر المدينة قبل أن يقدم يشوع على مهاجمتها^(٢٥).

انطلق الرجلان من «شطيّيم» ليلا، فعبرا النهر ووصلا إلى أريحا حيث استضافتهما امرأة بغية تدعى «راحاب» فباتا عندها طيلة الليل، وعلم الرجلان من المرأة أن أهل الأرض قد علموا بأن الرب أعطى بني إسرائيل تلك الأرض وأن رعبا قد حل بهم من جراء ذلك، وأن «جميع سكان الأرض، قد انحلّوا أمام بني إسرائيل. كما أنبأهم بأن أهل تلك الأرض قد علموا بما جرى لفرعون وجيشه عند بحر القصب على يد موسى، وكيف أن البحر قد انشق لكي يمر العبرانيون ثم أطبق على فرعون وجيشه فاغرقهم، وبما جرى لملكي الأموريين (سيحون وعوج) وجيشيهما وشعبيهما على يد بني إسرائيل، وقالت لهما: «سمعنا فذابت قلوبنا ولم يبق في أحد روح أمامكم»^(٢٦) معبرة بذلك عن الهلع والخوف الذي أصاب سكان تلك الأرض من جراء تلك الأنباء. ويبدو أن ملك أريحا ورجاله علموا بأمر الجاسوسين، فقصدوا منزل راحاب وطلبوا منها تسليمهما فقامت بتهدئتهما ليلا، فعادا إلى شطيّيم، عبر الأردن، ليقصا على يشوع ما سمعاه من البغية راحاب^(٢٧)، مما جعله يطمئن إلى سهولة فتح أريحا وبلاد كنعان. ثم أمر الشعب بالتجهّز والاستعداد للرحيل، ورحل من شطيّيم حتى نزل على الضفة الشرقية للأردن استعدادا للعبور^(٢٨).

العبور:

أمر يشوع «كتبة الشعب» قبيل العبور بأن يجولوا في المحلة وينبثوا الناس أن وقت العبور قد حان، وأن ما عليهم إلا أن ينتظروا ارتفاع «تابوت عهد الرب» على أكتاف كهنته «اللاويين» لكي يرحلوا خلفه ويتبعوه، على أن يسيروا على مسافة ألفي ذراع منه،

(٢٥) م.ن. يش ١: ٢-٩.

(٢٦) العهد القديم، يش ١: ١١-١٠.

(٢٧) م.ن. يش ٢: ١٦-١٧.

(٢٨) م.ن. يش ٢: ١.

«لتعرفوا الطريق التي تسيرون فيها، لأنكم لم تسلكوها بالأمس فما قبل»^(٣٩). كما أمر الأسباط الاثني عشر أن يختار كل سبط منهم رجلا واحدا يرفع على كتفه حجرا واحدا ويعبر «قدام تابوت الرب..... إلى وسط الأردن» ليقيموا من هذه الحجارة نصبا عند أقدام الكهنة، حاملي التابوت، في وسط الأردن^(٤٠). وفي الوقت المحدد، أمر يشوع الكهنة اللاويين بأن ينطلقوا نحو الأردن حاملين التابوت، ثم قال لهم: «إذا وصلتم إلى ضفة مياه الأردن فقفوا في الأردن»^(٤١)، مدلا بذلك على قدرته على خوض نهر الأردن بشعبه رغم أن «الأردن طافح، من جميع شطوطه، كل أيام الحصاد»^(٤٢). وسار الناس وراء الكهنة، حاملي التابوت، لكي يعبروا الأردن خلفه، وعبر بنو روبين وبنو جاد ونصف سبط منسى مسلحين، وهم أربعون ألف مقاتل، «قدام بني اسرائيل» وعبر الشعب خلفهم^(٤٣).

وما أن وصل الكهنة، حاملو التابوت، إلى وسط مياه الأردن حتى «وقف الماء المنحدر من عالية النهر، وقام كتلة واحدة، على مسافة كبيرة عند مدينة ادم، بالقرب من صرتان، والماء المنحدر إلى بحر عربة، بحر الملح، انقطع تماما، وعبر الشعب قبالة أريحا»^(٤٤).

وبينما كان حملة التابوت واقفين «على اليبس في وسط الأردن، راسخين» كان بنو اسرائيل يعبرون الأردن «على اليبس» كذلك، إلى الضفة المقابلة، وبقي الأمر على هذه الحال «حتى انتهت الأمة كلها من عبور الأردن»^(٤٥).

وأمر يشوع الاثني عشر رجلا الذين سبق أن اختارهم الأسباط، قبل العبور، أن يقيموا في «وسط الأردن» عند «موقف أرجل الكهنة» حاملي تابوت العهد، نصبا من «اثني عشر حجرا» بعدد أسباط بني اسرائيل «ليكون ذلك علامة في وسطكم»^(٤٦)، ولتكون هذه الحجارة «ذكرا لبني اسرائيل للأبد»^(٤٧).

(٤٠) م.ن. يش ٣: ١٢ ويش ٤: ٤ و٥.

(٤١) م.ن. يش ٣: ٨.

(٤٢) م.ن. يش ٣: ١٥.

(٤٣) م.ن. يش ٤: ١٢ و١٣.

(٤٤) م.ن. يش ٣: ١٦.

(٤٥) م.ن. يش ٣: ٧ وردت في النص الفرنسي ممثلة بلغة الناس كلهم للضفة الأخرى *Jusqu'à ce que tout le monde ait atteint l'autre rive (La Bible, Josué 4: 17)*.

(٤٦) م.ن. يش ٤: ٦-١.

(٤٧) م.ن. يش ٤: ٧.

ثم أمر يشوع الأسباط الاثني عشر ان يختار كل سبط منهم رجلا واحدا يرفع حجرا واحدا من «وسط الأردن من موقف أرجل الكهنة»^(٤٨) وينقله الى الضفة المقابلة، الى «الجلجال» في صحراء أريحا.

وما ان انتهى الشعب من العبور، وخرج الكهنة، حاملو التابوت، من وسط الأردن وانتقلوا الى الضفة المقابلة للنهر حتى عانت مياه الأردن كما كانت «وجرت كما كانت تجري من أمس فما قبل على جميع شطوطه»^(٤٩). وقد تم عبور بني اسرائيل للأردن «في اليوم العاشر من الشهر الأول، فخيّموا في الجلجال، في الحدود الشرقية من أريحا»^(٥٠). أما يشوع فقد أقام من الاثني عشر حجرا التي أخذها من وسط النهر نصبا تذكاريًا للعبور، أقامه في مكان يدعى «الجلجال»^(٥١). (انظر الخارطة رقم ٢).

ماذا عن الأسطورة؟

يبدو لنا، من مراجعة العهد القديم، ان النزعة الاسطورية تطفئ، على معظم أحداثه، وخصوصا العسكرية منها، مما يبعث على الشك في صحة تلك الأحداث، وعدم تصديق مجرياتها لتنافيها مع المنطق والمعقول. ومن أهم الأحداث الاسطورية في العهد القديم الحدث الذي نحن بصددده، وهو ان تقف للماء في مجرى الأردن لكي يمر شعب بني اسرائيل على اليابسة، ثم تعود فتلتئم وتجري مجراها الطبيعي.

ان دراسة بسيطة لجغرافية الأرض التي يجري فيها الأردن، وفي الموقع الذي يحتمل ان يكون العبرانيون قد اجتازوا النهر منه، أي ما بين شرق أريحا وبحر الملح (أي البحر الميت) وفي وقت الحصاد، وقت الصيف، وهو الزمن الذي جرى العبور فيه، حيث تكون ماء النهر ضحلة ان لم تكن جافة. ان مثل هذه الدراسة تجعلنا نشك في صحة حصول المعجزة ان لم ننفيها على الاطلاق.

(٤٨) م.ن. يش ٤: ٣.

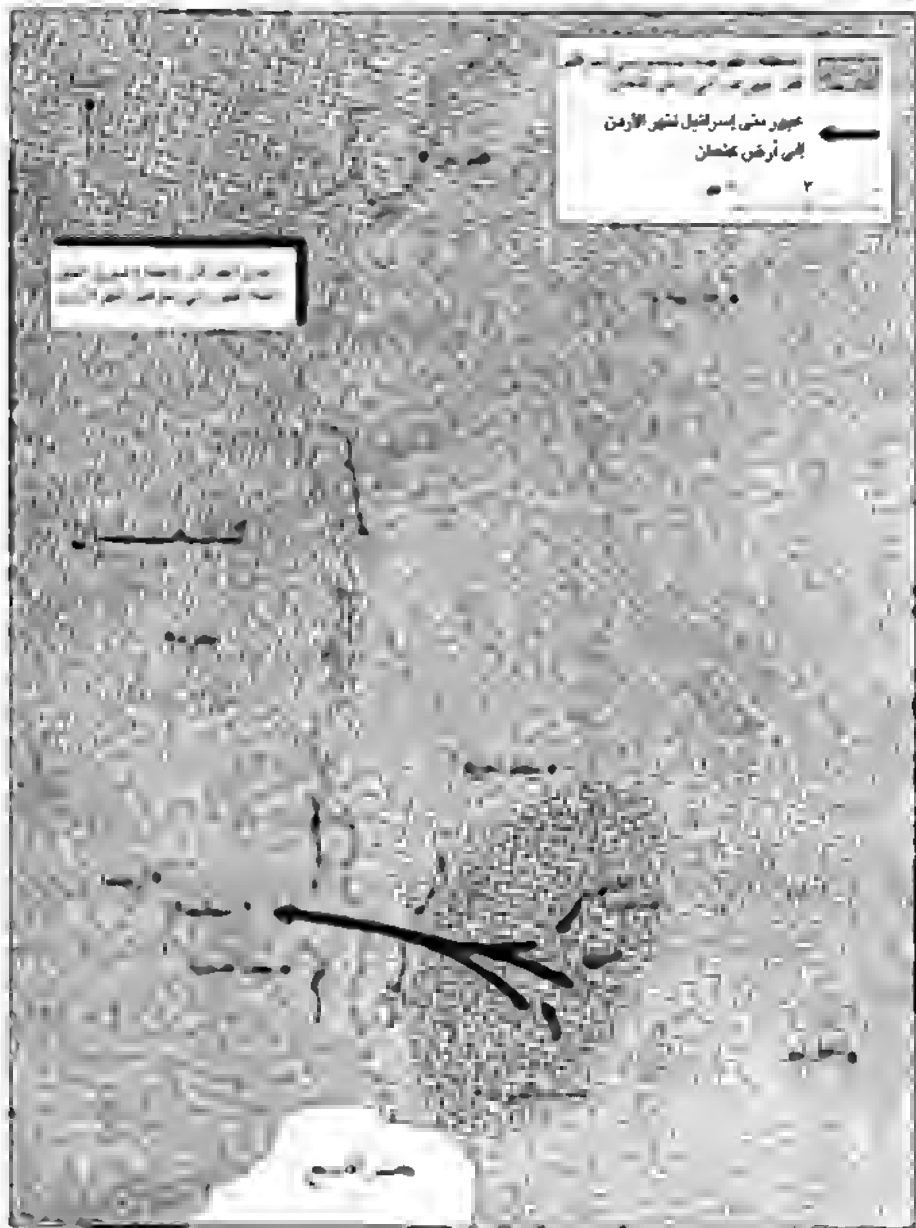
(٤٩) م.ن. يش ٤: ١٨.

(٥٠) م.ن. يش ٤: ١٩. ولم يحدد الكتاب أي شهر يعني بالشهر الأول، ويبدو انه الشهر الاول من العبور.

(٥١) م.ن. يش ٤: ٢٠.

(٥٢) مقار. شفيق، السمر في التوراة، ص ٢٨٥.

خريطة قبة الصخرة في أريحا



ويعزو «مقار» هذه الحادثة الى زلزال وقع في ذلك الوقت وأدى الى انهيارات أرضية أدت، بدورها، الى وقف «تدفق مياه الأردن لمدة ٢٦ ساعة ونصف الساعة عند جسر الدامية؛ شمال أريحا بقليل»، ويذكر ان حادثة معادلة لهذه الحادثة جرت أبان الغزو الصليبي لفلسطين وأوقفت مياه النهر عن الجريان^(٥٢).

ورغم اننا نستبعد حصول ذلك بحيث يتطابق تطابقاً دقيقاً مع وقت عبور يشوع وشعبه للنهر، مما يكاد يشكل، بحد ذاته، معجزة، فاننا لا نزال نميل الى التعليل الاول الذي سبق أن قدمناه^(٥٣).

يبقى التساؤل عن الوقت الذي يمكن ان يعبر النهر فيه أربعون ألف مقاتل وخلفهم شعب من نحو مليوني نسمة (كما دلت الاحصاءات السابقة)^(٥٤) مع ما يرافقهم من مواشي وبهائم ومركبات ومعدات؟

(٥) راجع، في المقدمة، دراسة ميدانية وشرحاً مستفيضاً لرائنا في هذا الموضوع.

(٥٢) مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٢٨٥.

(٥٣) راجع الفصلين الاول والثاني.

الفصل الرابع

دراسة مسرح العمليات

حدد العهد القديم أرض الميعاد كما يلي:

- جنوباً: من بركة صين، جانب ادوم، عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، حتى قادش برنيع، فحصر أدار فعصمون، الى وادي العريش في مصر حتى البحر المتوسط.

- غرباً: البحر المتوسط.

- شمالاً: من البحر المتوسط، حتى جبل مور، ومنه الى مدخل حماة، فصدد، فزفرون، حتى حَصْرَ عَيْنان.

- شرقاً: من حصر عَيْنان، حتى شافام، فربلة (شرق العين)، فبحر كنارة (الجليل او طبرية)، فنهر الأردن، حتى الطرف الشمالي للبحر الميت^(١).

وحدها في مكان آخر، كما يلي:

«من البرية ولبنان هذا، الى النهر الكبير نهر الفرات، كل أرض الحثيين، والى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس تكون أراضيكم»^(٢).

(١) العهد القديم، عد ١٧: ٢٤، ويلاحظ ان هذا التحديد لأرض الميعاد، الوارد في (يشوع ١: ٤)، يصل بها الى نهر الفرات، وهو يختلف عن التحديد الذي ورد في سفر العدد (عد ١٧: ١-٢٤) والذي مر معنا في الفصل السابق، بحيث تبدو أرض الميعاد، التي حددت في سفر يشوع، اكبر بكثير من تلك التي حددت في سفر العدد.

(٢) م. ن. يش ١: ٤.

نستطيع، مما تقدم، ان نحدد أرض الميعاد بالأرض الممتدة من البحر الميت في فلسطين، ثم جنوباً فجانباً غرب حتى وادي العريش في مصر، ثم غرباً حتى البحر المتوسط، فشمالاً على امتداد الساحل الشامي وصولاً إلى السفوح الشمالية لسلسلة جبال لبنان الغربية، ثم شرقاً حتى مدخل حماة (اللبوة حالياً)، فنهر الفرات، ثم جنوباً حتى بحيرة طبرية، فالبحر الميت. (انظر الخارطة رقم ٤).

ويؤكد العهد القديم ان قلب هذه الأرض، فلسطين، هي التي كانت مسرحاً لحروب العبرانيين، وان أطماع بني اسرائيل لا تقف عند حدود فلسطين بل تتعداها إلى البلدان المجاورة فتدخل في تلك الأرض: لبنان كله، وجزءاً من سوريا ومصر وشرق الأردن والعراق.

تحتل فلسطين موقعا استراتيجيا مهماً يربط ثلاث قارات بعضها ببعض، براً وبحراً، كما يعتبر صلة الوصل بين مشرق الوطن العربي ومغربيه، وهذا ما دفع ممثلي الدول الاستعمارية المجتمعين في لندن عام ١٩٠٥ برئاسة رئيس الحكومة البريطانية، آنذاك، كامبل بنرمان، لكي يتخذوا قرارهم الشهير بإنشاء «حاجز بشري قوي وغريب» فيها بحيث يشكل قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة، تفصل بين جناحي الوطن العربي، فكانت اسرائيل ذلك الحاجز وتلك القوة^(٣). ثم ان فلسطين هي النافذة المطلة على أوروبا من خلال البحر المتوسط، وعلى إفريقيا من خلال مصر، ثم على آسيا من خلال سوريا وخليج العقبة على البحر الأحمر، كما انها «الممر الاجباري والموقع المتميز للمبادلات بين مركزي الحضارة القديمة: مصر وبلاد ما بين النهرين»^(٤).

ويحد فلسطين:

- من الجنوب: صحراء سيناء.

- ومن الشرق: للصحراء العربية (باعتبار ان شرق الأردن او ما كان يسمى، قديماً، عبر الأردن، كان يشكل الجزء الشرقي من فلسطين حتى مطلع هذا القرن حيث تم فصله عن فلسطين كدولة).

(٣) انظر: سويد، ياسين، مؤامرة الغرب على العرب، ص ٢١-٢٦.

(٤) Priehard, Atlas du monde biblique. P. 58.

- ومن الشمال: جبال الجليل ولبنان.

- ومن الغرب: البحر المتوسط.

تتميز تضاريس فلسطين بجبال تخترقها وديان، وترسم هذه الجبال والوديان طرق المواصلات في الاقليم، بينما يمتد سهل ضيق على الساحل، ثم سلسلتان من الجبال يفصل بينهما منخفض طولي يشكل مجرى نهر الأردن الذي يشطر فلسطين الى شطرين طولاً، من الشمال الى الجنوب، وتتكون هذه التضاريس من:

١- سهل ساحلي يتصل بالساحل اللبناني شمالاً، بحيث يشكل معه، ومع الساحل السوري ما يسمى «بالساحل الشامي»، كما يتصل بالساحل المصري جنوباً بغرب، ومن هذا السهل: سهل عكا (شمالاً) وسهل شارون (في الوسط).

٢- مرتفعات تتوزع في الشمال (جبال الجليل) والوسط (جبال السامرة عند نابلس، وجبال القدس والخليل) ويبلغ أعلى ارتفاع فيها ١٢٠٨ امتار في جبال الجليل (جبل الجرمق)، ومنخفضات في الجنوب (غور الأردن) ويبلغ أقصى انخفاض فيها ٢٨٧ متراً في غور الصافي عند الطرف الجنوبي للبحر الميت، و٣٩٢ متراً في وسط البحر مقابل الجديدة والمرتفع ٣٦٤.

٣- سهل داخلي يفصل بين جبال الجليل شمالاً وجبال السامرة جنوباً، وهو «مرج بني عامر» الذي يمتد من حوض الأردن شرقاً حتى جبل الكرمل عند ساحل حيفا غرباً^(٥).

أما اقدم الطرق الدولية في فلسطين فهي:

١- طريق البحر او (فيا ماريس Via Maris)، وهي طريق القوافل والسعاة والحملات العسكرية، وتبدأ هذه الطريق بمصر السفلى ثم تعبر السهل الساحلي في فلسطين مروراً بأهم المدن (رفح، غزة، عسقلان، أشدود، بيّنة، مجدو)، ومن مجدو تتفرع الى فرعين: واحد يتابع شمالاً نحو عكا فأوغاريت بسوريا، وآخر يتابع شمالاً كذلك، وبخط مواز للاول، نحو جازور شرق عكا، حيث يتفرع، بدوره الى فرعين: الاول يتابع شمالاً نحو

(٥) وزارة الدفاع الوطني - الجيش اللبناني، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، ص ٥. وانظر: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، خارطة فلسطين ١٩٤٨، مقياس ١/٢٥٠,٠٠٠، وPritchard, Op. Cit. P. 58.

قطننا بسوريا والثاني ينحرف شمالا بشرق فيمر بدمشق ثم تدمر حتى بلاد ما بين النهرين.

٢- طريق الملك، التي تحاذي جبال عبر الأردن قبل ان تصل الى دمشق، وكانت الطريق الرئيسية التي تصل القسم الشمالي الغربي من الجزيرة العربية ببلاد الشام، وتربط أهم مدن عبر الأردن بعضها ببعض، (بصرى، كيرمواب، أرو، حشبون، ربة بني عمون (عمان) رامون جلعاد، عشتروت)^(٦).

(انظر الخارطة العامة)

كانت فلسطين، قبل قدوم العبرانيين إليها، ملكا لأقوام مختلفة حددها العهد القديم بسبعة وهم: الحثيون، والجرجاشيون، والاموريون، والكنعانيون والفرزيون، والحويون، واليبوسيون، سبع أمم أكثر وأقوى من العبرانيين^(٧) إضافة الى المدن - الدول التي كان يقيمها الفلسطينيون وهي: غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجت، والى الأدوميين والموابيين والعمونيين والعمالقة. (انظر الخارطة رقم ٢)

وكان هؤلاء موزعين، في فلسطين كما يلي:

١- الحثيون: سكنوا فلسطين قبل دخول العبرانيين إليها، وكانوا شعبا قويا ومعروفا، أسسوا امبراطورية شرقية عظيمة ما بين ١٩٠٠ و ١٢٠٠ ق.م. وقد احتلوا آسيا الصغرى وأقاموا لهم ولايات في شمال سوريا والعراق وفي الاناضول، وأقاموا في جنوب فلسطين غرب البحر الميت وجنوب القدس، في المنطقة الممتدة بينها وبين حبرون فبئر سبع، وقد صادقهم العبرانيون وصاهروهم^(٨).

٢- الجرجاشيون: احدى قبائل كنعان، وكانت تقطن على الضفاف الشرقية لنهر الأردن جنوب بحر كنارة (بحيرة طبرية)^(٩).

(٦) Pritchard, Ibid, P. 58, 59 et: (٦)

-- Smith, A. Historical Atlas of the Holy Land, P.7,8 and Aharoni, Macmillan Bible Atlas, PP. 16, 17, Map.

9,10.

(٧) العهد القديم، تث ١٠: ٧.

(٨) عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٨٩-٢٩١، وانظر P. 7. Smith, Historical Atlas of the Holy land.

(٩) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٧٨٩.

٣- الأموريون: شعب سامي اللغة، حكم أجزاء من فلسطين وسوريا وبابل فترة من الزمن، وكانت سوريا وفلسطين تدعيان باسمهم قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. وكانت عاصمتهم، قبل عام ١٢٠٠ ق.م.، «ماري» الواقعة على نهر الفرات، وتدعى اليوم «تل الحريري». وقد أقاموا ممالك لهم:

- في جنوب فلسطين، على الضفاف الشرقية العليا للبحر الميت، من نهر ييوق في وسط جبل جلعاد شمالا حتى نهر أرنون في وسط البحر الميت جنوبا (وكانت هذه مملكة الملك الأموري سيحون) وعلى جبل الأموريين الواقع غرب هذا البحر.

- وفي وسطها في شرق الأردن، حيث قامت مملكة «باشان» بين جبلي حرمون وجلعاد وكانت تشمل حوران والجولان واللجاء، ويحدها شمالا أراضي دمشق، وشرقا بادية الشام، وجنوبا أرض جلعاد وغربا غور الأردن. وكانت هذه مملكة (الملك الأموري «عوج») وكان نهر ييوق حدا فاصلا بين المملكتين. وقد امتدت الحرب بين الأموريين والعبرانيين من عهد يشوع الذي هزمهم حتى عهد صموئيل الذي عقد معهم صلحا، فعهد سليمان الذي استبعدهم^(١٠).

٤- الكنعانيون: وكانوا سكان فلسطين وأسماعيلها قبل قدوم العبرانيين إليها، وقد قضى رب بني إسرائيل أن ينتزع هؤلاء الأرض من الكنعانيين ويضربوهم ويطردوهم منها كما فعلوا بباقي الشعوب التي تسكن أرض كنعان، وإن يبیدوهم بلا رحمة^(١١)، ويبدو أن بني إسرائيل لم يستطيعوا تنفيذ الأمر الإلهي بإبادة الكنعانيين إبادة تامة، فاكثفوا بأن استبعدوهم وفرضوا عليهم الجزية وأعمال السخرة. وكانت مواطن الكنعانيين على الساحل الشامي، من صيدا شمالا حتى يافا جنوبا، أي بين موطن الصيدوايين شمالا والحيويين والفلسطينيين جنوبا، وفي الداخل، من السفوح الجنوبية لجبل لبنان شمالا حتى هبرون وبئر السبع جنوبا، أي بين موطن الفينيقيين شمالا واليوسيين والحثيين جنوبا^(١٢).

(١٣) عبد الملك، م.ن. ص ٢٥٨ و٦٤٨ و٦٧٥ و٧٨٩.

(١٤) م.ن. ص ٢٤٦ و٢٢٩ و٧٨٩.

(١٥) م.ن. ص ١٠٥٢-١٠٥٣ و٧٨٩ (خارطة)، وانظر: Smith, Op. Cit. P. 7.

٥ - الفرزيون: من أقدم الشعوب التي سكنت فلسطين، اذ سكنتها منذ عهد ابراهيم ولوط، وكانوا قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، يقطنون المناطق الجبلية، في جبلي عيبال (السلامية، شمال نابلس اليوم) وجرزيم، بين شكيم (نابلس) وبيت ايل. ولم يبدهم العبرانيون، خلافا لشريعتهم، بل انهم صاهروهم وانتقلت للعبرانيين، على يدهم، عبادة الاوثان، ثم ان سليمان استعبدهم وسخرهم^(١٢).

٦ - الحويون: من اصل كنعاني، تشتتوا في فلسطين جماعات، فاقامت جماعة منهم في شكيم (في عهد يعقوب) وأخرى في جبعون (شمال غرب اورشليم) وجوارها، وكانت اقامتهم، قبل ذلك، على الساحل بين يافا وغزة، وقد سالمهم يشوع، في البدء، الا انه عاد فسخرهم، وكذلك سليمان^(١٣).

٧ - اليبوسيون: قبيلة كنعانية كانت تقطن اورشليم (وكانت تسمى ييوس)، ولما دخل العبرانيون الى فلسطين اتحد اليبوسيون مع عدد من الملوك وحاربوهم، الا ان العبرانيين هزموهم واحتلوا اجزاء كبيرة من بلادهم واراضهم، ثم اعطى يشوع ارضهم لسبط بنيامين، لكن اليبوسيين لم يستسلموا، ولم يتمكن العبرانيون من طردهم من مدينتهم (ييوس) واراضهم فسكنوا معهم. وظل اليبوسيون يقاومون حكم العبرانيين وتسلطهم وخصوصاً في اورشليم حيث ظلوا محتفظين بحصن ييوس حتى عهد داود الذي استولى على الحصن وأدخله في مملكته. ولكن بعضهم بقي في المدينة منحصراً «بالجبل الجنوبي الشرقي الذي دعي، بعدئذ، صهيون او مدينة داود»، ولكنهم خضعوا بعد ذلك، لحكم سليمان الذي استعبدهم وسخرهم وفرض الجزية عليهم. وقد بقي بعضهم في «اليهودية» حتى عودة العبرانيين من بابل بعد السبي^(١٤).

٨ - الفلسطينيين: من شعوب حوض البحر المتوسط، غزوا جزيرة كريت واستقروا فيها زمناً ثم خرجوا منها في الربع الاول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وغزوا فلسطين، في عهد ابراهيم، عن طريق غزة واستقروا فيها حول جرار وبئر السبع.

(١٠) عبد الملك، م.ن. ص ١١٩ - ١٢٠ و ١٥٩ و ص ٧٨٩.

(١١) «وانا ما ادخلك الرب الهك الى الارض التي انت ادخل اليها لتقربها، وطرد من امامك امما كثيرة، الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سمع اسم اكثر واكثر منك. واسلمهم الرب الهك بين يديك وضربتهم، فحرمهم تحريماً، لا تقطع معهم عهداً ولا ترافق بهم» (تث ٧: ٢).

(١٢) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٧٩٠ و ٧٨٩.

كان الفلسطينيون، قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، شعبا قويا وذا باس، وكانت لديهم مدن حصينة أهمها غزة واشقلون (عسقلان) وأشدود (على الساحل) وعقرون وجت (في الداخل). وقد هاجمهم العبرانيون في عهد يهوذا واحتلوا غزة واشقلون وعقرون، لكن الفلسطينيين عادوا واستردوا هذه المدن من أيدي العبرانيين واستعبدوهم طيلة أربعين عاما حتى انقذهم شمشون جبارهم، إلا أن الفلسطينيين تمكنوا من قتل شمشون ثم انتصروا على العبرانيين في عهد صموئيل وأخذوا منهم تابوت العهد، ولكن صموئيل عاد فهزمهم واسترد تابوت العهد منهم، واحتل بلاد الفلسطينيين من عقرون الى جت، «وكانت يد الرب على الفلسطينيين كل ايام صموئيل»^(١٦). ولكن الفلسطينيين استعادوا قوتهم في عهد شاول، وكانوا قد امتلكوا صناعة الاسلحة والآلات الحديدية، حتى أصبحوا قوة هائلة عجز شاول عن قهرها واخضاعها، الى ان تمكن منهم، هو وابنه يوناثان، فهزمهم في جبع ومكماش^(١٧)، ثم استمر القتال بين الفلسطينيين وبين شاول وابنه يوناثان، ثم داود، بين كرّ وفرّ، فترة طويلة من الزمن، حتى تمكن الفلسطينيون من التغلغل في قلب كنعان وقتل شاول وأولاده على جبل جلبوع، ولكن داود استطاع ان يرد غزواتهم ويغزوهم في عقر دارهم. الا ان ذكر الفلسطينيين قد اضمحل بعد موت داود وتسلم سليمان الحكم، ولما انقسمت مملكة سليمان كان الفلسطينيون يحاربون كلا من المملكتين، واستمر القتال سجالا بينهم وبين مملكتي يهوذا واسرائيل، يوم لهم ويوم عليهم، الى ان استطاع المكابيون (يهوذا المكابي) ان يهزمهم ويحتل بعض مدنها (أشدود ومدنا أخرى غيرها) ويحرق بعض هياكلهم، ثم أحرق مدينتهم أشقلون كما أحرق ضواحي غزة التي استسلمت بلا قتال، فاستكان الفلسطينيون ولم يعد لهم، بعد ذلك، أي ذكر^(١٨).

اما المناطق التي كان الفلسطينيون قد استوطنوها، قبل قدوم العبرانيين الى فلسطين، فهي: من يبنة الى غزة على الساحل، وجت (غات) وعقرون وجبعة ومخماس وصقلغ وجوارها في الداخل.

٩ - العمونيون: من نسل لوط، سكنوا جبال جلعاد، بين نهري أرنون ويبيوق، الى

(١٦) العهد القديم، اصم ٧: ١٢.

(١٧) م. ن. اصم ١٢-١٤.

(١٨) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٦٦٣-٦٦٤.

الجنوب والشرق من مملكتي الأموريين، ومن مدنها: حشبون الواقعة شرق البحر الميت، وربة عمون، أو عمان الحالية، وكانوا على صراع مستمر مع الأموريين الذين يجاورونهم من الشمال والغرب، وخصوصاً مع سيحون، ملك الأموريين، الذي اقتطع قسماً كبيراً من أراضيهم.

كانت علاقات العمونيين مع بني إسرائيل سيئة رغم أن جدّهم، لوطاً، من كبار العبرانيين، وقد تحالفوا مع الموابين ضد بني إسرائيل. وكانت الحروب سجّالاً بين العمونيين والعبرانيين، من عهد يفتاح، ملك العبرانيين، إلى عهد شاول فداود فيهوشافاط، ملك يهوذا، إلى عهد المكابيين، حيث اضمحلوا تدريجاً واندمجوا مع سكان البلاد^(١٩).

١٠- **الموابيون:** من نسل لوط، سكنوا الأرض الواقعة على الضفاف الشرقية السفلى للبحر الميت، تحدّهم شمالاً مملكة سيحون الأمورية، وجنوباً أرض الإدوميين.

كانت أرض الموابين تنتهي شمالاً عند نهر أرنون، إلا أن هؤلاء توسعوا في أرض الأموريين شمالاً، فبلغ طول أرضهم ٥٠ ميلاً وعرضها ٢٠ ميلاً، وكانت تقسم إلى قسمين:

- أرض مواب الواقعة شرق البحر الميت، وتسمى «بلاد مواب».

- وعربات مواب وهي الأرض الواقعة شرق نهر الأردن مقابل أريحا، بين مصب نهر يبيوق والبحر الميت.

ومن أهم مدنها: كرك، وديبان، ومأدبا، وربة مواب.

وقد وقعت حروب عديدة بين الموابين وجيرانهم الأموريين، إلى أن دخل العبرانيون تلك البلاد فتحالف الموابيون مع العمونيين وقاتلوهم، ثم تقلبت علاقة الموابين والعبرانيين بين حرب تارة وسلام تارة أخرى، وكانت عدائية على الأكثر، وخصوصاً في عهد شاول وداود وسليمان وفي عهد يهوشافاط، ملك يهوذا، الذي هزمها وخرّب مدنها. وظلت مواب بعد ذلك تخضع تارة للعبرانيين وتستقل عنهم طوراً، وحالفت الكلدانيين ضد يهوذا إلى أن دُل بنو إسرائيل وسُيِّموا فتحررت مواب منهم^(٢٠).

(١٩) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٤٦٠ و٧٨٩ (خارطة) و: Smith, Adam, Op. Cit, P.7 & Prichard, Op. Cit. P. 56.

(٢٠) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٩٢٨ و٩٢٩ و: Smith, Op. Cit. P. 7; Prichard, Op. cit. P. 56.

١١ - الأدميون: من نسل عيسو وأدوم، سكنوا الأرض الواقعة في جنوب فلسطين جنوب البحر الميت، وهي إقليم جبليّ وعَرْد يدعى «أرض سعيّر» أو «جبل سعيّر»، ويمتد على مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة وعلى جانبي غور العربية. والجزء الشرقي من أدوم يقع حاليا في المملكة الأردنية الهاشمية وبنية أدوم هي «العربة» الواقعة جنوب البحر الميت.

كان الأدمي يعتبر أخا للعبراني، حتى أن الجيل الثالث من نسل الأدميين كان يعتبر عبرانيا، هكذا قال الرب لاسرائيل: «لا تكره الأدمي لأنه أخوك، ولا تكره المصري لأنه كنت نزيلا في أرضه، والجيل الثالث من البنين الذين يولدون لهم يدخلون في جماعة الرب»^(٢١). ولكن ذلك لم يمنع حروبا كثيرة جرت بين الشعبين، فقد حارب شاول الأدميين، وكذلك داود، وغزا الأدميون، متحالفين مع الموابين والعمونيين، يهوذا في عهد يهوذا فاط، إلا أن الأدميين عادوا فتحالفوا مع العبرانيين في حربهم ضد الموابين.

ولكن التحالف بين الأدميين والعبرانيين لم يستمر طويلا، إذ تفجر الصراع بينهما من جديد وظل يحتدم تارة ويخمد تارة أخرى إلى أن غزا الآشوريون أرض كنعان فخضع الجميع، عبرانيين وأدميين وسواهم، لحكم آشور. وقد استولى الأدميون على أرض العبرانيين حتى حبرون، وذلك بعد سبي هؤلاء إلى بابل، ولكن الانبساط غزوا أرض الأدميين في القرن الخامس قبل الميلاد وطردوهم من جبل سعيّر، ثم استرد يهوذا المكابي، في القرن الثاني ق. م، حبرون وغيرها من الأرض التي أخذها الأدميون من العبرانيين، زمن السبي^(٢٢).

١٢ - العمالقة: يعتبر العمالقة من أقدم الشعوب التي سكنت سوريا الجنوبية، وهم من نسل عيسو، كانوا يقيمون في البدء، قرب قادش، في جنوب فلسطين، وقد كانوا هناك عند خروج العبرانيين من مصر، حيث خاض العبرانيون، ضدهم، أول معاركهم خارج مصر، وكانت تلك المعركة في «رفيديم» غرب سيناء حيث هزم العمالقة أمامهم. ولكن العمالقة عادوا فحاربوا العبرانيين عندما أراد هؤلاء التوسع شمالا، لكن العبرانيين انتصروا عليهم في عهد موسى ويشوع، فتحالف العمالقة مع جيرانهم الموابين ضد العبرانيين في

(٢١) العهد القديم، تث ٢٢: ٢٢. A.

(٢٢) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٢٩ - ٤٠ و Smith, Op. cit. P. 7; & Pritchard, Op. Cit. P. 56.

أريحا، ثم مع جيرانهم المدينيين ضد العبرانيين كذلك. وكان العمالقة (أو العماليق) يستوطنون جبلا يدعى باسمهم هو «جبل العمالقة»، إلا أنهم كانوا يتجولون من حدود مصر إلى شمال شبه الجزيرة العربية فبادية فلسطين، وقد حاربهم شاول وصموئيل وداود، الذي استرد منهم «صقلغ»، وبدأ ذكرهم يضمحل بعد ذلك^(٢٢).

إلا أن ما يثير التساؤل هو: لماذا تعتمد موسى سوق شعبه إلى أرض كنعان في طريق غير معروفة وطويلة ومرمقة، بينما كان يمكنه أن يستخدم إحدى الطريقين المسلوكتين منذ القدم والمعروفتين، طريق البحر وطريق الملك؟

فلندرس، إذن، كلا من هاتين الطريقين، لكي نحدد مزايا كل طريق منهما ومحاذيرها:

أ- تعتبر طريق البحر، وهي المنطلق من «مصر السفلى» باتجاه فلسطين (أو أرض كنعان) أقصر الطرق إلى هذه الأرض، من مصر. وقد اعتمدها الكثيرون منذ القدم، فاتحين وغزاة وتجارا وسائحين. إذ أن باستطاعة من يسلكها أن يعبر صحراء سيناء فيصل مباشرة إلى فلسطين عن طريق غزة ثم يتجه شمالا، وبمحاذاة الساحل مرورا بالمدن الساحلية حتى جبال الجليل ولبنان، كما أن باستطاعته أن يتجه شرقا فيسلك طرقا داخلية تقوده إلى جميع أنحاء البلاد.

ولكن الحملة العسكرية التي تستخدم هذه الطريق، آتية من مصر، سوف تصطدم بعد اجتيازها لصحراء سيناء وتجاوزها للصعوبات النفسية والمعيشية، بالشعوب التي في تلك المناطق، بدءا بالعمالقة (في سيناء) فالفلسطينيين (بين غزة وأشدود) فالحيويين (بين أشدود ويافا) فالكنعانيين (حتى جبال الجليل ولبنان)، بينما يكون جناحها الأيمن معرضا لهجمات جانبية من الأعداء الكثر في البلاد والمنتشرين على طول خطوط تقدمها، مثل الحثيين والأموريين واليبوسيين والفرزيين ومن يجاورهم شرقا مثل الأدوميين والموابيين والعمونيين. ورغم أن جناحها الأيسر محمي بالبحر المحاذي لها على طول محور تقدمها، فإنها تظل مغולה اليد من تلك الجهة غير قادرة على المناورة، بحيث تفقد جزءا كبيرا من حرية العمل في أثناء التقدم هذا بالإضافة إلى ابتعادها عن الساحل عند حيفا بسبب قرب جبل الكرمل منه، ومرورها عند «مجدو» وهي نقطة تقع في الطرف الجنوبي

(٢٢) عبد الملك، المصدر السابق، ص ٦٢٦-٦٢٧ وص ٧٨٩ (خارطة). Barnavi, Histoire Universelle des Juifs, P. 10.

من مرج بني عامر، ثم تعود شمالا بغرب فتصل الى عكا بعد ان تلتف حول السفح الجنوبي الشرقي لجبل الكرمل.

ب- ربما تكون طريق الملك أكثر اماناً وتسمح بحرية المناورة أكثر من طريق البحر، ولكن سلوك هذه الطريق من «أذن» على النيل ثم الاتجاه شرقا حتى بلوغ ايلات على الطرف الشمالي للإصبع الشرقي لبحر القلزم (الأحمر)، يضطر الحملة لان تنفذ تحركا عرضيا في قلب سيناء بحيث تعود، بعدها، الى سلوك الطريق الموازية تماما لطريق البحر حتى دمشق، ولكنها، في محاذاتها للجبال المحاذية لوادي الأردن، تقع، عند جناحها الايسر، في المحظور نفسه الذي تقع فيه اذا ما سلكت طريق البحر شمالا، بحيث يظل هذا الجناح عاجزا عن المناورة ويُفقد الحملة، بالتالي، الكثير من حرية العمل.

(انظر الخارطة العامة)

الا انه، لا بد من القول، في الحالتين، ان محاذاة الحملة للبحر ان هي سلكت طريق البحر، ومحاذاتها له كذلك ان هي سلكت طريق الملك، تظل تؤدي من الأمان ما يوازي المآذير الناتجة عن فقدانها لحرية المناورة.

ونظرة الى خارطة الطرق التي كانت سالكة في ذلك العهد ترينا كم ان الاختيار كان حرا ومتعددا، اذ انه:

١- تتفرع، من طريق البحر، عدة طرق عرضية وطولية تتيح التحرك داخل فلسطين بحرية كبيرة، مثل:

- طريق أون - ايلات التي تصل طريق البحر بطريق الملك.

- طريق الساحل المصري - قادش برنيع - طريق الملك.

- الطريق الى شور، والطريق الى العربية، والطريق الى البحر الاحمر، والطريق الى منطقة الاموريين، والطريق الى اتاريم. والطريق الى أدوم. والطريق الى مواب، وغيرها العديد من الطرق الفرعية الداخلية.

٢- وتتفرع من طريق الملك، عدة طرق عرضية وطولية كذلك، تتيح التحرك داخل عبر الأردن بحرية كبيرة، مثل:

- طريق برية أدوم، وطريق برية مواب، وطريق باشان، وغيرها^(٢٤).

لماذا، إذن، سلك موسى بشعبه الطريق الأصعب والأطول؟

لقد كان موسى وشعبه في أرض جاسان بمصر، أي في موقع من مصر السفلى أقرب إلى الساحل منه إلى الصحراء، فلماذا اختار للتوجه شرقاً نحو الصحراء، ولم يختار التوجه غرباً نحو ساحل البحر المتوسط وهو الطريق الأسهل والأقصر؟

لا شك في أن هناك تبريرات عديدة لذلك، أهمها «الامر الإلهي» الذي تلقاه موسى عندما اجتاز الصحراء وبلغ البحر فشقه بعصاه واجتازه بشعبه، ثم اغرق فيه، بعد ذلك، جيش فرعون. ولكن ما يصح في العقيدة والاسطورة لا يصح في النظرة العلمية المجردة للأحداث التاريخية، ومن هذا المنطلق نحاول أن نجد، لسلوك موسى هذا، تبريرات أخرى مثل:

١ - يقع جبل سيناء (أو جبل حوريب أو جبل موسى)، في الطرف الجنوبي الشرقي من سيناء، أي في الاتجاه المعاكس تماماً للطريق الساحلية على البحر المتوسط باتجاه فلسطين، كذلك فإن قبيلة مدين وهي القبيلة التي تنتمي إليها صفورة، زوجة موسى، تقيم في الطرف الشمالي الشرقي من سيناء، على الساحل الشرقي، وربما الغربي كذلك، لخليج العقبة، أي على مقربة من الجبل المذكور؟ فهل إن موسى، بالإضافة إلى ما كان ينتظره (أو ما هياً له نفسه) من ملاقاته ربه على الجبل، كان يشعر بالأمان والقوة إذا ما اتصل بمدين، خصوصاً وأنه صهر كاهنها والرجل القوي المتزعم فيها؟

٢ - رغم أن الطريق التي سلكها موسى، هي الأصعب والأطول، فهل اعتبر أن ما سيلاقه من مقاومة «من الأدوميين والموابيين والعمونيين» كي يصل إلى النقطة التي يعبر منها الأردن نحو أرض كنعان، يظل أقل بكثير من تلك التي كان سيلاقها لو أنه سلك طريق البحر؟

٣ - هل أمل موسى بتحالف ما كان يمكن أن يقيمه مع الشعوب التي سيمر بها (وهي

(٢٤) تعددت الطرق الفرعية الداخلية التي كانت سالكة في فلسطين وهي إما متفرعة عن كل من الطريقين الرئيسيتين:

طريق البحر وطريق الملك. في مختلف الاتجاهات. أو أنها متفرعة منها أو تربط بينهما. انظر لذلك، Aharoni, The

Macmillan Bible Atlas, PP. 16- 17 Map. 9 - 10.

العمالقة وأدوم ومواب وعمون) بسبب عامل القرابة بين شعبه (العبراني) وهذه الشعوب، وباعتبار أن العمونيين والموابيين هم من نسل لوط الذي كان من كبار العبرانيين، وأن العمالقة هم من نسل عيسو، وأن الأدوميين هم من نسل عيسو وأدوم المتصل بالعبرانيين؟

٤- هل توقع موسى عند اختياره لهذه الطريق، أن تحدث له وليشوع، المعجزات التي حدثت في بحر القصب (القلزم) ونهر الأردن وعلى جبل حوريب؟

أو أنه، وهو الكاهن المعلم بديانة التوحيد التي اكتسبها من الفرعون أخناتون^(٢٤)، قد أعد العدة لما جرى على الجبل، بينما لعبت الأسطورة دوراً رئيسياً في باقي المعجزات؟

٥- نحن نعتقد أن الأسطورة قد لعبت دوراً مهماً في كثير من المواضيع في العهد القديم، خصوصاً تلك التي تتضمن أحداثاً خارقة (كشق البحر والنهر وتوقف الشمس في كبد السماء) كتب عنها رواة فصلت بينهم وبينها، في الزمن، قرون وقرون (انكُتِبَ بعض الأسفار في زمن السبي البابلي وكتب بعضها الآخر بعد هذا السبي)، ومهما حاول الباحثون والمؤرخون إيجاد تعليل لهذه الأحداث فسيقعون في الشطط أو المبالغة التي لا يمكن تصديقها، هذا إذا ما وضعنا جانباً الإيمان والمعتقد اللذين لا يقدمان من تعليل لهذه الأحداث سوى القدرة الألهية.

(٢٥) «مما لا شك فيه أن موسى... كان بوسعه، بفضل ما تمتع به من قدرات عقلية عظيمة، أن يتوصل، بجهده الخاص، إلى مفهوم الإله الواحد والعلة الأولى. إلا أننا متى حكمنا بالطريقة التي تبدأ بها كل الأنسقة الفكرية الكبرى، سنجد أن ذلك كان شبه مستحيل، لأن موسى - حتى مع التسليم بمقربته العظيمة - لم يكن ليستطيع تكوين تلك الأفكار وسط خواء فكري، بمعنى أنه كان مما لا مهرب منه أن تكون هناك صلة بين فكره الأصلي وبين ما كان كائنًا ومتداولًا من مفاهيم توحيدية متقدمة نسبياً، منذ قرون عديدة، في وطنه مصر. وعلى سبيل المثال، كان أخناتون - قبل أن يمر موسى بخبرة تجلي الإله له في العليقة المشتعلة بجبل حوريب بمائة وخمسين عاماً - قد ناجى أتون - قرص الشمس، باعتباره رمز الإله الواحد لكل البشر» (مقار، شفيق، السحر في التوراة، ص ٤٦٩ - ٤٧٠، عن: "Assubel, Nathan, the book of Jewish Knowledge" P. 304).

وقد علق مقار على ما ورد عند الباحث اليهودي ناثان بقوله: «متجلى للسطرة اليهودية في الرّج بهذا التفصيل الخاطيء تاريخياً في الحكى عن أخناتون وموسى وجعل الفاصل الزمني بينهما قرناً ونصف القرن، في حين تشير كل الأدلة التاريخية المتوافرة على أن موسى كان معاصراً لأخناتون وأنه لم يهرب إلى مدين (حيث تعلم عبادة بهوه) إلا بعد موته وتكبل كهنة آمون بكهنة أتون» (مقار، م. ن. ص ٤٧٠، الحاشية).

ويرى سينموند فرويد أن موسى كان واحداً من نبلاء مصر الذين اعتنقوا مذهب الإله «أتون» للتوحيد بعد أن فرضه الفرعون «أخناتون» مذهباً رسمياً لمولته.

(Freud, Sigmund, L'homme Moïse et la religion Monothéiste. P. P.94- 95).

الفصل الخامس

وسائل القتال المستخدمة في حروب العبرانيين

(من عام ١٢٥٠ ق.م. الى عام ٧٣ م)

سوف نحاول، في هذا الفصل، ان نلقي نظرة موجزة على وسائل القتال (الهجومية والدفاعية) التي استخدمت في حروب العبرانيين، بدءا بخروجهم من مصر (عام ١٢٥٠ ق.م) وانتهاء بسقوط اورشليم بيد الرومانيين (عام ٧٣ م). مستعينين، لذلك، بما ورد في العهد القديم، من جهة، وبما اظهرته الحفريات الأثرية، في هذا المجال، من جهة أخرى.

أولاً: الأسلحة والأعتدة الفردية:

يمكن تحديد الاسلحة والاعتدة الفردية، الهجومية والدفاعية التي استخدمت في هذه الحروب، كالتالي:

١- القوس والسهم (او النبل).

٢- الرمح والمزراق.

٣- السيف والخنجر.

٤- فأس القتال.

٥- المقلاع.

٦- الدرع والترس (أو المجن).

٧- الخوذة.

١- القوس والسهم (أو النبل): للقوس هو أحد أهم الأسلحة التي استخدمها الأقدمون منذ العصر البرونزي الأول (٣١٥٠ - ٢٢٠٠ ق.م)، وقد عرف بأشكال عديدة أهمها: القوس المحدث (في مصر)، والقوس للمقعر أو للمنحني (في بلاد ما بين النهرين)، والقوس المركب (في بلاد الأكاديين)^(١). وتُرمى بالقوس نواثر تسمى (السهم)^(٢)، كانت تحمل في البدء، رؤوساً من حجر الصوان، ثم أصبحت تحمل رؤوساً حديدية، وتوضع في (جعب) من الجلد تتخذ اشكالاً مختلفة أهمها الشكل الاسطواناني الذي عرف في العصر المشار اليه (البرونزي الأول)، ويحملها النبال أو توضع في المركبات المقاتلة^(٣).

وقد تطورت الأقواس والسهم في العصور اللاحقة، وخصوصاً في العصر البرونزي الوسيط أو (الثاني)، (٢٢٠٠ - ١٥٥٠ ق.م) الذي عرف فيه (القوس المركب) تطوراً ملحوظاً^(٤)، وكذلك في العصور اللاحقة: العصر البرونزي المتأخر (أو الثالث)، (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) والعصر الحديدي (١٢٠٠ - ٥٨٦ ق.م) الذي عرفته مختلف الممالك العبرية التي مرت معنا^(٥).

وقد ظل القوس سلاحاً رئيسياً في المعركة حتى عصور متأخرة، أي حتى ظهور الأسلحة النارية. وكان يتم تدريب المقاتلين على هذا السلاح كما كانت تقام المشاغل والمصانع لصنع الأقواس والسهم^(٦).

ولا ريب في أن (القوس المركب) قد لعب دوراً مهماً في مختلف هذه الحقب، فاستخدمته كل الجيوش بأشكال مختلفة، إلا أن تغير أشكال السهم والجعب ظل «هامشياً»^(٧).

(١) -- Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 p. 266

(٢) العهد القديم، ١ ص ٢٠: ٢٢-٢٣.

(٣) -- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 266

(٤) في بلاد الأكاديين، في النصف الثاني من الألف الثالث. Ibid, p. 267

(٥) Ibid, p. 267-272

(٦) وقد وجدت نقوش لهذه المشاغل والمصانع على جدران الحفريات التي اكتشفت في «بني حسان». Ibid, P. 267

(٧) -- Ibid. P. 270

الرسم (رقم ١):

صورة لنقوش جدارية من آثار بني حسان عام ١٩٠٠ ق. م. وهي تمثل محارباً مسلحاً بأسلحة كنعانية نموذجية من عصر الأبياء المؤسسين (العصر البرونزي الوسيط) وهو يحمل فأساً مع قوس محذب مزدوج، وجعبة أسطوانية معلقة في الكتف.



(Keter publishing, Encyclopaedia Judaica, Vol. 16. p. 270)

٢- الرمح والمزراق: يعتبر الرمح (مع السيف) السلاح الرئيسي للمشاة^(٨)، وقد عرفت الجيوش منذ أقدم العصور، فهو قد عرف في العصر البرونزي الأول، بشكله: الرمح العادي الذي يستخدم في القتال وجها لوجه، والمزراق، أي للرمح القصير الذي هو سلاح صغير وخفيف، يستخدم للرمي من مسافات قصيرة^(٩).

وكلا السلاحين، الرمح والمزراق، يستخدم للطعن^(١٠) وهما كناية عن قناة خشبية جوفاء عادة) تنتهي بسنان معدني يطعن به^(١١) أو يغرز في الأرض عند عدم استعماله^(١٢).

ولم يعرف هذان السلاحان، في مختلف العصور، تغيرات مهمة في الشكل وطرق الاستعمال، إذ استخدم للنحاس، ثم الحديد لصنع قناة الرمح، لو المزراق، وسنانه، ولم يعد السنان ثقيل للوزن كما كان في عهد داود وجليات (حيث كان وزن سنان رمح جليات ستمئة مثقال حديد)^(١٣).

٣- السيف والخنجر: ظل السيف، إلى أمد طويل، أهم سلاح في المعركة، للخيالة والمشاة معا، ويعتبر، هو والخنجر، سلاح القتال وجها لوجه^(١٤). وقد ظل السيف، فترة من الزمن، حكرا على الفلسطينيين الذين احتكروا صنع الحديد، فكان على العبراني، إذا أراد صنع سيف أو ما شابه، أن يقصد بلدة فلسطينية كي يتمكن من الحصول على سيف، ذلك أنه لم يكن يوجد في كل أرض إسرائيل حداد، لأن الفلسطينيين قالوا: يجب أن لا يعمل العبرانيون سيفا أو رمحا. فكان كل إسرائيل ينزل إلى الفلسطينيين، كل امرئ منهم، ليسن سكوته ومعوله وفأسه ومنجله... فلما حان وقت الحرب، لم يوجد سيف ولا رمح في يد كل الشعب الذي مع شاول ويوناتان، ما عدا شاول ويوناتان ابنيه^(١٥). إلا أن الأمر لم يستمر كذلك طويلا، إذ سرعان ما أن علم الله داود صنع الحديد وما نتج عنه من معدات واسلحة للقتال، قال تعالى: «وَعَلَّمْنَاهُ (أي داود) صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ، لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ

(٨) وقد شكت دوبروة في نشيدها المشهور، افتقار رجالها الأربعة للفاء للرمح والفرس، (المعهد القديم، قض ٥: ٨).

(٩) Encycl. juiv., Op. Cit. P. 266 والمعهد القديم، ١ ص. ١٧: ٦ و ٤٥ و ١ ص. ١٨: ١١.

(١٠) م. ن. ٢٥: ٢٥-٢٧.

(١١) م. ن. ٢٠: ٢٢ ص. ٢٢: ٢٢.

(١٢) م. ن. ٢٦: ٧ ص. ٢٦: ٧.

(١٣) م. ن. ١٧: ٧ ص. ١٧: ٧.

(١٤) م. ن. ٢: ١٦ قض. ١٦: ٢.

(١٥) م. ن. ١ ص. ١٩: ١٩-٢٠ و ٢٢.

انْتُمْ شَاكِرُونَ» (الانبياء ٢١ / ٨٠). وينكر «القرطبي»، في تفسيره، ان «اللبوس» هي، عند العرب «السلاح كله، درعا كان ام جوشنا او سيفا او غمدها، وان البأس هنا بمعنى الحرب او آلة الحرب (بعد حذف المضاف: آلة بأسكم)^(١٦). أي ان الله عز وجل علم داود صنع الحديد كي يحصنه ويحميه من آلات الحرب التي يستخدمها الاعداء ضده.

ويسأل الله عز وجل بعد ذلك، اليهود: فهل انتم شاكرون؟ ويأتي السؤال هنا في موضع اللوم، ذلك ان اليهود لم يشكروا الله على «تيسير نعمة الدروع» وما يصنع من الحديد لهم، كما انهم لم يطيعوا رسوله^(١٧)، لذلك، ندد الله عز وجل باليهود ووضعهم في مصاف المشركين بسبب عداوتهم للمؤمنين وتجديفهم على الله، اذ قال فيهم: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...» (المائدة ٨٢ / ٥) وقال: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا...» (المائدة ٦٤ / ٥).

وقد اتخذ السيف اشكالا عديدة اقدمها السيف الذي كان إما بشكل «منجل» او بشكل مستقيم وقصير، وذلك في العصر البرونزي الاول، ثم تطور، بعد ذلك، ليصبح ذا نصل طويل ومستقيم ومروّس وذو حدين^(١٨). وبينما كان «السيف المنجل» يستخدم «للضرب» اضحى السيف المتطور يستخدم «للقطع والطنع»^(١٩).

واستمر السيف، في العصور اللاحقة، «حديدا طويلا صلبا مستقيما يستخدم للقطع والطنع»^(٢٠) وكان هذا النوع الجديد من السيوف قد حل محل «السيف المنجل»- (Sickle Sword) كسلاح اساسي للجيش^(٢١)، وظل، في «العصر الحديدي» الذي عرفت المملكة العبرية الموحدة، «حديدا طويلا مستقيما وذا حدين»^(٢٢). وقد ورد، في سفر القضاة، وصف لهذا السيف جاء فيه: «فعمل أهود لنفسه سيفاً ذا حدين، طوله ذراع، وتقلده تحت ثوبه، على فخذه اليمنى»^(٢٣).

(١٦) سويد، الفن العسكري الاسلامي، ص ٢٩. وانظر: القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج ١١، ٢٢٠.

(١٧) القرطبي، م. ن.، ص ٣٢١.

(١٨) -- Encycl. jud. Op. Cit. PP. 266 (٨)

-- Ibid, (١٩)

-- Ibid, P. 271 (٢٠)

-- Ibid, p. 271. (٢١)

-- Ibid, P. 272 (٢٢)

(٢٣) (٢٣) العهد القديم، قض ٢: ١٦.

ويعتبر الخنجر الشكل البدائي للسيف، فهو قصير ومروّس وذو حدين، وقد عرفتة العصور القديمة الى جانب «السيف المنجل»، الا انه لم يستبدل بالسيف، كما جرى لهذا الاخير، بل انه ظل معروفا ومستخدما في الجيوش ولدى العامة، ولا يزال. وهو يستخدم، عادة للطنن وفي القتال وجها لوجه.

وقد عرف «السيف الخنجر dagger - Sword» في العصر البرونزي الوسيط، وكان مستقيما وضيقا، وبينما كان «السيف المنجل» يستخدم للضرب، كان الخنجر يستخدم للطنن، وهو اقصر من «السيف المنجل» وأعرض^(٢٤).

٤- فأس القتال: كان يعتبر، الى جانب السيف، من الاسلحة المهمة في العصر البرونزي الاول، وما ان توقف السيف، في العصر البرونزي الوسيط، عن التطور، كسلاح اساسي للمشاة، بسبب الصعوبات التقنية، حتى تقدم عليه فأس القتال، بل حل محله في القتال وجها لوجه، حيث بدا نصله (شفرته)، الاكثر ضيقا وطولا من السابق، والهلالي الشكل، اكثر عرضا من نصل السيف، بل من اي نصل آخر. وبينما كان الفأس يستخدم للقطع استخدمه المصريون كسلاح للطنن ايضا^(٢٥)، الا ان هذا النوع من السلاح بدأ يختفي، مع بدء ظهور العصر الحديدي^(٢٦)، أمام تقدم السيف وتطوره نحو الافضل.

٥ - المقلاع: منجنيق يدوي صغير يرمى به المرمى البعيد على مسافة تختلف باختلاف قوة الرامي وطول ذراع المقلاع، او هو كناية عن اداة تحمل حجرا وتدور حول نفسها وحول محورها، ثم يطلق الحجر منها نحو الهدف المقصود. ويتألف المقلاع من: - كفة الرمي (او القعر) حيث يوضع الحجر الذي يُرمى، وهي من القماش المتين او الجلد.

- ذراع من القماش المتين او الجلد، كذلك، يتصل بالكفة من احد طرفيها، ويبد الرامي من الطرف الآخر، نهايا وايابا.

- يد الرامي وذراعه الذي يشكل المحور الذي يدور المقلاع حوله. وتتم عملية القذف بان يدير الرامي المقلاع حول نفسه (اي المقلاع) وحول محوره (اي الذراع الرامي) ثم يُقلّت أحد طرفي الذراع فيذهب الحجر بعيداً باتجاه الهدف.

-- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 267 (٢٤)

-- Ibid. (٢٥)

-- Ibid, p. 269 (٢٦)

- الجعبة، وهي كيس صغير توضع فيه نخيرة المقلع (أي الحجارة) ويعلق في وسط الرامي أو في كتفه، وتسمى كذلك: الكنف، أو الجراب، أو الكيس^(٢٧).

وكان أبرز ذكر للمقلع، في العهد القديم، عندما روى تفاصيل المباراة التي جرت بين داود العبري وجليات الفلسطيني، وذلك في سفر صموئيل الأول، إذ جاء فيه:

«وكان، لما نهض الفلسطيني وذهب، وتقدم لملاقاة داود، أن داود أسرع وركض نحو صف القتال لملاقاة الفلسطيني. ومد داود يده إلى الكيس، وأخذ منه حجراً وقذف بالمقلع، فضرب الفلسطيني في جبهته، وانغرز الحجر في جبهته، فسقط على وجهه على الأرض. وانتصر داود على الفلسطيني بالمقلع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن في يد داود سيف، فركض داود ووقف على الفلسطيني، وأخذ سيفه من غمده وقتله، وقطع به رأسه»^(٢٨). وما زالت المباراة بين «داود» العبري و«جليات» الفلسطيني قائمة.

وقد ورد ذكر المقلع، كذلك، في العهد القديم، في مناسبات أخرى منها:

- في الحرب التي جرت في «جبع» بين بني بنيامين وبني إسرائيل، وكان بنو بنيامين مسلحين بالسيوف والمقاليع، وكان رماة المقلع منهم «يسر الأيدي» يرمي كل منهم «الحجر بالمقلع على الشجرة فلا يخطئ»، وكانوا «سبع مئة رجل» مختارين^(٢٩).

- في «خطب الرب» من «سفر أيوب» حيث خاطب الرب أيوب عن «لويثان» قائلاً:

«لا يهزمه صاحب القوس، وحجارة المقلع تنقلب قشاً»^(٣٠).

٦- الدرع والترس (أو المجن): والدرع لباس يرتديه المقاتل لكي يتقي به ضربات الأعداء ونبالهم، ويصنع من جلد أو نحاس أو حديد، وقد قال تعالى في كتابه الكريم، مخاطباً داود عليه السلام: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ، يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ، وَأَلْمَأَ لَهُ الْحَدِيدُ» «أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ، وَأَعْمَلُوا صَالِحاً، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (سبأ ٣٤ / ١٠ و ١١). وفي هاتين الآيتين توجيه من الله عز وجل إلى داود أن يصنع الدروع من الحديد بعد أن أله الله فجعله في يده «كالشمع يصرفه كيف يشاء» (تفسير

(٢٧) العهد القديم، ١ ص ١٧: ٤٠ و ٤٩.

(٢٨) م. ن. ١ ص ١٧: ٤٨ - ٥٩.

(٢٩) م. ن. ١ ص ٢٠: ١٤ - ١٦.

(٣٠) م. ن. أي ٤١: ٢٠ ولويثان: وحش من الخوفا القديم، يفترض أنه لا يزال عاثراً في البحر، ويطبق هنا على التمساح. وهو يرمز هنا إلى ذلك الوحش الذي مزقه الرب في مبادئ العالم، والذي هو مثال القوى المعادية لله (م. ن. ص ١١٠٢ حاشية ٥).

البيضاوي) او «كالطين المبلول والعجين والشمع» (السدي في القرطبي)، وان يقدّر سرد هذه الدروع، أي «نسج حلقتها» تقديرًا صحيحًا بحيث تجمع بين الخفة والحصانة (القرطبي). والسرّاد: هو الزرّاد الذي يصنع حلقات الدروع وينسجها. ويفسر «البيضاوي» عبارة «وقدّر في السرد» بمعنى: قدّر مسامير الدروع (أي حلقاته)، «فلا تجعلها دقاقًا فتتلق، ولا غلاظًا فتحرق» (البيضاوي، تفسير سورة سبأ) (٢١). ويأتي قوله تعالى: «واعملوا صالحا، اني بما تعملون بصير» إشارة لمحاسن اليهود على أعمالهم بعد ان «الان» لداود، نبيهم، الحديد، وعلمه صنع السلاح والدروع تقوية له وتعزيزاً (٢٢). ولكن الدرع، وكذلك الترس، عرفا قبل داود بفترة طويلة، فقد عرف المشاة السومريون، في العصر البرونزي الأول، سترات من الجلد معها مسامير معدنية (٢٣)، وبسبب تطور الوسائل الهجومية في القتال، كان لا بد من تطور وسائل الدفاع، الفردية أولاً، فكان ان وجدت، في العصر البرونزي الاخير وما بعده، دروع تغطي جسم المقاتل وتتألف من جلد، او قماش خشن، مغطى بصفائح برونزية مستطيلة ورقيقة، وتتغير احجام هذه الصفائح بما يلائم السترة التي تغطيها، حتى ان عدد الصفائح يراوح، في سترة واحدة، ما بين ٤٠٠ و ٦٠٠ صفيحة، مما يجعل هذه الدروع ثقيلة ولكنها ضعيفة عند ملتقى الأكمام وغطاء الرقبة مع جسم السترة (٢٤). ورغم ذلك، كان ممكناً ان يصاب المقاتل، المدرّع بهذا الشكل من الدروع، بضربة سيف او طعنة رمح تصيب الفراغ الذي يمكن ان يظل قائماً في الفجوات ما بين الصفائح، كان يصاب في الفراغ القائم بين مفاصل الدرع، وهذا ما اصاب آحاب بن عمري، ملك اسرائيل، في وقعة «راموت جلعاد» اذ ان «رجلاً رمى قوسه غير متعمد فاصاب ملك اسرائيل بين مفاصل الدرع» فمات اثر ذلك (٢٥). كما كان المقاتلون يستخدمون سلاسل من الزرد لحماية انفسهم ومركباتهم والخيال التي تجرها (٢٦). والترس أو المعجن، آلة يقي بها المقاتل نفسه من سهام الاعداء او رماحهم او سيوفهم، ويصنع من الجلد او الخشب او النحاس او الحديد، وقد رافق الترس الدرع في صنعه

(٢١) سويد، ياسين، الفن العسكري الاسلامي، ص ٢٩، وانظر: القرطبي، المصدر السابق، ج ١: ١٤: ٢٦٨ - ٢٦٩، وتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي المعروف بالبيضاوي (سورة سبأ).

(٢٢) لقد اشرنا، في مكان سابق من هذا الفصل، الى تنديد الله عز وجل في كتابه الكريم، باليهود، ووضعه ايامهم في مصاف المشركين ولعنه ايامهم، وذلك بسبب عداوتهم للمؤمنين (المائدة ٨٢) وتجديفهم في العزة الالهية (المائدة ٦٤) فارجع اليه.

(٢٣) - Encycl. Jud. Op. Cit. P. 266

(٢٤) - Ibid. p. 269

(٢٥) العهد القديم، م. ن. ١ مل ٢٢: ٢٤ - ٢٥.

وتطوره. فكان في العصر البرونزي الأول، مثلث الشكل، عريضاً، يصنع من الخشب المغطى بالجلد المغطى، بدوره، بصفائح معدنية^(٢٧). وتطور الترس، بعد ذلك، بسبب تطور الدرع الذي اختصرت قياساته، مما أثر على قياسات الترس نفسه، الذي كان يصنع من خشب مغطى بالجلد المغطى، بدوره، برؤوس مدببة. وقد اعتمد المصريون، في العصر البرونزي الثالث، اتراساً صغيرة ذات شكل مستطيل وعليها رؤوس مدببة، وقد غطيت هذه الرؤوس، فيما بعد، بصفائح معدنية. كما حمل الحثيون تروساً صنعت على شكل 8. أما تروس الكنعانيين فكانت صغيرة مستطيلة، ثم أصبحت، بعد ذلك، مستديرة^(٢٨).

وأدى تطور الدرع، في العصر الحديدي، إلى تطور الترس أيضاً، فبينما أصبح الدرع (عند الفلسطينيين) كناية عن سترة من الصفائح المعدنية، يتصل بعضها ببعض بواسطة زوايا تلتقي بأشكال ٧ متعاكسة، ويسمى «الدرع الحرشفية»، مما يجعله ثقيل الوزن (إذ كان وزن درع جليات خمسة آلاف مثقال نحاس)، ظل الترس ثقيل الوزن، أيضاً، مما كان يضطر المقاتل (المبارز كجليات) لاستخدام حامل للترس يتقدمه إلى ساحة المبارزة^(٢٩).

ولم يكن الدرع يقتصر على النصف الأعلى من الجسم فقط، بل كان يمتد إلى النصف الأسفل منه، وإلى ساقيه أيضاً، فقد كان الفلسطينيون يرتدون تنانير جلدية ويلفون على سيقانهم لفافات من نحاس، وهذا هو الشكل الذي ظهر فيه «جليات» عند مبارزته لداود^(٣٠).

ثم تطور الدرع، بعد ذلك، فأصبح سترة من الزرد الحديدي المقوى، على شكل كيس بفتحة للرأس وبأكمام قصيرة، وبطول كامل الجسم، (وذلك في القرن التاسع ق. م). ثم استخدم النبالون وشاحاً من الزرد يغطي الرقبة ما بين الخوذة والدرع. وفي القرن الثامن ق. م. اختصر الدرع حتى أصبح بشكل سترة قصيرة من الزرد^(٣١). أما الترس فقد اتخذ أشكالاً مختلفة منها المثلث والمستدير والمقعر أو المنحني، والمغطى برؤوس مدببة ومستديرة بحسب المرحلة التي ظهر فيها كل شكل من هذه الأشكال. كما شكّل «حملة الأتراس» وحدة خاصة بهم^(٣٢).

-- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 269 (٢٦)

-- Ibid, P. 266 (٢٧)

-- Ibid, P. 269 (٢٨)

(٢٩) العهد القديم، ١ ص ١٧: ٤ و ٧ و 271 P. Op. Cit. Encycl. Jud.

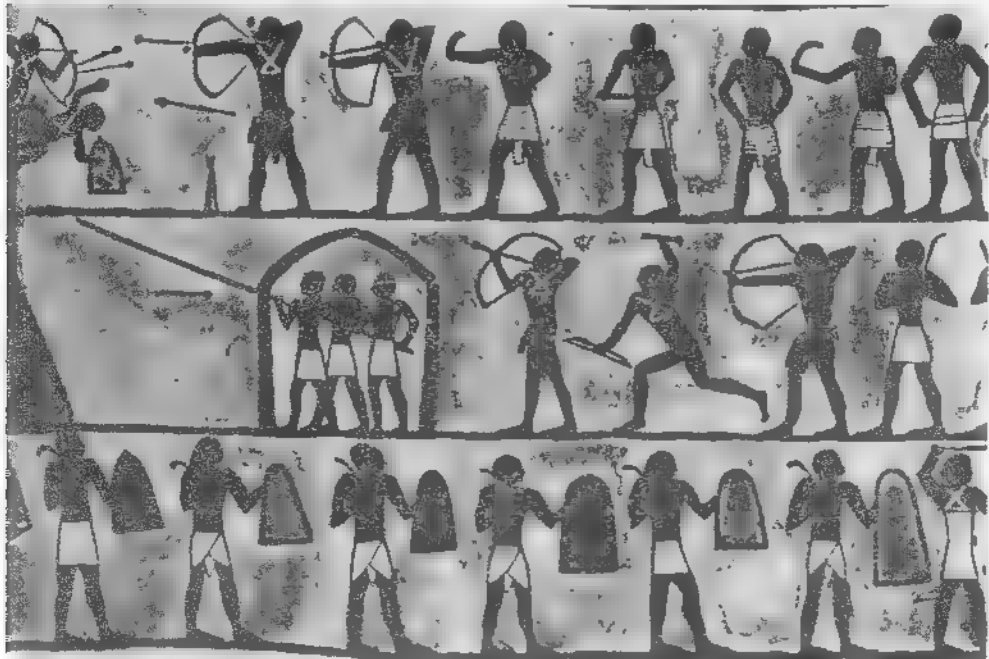
(٤٠) م. ن.، ١ ص ١٧: ٦ و 271 P. Op. Cit. Encycl. Jud.

-- Ibid P. 272 (٤١)

-- Ibid. (٤٢)

الرسم (رقم ٢):

صورة لنقوش حدارية من آثار بني حسان بمصر في القرن العشرين ق م. وهي تمثل هجوما على مدينة محاصرة، من مصريين مسلحين بالفؤوس والاقواس المردوجة واتراس خشبية



(-- Keter Publishing, Encyclopaedia Judaica, Vol. 16 p. 270)

٧- **الخوذة:** عرفت الخوذة المعدنية في العصر البرونزي الأول، وكان وجودها احد اهم اسباب تطور الفأس كسلاح للقطع والطعن^(٤٢) كما سبق أن مر معنا ذلك ان حاجة المقاتل لسلاح يخترق الخوذة المعدنية للخصم دفع المقاتلين للبحث عن تغييرات جوهريّة في شكل الفأس وفعاليتّه، بحيث يلبي هذه الحاجة، فكان «الفأس - العين - Eye - axe»، الذي عرف خلال القرنين العشرين والتاسع عشر ق م.، هو السلاح المطلوب، وقد وجد هذا السلاح في المكتشفات الأثرية في كل من فلسطين وسوريا وجبيل^(٤٤).

وقد حرصت الجيوش، في العصر البرونزي الثالث، على ايجاد اشكال مختلفة من

-- Ibid. (٤٢)

-- Ibid, P. 266 (٤٣)

-- Ibid, P. 267 - 268 (٤٤)

الخوذ المعدنية، متعددة التفتن في هذه الاشكال، فقد كان الكنعانيون مثلاً، يلبسون خوذة معدنية مستديرة تغطي الرقبة من الخلف ولكنها تكشف الأذنين (كما وجدت في اثريات مجدو). واختار الآسيويون خوذة مروسة قليلاً في الأعلى ومغطاة بالريش او مزينة بالجلد، مع شراية متصلة بالتاج ومعقودة الى الخلف كضفيرة. وكانت خوذة الحثيين مروسة مع حماية للرقبة وضفيرة طويلة. وقد وجدت اشكال اخرى لخوذ الحثيين في اثريات قادش، كذلك التي كان يعتمرها طاقم المركبة الحثية، وهي خوذة مستديرة تغطي الرقبة وتكشف الأذنين^(٤٥).

اما في العصر الحديدي (الذي عرفته الممالك العبرية المختلفة) فقد عرفت شعوب البحر اشكالاً مختلفة من الخوذ، فاعتمر الفلسطينيون خوذة مزينة بعرف من الريش كعرف الديكة، بينما اعتمر آخرون خوذة ذات قرون او خوذة ذات اقراص وقرون^(٤٦). ويذكر العهد القديم ان جليات الفلسطيني كان يعتمر «خوذة من نحاس» عندما انبرى داود لمبارزته^(٤٧)، وكان داود يعتمر خوذة مماثلة^(٤٨).

وفي مقارنة طريفة بين الجهاز العسكري الذي تجهز به كل من جليات الفلسطيني وداود العبري، في اثناء المباراة التي جرت بينهما، وفقاً لما جاء في العهد القديم، نجد ما يلي:

«خرج «جليات» الفلسطيني وكان طوله ست أذرع وشبرا، وعلى رأسه خوذة من نحاس. وكان لابسا درعا حرسفية (وهو الدرع المحبوك حبكا بحيث يبدو كحراشف السمك)، ووزن الدرع خمسة آلاف مثقال نحاس، وعلى رجليه ساقان من نحاس، وبين كتفيه مزراق من نحاس، وقناة رمحه كملطوى النساج، ووزن رمحه ست مئة مثقال حديد، وكان يتقدمه رجل يحمل ترسه»^(٤٩).

.. Ibid. P. 269 (٤٥)

.. Ibid. P. 271 (٤٦)

(٤٧) العهد القديم، ١ ص ١٧-٥.

(٤٨) م. ن. ١ ص ١٧-٢٨.

(٤٩) م. ن. ١ ص ١٧-٤٧.

- وخرج «داود» العبري بلباس شاول وجهازه العسكري، اذ «ألبس شاول داود ثيابه، وجعل على رأسه خوذة من نحاس، وألبسه درعا، وتقلد داود سيفه فوق ثيابه وحاول ان يمشي لانه لم يكن قد جرب، فقال داود لشاول: لا استطيع ان أمشي بهذه، لاني لم اكن قد جربتها. ونزعها داود عنه. ثم اخذ عصاه بيده، وانتقى خمسة حجارة ملمس من الوادي ووضعها في جيب كيس الراعي الذي له، ومقلاعه بيده، وتقدم من الفلسطيني»^(٥٠).

وقد سبق ان بينا، في حديثنا عن جيش عزريا ملك يهوذا (٧٦٧ - ٧٤٠ ق. م)، ان هذا الجيش عرف «تروسا ورماحا وخوذا ودروعاً وقسيًا وحجارة مقاليع، وصنع في اورشليم، منجنقات»^(٥١)، أما خصومه الفلسطينيون الذين كانوا يتميزون بخوذ يعلوها ريش، فقد كانوا يستخدمون «سيوفاً طويلة مستقيمة واتراسا مستديرة»، بينما كان المصريون يستخدمون «اقواسا مركبة ورماحا قصيرة»^(٥٢).

الا ان اهم الاسلحة الفردية، الهجومية خصوصاً، التي كانت تستخدم، في هذه الحقبة (الالف الاول ق. م) هي: المقلاع واللقوس^(٥٣) والسيف والرمح، وقصة داود العبري وجليات الفلسطيني ليست قصة استثنائية في وسائل الهجوم التي كانت معتمدة في تلك الحروب.

- ترتيب الجند، في القتال، وفقاً للسلح: كانت الجيوش تتألف، في العصر الحديدي، أي عصر الممالك العبرية، من ثلاث فئات: مشاة، وخيالة، ومركبات، وهو ما أوصى به ضباط بنهدد، ملك آرام، بعد هزيمة جيشه في حربه، امام السامرة، ضد آحاب ملك اسرائيل، اذ قال هؤلاء الضباط لمليكمهم: «جند لك جيشا كالجيش الذي سقط لك، وخيالا كالخيال السابق، ومركبات كالمرربات السابقة، فنقاتلهم في السهل ونقوى عليهم»^(٥٤)، كما يؤكد ذلك ما ورد في العهد القديم من انه لم يبق ليواهاز، ملك اسرائيل، من جيشه، بعد هزيمته امام حزائيل ملك آرام، وابنه بنهدد (الثالث)، سوى «خمسين فارساً

(٥٠) م. ن. ١ ص ٩٧: ٤٨ - ٤٠.

(٥١) م. ن. ١ ص ٩٦: ٢٦.

(٥٢) Pritchard, Atlas du monde biblique, P. 116.

Ibid (٥٣)

(٥٤) العهد القديم. ١ مل: ٢٠: ٢٥.

وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل^(٥٥). وكان كل جندي، من جيش يواحاز، مجهزة «بالإضافة إلى أسلحته الخاصة... بسيف، وسترة من الزرد، وخوذة»، إلا أن هذا التجهيز كان يتغير من «ملك إلى آخر» كما كان الجيش يشكل من كتائب مجهزة بمقاليع وقسي ورماح طويلة وقصيرة وسيوف وتروس ودروع^(٥٦).

وكانت فرق المشاة تتألف من أربع فئات هي:

- النبالون، وهم رماة السهام (أو النبال) من القسي.

- والقذافون، وهم رماة الحجارة من المقاليع (جمع مقلع).

- والرماحون، وهم حاملو الرماح ورماة المزاريق (ج. مزارق).

- والمساعدون، وهم حاملو التروس الذين يتقدمون صفوف النبالين^(٥٧).

وكان ترتيب الكتائب يتم على الشكل التالي:

- في المقدمة: حاملو التروس الذين يتقدمون للصفوف جميعها.

- في الصف الأول (الذي يلي المقدمة): النبالون يرمون نبالهم تحت حماية حاملي

التروس.

- ويليه: القذافون الذين يرمون حجارتهم تحت حماية حاملي التروس كذلك. ولا

يحمل النبالون والقذافون تروساً.

- في الصفوف الخلفية: الرماحون الذين يحملون الرماح الطويلة والقصيرة

والسيوف.

وهم الوحدات التي تخوض معارك القتال وجهاً لوجه^(٥٨). وكان المشاة يشكلون

السلاح الرئيسي في ميدان القتال وفي مهاجمة الحصون^(٥٩).

(٥٥) م. ن. ٢٠، مل ١٣: ٧.

-- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 272 (٥٦)

(٥٧)

-- Ibid, et Pritchard, Op. Cit. P. 116 (٥٨)

-- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 272. (٥٩)

أما الخيالة فكانوا يتألفون من فئتين هما: النبالون والرماحون، وكان هؤلاء يشاركون في المعارك ويحملون القسي أو الرماح. وبينما كان الرماحون يحملون تروسا، كان النبالون لا يحملونها. وذلك لأن النبال، بعكس الرماح، يحتاج لكلتا يديه كي يرمى، لذا، كان يستعاض عن الترس بالدرع وبحمل الترس للراكب الذي كان يتقدم صفوف النباليين^(٦٠).

وكان الخيالة يقاتلون في وحدات خاصة بهم (وينفذون مهمات دفاع متحرك عن المركبات)^(٦١).

وكان الجميع يتدربون بدروع من صحائف نحاسية أو حديدية، وكانت الدروع كناية عن قطع من هذه الصحائف يتصل بعضها ببعض بواسطة أسلاك معدنية، بحيث تغطي الجذع الأعلى من الجسم (الصدر والبطن)، أما الجذع الأسفل منه فكان يغطي بتنورة جلدية وسيقان من نحاس للساقين. وكان للخيول دروع خاصة بها.

ثانياً: الأسلحة الإجمالية:

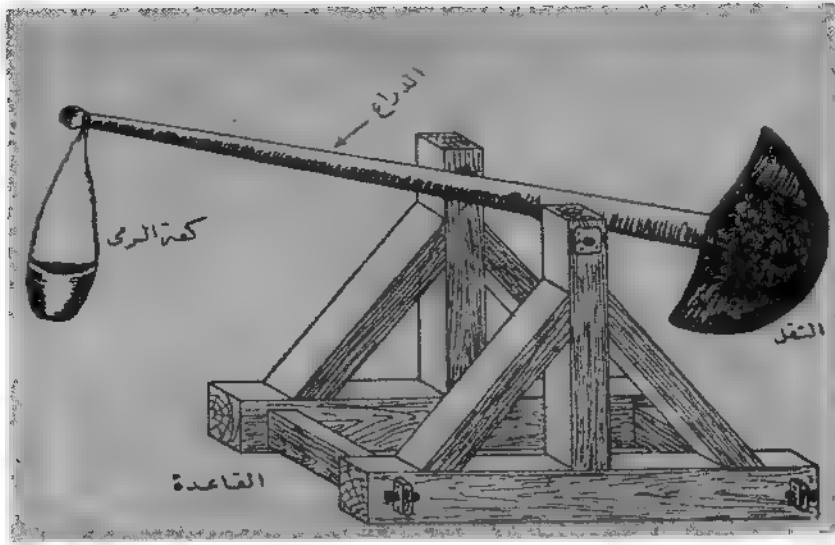
وهي تلك التي تحتاج إلى أكثر من مقاتل فرد لاستخدامها، وكان أهمها، في تلك الحقبة ثلاثة: المنجنيق، ورأس الكبش، والمركبة.

١- المنجنيق: المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة، وتستخدم لهدم الحصون أو لرمي الأعداء بالنبال أو لإحراق مواقع العدو، وغير ذلك. وينسب الكثير من المؤرخين اختراع هذا السلاح إلى الفرس، ويبدو ذلك صحيحاً باعتبار أن لفظة «منجنيق» فارسية الأصل، وهي «من جه نيك» أي «ما أجودني»، وجمعها: منجنقات، ومجانق، ومجانيق. ويمكن القول أن المنجنيق هو مقلع كبير، يتألف، عادة، من قاعدة خشبية يقوم في وسطها عمود خشبي في أعلاه ذراع تتحرك علواً وسفلاً، ويتدلى منها صندوق يملأ بالحجارة أو السهام أو الخرق المبلولة بالزيت بعد إحراقها، ويجري قذفها إلى مسافات بعيدة بواسطة تحريك الذراع الخشبية^(٦٢).

-- Ibid. (٦٠)

-- Ibid. (٦١)

(٦٢) سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٦١-٦٦، وانظر: محيط المحيط (ج٢).



المنجنيق

عن كتاب «الفن الحربي في صدر الاسلام» لعبد الرؤوف عون، ص ١٥٩

وقد سبق ان ذكرنا ان «عُزَيَّا» بنى الأبراج على سور اورشليم وأقام «على الزوايا» منجنوقات «اخترعها رجال حذاق» لكي يرمي بها على المهاجمين «السهام والحجارة الضخمة»^(٦٣). كما سبق ان ذكرنا ان يهوذا المكابي نصب المجانيق لدك حصن «دياتما» شرق بحيرة الجليل لانقاذ اليهود المحاصرين فيه من قبل جيش طيموتاوس السلوقي^(٦٤). وفي العهد القديم العديد من الأمثلة عن استخدام المنجنيق في حروب العبرانيين.

٢- سلم الحصار: وهو سلم من حبال مجدولة بشكل درجات تنتهي بوهق او نشوطة يرميها المحاصرون على أعلى السور وشرفاته لتعلق بها، ويتسلقون السور بواسطة السلم بعد تثبيته^(٦٥). وقد سبق ان مر معنا ان يهوذا المكابي حاصر حصن «دياتما» ونصب على سوره «السلام» لاقتحامه بغية انقاذ اليهود المحاصرين فيه، وتذكر «الانسلوبيديا

(٦٣) العهد القديم، ١٢ ح ٢٦ ١٥

(٦٤) م. ن. ١ مك ٥: ٣٠.

(٦٥) سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧١، وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢ ٤٢٨

اليهودية، سلالم الحصار كواحدة من الوسائل الرئيسية لاقتحام الحصون، وهي تعتبر ذلك نوعا من «الاقتراب المباشر» الذي يتم اما باختراق اسوار الحصن بواسطة فتح ثغرات فيها، او بتسليق هذه الاسوار بواسطة السلالم^(٦٦).

٣- رأس الكبش او (كباش الحصار): يعتبر «رأس الكبش» او «كباش الحصار» أكثر الأسلحة الهجومية فتكا بالحصون والتحصينات، وهو كناية عن كتلة خشبية ضخمة يثبت فيها رأس من الحديد او الفولاذ، وتدخل في برج مربع مسقوف ولا ارض له، يسير على اطر وعجلات، ويلجه، في القتال، عدد من الرجال يدفعونه الى سور الاعداء كي يعملوا به نقبا وتهديما من خلال فتحات او كوى فتحت في جدران الصندوق الخشبي المتحرك. وكان المهاجمون، اذا ارادوا هدم سور او حصن ما، يتقربون منه بواسطة البرج المربع المسقوف، حيث يتدلى «الرأس الحديدي» (الذي هو أشبه برأس الكبش) من سطح البرج، وهو مربوط بسلاسل قوية، ثم يقيمون مدرجا امام الموقع الذي يريدون خرقه (ويكون عادةً، باب السور او أضعف نقطة فيه) ويدفعون الكبش حتى يتسلق المدرج، ثم يحركون الرأس الحديدي صعودا وهبوطا باتجاه الهدف (الباب او اية نقطة اخرى) فيضربه ضربات قوية متتالية حتى يتمكن من هدمه او فتح ثغرة فيه. وكانت هذه الآلة تتقدم نحو سور الاعداء تحت غطاء كثيف من السهام التي يطلقها المحاصرون ليمنعوا المدافعين من النيل منها، بينما كان المدافعون عن الحصن او السور يسعون الى تلافى خطر هذا السلاح بان يرموا عليه سبائك الحديد المذاب او الخرق المبللة بالسوائل الملتهبة لكي يحرقوه^(٦٧).

ويذكر «بريتشارد» ان مجموعة من النقوش الظاهرة على جدران قصر سنهاريب في «نينوى» «Ninive» تظهر الجيش الاشوري وهو يهاجم مدينة «لاكيش» او «لخيش» في فلسطين عام ٧٠١ ق. م، وبينما كان «كباش الحصار» او «رأس الكبش» مواجهها لبوابة المدينة، كان جندي يرش البوابة بالماء لكي يطفى الخرق الملتهبة التي كان المدافعون يرمونها، من اعلى السور، على تلك الآلة، كما كان المدافعون عن المدينة يرمون المهاجمين بسيل من السهام والحجارة. وقد اكدت الحفريات التي أجريت في «لاكيش» صحة ما جاء في تلك النقوش عن الحصار، اذ انها اظهرت وجود مدرج اشوري امام بوابة المدينة

(٦٦) Encycl. jud. Op. Cit. P. 273 - 274

(٦٧) سوريد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٦٦-٦٧، وعون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الاسلام، ص ١٧٢، وانظر Encycl. Jud. Op. Cit. P. 274 - 275 et Pritchard, Op. Cit. P. 117

المحاصرة، ومدرج آخر في داخلها (٦٧ مكرر). وقد ورد ذكر هذا السلاح في العهد القديم، في سفر «حزقيال»، حيث جاء أن «نبوخذنصر» ملك بابل، أتى إلى أورشليم «لينصب الكباش ويأمر بالذبح ويرفع الصوت بالصياح: لينصب الكباش على الأبواب، ويركع المردوم ويبني التحصينات» (٦٨).

٤ - الفيل: يمكن اعتبار الفيل عتادا حريبا استخدمته الجيوش في ميادين القتال منذ العصور القديمة، وقد مر معنا أن انطيوخوس الخامس، الملك السلوقي، استخدمه عام ١٦٣ - ١٦٢ ق. م. عند غزوه لليهودية، في عهد يهوذا المكابي. ويذكر العهد القديم أن انطيوخوس سقى الأفيال «عصير العنب والتوت» لكي تهتاج، ثم وزعها على الفرق فجعل «عند كل فيل ألف رجل» وأقام لكل فيل «خمس مئة فارس منتخبين»، وكان على كل فيل «برج حصين من الخشب يحميه»، وعلى البرج ثلاثة محاربين يقاتلون من على ظهر الفيل، بالإضافة إلى الفيال (٦٨ مكرر). وكان مع انطيوخوس، في جيشه ٣٢ فيلا «مدربا على الحرب» (٦٩). إلا أنه لم يُعرف أن العبرانيين اقتنوا الفيلة لكي يستخدموها في حروبهم.

٥ - الحصان: كان الحصان وظل، إلى مرحلة متقدمة، من أهم وسائل القتال في الحروب، فهو، بالإضافة إلى كونه وسيلة لحمل المقاتلين وسرعة تحركهم في المناورات القتالية في المعركة، كان، في العصور القديمة، وسيلة لجر المركبات القتالية التي كانت تجر بواسطة حصانين أو أربعة وفقا لحجم المركبة وضخامتها، ولتطور صناعتها عبر التاريخ.

٦ - المركبة: كانت المركبة أهم عتاد قتالي في معارك القدماء، منذ العصور الأولى في التاريخ، وإلى زمن غير بعيد، بل أنها كانت دبابة تلك العصور.

عرفت المركبة في العصر البرونزي الأول «كقاعدة نارية متحركة»، إذ أنها تؤمن للمقاتل حاجتين أساسيتين هما: الثبات والسرعة، وقد تطورت صناعتها، بسرعة فائقة، منذ أيام السومريين (في مطلع الألف الثالث ق. م)، إذ كانت تسير على عجلتين، ثم على أربع، وكان يجرها زوجان من الخيل (٧٠).

(٦٧ مكرر) Pritchard, Op. Cit., P. 117

(٦٨) العهد القديم، حز ٢١: ٢٧.

(٦٩ مكرر) م. ن. مك ٦: ٢٤ - ٢٧.

(٧٠) م. ن. مك ٦: ٢٠.

(٧٠) - Encycl. Jud. Op. Cit., PP. 266 - 267

وقد بلغت المركبة، في العصر البرونزي الثالث، درجة عالية من التطور، فقد كانت عربات المصريين تقليداً لتلك التي كان يستخدمها الكنعانيون، إذ أنها كانت خفيفة تسير على عجلتين ويجرها جوادان مرتبطان بنير يشد أحدهما إلى الآخر. وكانت معدة لكي تحمل سائقا ونبالاً مع صندوق للنبال (أو السهام). وكما أن المصريين قلّدوا مركبات الكنعانيين، أثناء حكمهم لهؤلاء، في هذه الفترة، فقد نقل الكنعانيون بدورهم الكثير من مزايا مركبات المصريين، وظهر ذلك في النقوش التي اكتشفت في «مجدو» (١٤٦٨ ق.م). وقد طور الحثيون المركبات، بعد ذلك، حيث ظهرت في نقوش قادش (١٢٨٦ ق.م) مركبات يجر الواحدة منها جوادان وتحمل سائقا ورماحاً (قاذف مزاريق)، وحامل درع، وبينما كان المصريون يستخدمون مركباتهم كقاعدة متحركة للنبالين، كان الحثيون يستخدمون مركباتهم كقاعدة متحركة للمشاة المسلحين بالمزاريق والذين يستطيعون القتال، كمشاة، خارج هذه المركبات^(٧١).

وفي العصر الحديدي، استمر المصريون باستخدام المركبات التي كانوا يستخدمونها في العصر البرونزي الثالث، بينما استخدم الفلسطينيون مركبات ثقيلة تسير على ست عجلات وتحمل طاقماً من ثلاثة مقاتلين مسلحين بالمزاريق، كشأن الحثيين. أما العبرانيون، قبل داود وسليمان، فلم يكونوا يملكون مركبات، إذ ذكر العهد القديم أن يهوذا حارب الكنعانيين في السهل فغلبهم «وورث الجبل» إلا أنه لم يتمكن من طرد سكان السهل منهم «لأنهم كانت لهم مركبات من حديد»^(٧٢). كذلك فإن «دبورة وباراق» قاتلا «سيسرا» قائد جيش الكنعانيين، عند «جبل تابور»، وكان مع سيسرا «تسع مئة مركبة من حديد»، ولم يكن مع «دبورة وباراق» مركبات. وكان لا بد من أن ينتصر سيسرا على العبرانيين بمركباته الحديدية الضخمة والكثيرة العدد والمجهزة بالمقاتلين لولا أن «لقى الرب رعباً على سيسرا وجميع مركباته، وقتل جميع جيشه، بعد السيف أمام باراق، فترجل سيسرا عن مركبته وهرب راجلاً. فطارد باراق مركباته وجيشه إلى هروشت الأم»^(٧٣). وكان داود وسليمان من بعده، أول من استخدم المركبات في القتال وأنشأ منها كتائب في جيشه، فقد كان لسليمان «الف وأربع مئة مركبة واثنان عشر ألف فرس» وأنشأ

(٧١) Ibid. pp. 269 - 270.

(٧٢) العهد القديم، قض ١: ١٩-١٩.

(٧٣) م. ن. قض ٤: ١٢-١٦.

لهذه المركبات وخيلها مدناً خاصة بها^(٧٤). وكان سليمان، في الوقت نفسه، من أهم تجار الخيول والمركبات بين مصر والحثيين، إذ كان تجاره يشترون الخيل «من مصر ومن قُوى»، فكانوا يشترون المركبة من مصر «بستمئة من الفضة» والفرس «بمئة وخمسين»، وكان هذا هو شأن «جميع ملوك الحثيين وملوك آرام» الذين يجلبون هذه البضائع بواسطة تجار سليمان^(٧٥). ويبدو أن هؤلاء التجار كانوا يستوردون للمركبات من مصر ويرسلونها إلى ملوك الحثيين في شمال سوريا وملوك آرام في جنوبها حيث يقايضونها بالخيول التي يستوردونها من آسيا الصغرى ويرسلونها إلى مصر^(٧٦).

وقد خضعت المركبات، فيما بعد، وباعتبارها السلاح الرئيسي للانقضاض، لتغيرات مهمة، وخصوصاً في عهد آشورناصربال (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) حيث أصبحت أكثر ضخامة ووزناً، مما دعا لاستخدام وحدات متحركة من الخيالة للدفاع عنها، فقد كانت المركبة، من الحجم الوسط، تسير على ست عجلات، ويجرها جوادان، مع جواد كاحتياط، ولها طاقم من ثلاثة هم: السائق الذي يقوم، في الوقت نفسه، بمهمة الرماح، والنبال، وحامل الترس الذي كان يضاف إلى مركبة الملك^(٧٧). وكانت مركبة تجلت فلاسر الثالث^(٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) أكثر وزناً، وكانت العجلات أعرض، وكان طاقمها مؤلفاً من ثلاثة هم: السائق، والنبال، وحامل الترس، (الذي كان يعمل ترسين مستديرين)، وكان عدد الخيول التي تجرها أربعة تجمع بينها أنيار (جمع نير). أما في عهد آشوربنيبال (٦٦٨ - ٦٢٠ ق.م) فقد بلغ عدد طاقم المركبة أربعة رجال هم: السائق، والنبال، واثنان من حملة التروس^(٧٨).

وقد زخر «العهد القديم» بذكر المركبات في كثير من مواضعه، فهو يذكر أن بنهدد الثاني، ملك آرام (٨٦٠ - ٨٤٣ ق.م)، استخدم للمركبات في حصاره للسامرة^(٧٩)، واستخدمها، كذلك، في قتاله ضد آحاب، ملك إسرائيل، في موقعه «راموت جلعاد» الأولى، إذ استخدم، في هذه الموقعة، اثنتين وثلاثين مركبة^(٨٠)، كما كان جيش آحاب، مجهزاً،

(٧٤) م.ن. ١٠، مل ١: ٢٦.

(٧٥) م.ن. ١٠، مل ١: ٢٨-٢٩. وقوى: موقع غير معروف.

(٧٦) م.ن. ١٠، مل ١: ٢٨ حاشية (٦).

(٧٧) Encycl. Jud. Op. Cit. PP. 272 - 273.

(٧٨) Ibid. P. 273.

(٧٩) العهد القديم، ١ مل ٢٠: ١.

(٨٠) م.ن. ١٠، مل ٢٢: ٣٦.

كذلك، بمراكب مشابهة، وقد أصيب آحاب بسهم وهو في مركبته^(٨١). ويذكر «العهد القديم»، كذلك، ان حروب الآراميين وهجماتهم المتكررة على تخوم اسرائيل، استنزفت جيش اسرائيل وأرفقته بحيث لم يبق ليوحاز، ملك اسرائيل (٨١٤-٧٩٨ ق.م)، سوى «خمسین فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف رجل»^(٨٢). وغير ذلك من الأمثلة التي يصعب حصرها، خصوصا وان المركبات كانت متوافرة لدى كل الشعوب التي كانت تقطن ارض كنعان في ذلك الحين.

وقد أنبأنا العهد القديم ان فرعون مصر طارد بني اسرائيل، الذين كانوا قد خرجوا من مصر وعبروا البحر هربا منه، بجيش كبير جدا فيه «ستمة مركبة ممتازة، وجميع مراكب مصر، وعلى كل منها ضباط»^(٨٣). مما يؤكد ان المصريين كانوا السباقين في صنع مركبات القتال. ولم يأت العهد القديم على ذكر وجود مركبات من هذا النوع، او سواه، لدى العبرانيين عند خروجهم من مصر.

ثالثا: التحصينات الدفاعية:

يمكن تصنيف التحصينات الدفاعية في ثلاث فئات:

١- الأسوار والبروج ٢- القلاع والحصون ٣- خنادق الدفاع

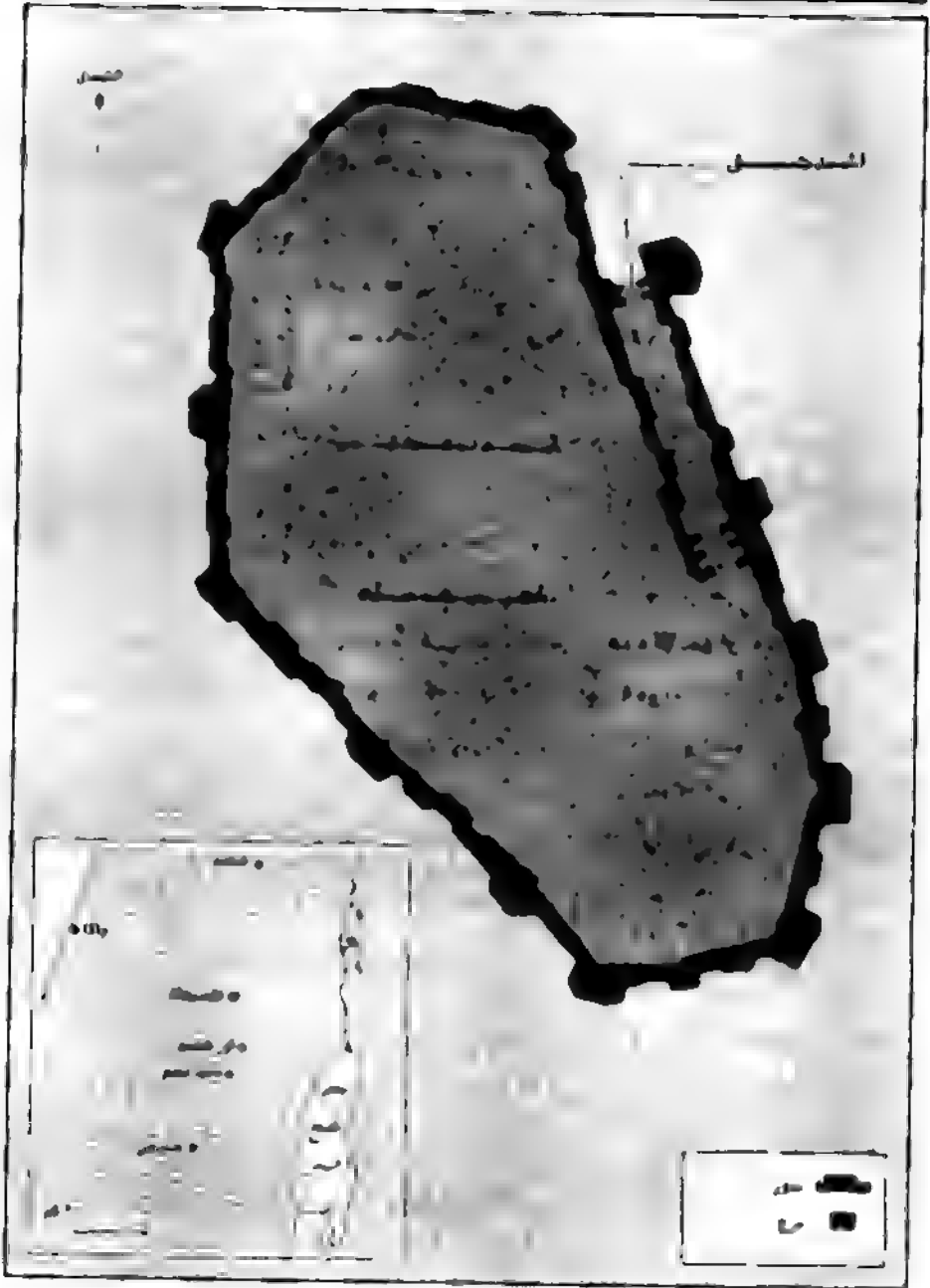
١- الأسوار والبروج: كانت المدن تسور عالية وقوية وحيانا مضاعفة من جميع الجهات، وذات ابواب تفتح في النهار وتغفل عند المساء، ومن هذه المدن: جت وبينة واشدود الفلسطينية، وجبع بنيامين والمصفاة اليهوديتين (اللتين بنيت اسوارهما بالحجارة التي نقلها آسا، ملك يهوذا، من رامة، وكان بعشا، ملك اسرائيل، قد بناها في ارضه، فهدمها بنهدد الاول، ملك آرام في دمشق، بطلب من آسا).

وكان يقام، على هذه الاسوار، وفي زواياها، برج تنصب عليها المنجنيقات للدفاع عن المدينة ضد المحاصرين والمهاجمين، ولرمي السهام والقذائف المشتعلة، والسوائل

(٨١) م. ن. ١٠٠ مل ٢٢: ٢٤.

(٨٢) م. ن. ٢٠٠ مل ١٢: ٧.

(٨٣) م. ن. خر ١٤: ٧ وورد في النص الفرنسي موعلى كل منها طاقمها كاملا. وكان في هذا الجيش مليون وسبعمائة ألف حصان (الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١: ٤١٤).



المنطوق رقم (١):
تصميم سور المصفاة في عهد آسا ملك يهوذا

الحامية والملتهبة، من أعلى السور، عليهم. وقد سبق ان ذكرنا ان عزريا (عزّيا)، ملك يهوذا، حارب الفلسطينيين وهدم سور جت وسور يبتة وسور اشدود» كما انه بنى «ابراجا في اورشليم»، و«ابراجا في البرية»، كما اقام على بروج اورشليم وعلى زوايا السور «منجنيقات... لرمي للسهام والحجارة الضخمة»^(٨٤).

وقد عرف العصر البرونزي الاول الاسوار التي اقيمت حول المدن بغية حمايتها، وكانت كناية عن جدران منيعة تقام عليها، في الزوايا ومن الداخل، بروج محصنة، وتقام فيها بوابات ضخمة ومنيعة، منها ما هو أمامي، ومنها ما هو خلفي أو جانبي يخصص، عادة، للقيام بهجمات معاكسة ضد العدو المهاجم. وكانت البروج تقام، عادة، على شكل مربع أو نصف دائري أو مستطيل وفقا لوضع السور ومحاور الهجوم المحتملة، وكان ينشأ في جدار البرج وفي اعلاه متاريس ذات كوى أو فتحات خاصة لرمي السهام من قبل المدافعين. وقد عثر على آثار، لمثل هذه الاسوار، في مجدو والعي (عاي) وأريحا، وعلى بروج نصف دائرية، لتحصين الاسوار، في العي وعراد وأريحا، وعلى بروج مستطيلة في طرزة (أو تل الفرخ) والعي وأريحا. وكانت هندسة أبواب هذه الاسوار على شكلين: إما ان تكون الممرات الداخلية (أو السرايب) الموصلة الى هذه البوابات محاطة ببروج ناتئة، لحمايتها، كما في أريحا وطرزة، وإما ان تكون الممرات الداخلية والخارجية الموصلة الى البوابات متقاطعة مع محاور تتيح للمدافعين القيام بهجوم معاكس اذا ما اخترقت تلك البوابات، بحيث يجبر العدو المهاجم على التراجع من منتصف الهجوم، ويظهر ذلك في الآثار المكتشفة في خربة التابيك (أو ورش هانيكراه)^(٨٥).

ويبدو ان طرائق احتلال المدن المحصنة، في ذلك العصر، كانت تنحصر في ثلاث:

أ - طريقة الاقتراب المباشر (وهي طريقة الهجوم المباشر بعد ان يستخدم المهاجمون سلالمة الحصار وآلات دك الاسوار مثل رأس الكبش وسواه لاختراق اسوار المدينة المهاجمة).

ب - طريقة الاقتراب غير المباشر (دخول المدينة بالحيلة والخدعة، كمثل حصان طروادة).

(٨٤) م. ن. ٢، اخ ٢٦: ٩ و ١٠ و ١٥. وقد أقرنا استخدام اللفظة القرنية (البروج).

Encycl. Jud. Op. Cit. P. 273 (٨٥)

ج - طريقة الحصار (الذي كان يمكن ان يستمر سنوات حتى يكاد يهلك اهل المدينة جوعاً وعطشاً فيستسلمون)^(٨٦).

وغالباً ما كانت الاسوار تحاط بخندق يلتف حولها من الخارج بحيث يكون حائلاً بين المهاجمين والصور، وكان هذا الخندق يملأ بالماء ما ان تتعرض المدينة للهجوم^(٨٧).

وتعلو الاسوار، بالإضافة الى البروج، شرفات ومعاقل محصنة تستخدم كمناريس للدفاع عن الصور، كما يوجد، في كامل الصور، فتحات يستخدمها المقاتلون لرمي السهام. وينصب على هذه الاسوار، كل آلات الدفاع مثل المجانيق التي ترمي الحجارة والسهام والفرق المبلولة بالسوائل الملتهبة بعد اشعالها.

وقد ادى ظهور المركبات والاكباش (راس الكباش) وتطورهما الى حدوث تغييرات في طبيعة هذه التجهيزات، اذ صممت الممرات التي تلي البوابات او تسبقها بشكل درج يتعذر على المركبات استخدامه، كما بنيت الجدران الخارجية للاسوار من صلصال ممزوج بالقش، وبشكل املس ومنحدر بحيث يتعذر على راس الكباش الثبات عليه واختراقه، اما البوابات فقد اصبحت تُحمى بواسطة بروج مستطيلة وذات عدة طوابق، وقد وجدت مثل هذه الاشكال من البروج والبوابات في حاصور وجازر وشكيم^(٨٨).

وأبرز تطور طراً على بناء الاسوار وبروجها، في العصرين البرونزي الوسيط والبرونزي الثالث، كان بسبب انتشار نموذج بناء القلاع في وسط المدينة وعلى هضبة مشرفة على المدينة بكاملها، اذ اصبحت الاسوار الخارجية للمدينة محمية بواسطة قلاع داخلية، وقد انتشر فيهما (أي السور الخارجي والقلعة الداخلية)، وعليهما، الفتحات والكوى (للمراقبة والرمي) والشرفات للمستطيلة (كمناريس)، كما اصبحت البوابات مستطيلة (وكان للمدينة بوابة او اثنتان، واحدة أمامية واخرى خلفية) وهو ما وجد في الآثار المكتشفة في مجدو وحاصور وجازر^(٨٩).

ويذكر العهد القديم ان داود اقام في حصن صهيون (بأورشليم) بعد ان بنى حوله

-- Ibid, PP. 273 - 274 (٨٦)

-- Ibid, P. 274 (٨٧)

-- Ibid. (٨٨)

-- Ibid, P. 275 (٨٩)

اسوارا، وسماء (مدينة داود)^(٩٠). كما بنى سليمان، بعده، «سور اورشليم»^(٩١). ولما قام سنحاريب بغزو يهوذا، عمد حزقيا ملكها الى تحصين عاصمته اورشليم حيث «اعاد بناء كل ما كان مهدوما من السور، وعلى الابراج، وبنى سور آخر في الخارج، وحصن ملو، مدينة داود»^(٩٢).

ويصف العهد القديم عملية إعادة بناء سور اورشليم بعد عودة اليهود من السبي، على لسان نحميا بن حَكَلِيَا، قال نحميا: «كان النصف من رجالي يعملون العمل، والنصف الآخر متسلحا بالرمح والقوس والقصي والدروع، وكان للرؤساء وراء كل بيت يهوذا الذي كان يبني السور. وكان حاملو الأثقال يحملون عاملين باليد الواحدة، وقد أمسكوا الحراب باليد الأخرى. وكان كل واحد من البنائين يبني وهو متقلد سيفه على حقويه»^(٩٣).

٢- القلاع والحصون: سبق ان ذكرنا انه، في العصرين البرونزي الوسيط والبرونزي الثالث، كانت تقام داخل المدن، وعلى نقاط عالية منها، قلاع محصنة تشرف على المدينة من كل الجهات. وكانت تقيم في هذه القلاع حاميات عسكرية مهمتها حماية المدينة والدفاع عنها اذا ما تمكن العدو من اختراق اسوارها. كما كان يقام داخل هذه القلاع، قصر لحاكم المدينة ومعبد محصن، وكان يعلو الحصن، للدفاع عنه، سور فيه كوى وفتحات نصف دائرية للمراقبة والرمي، وتقوم عليه شرفات مستطيلة هي متاريس تؤدي الغرض نفسه الذي تؤديه الكوى والفتحات في السور (وهو غير السور الخارجي الذي يقام حول المدينة ويجهز، كسور الحصن، بفتحات وكوى وشرفات مماثلة). كما ان نماذج من هذه القلاع والمعابد المحصنة، والمسماة في التوراة «مجدال»^(٩٤)، اكتشفت في شكيم ومجدو وبيت شان^(٩٥). وقد اظهرت الحفريات التي اجريت في جبع (او جبعة

(٩٠) العهد القديم، ٢ صم ٩: ٥ و ١١ و ١٦ آخ ٧: ٨.

(٩١) م. ن. ١ مل ٥: ١.

(٩٢) م. ن. ١٢ آخ ٥: ٢٢.

(٩٣) م. ن. نب ١٠٤-١٢. والحق: الكشح والازار او معقد الازار. والكشح: ما بين الخاصرة الى الخلع الخلف، وهو انصر الاضلاع وأخرها (محيط المحيط).

(٩٤) م. ن. قضا ٩: ٤٦. وقد جاء: «تسمع جميع اعيان مجدال شكيم. فذهبوا الى سرداب بيت ايل هريت، وجاء في تفسير ذلك ان السرداب او البرج هو خندق وملجأ في قن واحدة (م. ن. ص ٤٨٨ وحاشية ١٢).

(٩٥) Encycl. Jud. Op. Cit. P. 275.

شاول، وهي اليوم تل الفول، وكانت عاصمة مملكة شاول) وجود تحصينات، في هذه المدينة، تعود الى عهد شاول وداود وسليمان، في العصر الحديدي، كما أظهرت وجود قلعة يعود تاريخها الى النصف الثاني من القرن الحادي عشر ق.م. وفي هذه القلعة معقل (معتمصم) في السور وبرج في إحدى الزوايا، وثلاث غرف^(٩٦). ويبدو ان الحرب التي شنها الفرعون شيشق على المملكة العبرية عام ٩٢٠ ق.م. ودمر، على اثرها، عددا كبيرا من مدنها، قد أدت الى تغيير في اسلوب التحصينات الذي اعتمد بعد ذلك، إذ أصبحت كل مملكة (السامرة واليهودية) تنشئ دفاعا دائريا حولها، مع سلسلة من القلاع التي اقيمت «على طول الطرق الرئيسية والطرق التجارية وعلى الحدود»^(٩٧). وقد وجدت آثار قلاع داخلية وقصور محصنة مثل قصر آحاب في السامرة وقصر مماثل في رامات راحيل (بيت شريم) بالقرب من اورشليم، وكانت هذه القصور محصنة بمعازل ومعتمصات قائمة في اسوار القلعة^(٩٨).

وفي نظرة اجمالية، يتبين ان التحصينات الاولى التي انشئت في العهد العبري الاول (عهد المملكة الموحدة) كانت تتميز باسوارها المليئة بالمعازل والبروج المزدوجة، والبوابات الضخمة ذات الاقسام المتناسقة، وهي اسوار مزدوجة، احدها داخلي والثاني خارجي، تلف المدينة وفق خطين متوازيين، وبشكل دائري، وبين هذه الاسوار، وعلى مسافات مختلفة، جدران تصل السور الداخلي بالسور الخارجي، وفي هذه الجدران ابواب صغيرة تتيح المرور بين السورين، كما انها يمكن ان تكون مداخل لحصون او تطل على غنادق. وهذا ما نراه في مجدو وحاصور وجازر وعدة مدن اخرى^(٩٩). وقد دمرت هذه التحصينات في اثناء غزو الفرعون شيشق للمملكة العبرية عام ٩٢٠ ق.م. الا انه اعيد بناؤها وفقا لاسلوب جديد مزج بين الجدران السميكة والضخمة وبين الفتحات والتراجعات، كما أصبحت بوابات الدخول صغيرة وخالية من الابراج فوقها، واما البناء فاصبح اكثر ضخامة من السابق. ويعود سبب هذا التغيير في اسلوب بناء التحصينات الى

-- Ibid (٩٦)

Ibid, P. 276 (٩٧) وانظر العهد القديم، ١٢: ١١، ١٢: ٢٦، ١٠: ١٠.

-- Encycl. Jud. Op. Cit. P. 279 (٩٨)

-- Pritchard, Op. P. 117 (٩٩)

تغير في تقنيات الاسلحة الهجومية التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر ق. م. وأهمها «رأس الكبش»^(١٠٠) وقد سبق ان تحدثنا عنه.

٣- خنادق الدفاع: سبق ان رأينا كيف كانت المدن تحاط بخندق خارج السور كي يعيق تقدم الاعداء نحوها، حيث يملأ هذا الخندق بالماء ما ان تتعرض المدينة للهجوم. وكثيرا ما كان المدافعون يحفرون الخندق بين السورين الداخلي والخارجي، بحيث تصبح المدينة، والحالة هذه، محصنة بثلاثة خطوط دفاعية هي: السور الداخلي، والخندق المائي، والسور الخارجي^(١٠١).

- تحصينات رحبعام (٩٢٩-٩١٣ ق. م): تظل التحصينات التي أنشأها رحبعام بن سليمان، على حدود مملكة يهوذا، نموذجا بارزا لاعمال التحصين العبرية في الالف الاول ق. م. فقد «بنى مدنا حصينة في يهوذا، وبنى بيت لحم وعيطم وتقوع وبيت صور وسوگو وعدلأم وجت ومريشة وزيف وادور رائيم ولاكيش وعزيقة وصرة وأيالون وخبرون التي في يهوذا وبنيامين، مدنا محصنة، حصنها تحصينا، وجعل فيها قوادا وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانِب ورماحا في كل مدينة، وحصنها جدا»^(١٠٢). وقد ظل رحبعام وفيأ لابيه سليمان وجده داود طوال حياته، فلم يتخل عن طموحه في ان يستعيد وحدة المملكة التي انقسمت في عهده. لذا، فهو لم يرسم حدود مملكته «يهوذا» من جهة الشمال، أي من جهة مملكة اسرائيل التي تمردت على حكمه بقيادة ياربعام بن نباط، ولم يقم تحصينات في هذه الجهة كذلك التي اقامها باتجاه الجنوب والشرق والغرب، وذلك املا

(١٠٠) Ibid وقد اشتهرت المصون اليهودية في الجزيرة العربية في مطلع القرن الهجري الاول، مثل حصن كعب بن اشرف، وحصن ابي رافع، اليهوديين، وكذلك حصون خيبر السبعة، وحصن بني ثغيف في الطائف، وكلها حصون يهودية (سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧٤).

(١٠١) Eincycl. jewl. Op. Cit. P. 274

وقد عرف المسلمون خنادق الماء هذه في حروبهم الدفاعية في مطلع الدعوة الاسلامية واشهرها ذلك الذي حفره النبي (صلم) حول المدينة المنورة، وبمشورة من سلمان الفارسي، لصد هجوم القرشيين عليها، وقد سميت «غزوة الخندق» اشارة الى الخندق الذي حفره المسلمون. كما عرف المسلمون «الخنادق المائية» فتحصنوا بها على الطريقة الرومية. واستخدم الفرس هذه الخنادق في حروبهم ضد المسلمين في العراق، واشهر الوقعات التي استخدموا فيها خندق الدفاع هي الوقعة المعروفة «بغات العيون» او «الانبار» (سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، ص ٧٢-٧٣).

(١٠٢) العهد القديم، ١١: ٥-١٢.

في ان يستعيد هذه المملكة ذات يوم. لذا، ظلت الحرب قائمة بينه وبين ياربعام «كل ايام حياته»^(١٠٣).

وليس مؤكدا ما اذا كانت هذه التحصينات التي أنشأها رحبعام قد قامت قبل غزو «شيشق»، فرعون مصر، لمملكة يهوذا، في السنة الخامسة من ملك رحبعام الذي استمر سبعة عشر عاما، ام بعد ذلك، وربما كان رحبعام قد باشر بإنشاء هذه التحصينات قبل الغزو المصري لبلاده، ثم تابعه بعد ذلك. وفي كل حال، فهو قد رسم، من خلال هذه التحصينات، حدود مملكته من الشرق والجنوب والغرب، دون الشمال، كما سبق ان قدمنا، ويلاحظ ان هذه التحصينات ترسم الحدود بين مملكة يهوذا وبين بلاد الفلسطينيين من الغرب، دون ان نضم اليها النقب او منطقة المرتفعات في الجنوب. كما تظهر هذه التحصينات ان رحبعام اختصر خطوط الدفاع عن مملكته، كانما هو عازم على الدفاع عن قلب المملكة فقط^(١٠٤).

وتدل خطوط التحصينات المنشأة ان رحبعام اراد، من وراء انشائها، ان يقفل الطرق الداخلية الى المملكة من الجنوب والغرب والشرق، بينما تدل شبكة الطرق التي أنشأها في قلب المملكة وضمن حدود هذه التحصينات، انه اراد ان يصل مدن مملكته، بعضها ببعض، بطرق متوازية ومتعارضة ومتواصلة، من لاكيش جنوبا الى عزيقة فأيلون شمالا، ومن عزيقة غربا الى بيت صور شرقا، ومن زيف جنوبا الى حبرون فبيت صور فعيم فبيت لحم شمالا، ومن اندوراثيم جنوبا بغرب الى حبرون شمالا بشرق، ومن عيلم شمالا بغرب الى تقوع جنوبا بشرق (انظر المخطط رقم ٢).

رابعا - تجهيزات الحصار:

سبق ان ذكرنا ان رحبعام جهز مدنه المحصنة والمنيعة بكل حاجات الحصار من «طعام وزيت وخمر»^(١٠٥). كما ان عزيا «بنى ابراجا في اورشليم... وبنى ابراجا في البرية

(١٠٣) م ن ١٠٤ ج ١ و ١٥ ج ٦

(١٠٤) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, p. 91 Map. 119

(١٠٥) العهد القديم، ١١ ١١.

وحفر آبارا كثيرة» في «السهل والنجد» وفي «الجبال»^(١٠٦) ولا شك في ان هذه الآبار كانت تزود الحصون المبنية في البرية، وفي السهل والنجد والجبال، بحاجتها من المياه.

ولما كانت عمليات الحصار تمتد، في غالب الاحيان، الى امد طويل يبلغ، احيانا، السنوات، (استمر حصار بنهدد الثاني ملك آرام للسامرة، عاصمة اسرائيل، في عهد آحاب، ثلاث سنوات ونصف السنة حتى اكل اهلها لحم الحمير وزبل الحمام، واكلت النساء اولادهن)^(١٠٧)، فقد عمد ملوك اسرائيل ويهوذا الى استخدام وسائل هندسية متطورة لكي يؤمنوا الماء للمدن المحاصرة دون ان يضطر اهلها للخروج منها والتعرض لخطر الموت على يد العدو المحاصر، ومن هذه الوسائل ما ذكر «بريتشارد» انه اكتشف في حفريات اورشليم ومجدو وحاصور وجبعون وغيرها، ووصفه كما يلي:

«كانوا يحفرون بئرا عمودية خلف جدران المدينة، ثم يحفرون قناة طويلة، بانحدار قليل، من النبع الى المدينة، بشكل يسمح للمياه بان تجري حتى تصل اليها. وكانوا يضيفون، لهذه الوسيلة، عدة صهاريج، عند الحاجة»^(١٠٨). كما يذكر «بريتشارد» ان حزقيا بن أحاز» ملك يهوذا (٦٨٧ - ٧١٦ ق. م) فصل في النقش الذي اكتشف بعده، والمسمى «نقش سيلوه»، الطريقة التي زود بواسطتها عاصمته اورشليم بالمياه، وكيف تم حفر القناة لاجل هذا الغرض.

وقد جاء في ذلك النقش ما يلي: «... كان كل عامل يسعى جاهدا في الحفر باتجاه زميله، وعندما يصبح على بعد ثلاثة اذرع منه، يُسمع صوته وهو يناديه، لانهما كانا على المستوى نفسه في الصخر، يمينا ويسارا. وما ان اختُرقت القناة حتى دك عمال المقالع آخر ما تبقى من كتل، وجها لوجه، ومعولا لمعمل، فجرت المياه من النبع حتى الخزان، على مسافة ١٢٠٠ ذراع، وكانت سماكة الصخر فوق رأس عمال المقالع مائة ذراع» (نقش سيلوه)^(١٠٩). ويؤكد العهد القديم ما ورد في هذه المخطوطة بقوله: «وحزقيا هو الذي سد مخرج الماء الاعلى في جيحون وأجراه اسفل الى غربي مدينة داود»^(١١٠).

(١٠٦) م. ن. ٢٠٠، ٢٦، ١٠٠٩

(١٠٧) م. ن. ٢٠٠، ٢٤: ٦، ٢٩، ١١٧. -- Prichard, Op. Cit. P. 117.

(١٠٨) -- Prichard, Ibid. (١٠٨)

-- Ibid. (١٠٩)

(١١٠) العهد القديم، ٢٠: ٣٢.

الباب الثاني

الاجتياح

- الفصل الأول: حروب يشوع بن نون.
- الفصل الثاني: حروب القضاة.
- الفصل الثالث: حروب الملوك.

الفصل الأول

حروب يشوع بن نون

حروب يشوع (القرن ١٣ ق.م)

ارتاع ملوك الاموريين «الذين في عبر الأردن جهة الغرب» والكنعانيون «الذين على البحر»، ودب الرعب في صفوفهم، لما وصلتهم أنباء معجزة يشوع في نهر الأردن، وكان العبرانيون قد نزلوا في مكان يسمى «الجلجال» في صحراء أريحا، استعدادا للتقدم نحو هذه المدينة^(١).

حصار أريحا واحتلالها:

بينما كان يشوع يعد جيشه للتقدم، ابصر رجلا غريبا عن القوم، واقفا وبيده سيف مسلول، فارتاب في أمره وتقدم منه سائلا: «أمنأ انت أم من أعدائنا؟»، فأجابه ذلك الرجل: «كلا، بل أنا رئيس جند الرب، والآن جئت»، فسجد يشوع للرب شاكرا تلتطفه وإيفاده «رئيس جنده» للقتال معه^(٢).

(١) - العهد القديم، يش ١٠-١١.

(٢) م. ن. يش ١٤-١٥. وفي القرآن الكريم ظاهرة مماثلة، ألا أنها تمت بأسلوب مختلف، إذ إن الله عز وجل قدم للمسلمين الدعم المعنوي، في وقعتي بدر وحنين، وذلك عندما أرسل ملائكته للقتال إلى جانبهم في كلتا الوقعتين. فقال تعالى: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ. فَذَلَّلُوا إِلَهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ يَكْفَيْكُمْ أَنْ يُصَدِّقَكُمْ مِنْكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ» بلى إِنْ تُصَبِّرُوا وَتُتَّقُوا وَيُؤْتَوْكُمْ مِنْ قُدْرِهِمْ هَذَا نُمَكِّدْكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» (آل عمران ١٢٣/٣-١٢٤-١٢٦). وقال أيضا: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُفَرُكُمْ فَلَمْ تُدْرِكُوا يَبْنَاقَ شَيْخًا وَمَضَتْ فَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِمَتْ ثُمَّ وَلِيَتْكُمْ مَدْيَنَ» ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا..... (التوبة ٢٥-٢٦).

وجاء في تفسير الجلالين أن الملائكة قتلت يوم بدر مع المسلمين «على خيل بلق عليهم علمهم صفر وبيض أرسلوها بين اكتافهم»، ولكننا لا نشك في أن القوة التي أمد الله عز وجل بها المسلمين في بدر وحنين هي قوة معنوية، ولم تكن قوة مادية، بأي حال.

ولكننا نرى ان هذا الدعم من «رب الجند» لبني اسرائيل في حربهم، وسواه مما ورد في العهد القديم عن دعم مماثل، يدخل في باب الاسطورة، ولا يتعدى التحريض المعنوي على القتال، بمبادرة من يشوع نفسه.

ما ان علم الشعب في أريحا ان بني اسرائيل قادمون حتى اقفل مدينته في وجوههم ومنع الدخول اليها او الخروج منها، وقال الرب ليشوع: «اني قد أسلمت اريحا وملكها الى يدك»^(٣).

تقع اريحا على الضفة الغربية لنهر الأردن، وهي أول مدينة يصل اليها من يعبر الأردن شمال البحر الميت، حيث عبره يشوع بشعبه. وقد سار يشوع نحو أريحا، بالترتيب التالي:

١- في المقدمة: المجهزون للحرب، أي المقاتلون، وهم اربعون الفا^(٤).

٢- ثم: البواقون، وعددهم سبعة، من الكهنة.

٣- ثم: تابوت العهد، وحوله الكهنة.

٤- وأخيرا، في الساقة: مجموع الشعب، يمشي خلف التابوت، وهو ينفخ في الأبواق^(٥).

يذكر العهد القديم ان الرب أمر يشوع ان يطوف بجنده «جميع رجال القتال» حول المدينة ستة ايام، مرة في كل يوم، اما في اليوم السابع فيطوفون حولها سبع مرات «وينفخ الكهنة في الأبواق» حتى اذا سمع الشعب صوت الأبواق هتف الجميع «هتافا شديدا، فيسقط سور المدينة في مكانه» ويصعد الشعب «كل واحد على وجهه»^(٦).

ولكن دراسة عقلانية للحدث، ان صحَّ، تجعلنا نتصور ان الأمر قد تم على الشكل التالي: ما ان بلغ يشوع سور اريحا حتى أمر شعبه بالصمت المطبق كي لا يثير انتباه اهل

(٣) م.ن. يش. ٦: ٢.

(٤) م.ن. يش. ٤: ١٣.

(٥) م.ن. يش. ٦: ٦-٩ و ١٣.

(٦) م.ن. يش. ٦: ٢-٥.

المدينة، وذلك بقوله: «لا تهتفوا ولا تُسمعوا اصواتكم، ولا يخرج من افواهكم كلمة الى يوم اقول لكم اهتفوا فتهتفون»^(٧).

ثم طاف بجيشه «جميع رجال القتال»، ومعهم «تابوت العهد»، حول السور لكي يتفحصه ويختار فيه نقاط الضعف التي يستطيع، من خلالها، ان يعبر بجنده الى داخل المدينة، وعاد، بعد ذلك، الى «المخيم» الذي اقامه لتجمع الجيش والشعب^(٨). وكرر يشوع هذه العملية ستة ايام متتالية، مرة كل يوم، ثم طاف، في اليوم السابع، حول سور المدينة، سبع مرات^(٩)، حيث يبدو انه ورّع المقاتلين على النقاط المختارة من السور وكانت مهمتهم ان يهتفوا بسور المدينة من تلك النقاط، عند سماعهم النفير الذي يعلن عليهم بدء الانقضاض.

وفي الوقت المحدد للانقضاض، أمر يشوع الكهنة فنفخوا في الابواق وأمر الشعب بالهتاف قائلا: «اهتفوا فقد أسلم الرب المدينة اليكم»^(١٠). عندها تعالت هتافات الشعب والجند، ونفخ الجميع في الابواق، وتقدم كل منهم «على وجهه» نحو المدينة، مخترقين سورها، «فسقط السور في مكانه»، واحتل بنو اسرائيل أريحا حيث «هرموا كل ما في المدينة من الرجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، فقتلهم بعد السيف»^(١١). ثم «أهرقوا المدينة وكل ما فيها بالنار، إلا الفضة والذهب وأنية النحاس والحديد فانهم جعلوها في خزانة بيت الرب»^(١٢).

ان سقوط سور أريحا لم يكن بفعل معجزة ما، كما حاول العهد القديم ان يصورها لنا، بل كان بفعل عملية «الانقضاض» عليها (وهي من الطين السريع التفتت) من قبل الجند «المجهزين للحرب»، وهم نحو اربعين الفا، وقد ساعد على ذلك تأثير الارتجاج الناتج عن نفخ العديد من الابواق، وهتاف الآلاف من الناس، في لحظة واحدة، هي لحظة «الانقضاض» (ولنتذكر تعظم زجاج المنازل عند اختراق الطائرات العربية جدار الصوت

(٧) م.ن. يش ٦: ٩.

(٨) م.ن. يش ٦: ٩ و ١١.

(٩) م.ن. يش ٦: ١٤-١٥.

(١٠) م.ن. يش ٦: ١٦.

(١١) م.ن. يش ٦: ٢٠-٢١.

(١٢) م.ن. يش ٦: ٢٤.

فوق تلك المنازل). كما ان امر يشوع للبواقين ببده النفخ في الابواق ولشعبه بالهتاف لم يكن اكثر من اشارة البدء بالهجوم، (ولا يزال الجند، حتى يومنا هذا، يرفقون عملية «الانقضاء» بالهتاف والصراخ).

واللافت ان الترتيب الذي اتخذه يشوع للتقدم نحو أريحا واحتلالها هو ترتيب عسكري محض لوحدة في طور الهجوم، فالمقاتلون في المقدمة، وخلفهم البواقون الذين يعطون اشارة الهجوم، وخلفهم تابوت العهد الذي هو موضع حماية وحفظ من الجميع، لذا، فان مركزه «القلب»، واخيرا، الساقة، حيث الشعب والظعن والاثقال، تماما كما هو الترتيب في كل تشكيل عسكري مقاتل. وهكذا، ما ان أعطى يشوع اشارة البدء بالهجوم، حتى «هتف الشعب ونفخوا في الابواق»، فسقط السور وانقضّ المقاتلون على المدينة.

موقعة العي (او عاي):

تقع العي (او عاي) في الضفة الغربية لنهر الاردن، على بعد بضعة أميال شمال غربي اريحا، وقد كانت الهدف الثاني ليشوع بعد لريحا.

ما ان استقر الأمر ليشوع في اريحا حتى أرسل جواسيس من قبله ليستكشفوا العي، فعاد اليه الجواسيس بانباء مطمئنة وقالوا له ان أهل العي قلة وضعفاء ويكفي، لاحتلالها، الفان او ثلاثة آلاف رجل على الاكثر^(١٣).

فأرسل يشوع لذلك، حملة مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، ولكن أهل العي استطاعوا ان يهزموا المهاجمين ويطردوهم ويقتلوا منهم نحو ستة وثلاثين رجلا، وطاردوا الفارين منهم حتى موضع يدعى «شباريم» والوادي الذي يليه^(١٤).

ورأى يشوع ما حلّ بالحملة على يد أهل العي الذين كان قد استخف بقوتهم وفقا لرأي جواسيسه، فقرر ان يغيّر تكتيكه حيال تلك المدينة، رغم ان العهد القديم ينفي عن يشوع ما بدر منه من ذكاء في المناورة العسكرية الفاجحة التي اتبعها في قتاله مع أهل العي، اذ يعزو ذلك الى رب يشوع الذي قال له: «واجعل لك كميناً من وراء المدينة»^(١٥).

(١٣) م.ن. يش ٧: ٢-٣.

(١٤) م.ن. يش ٧: ٤-٥.

(١٥) العهد القديم، يش ٨: ٢.

خطة يشوع:

ومهما يكن من أمر فقد بادر يشوع، في هجومه على العي، الى اتباع الخطة التالية:

١- يختار، للقتال، ثلاثين الفا من ذوي البأس من رجاله ثم يختار منهم رجالا (كمينا)، يسرون ليلا الى مشارف العي فيلتفون حول المدينة ويكمنون خلفها، غير بعيدين عنها، بانتظار اشارة منه^(١٦).

٢- يتقدم هو، وكل الشعب والجيش الذي معه، نحو المدينة، متظاهراً بالهجوم عليها.

٣- ما ان يتصدى له أهل العي حتى ينهزم في وجههم، فيخرجون من مدينتهم كي يطاردوه، وهم يعتقدون انهم منتصرون عليه كما في المرة الأولى.

٤- ما ان يصبح أهل العي بعيدين عن مدينتهم حتى ينقض الكمين على المدينة، وقد فرغت من المدافعين عنها، فيستولي عليها^(١٧).

التنفيذ: وقد نفذ يشوع خطته هذه على الشكل التالي:

- اختار، للكمين، خمسة آلاف من رجاله، وأمرهم بالسير ليلاً لكي يأخذوا مواقعهم خلف المدينة، وأوصاهم ان لا يبتعدوا عنها وان يظلوا مستعدين للهجوم على مدينة العي عند اشارة معينة حددها لهم. فتمركزوا خلف المدينة «بين بيت ايل والعي، غربي العي»، اما يشوع فبات ليلته تلك «وسط الشعب» مع الجيش^(١٨).

- عند الفجر، تقدم يشوع، بجيشه وشعبه ومعهم شيوخ اسرائيل، نحو العي، وتمركز قبالتها، شمالها، ومؤخرته غربها، والوادي بينهم وبينها^(١٩). ثم سار يشوع، «في ذلك الليل، في وسط الوادي»^(٢٠)، مقترباً، كذلك، بجيشه، من المدينة، فاصبحت «العي» بين يشوع وجيشه من الشمال، وعسكر الكمين من الغرب.

(١٦) م. ن. يش ٨: وقد ورد في يش ٨: ٢ - ٤ ان يشوع اختار ثلاثين ألف رجله وأمرهم بالسير ليلاً كي يقوموا كميناً خلف المدينة، وورد في يش ٨: ٩ انهم قاموا كمينهم بين بيت ايل والعي غربي العي، ثم ورد في يش ٨: ١٢ ان يشوع اختار «خمسة آلاف رجل وجعلهم كميناً بين بيت ايل والعي غربي المدينة، أي في المكان نفسه الذي اقام فيه الكمين الوارد ذكره في يش ٨: ٩-١٠. مما يشير الى ان الكمين واحد وهو الذي بلغ عدده خمسة آلاف، اذ لا يعقل ان يكون الكمين ثلاثين الفا. لذا، أثرنا ان نعتبر ان الثلاثين الفا الذين اختارهم يشوع، أولاً، هم الجيش المقاتل. وان الآلاف الخمسة الذين اختارهم بعد ذلك هم الكمين.

(١٧) م. ن. يش ٨: ٧-٥.

(١٨) م. ن. يش ٨: ٩ و ١٢.

(١٩) م. ن. يش ٨: ١٠ و ١١ و ١٢.

(٢٠) م. ن. يش ٨: ١٢.

- ما ان رأى ملك العي جيش يشوع، في الصباح، وقد اقترب من مدينته حتى استنفر جنده وجميع شعبه للقتال وأمرهم بالخروج لمواجهة المهاجمين دون ان يدري ان كميناً قد أعدّ خلف المدينة لكي ينقضّ عليها اذا ما خرج جنده وشعبه منها.

- ووفقاً للخطة، تظاهر يشوع بالهزيمة امام جند العي فتبعه هؤلاء وأوغلوا في مطاردته حتى ابتعدوا عن مدينتهم التي فرغت من المدافعين. وكذلك فعل الجند المدافعون عن بيت ايل، وهكذا لم يبق احد في العي وبيت ايل الا خرج في اثر اسرائيل وتركوا المدينة مفتوحة وسعوا وراء اسرائيل^(٢١) دون ان يدركوا ان كميناً خلف للمدينة يتربص بها بانتظار الانقضاض عليها.

- عندها اعطى يشوع الكمين اشارة الانقضاض (بان سدد الحربة التي بيده نحو المدينة) فانقضّ رجاله على المدينة من الخلف، ولم يكن بها احد من رجالها، فاستولوا عليها واحرقوها وقتلوا من بقي فيها^(٢٢).

- التفت جند العي الذين كانوا يطاردون يشوع وجنده، فاذا بمدينتهم تحترق، فادركوا الحيلة التي وقعوا في حبالها، ولم يكادوا يستفيقون من هلعهم حتى كان يشوع قد ارتد عليهم بجنده، فاذا هم بين نارين: نار يشوع من امام، ونار الكمين من خلف، فأخذ كل منهم يتلمس طريقاً للنجاة، بينما أعمل يشوع السيف فيهم «حتى لم يبق منهم باق ولا شريد» وقبض على ملك العي حياً واقتيد الى يشوع الذي قتله وقتل «جميع سكان العي في الحقول وفي البرية حيث طاردوهم» وقد سقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، ثم «رجع كل اسرائيل الى العي وضربوها بحد السيف» وبلغ عدد القتلى في هذه المعركة، وهم جميع اهل العي، رجالاً ونساء، اثني عشر الفا^(٢٣). أما البهائم والاسلاب فقد غنمها بنو اسرائيل، وأما المدينة فقد أحرقت وأضحت ركاباً للأبد، خراباً الى هذا اليوم^(٢٤). وأما ملك العي فقد علقه يشوع «على شجرة، حتى المساء، وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الشجرة وألقوها عند مدخل باب المدينة وجعلوا عليه كومة كبيرة من الحجارة الى هذا اليوم»^(٢٥). (انظر الخارطة رقم ٤).

(٢١) م.ن. يش. ٨: ١٥-١٧.

(٢٢) م.ن. يش. ٨: ١٨-١٩.

(٢٣) م.ن. يش. ٨: ٢٠-٢٥.

(٢٤) م.ن. يش. ٨: ٢٧-٢٨.

(٢٥) م.ن. يش. ٨: ٢٩.

ويذكر «بريتشارد» في كتابه «أطلس عالم التوراة»^(٢٦)، ان الحفريات التي أجريت حديثاً على آثار مدينة «عاي» الواقعة على هضاب تبعد مسافة ١٦ كلم عن القدس، قد أظهرت ان هذه المدينة التي بلغت مساحتها نحو ٢ هكتار، لم تكن لتتسع لأكثر من ألف نسمة، مما يتناقض مع ما ورد في العهد القديم من ان أهل عاي الذين قضى عليهم جيش يشوع قد بلغوا نحو اثني عشر ألف نسمة. كما يبدو ان «بريتشارد» يؤكد نظريتنا التي تذهب الى القول ان جيش يشوع كان نحو ثلاثين ألف مقاتل اختار منهم خمسة آلاف للكمين^(٢٧).

موقعة جبعون: تقع جبعون على مسافة نحو عشرة أميال جنوب غربي عاي ونحو خمسة أميال شمال غربي اورشليم. أي انها تقع بين عاي وأورشليم غرباً. وموقعها الحالي هو قرية «الجيب» الواقعة على هضبة شمال غربي اورشليم^(٢٨).

كان لانتصار يشوع على أهل أريحا والعي، وما قام به جيشه من تدمير للمدينتين، وتقتيل لاهلهما، أثر بالغ السوء على معنويات الملوك في كل أرض كنعان «في عبر الأردن، في الجبل والسهل، وفي كل ساحل البحر الكبير الى مقابل لبنان»^(٢٩)، فاعتصب هؤلاء الملوك واتحدوا جميعاً لكي يواجهوا الاجتياح الاسرائيلي مجتمعي الكلمة، موحدي القوى، باستثناء أهل جبعون الذين استطاعوا، بحيلة بارعة، ان يحفظوا بتعهد من يشوع بان يبقوا في ديارهم ويتحالفوا معهم. ورغم ان يشوع اكتشف حيلتهم فيما بعد، فقد بقي على تعهده لهم، الا انه استعبدهم واستخدمهم كخطابين وسقاة ماء «للجماعة ولمذبح الرب»^(٣٠).

تحالف ملوك الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، اذن، لصد الاجتياح الاسرائيلي لبلادهم، بينما رضي أهل جبعون ان يكونوا عبيداً لبني اسرائيل لقاء ان يظلوا في مدينتهم.

Priestard, Atlas du Monde biblique, P. 63. (٢٦)

-- Ibid. (٢٧)

(٢٨) عبد الملك. المصدر السابق، ص ٢٤٦. وانظر (Cane) P 9. Bantawi, Histoire Universelle des Juifs.

(٢٩) العهد القديم، يش ٩. ١.

(٣٠) م. ن. يش ٢٧. ٩. وانظر تفصيل الحيلة التي استخدمها أهل جدعون: يش ٩.

وكان في اورشليم ملك أموري يدعى «ادونيصادق» هاله ان يرضخ الجبعونيون، وهم أهل عزم وقوة شكيمة، لبني اسرائيل، فأرسل الى ملوك الأموريين في المدن الأخرى مثل: هو هام ملك حبرون، وفرام ملك يرموث، ويافيع ملك لاكيش، ودبير ملك عجلون، لكي يتحالفوا معه في حرب قرر ان يشنها على الجبعونيين بسبب تحالفهم مع شعب دخیل ومعتمد على أرضهم وديارهم، فوافقوه جميعا، واجتمعوا بجيوشهم على جبعون فحاربوها، ولكن الجبعونيين استنجدوا ببني اسرائيل الذين هبوا لنجدتهم، وكان يشوع وجيشه في الجلجال، فصعد منها ليلا نحو جبعون حيث لقي، بجيشه، جيوش الملوك المتحدين الخمسة، فهزمهم وتعقب فلولهم على طريق عقبة بيت حورون ثم الى عزيقة فمقيدة حيث ضربهم ضربة حاسمة، ويذكر العهد القديم ان الرب «رماهم بحجارة ضخمة من السماء» فيما كانوا منهزمين في وادي بيت حورون الى عزيقة، فكان «الذين ماتوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف»^(٣١).

ويبدو ان يشوع اتقن «استثمار» نصره هذا، اذ انه تعقب الملوك الخمسة الذين لجأوا الى مغارة في بلدة «مقيدة»، فأمر جنده فدحرج الجند على بابها حجارة كبيرة سدت عليهم سبل الخروج، ووضع عليها خفرا من قبله، ثم تابع مطاردته لفلول الجيوش المنهزمة، أما ر جنده ان «لا تتوقفوا، بل طاردوا اعداءكم وأهلكوا مؤخرتهم، ولا تدعوهم يدخلون مدنهم»^(٣٢)، ثم انقضَّ على المنهزمين حيث ضربهم ضربة عظيمة جدا، فقتل منهم من قتل «ودخل من بقي منهم المدن المحصنة»^(٣٣)، ثم عاد بجيشه الى «مقيدة» حيث أخرج الملوك الخمسة من المغارة وأمر قائده ان «تقدموا فاضعوا اقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك»^(٣٤) ففعل القادة ذلك، ثم قتل الملوك الخمسة (ملوك اورشليم وحبرون ولاكيش ويرموث وعجلون) وعلقهم على الأشجار حتى المساء، حيث أنزل جثثهم ورمأها في المغارة التي حبسوا فيها، وأقلل بابها من جديد بالحجارة ولا تزال «الى يومنا هذا»^(٣٥).

(أنظر الخارطة رقم ٥).

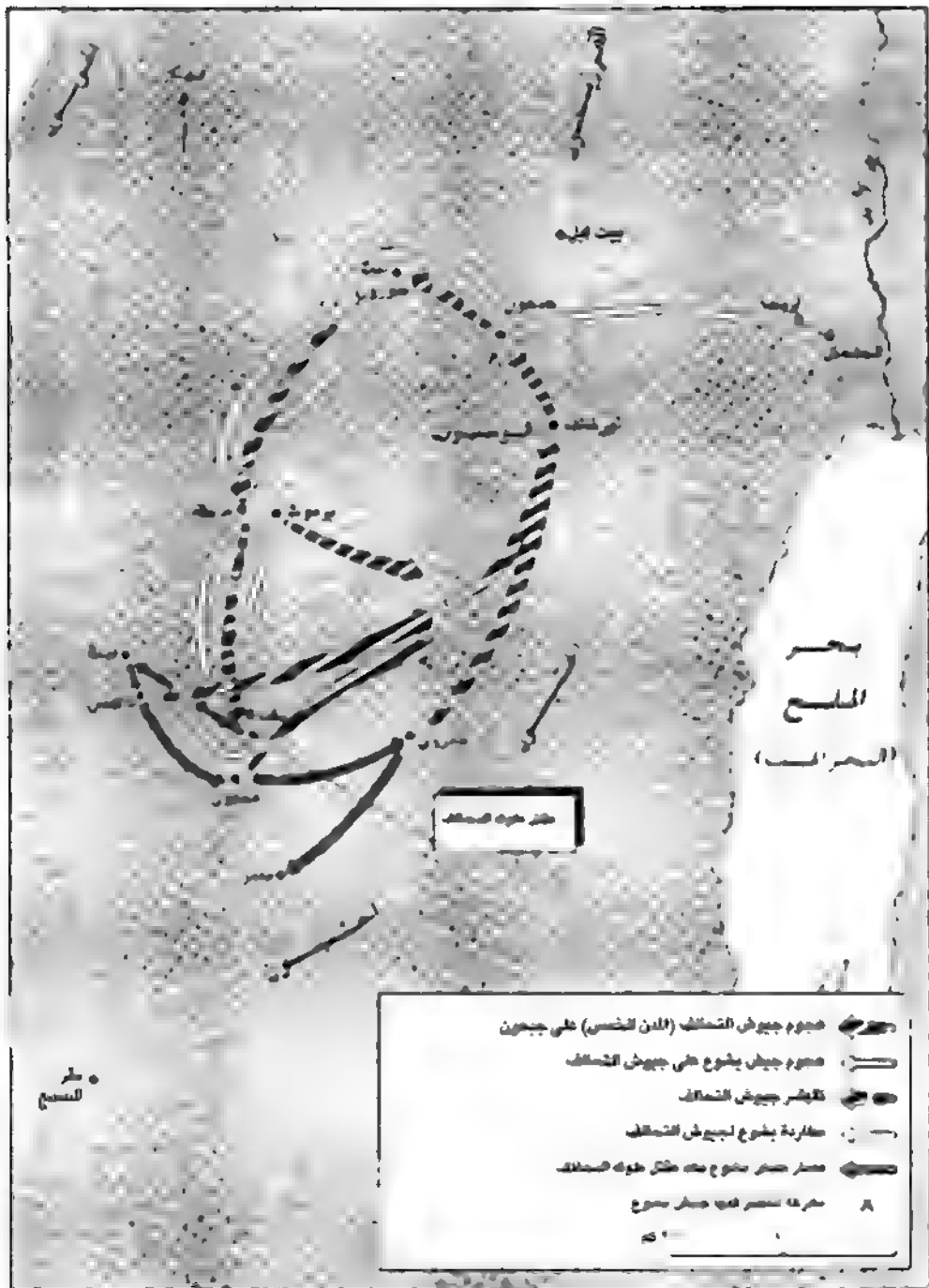
(٣١) م. ن. يش. ١١:١٠ وانظر: م. ن. يش. ١٠:١٠-١٠. ولنذكر ان في القرن الكريم نصا مماثلا ورد في سورة الفيل، قال تعالى: «أَلَمْ نَرُكَ خَافَ هَذَا رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ أَلَمْ يَجْعَلْ فَعْدَتَهُمْ فِي ثَمَلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۚ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ». وذلك في معرض سرده للدفاع عن مكة المكرمة يوم ماجمها أبرهة الحبشي عام ٥٧٠ م. أي عام مولد النبي (صلم).

(٣٢) العهد القديم، يش. ١٠:١٦-١٩.

(٣٣) م. ن. يش. ١٠:٢٠.

(٣٤) م. ن. يش. ١٠:٢٤-٢٤.

(٣٥) م. ن. يش. ١٠:٢٧-٢٧.



ثم احتل يشوع وجيشه، بعد ذلك: مقيّدة ولبنة ولاكيش وعجلون وحبرون، ودبير، حيث ضرب أهل هذه المدن جميعاً بحد السيف، وقتل «كل نفس فيها، ولم يبق منهم باقياً»، وصنع بملوكها «كما صنع بملك أريحا»^(٣٦). ثم تابع يشوع اجتياحه لأرض كنعان فاجتاح «المنطقة كلها: الجبل والنقب والسهول والسفوح، وجميع ملوكها، ولم يبق باقياً، بل حرّم كل نسمة كما أمر الرب اله اسرائيل»^(٣٧)، ثم اجتاح ما تبقى من تلك البلاد، «من قادش برنيع الى غزة، مع كل أرض جوشن الى جبعون»، وأخذ «جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة، لان الرب اله اسرائيل كان يحارب عن اسرائيل»، ثم عاد يشوع مع جيشه وشعبه الى مخيمه في مطلة «الجلجال»^(٣٨).

وجاء في العهد القديم ان الرب امر الشمس والقمر، يوم موقعة جبعون وفي اثناء القتال، ان يقفا في كبد السماء، فقال للشمس «قفي على جبعون» وقال للقمر قف «على وادي أياالون، فوقفت الشمس وثبت القمر»، كل في موضعه «الى ان انتقمت الامة من أعدائها» وكان ان «وقفت الشمس في كبد السماء، وأبطأت عن الغروب نحو يوم كامل»^(٣٩).

لقد وقع مؤلف هذا الحدث الاسطوري في خطأ فادح، فانه خالق هذا الكون يعلم، ولا شك، ان الشمس والقمر لا يدوران، بل ان الأرض هي التي تدور، ولكي تُرى الشمس، وكذلك القمر واقفين، لا بد من ان تقف الأرض نفسها عن الدوران، وكلنا يعلم ماذا يحدث لو وقفت الأرض عن حركتها ولو للحظات فقط. لا شك في ان الذي يحدث هو نهاية العالم^(٤٠).

أما تفسير ذلك فهو انه من المنطقي والمعقول ان يشعر المقاتلون بوطأة قتال يوم طويل كأنما الشمس تأبى المغيب لهول الحرب وشدتها بين فريقين متقاتلين شديدي البأس، ومن الطبيعي كذلك ان لا يظهر القمر ما دامت الشمس مشرقة، ومن المنطقي والمعقول، مرة أخرى، ان لا يكون في الأمر معجزة ما دام «الرب اله اسرائيل كان يحارب

(٣٦) م.ن. يش. ١٠: ٢٨-٣٩.

(٣٧) م.ن. يش. ١٠: ٤٠.

(٣٨) م.ن. يش. ١٠: ٤١-٤٣.

(٣٩) العهد القديم، يش. ١٠: ١٢-١٣.

(٤٠) راجع لهذه المسألة: مفار. شفيق، السحر في التوراة، ص ٤٧٦-٤٧٧.

عن اسرائيل». وما دام الأمر كذلك، فهل ان الرب بحاجة الى كل هذا الوقت، والى ايقاف الشمس والقمر كي ينتصر؟

موقعة مياه ميروم: «مياه ميروم» عين في فلسطين الشمالية، «وميروم» هي «ميرون» الحالية التي تقع بجوارها العين المسماة باسمها، وتجري مياهها في وادي ميرون نحو بحر الجليل^(٤١). وتقع «ميرون» اليوم في الجليل الأعلى بالقرب من الحدود الفلسطينية - اللبنانية عند سفح جبل الجرمق شمال غربي صفا وشمال شرقي بيت جن^(٤٢).

ما ان بلغت أنباء انتصارات يشوع على ملك الاموريين اسماع يابين ملك حاصور، حتى استنفر باقي الملوك في ارض كنعان: يوباب ملك مادون، وملك شمرون، وملك اكشاف، كما استنفر باقي الملوك في الشمال «في الجبل وفي العربية جنوبي كثروت (بحر الجليل) وفي السهل وفي سفوح ثور غرباً»^(٤٣) واستنفر، كذلك، ملوك الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين «في الجبل»، والحويين «تحت حرمون، في أرض المصفاة»، فاجتمع اليه جيش كثير «مثل الرمل الذي على شاطئ البحر كثرة» مع عدد كبير جدا من الخيل والمركبات، ونزل الجميع على «مياه ميروم» بغية التصدي ليشوع وجيشه^(٤٤).

بينما كان الملوك المتحالفون يعمّون جيوشهم للقتال فاجاهم يشوع بغتة، عند مياه ميروم، وانقضّ عليهم، ودارت بين الفريقين معركة ضارية انتهت بهزيمة الملوك المتحالفين حيث تعقبهم يشوع وجيشه «الى صيدون الكبيرة ومسرفوت ميم (مياه مسرفوت) ووادي المصفاة شرقا، وضربوهم حتى لم يبق منهم باق»^(٤٥).

(انظر: الخارطة رقم ٦).

(٤١) عبد الملك. المصغر السابق، ص ٩٢٩.

(٤٢) انظر خارطة فلسطين عام ١٩٤٨.

(٤٣) العهد القديم، يش ١١: ٢-١.

(٤٤) العهد القديم، يش ١١: ٥-٣.

(٤٥) العهد القديم، يش ١١: ٨-٧.



موقعة حاصور:

ثم انعطف يشوع بجيشه شرقاً وتوجه الى حاصور فاحتلها وقتل ملكها وقتل «كل نفس فيها بحد السيف...، ولم تبق نسمة» ثم أحرقها بالنار، وذلك لان حاصور «كانت قديماً رأس جميع تلك الممالك»^(٤٦). وتابع يشوع تقدمه نحو باقي المدن التابعة للملوك الذين تحالفوا ضده فاحتلها وضرب أهلها بحد السيف «وحَرَمهم كما أمر موسى عبد الرب»^(٤٧)، ثم قبض على الملوك انفسهم وقتلهم، وقتل كل الرجال في كل المدن التي احتلها، اذ ضربهم بنو اسرائيل «بحد السيف حتى أبادوهم ولم يبقوا نسمة» منهم، وغنموا الغنائم والبهائم لانفسهم^(٤٨).

وهكذا يكون يشوع قد ملك الارض كلها «الجبل وكل النقب وكل منطقة جوشف (جوشن)، والسهل والعربة وجبل اسرائيل، وسهله، من الجبل الأقرع الممتد من جهة سعيير، الى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون»، وقد امتلك جميع هذه البلاد بالحرب باستثناء «الحويين سكان جبعون»^(٤٩).

كذلك أخذ يشوع أرض العنّاقيين وقضى عليهم في «حبرون ودبير وعناب»، وفي «سائر جبل يهوذا وكل جبل اسرائيل»، بعد ان قضى عليهم «مع مدنهم»، ولم يبق عناقى في ارض كنعان «الا في غزة وجَتَ وأشدود»^(٥٠).

وفيما يلي ذكر للأراضي والبلدان التي اغتصبها يشوع من أصحابها الأصليين وطرد أهلها منها او قضى عليهم فيها:

١- عبر الأردن شرقاً:

الأراضي والبلدان الممتدة من «وادي أرنون (نهر أرنون) الى جبل حرمون، وكل العربة (غور الأردن) شرقاً وهي:

(٤٦) العهد القديم، يش ١١: ١٠-١١.

(٤٧) م.ن. يش ١١: ١٢.

(٤٨) م.ن. يش ١١: ١٤.

(٤٩) م.ن. يش ١١: ١٦-١٩.

(٥٠) العهد القديم، يش ١١: ٢١-٢٢.

- حشبون (عاصمة سيحون ملك الأموريين) ومملكة الأموريين «من عرو غير التي على جانب وادي ارنون، الى وسط للوادي مع نصف جلعاد، الى وادي يَبوق (او نهر يَبوق)، حدود بني عَمون».

- «العربة (غور الأردن) الى بحر كَثُروت (الجليل) شرقا والى «بحر العربة بحر الملح (الميت) ... على طريق بيت يشيموت، ومن الجنوب ما تحت سفوح الفسجة والساحل» (عند الطرف الشمالي الشرقي للبحر الميت وعلى الحدود الجنوبية لمملكة سيحون، ومنها جبل نَبو).

- باشان، مملكة عوج المقيم بعشتاروت واذرعى، وكانت مملكته تضم «جبل حرمون وسلكة وكل باشان الى حدود الجشوري والمعكي»، كما تضم «نصف جلعاد وهو ارض سيحون، ملك حشبون»^(٥١).

ب - عبر الأردن غربا:

- «من بعل جاد، في بقعة لبنان، الى الجبل الاقرع الممتد الى سعيير... في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبرية والنقب «أراضي الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين»^(٥٢).

وفيما يلي ذكر للملوك الذين هزمهم يشوع وقضى عليهم وعلى ممالكهم وعددهم ٣١ ملكا، وهم ملوك:

أريحا (١)، العي (١)، أورشليم (١)، حبرون (١)، يرموث (١)، لاكيش (١)، عجلون (١) جازر (١)، نَبير (١)، جادر (١)، حُرمة (١)، عَراد (١)، لبنة (١)، عَدْلَام (١)، مَقيدة (١)، بيت ايل (١)، تَفُوح (١)، حافر (١)، افيق (١)، لُشارون (١)، مادون (١)، حاصور (١)، شِمرون مَرَاوون (١)، أكشاف (١)، ثَعْنَاك (١)، مَجْدُو (١)، قَادَش (١)، يُقْنَعَام، في الكرمل (١)، دور، في سفح دور (١)، جوثيم، في الجلجال (أو الجليل) (١)، تِرْصه (١)^(٥٣).

(٥١) العهد القديم، يش ١٢: ١-٥.

(٥٢) العهد القديم يش ١٢: ٨-٧.

(٥٣) م. ن. يش ٢٤: ١٢-٢٤. وقد ورد في النص اليوناني ان جوثيم هو ملك الجليل. بينما ورد في النص العبري انه ملك الجلجال (العهد القديم، ص ٤٤٢ حاشية ٣).

وفيما يلي ذكر للأراضي والبلدان التي لم يحتلها يشوع وأوصى الرب باحتلالها وهي:

- «جميع نواحي الفلسطينيين وكل الجشوري، من الشَّيْحور شرقي مصر (أي نهر النيل في مصر) إلى حدود عقرون شمالاً، وهي للكنعاني».

- أرض «أقطاب الفلسطينيين الخمسة» وهم: الغزى والأشدودي والأشقلاني (العسقلاني) والجتي والعقروني، وهناك العُويون» (نسبة إلى مدينة عاي).

- «ومن الجنوب: كل أرض الكنعاني، ومن عارة التي للصيديونيين، إلى أفيق (في سهل شارون) إلى حدود الأموري».

- «أرض الجبلي وكل لبنان جهة مشرق الشمس، من بعل جاد تحت جبل هرمون إلى مدخل حماة. جميع سكان الجبل، من لبنان إلى مسرفوت مبيم، وكل الصيديونيين، ساطردهم من أمام بني إسرائيل، وأنت تكتفي بتوزيعها بالقرعة على إسرائيل ميراثاً كما أمرتك»، أما الجشوريون والمعكيون فلم يطردهم بنو إسرائيل من ديارهم، بل أقاموا «في جشور ومعكة، في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم»^(٥٤).

ثم قسّم هذه الأرض التي احتلت والتي لم تحتل، على أسباط إسرائيل، وأوصى بها ميراثاً لهم^(٥٥).

(انظر الخارطة رقم ٧).

ولا بد من الإشارة باهتمام، قبل ختام هذا البحث، إلى الملاحظات التي أبداهَا الباحث الإسرائيلي «إيلي بارنافي» في كتابه «التاريخ العالمي لليهود» *Historie Universelle des Juifs*، فهو يرى أن «التحليل الحرفي للمصادر التوراتية يُظهر العديد من التناقضات» ويقدم مثالا على ذلك أنه «في ضوء الحفريات التي أجريت في السنوات العشر الأخيرة، فإن فرضية معركة وحيدة منتصرة لا تصمد أمام الامتحان، فلا يوجد ما يؤكد حصول تدمير عنيف للمدن المهمة، بل بعكس ذلك، فإن الحفريات التي أجريت على مواقع المدن التي يفترض أن يشوع قد دمرها، مثل أريحا، تؤكد أن لا شيء من ذلك قد تم»^(٥٦).

(٥٤) م.ن. يش ١٢: ٢-١٣ و ١٤.

(٥٥) انظر: لتقسيم الأرض بين أسباط إسرائيل، م.ن. يش ١٢-١٩.

(٥٦) Baranavi, *Historie Universelle des Juifs*, P. ٨

فهل نحن، انذن، أمام مبالغات سوف، يثبت العلم الحديث بطلانها كلما تقدم البحث العلمي الرصين، بحيث نجد أنفسنا أمام أساطير يصعب تصديقها والركون اليها، علميا؟ أم ان الباحث (اليهودي) يقصد، من وراء ذلك، إزالة تهمة العنف والارهاب عن أسلافه القدامى؟

بعض المبادئ العسكرية والأخلاقية:

١- في توازن القوى:

أوصى الرب بني اسرائيل ان يقاتلوا أعداءهم ولو كانوا أقل عددا منهم، فقال لهم: «لقد طرد الرب من أمامكم أمما عظيمة قوية، ولم يثبت في وجوهكم أحد الى هذا اليوم، الواحد منكم يطارده ألفا لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم كما قال لكم»^(٥٧).

٢- في العنصرية وعقدة التمايز:

أوصى الرب بني اسرائيل ان لا يختلطوا بباقي الأمم او يصاهروها، فقال لهم: «ان ارتددتم وتعلقتم ببقية تلك الأمم، التي بقيت معكم، وصاهرتوها ودخلتم بينها ودخلت بينكم، فاعلموا ان الرب إلهكم لا يعود يطرد تلك الأمم من وجهكم، بل تصير لكم شبكة وفضا وسوطا على جنوبكم، وشوكا في عيونكم، حتى تزولوا عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم إياها»^(٥٨).

٣- في التحريض على العدوان وتنمية الطبيعة العدوانية، والانتكالية:

لا يفتأ رب بني اسرائيل يحرض شعبه على العدوان وينمي لديه الطبيعة العدوانية واغتصاب حق الغير، ويذكره دائما بأنه هو الذي يحارب عنه ولاجله، فيقول له: «ثم دخلت

(٥٧) العهد القديم، يش ٢٣: ٩-١٠. وقد وردت في القرن الكريم قيات مماثلة مثل: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاهِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» (الانفال ٨/٦٥). ومثل: «الَّذِينَ خَلَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الانفال ٦٦).

(راجع كتابنا الفن العسكري الاسلامي، أصوله ومصادره، ص ١٤).

(٥٨) م. ن. يش ٢٣: ١٢-١٣.

بكم أرض الاموريين الساكنين في عبر الأردن فحاربوكم، فأسلمتهم الى أيديكم، وورثتم أرضهم واستأصلتهم أمامكم^(٥٩).

ثم عبرتم الأردن ووصلتم الى أريحا، فحاربكم اهل أريحا والاموريون والفرزيون والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويون واليبوسيون فأسلمتهم الى أيديكم. وأرسلت قدامكم الزنابير فطردت ملك الاموريين من أمامكم، لا بسيفكم ولا بقوسكم. وأعطيتمكم أرضا لم تتعبوا فيها، ومدنا لم تبثوها فأقمتم بها، وكروما وزيتونا لم تغرسوها، وانتم تأكلونها^(٦٠).

موت يشوع: ثم مات يشوع، بعد ذلك، وهو ابن مئة وعشر سنين. ودفن في أرض ميراثه، في تمنة سارح التي في جبل أفرائيم الى شمال جبل جاعش^(٦١).

(٥٩) م.ن. ٢٤: ٨.

(٦٠) م.ن. ٢٤: ١١-١٢. ويلاحظ في هذا النص ان المعرب يستخدم صيغة المفرد أحيانا (ويقصد يشوع) وصيغة الجمع أحيانا أخرى (ويقصد بني اسرائيل).

(٦١) م.ن. ٢٤: ٢٩-٣٠.

الفصل الثاني

حروب القضاة

(القرن ١٢ - ١١ ق.م)

أ - حروب يهوذا

خلف يهوذا يشوع، بعد موته، في قيادة الشعب العبراني، وتابع الحرب ضد الشعوب المقيمة على أرض كنعان، متحالفا مع أخيه شمعون^(١). لم يكن لدى العبرانيين، في هذه المرحلة، جيش محترف، بل كان القتال يوكل الى كل قادر على حمل السلاح من القبائل العبرية، كل سبط على حدة، ولم يكن تحالف الأسباط جميعها في القتال حتميا، بل كان نادرا^(٢)، كما سنرى، مما اتاح لمعظم المدن - الدول التي كانت قائمة في أرض كنعان، قبيل الاجتياح العبراني، ان تستمر مشغلة ضغطا لا يستهان به على المواقع التي تمكن العبرانيون من احتلالها^(٣).

موقعة بازق:

اجتمع الكنعانيون والفرزيون لقتال بني اسرائيل في بازق بعد موت يشوع، فاتجه يهوذا (سبط يهوذا) ومعه اخوه شمعون (سبط شمعون) لقتالهم، ودارت بين الفريقين

(١) العهد القديم، قض ١: ١ - ٢

(٢) Pritchard, J. Atlas du Monde Biblique P. 69

معركة انتهت بهزيمة الكنعانيين والفرزيين الذين كانوا قد رأسوا عليهم قائدا يدعى «أدونى بازق» (أي سيد بازق)، فقتل من الكنعانيين وحلفائهم الفرزيين نحو عشرة آلاف، وأسر قائدهم (أدونى بازق) حيث قطع العبرانيون «أباهيم يديه ورجليه» واقتادوه إلى اورشليم حيث مات (٤).

احتلال اورشليم:

تابع يهوذا تقدمه، بعد بازق، نحو اورشليم، وكانت محصنة، فاحتلها وضرب أهلها بالسيف ثم أحرقها (٥). ويروي المؤرخ اليهودي «يوسفوس» أن يهوذا لم يتمكن من احتلال اورشليم كلها بل احتل الأحياء السفلى منها، وبقيت الأحياء العليا عاصية عليه (٦)، وقد ظل اليهوديون (وهم فصيلة كنعانية) في اورشليم، إلى جانب سبط بنيامين، إلى أن فتحها الملك داود (٧).

احتلال حبرون:

ورزع يهوذا قاعدته لاحتلال البلاد، فاحتل كالب بن يفتّا، من سبط يهوذا، حبرون، وكان اسمها (قرية أربع)، وهي (الخليل) اليوم، وهزم أهلها، وهم من بني عناق (عناق)، وتسلمها كالب وفقا لوصية موسى (٨)، (وكان كالب أحد رجال بعثة التجسس التي أرسلها موسى إلى أرض كنعان من بركة فاران كما مر معنا، كما كان كالب ويشوع الاثنان اللذين بقيا على قيد الحياة من رجال بني إسرائيل الذين دخلوا أرض كنعان بعد التيه).

(٣) - Baravi, E., Histoire Universelle des Juifs, P. 10

(٤) العهد القديم، قض ١: ٧.

(٥) م.ن. قض ١: ٨.

(٦) الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٢٢٢.

(٧) العهد القديم، قض ١: ٢١، والدبس تاريخ سوريا، ج ٢: ٢٢٢.

(٨) العهد القديم، قض ١: ١٠ و ٢٠ و ٢١.

احتلال دَبيّر وصفات:

واحتل عتنيشيل بن قناز، الأخ الأصغر لكالب، بعد ذلك، (دَبيّر) وكان اسمها قبلاً، قرية (سِفْر)^(٩)، بينما احتل يهوذا ومعه شمعون أخوه، (صفات)، فقتل أهلها، وكانوا من الكنعانيين، وسمّاها (حُرْمَة)^(١٠).

احتلال مدن الفلسطينيين، غزة وأشقلون وعقرون:

يذكر العهد القديم ان يهوذا اتجه بعد ذلك غرباً، نحو بلاد الفلسطينيين، على الساحل، فاحتل «غزة وأرضها، وأشقلون (عسقلان) وأرضها، وعقرون وأرضها»^(١١) ولكن يبدو ان العبرانيين لم يهتلوا هذه المدن الفلسطينية لأن أهلها كانوا يقتنون مراكب من حديد، بحيث صعب التغلب عليهم، فظلوا فيها ولم يغادروها كما مر في العهد القديم نفسه^(١٢).

احتلال باقي المدن في أرض كنعان:

تابع العبرانيون، في عهد يهوذا، احتلالهم لأرض كنعان:

- فاحتل آل يوسف (وهو سبط افرائيم ومنسى) بيت ايل، وكان اسمها قبلاً (لُون)، وقد دلهم على بابها رجل من أهلها، فدخلوها وقتلوا أهلها جميعاً، وأطلقوا الرجل وكل عشيرته مكافأة له^(١٣).

- واحتل آل منسى: بيت شان وتوابعها، وتفنك وتوابعها، ودور وتوابعها وپبلاعام وتوابعها، ومجدو وتوابعها، ولكن آل منسى لم يطردوا أهل هذه البلدان، وهم من الكنعانيين، فظل هؤلاء مقيمين على أرضهم وفي بلدانهم^(١٤).

(٩) م.ن. قض ١: ١٣-١١.

(١٠) م.ن. قض ١: ١٧.

(١١) م.ن. قض ١: ١٨.

(١٢) م.ن. قض ١: ٣-٦. وقض ١: ١٩.

(١٣) م.ن. قض ١: ٢٣-٢٥.

(١٤) م.ن. قض ١: ٢٧.

- واحتل آل أفرائيم: جَازَر، ولم يطردوا أهلها، وهم من الكنعانيين^(١٥).

- واحتل آل زبولون: قَطْرُون ونَهْلُول، ولم يطردوا أهلها الكنعانيين كذلك^(١٦).

- واحتل آل أشير: عَكَاء وصِيدُون وأحْطَب وأكْزِيب وحَلْبَة وأفِيق ورُحُوب، ولم يطردوا أهلها وهم من الكنعانيين أيضاً^(١٧).

- واحتل آل نفتالي: بَيْت شَمْس وبَيْت عَنَات، ولم يطردوا أهلها وكانوا من الكنعانيين^(١٨).

ولما أنس العبرانيون في أنفسهم القوة، لم يعودوا يطردون أهل البلدان التي يحتلونها، أو يقتلونهم، بل كانوا يقيمون في تلك البلدان، مع أهلها، بعد أن فرضوا الجزية عليهم^(١٩). وقد أشار العهد القديم إلى أن آل أفرائيم أقاموا مع الكنعانيين في جَازَر، وأن آل زبولون أقاموا مع الكنعانيين من سكان قَطْرُون ونَهْلُول بعد أن فرضوا الجزية عليهم، وأن آل أشير أقاموا مع الكنعانيين من سكان عَكَاء وصِيدُون وأحْطَب وأكْزِيب وحَلْبَة وأفِيق ورُحُوب، وأن آل نفتالي أقاموا مع أهل بيت شمس وبيت عنات من الكنعانيين بعد أن فرضوا الجزية عليهم^(٢٠).

يبدو من قراءة الاحداث، ان العبرانيين، بعد ان احتلوا غزة، اتجهوا شمالاً، على الساحل حتى عسقلان، فعقروا، ثم اتجهوا شرقاً، فامتلكوا الجبل^(٢١) الذي استقر فيه (بنو دان)، وكان فيه الأموريون الذين حاصروا (بنو دان) ومنعواهم من النزول إلى الوادي^(٢٢). وكان الأموريون يقيمون، كذلك، في أَيْلُون وشَعْلِيم بجبل حارس، فغلبهم آل

(١٥) م.ن. قض ١: ٢٩.

(١٦) م.ن. قض ١: ٣٠.

(١٧) م.ن. قض ١: ٣١ و ٣٢.

(١٨) م.ن. قض ١: ٣٣.

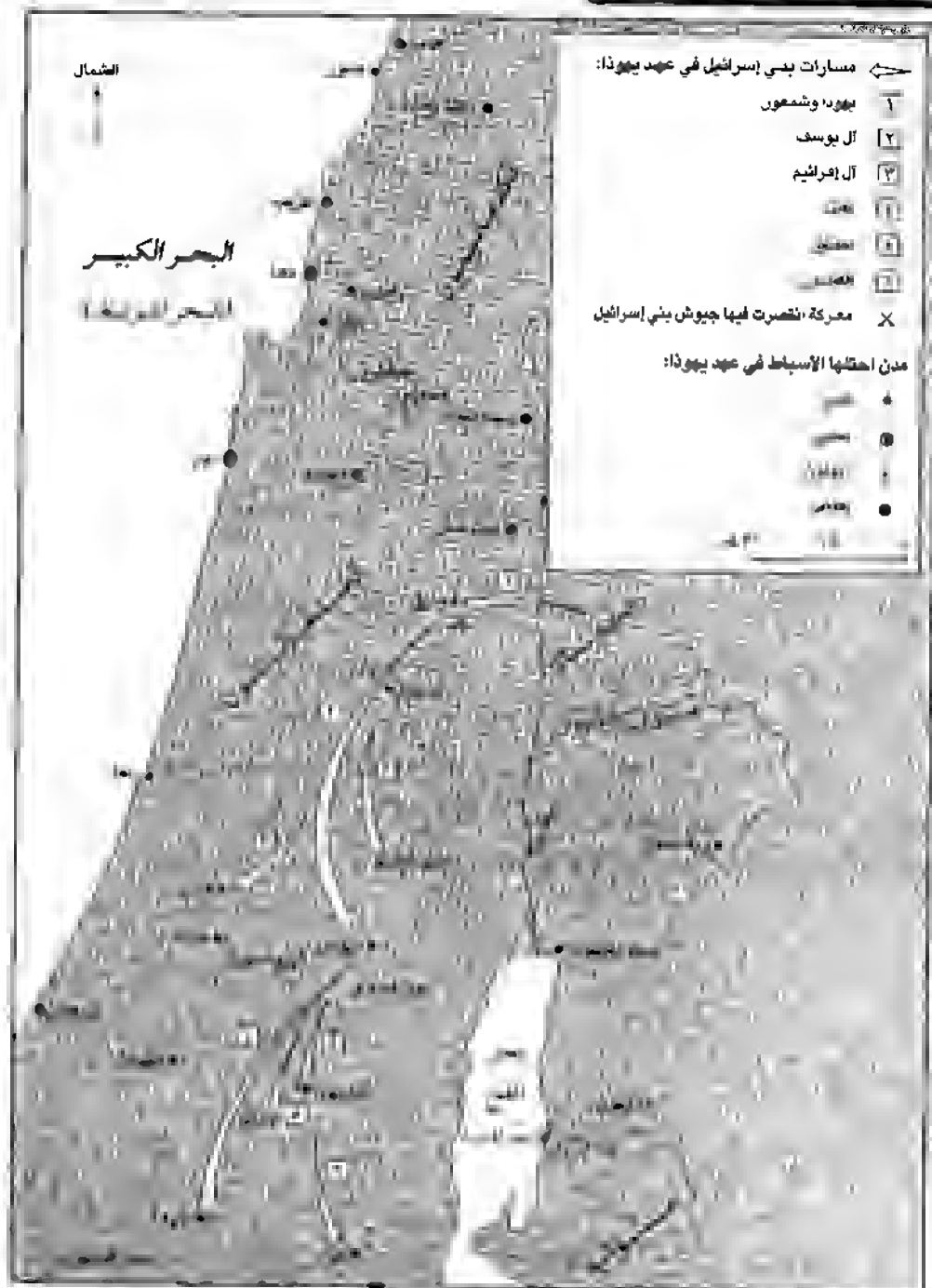
(١٩) م.ن. قض ١: ٢٨.

(٢٠) م.ن. قض ١: ٢٩-٣٣.

(٢١) م.ن. قض ١: ١٩.

(٢٢) م.ن. قض ١: ٣٤.

طرح و نقشه های معماری



يوسف وضربوا الجزية عليهم^(٢٣)، وكانت حدود الأموريين من عقبة العقارب من الصخرة إلى ما فوق^(٢٤).

لكن بني إسرائيل عادوا فعصوا ربهم، بعد موت يهوذا، وتخلوا عن عبادته واتبعوا آلهة أهل البلاد التي أقاموا فيها من «الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»^(٢٥) وعبدوا آلهتهم «البعليم والعشتاروت» فغضب للرب عليهم ولم يعد يناصرهم في حروبهم^(٢٦)، وأبقى في أرض كنعان، أهلها الأصليين «خمسة أقطاب الفلسطينيين، وجميع الكنعانيين والصيونييين والحويين المقيمين بجبل لبنان، من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة»^(٢٧) وذلك لكي يمتحن بهم إسرائيل ولتعليم أجيال بني إسرائيل... لتعليم الحرب للذين لم يعرفوها قبلاً^(٢٨). وهكذا أبقى المدن الكنعانية والفلسطينية ومدن غيرها من الأقوام التي كانت تقطن أرض كنعان، أصلاً، «في قلب الشعب الإسرائيلي، حيث شكلت ضغطاً في الداخل»^(٢٩). (انظر الخارطة رقم ٨)

II - حروب عتنيثيل بن قناز

تولى عتنيثيل القضاء خلفاً ليهوذا، وكان كوشان رشعتائم «ملك أدوم» قد غزا أرض كنعان وأخضع بني إسرائيل طيلة ثماني سنوات^(٣٠)، وكان بنو إسرائيل يدفعون الجزية إلى كوشان ويحملونها، سنوياً، إلى مقره، ويبدو أن بني إسرائيل تأخروا، ذات عام، عن دفع الجزية، فزحف كوشان إليهم لكي يؤدبهم، وانبرى عتنيثيل لمواجهته على أرض فلسطين (ولم يُعرف بالضبط مكان المعركة)، فهزم عتنيثيل كوشان وجيشه «وهدأت الأرض أربعين سنة» بعد ذلك^(٣١).

(٢٣) م. ن. قس ١: ٣٥.

(٢٤) م. ن. قس ١: ٣٦.

(٢٥) م. ن. قس ٣: ٦٥.

(٢٦) م. ن. قس ٣: ٧.

(٢٧) العهد القديم، قس ٤: ٢ و٢.

(٢٨) م. ن. قس ٤: ٢.

(٢٩) العهد القديم، قس ٤: ٢٢-٢٣، وانظر الدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٢٩-٢٣٠.

(٣٠) العهد القديم، قس ٢: ٨. والدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٢٤-٢٢٥.

(٣١) م. ن. قس ٢: ١٠-١١، وكان مقر عتنيثيل قرية دبير (أو سفر) على مقربة من حبرون (الدبس، م. ن. ج ٢: ٢٢٥).

III - حروب أهود بن جبر البنياميني

بعد ان مات عُثْنِيثِيل، استظهر «عجلون» ملك مؤاب على بني اسرائيل، وجمع، لمحاربتهم، المؤابيين (وكانوا يقطنون جنوب شرقي فلسطين، خلف البحر الميت) والعمونيين (وكانوا يقطنون شمال شرقي أرض المؤابيين، وهم أبناء خالتهم من جدهم لوط كما مر معنا) والعمالقة (وكانوا يقطنون البرية شرق تخوم للمؤابيين)، ودارت بين الفريقين، عبر الأردن شرقاً، معارك انتهت بهزيمة بني اسرائيل، حيث عبر المنتصرون، بقيادة عجلون نفسه، النهر، واخضعوا بني اسرائيل عبر النهر غرباً، وفرضوا الجزية عليهم، كما سبق لكوشان ملك أدوم ان فعل، واحتل عجلون مدينة النخل (أريحا) وأقام فيها مستعبداً بني اسرائيل طيلة ثمانية عشر عاماً، على جانبي النهر، شرقه وغربه^(٢٢).

وظهر في بني اسرائيل قائد محنك هو «أهود بن جبر البنياميني» وكان يعلم انه ليس باستطاعة شعبه الانتصار عسكرياً على المؤابيين وحلفائهم، فعمد الى حيلة استطاع، بواسطتها، ان يقضي على عجلون ملك المؤابيين وقائد التحالف، اذ انه قصده في مقره حاملاً اليه الهدايا تقرباً وتزلفاً، وكان قد اخفى تحت ثيابه «سيفاً ذا حدين طوله ذراع»، فقدم اليه الهدايا وانصرف كي لا يثير الشكوك حوله، ولما انصرف مودّعه عاد الى الملك طالبا ان يختلي به كي يسر له أمراً، وما ان اختلي به حتى طعنه طعنة نجلاء قضت عليه فوراً. وبينما كان القوم منهمكين بأمر مليكهم، انسل خارجاً واتجه الى سعيرة «وعند وصوله، نفخ في البوق في جبل أفراثيم» حيث كان بنو اسرائيل في انتظاره، ثم تقدمهم مهاجماً المؤابيين المنشغلين بالفاجعة حيث احتل «معابر الأردن» مانعاً عبور المؤابيين الى عبر الأردن شرقاً، ثم انقض على جموعهم فقتل منهم «نحو عشرة آلاف رجل، كل شجاع وكل رجل بأس، ولم ينج منهم أحده»^(٢٣).

IV - حروب النبوة دبورة

استراح بنو اسرائيل، بعد مقتل عجلون، ثمانين عاماً^(٢٤) عاد، بعدها، الكنعانيون،

(٢٢) العهد القديم، قض ١٢: ١-١٤ والديس، المصدر السابق، ج ٢، ٢٢٥-٢٢٦.

(٢٣) العهد القديم، قض ١٥: ٢٩ والديس، المصدر السابق، ج ٢، ٢٢٦-٢٢٧.

(٢٤) م ن قض ٢: ٣٠.

وغيرهم من شعوب ارض كنعان، الى القتال ضدهم، فاصطدم العبرانيون، عبر الأردن شرقاً، «بامارات» الآراميين والعمونيين والمؤابيين، و«بقبائل» رحل او شبه رحل، من العمالة والأدوميين والمديانيين، انتشرت في المناطق الصحراوية جنوباً وراحت تشن عليهم الغارات بغية الحصول على الكلاً والماشية، وانتزاع الاراضي الخصبة منهم»^(٢٥). وكان الكنعانيون أشد تلك الشعوب على بني اسرائيل، وخصوصاً أولئك المقيمون في اورشليم، في وسط البلاد (اليبوسيون)، وفي حاصور، أقوى مدن الكنعانيين في الشمال^(٢٦).

وكان «يابين»، ملك حاصور، قد أعد جيشاً قوياً سلّم قيادته الى عسكري حازم وقوي هو «سيسرا»، الذي جهز هذا الجيش «بتسع مئة مركبة من حديد» وأخذ يضيق على بني اسرائيل «بشدة» طيلة عشرين عاماً^(٢٧). وكان يابين يقيم شمال نهر «قيشون»، في بلدة تدعى «هروشت الامم»^(٢٨).

وكانت نبية تدعى «دبورة» و(تعني بالعبرية النحلة)، زوجة «لفيدوت» قد تولت قضاء بني اسرائيل واتخذت مقرالها تحت نخلة دُعيت باسمها (نخلة دبورة)، على جبل أفرائيم، بين الرامة وبيت آيل.

موقعة نهر قيشون:

قررت دبورة ان تنازل يابين ملك حاصور وتنهى تسلطه على شعبها، فدعت اليها «باراق» (وتعني بالعبرية البرق) بن أبينوعم من «قادش نفتالي» (من اعمال صفد) وأمرته ان يعدّ جيشاً من عشرة آلاف مقاتل من سبطي زبولون ونفتالي، ويستعد لمقاتلة سيسرا، قائد جيش حاصور.

الخطّة: وضعت دبورة خطّة، لذلك، تتلخص بما يلي:

— Barnavi, Op. Cit., p. 11 (٢٥)

Ibid (٢٦)

(٢٧) العهد القديم، قض ٤: ٢٠.

(٢٨) قض ٤: ٢٠.

- يحشد باراق جيشه على جبل تابور، بعد أن ينطلق به من قادش نفتالي الى الجبل المذكور.

- تقوم دبورة بعملية استدراج لجيش يابين من حروشت الامم الى نهر قيشون (المعروف بنهر المقطع، في مرج ابن عامر، شمال حيفا)، دون ان تفصح عن الطريقة التي سوف تتبعها لاستدراج ذلك الجيش.

- تتم المنازلة بين الجيشين في المكان الذي اختارته دبورة، جنوب غربي قادش نفتالي.

التنفيذ: انطلق باراق بجيشه من قادش نفتالي، ورافقته دبورة، وكان معه عشرة آلاف مقاتل.

- ما ان علم سيسرا بحشود باراق ودبورة على جبل تابور، حتى تحرك بجيشه لملاقاتها، وكان معه ٩٠٠ مركبة حديد «وجميع الشعب الذي عنده»، فانتقل من «حروشت الامم» الى «نهر قيشون».

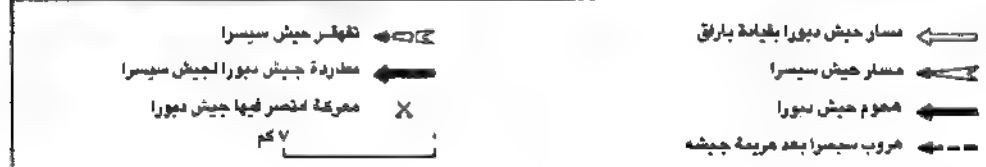
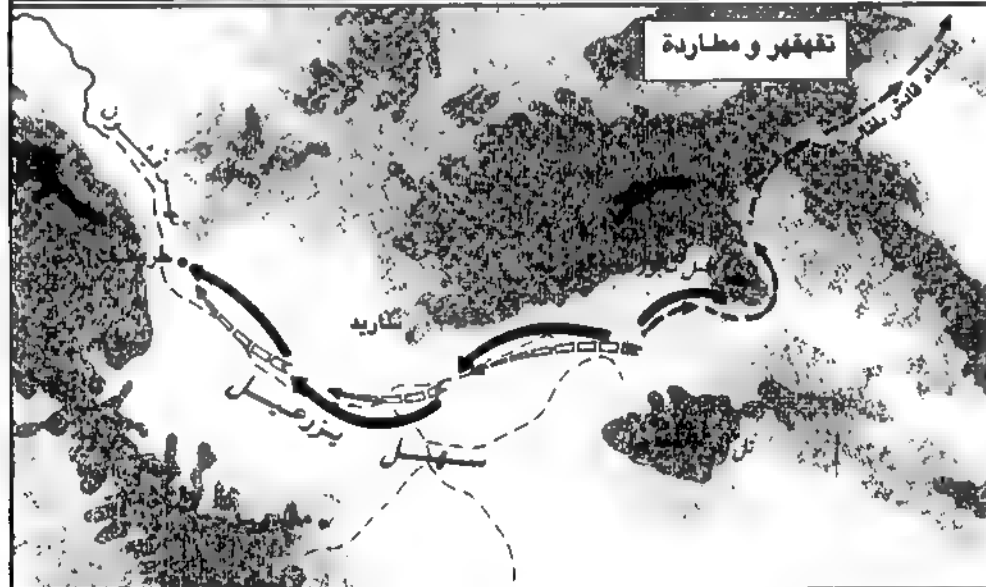
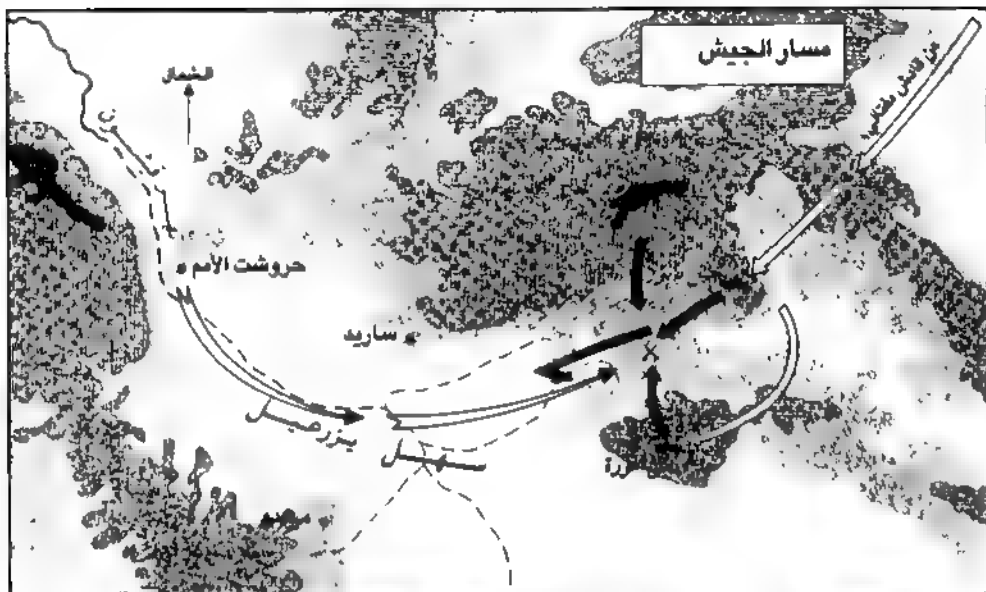
- ما ان وصل سيسرا الى نهر قيشون حتى انحدر باراق بجيشه من جبل تابور وفاجأ سيسرا وجيشه عند ذلك النهر، فذعرت مركبات سيسرا وخيوله وقتل جميع عسكره «بحد السيف، ولم يبق منهم باق»، بينما سارع باراق لمطاردة سيسرا وفلول جيشه، حتى «حروشت الامم».

- أما سيسرا، فقد تخلى عن مركبته وهرب راجلا حيث دخل خيمة رجل يدعى «حابر القيني» من بني حوياب «حمي موسى»، كان قد نصبها عند «شجرة بلوط في صعتنيم التي عند قادش»، واستجار بياعيل، امرأة حابر التي اجارته، وكان سيسرا متعباً ومرهقاً، فغافلته ياعيل وغرزت في صدغه وتدا فقتلته. وما ان وصل باراق الى خيمتها باحثاً عن خصمه، حتى ارته اياه ميثا «والوتد في صدغه»^(٣٩). وهكذا هزم يابين، ملك حاصور، امام دبورة وجيشها، فازداد بنو اسرائيل قوة، «وقسوا على يابين ملك كنعان حتى قضوا عليه»^(٤٠).

(٣٩) العهد القديم، قص ٤٠٤ - ٢٢. وانظر الدبس. المصدر السابق، ج ٢ ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٤٠) م. ن. قض ٤ ٢٢

خارطة رقم ٩: هروب ديمورا (موقعة تهر قيشور)



ارتفاع اليابس بالاسطر

0 100 200 300

وقد ورد في نشيد «دبورة»، بعد هذه المعركة، لوم لأسباط اسرائيل الذين تخلفوا عن نجدة اخوانهم في حربهم مع يابين، ومن هؤلاء: جلعاد الذي «سكن في عبر الأردن»، ودان الذي كان «يقيم على سفن»، وأشير الذي لبث «على سواحل البحار... وفي موانئه سكن»، كما لعنت سكان ميروز الذين «لم يأتوا لنصرة الرب... بين الأبطال»^(٤١)، بينما امتدحت المتطوعين من سبطي بنيامين وأفرائيم، وسبط يساكر الذي كان يعضد «باراق» في هذه الحرب^(٤٢)، كما امتدحت سبطي زبولون ونفتالي قاتلة: «زبولون شعب خاطر بنفسه للموت وكذا نفتالي على مشارف الحقول. أتى الملوك وقاتلوا»^(٤٣) وامرأة حابر القيني التي «ضربت سيسرا وكسرت رأسه وحطمت وخرقت صدغه»^(٤٤)، ويبدو ان الطقس كان راعدا وممطرا يوم المعركة مما حدا بدبورة ان تقول في نشيدها:

«رجفت الأرض، وقطرت السماء، وقطرت الغمام ماء. تزعزت الجبال من وجه الرب»^(٤٥) كما قالت: «من السماء قاتلت الكواكب، ومن مدارها قاتلت سيسرا، نهر قيشون جرفهم، نهر القيد نهر قيشون»^(٤٦) واستراح العبرانيون، بعد هذه المعركة، أربعين سنة^(٤٧). (انظر الخارطة رقم ٩).

V- حروب جدعون بن يواش الأبيعزي

استعبد المدينيون بني اسرائيل طيلة سبعة أعوام حيث كانوا يغزونهم باستمرار ويستولون على محاصيلهم ومواشيهم، ويفسدون غلة أراضيهم «الى مدخل غزة»، ولا يبقون لهم «ميرة.... ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا»^(٤٨)، مما اضطر بني اسرائيل للجوء الى المغاور والكهوف والحصون هربا من وجه مدين وحلفائها العمالقة وبني المشرق

(٤١) م.ن. قض ٥: ١٧ و ٢٢.

(٤٢) م.ن. قض ٥: ١٤ و ١٥.

(٤٣) م.ن. قض ٥: ١٨ و ١٩.

(٤٤) م.ن. قض ٥: ٢٤ و ٢٦.

(٤٥) م.ن. قض ٥: ٤ و ٥.

(٤٦) م.ن. قض ٥: ٢٠ و ٢١، وانظر. Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 53- 55.

(٤٧) م.ن. قض ٥: ٣٦.

(٤٨) م.ن. قض ٦: ١-٤.

(وهؤلاء هم العرب الرحل من سكان حوران، وكانوا حلفاء للعمالقة والمدنيين الذين كانوا يقطنون شرق البحر الميت، خلف مساكن بني اسرائيل في عبر الاردن)^(٤٩).

وظهر في بني اسرائيل رجل يدعى «جدعون» هو ابن «يواش» الأبيعزري، من «عفرة» الواقعة في وادي اسرائيل، بالقرب من نابلس^(٥٠)، ادعى ان الرب ارسله نبياً لبني اسرائيل لكي يخلصهم من استعباد المدنيين لهم. وقد لُقّب باسم «يَرْبُعل» لأنه هدم مذبح البعل الذي كان يعبده قومه، فدعا القوم اياه لكي يقتله، فرفض الأب قائلاً: لينتقم منه البعل بنفسه لأنه هدم مذبحه^(٥١ مكرر).

موقعة «تل المورة» بين جدعون والمدنيين:

سبق هذه المعركة لقاء بين جدعون وملاك الرب تضرع، خلاله، جدعون الى الرب ان يخلص بني اسرائيل من «قبضة مدين»، فوعده الرب بالنصر، وقال له: «انطلق بقوتك هذه وخلص اسرائيل من قبضة مدين..... انا اكون معك، وستضرب مدين كأنه رجل واحد»^(٥١). وعبر جدعون الأردن ونزل في «وادي يزرعيل» (عند زرعين من جهة جنين) تجاه كل خصوم بني اسرائيل، «جميع مدين وعماليق وبني المشرق معا». بينما حل «روح الرب» على جدعون فنفخ في البوق، «فاجتمع اليه آل ابيعزر. وارسل الى آل منسى وأشير وزبلون ونفتالي» فصعدوا لملاقاته^(٥٢).

ويتدخل هنا الرب، كمعاقبة قبل كل معركة، وبشكل اسطوري، ليؤكد لجدعون مساندته، ويقول جدعون للرب ممتحناً صدق رؤياه: «ان كنت مخلص بني اسرائيل عن يدي كما قلت، فما انذا واضع جزاز صوف في البيدر، فاذا سقط الندى على الجزاز وحده وعلى سائر الارض جفاف علمت انك تخلص اسرائيل على يدي كما قلت»^(٥٣). ووضع

(٤٩) م. ن. ن. ٢: ٦ والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٢٢١ - ٢٢٢.

(٥٠) ربما تكون (فرعاتا) الواقعة على بعد ٦ اميال غرب نابلس (الديس المصدر السابق ج ٢: ٢٢٢).

(٥١ مكرر) العهد القديم، قض ٦: ٢٥ - ٢٢.

(٥١) العهد القديم، قض ٦: ١٢ - ١٦.

(٥٢) م. ن. ن. ٢: ٢٢ - ٢٥ والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٢٢٢.

(٥٣) م. ن. ن. ٦: ٢٦ - ٢٧.

جدعون الجزاز في البيدر وجاء في الغد فقصده، «فخرج منه من الندي ملء كوب ماء»^(٥٤). ويبدو ان جدعون ساوره الشك فيما رأى، وأراد ان يمتحن، وللمرة الثانية، جدية مساندة الرب له في حربه ضد المدينيين، فقال له ثانية: «لا تغضب علي... أجرب مرة أخرى فقط بالجزاز. ليكن على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الأرض ندي»^(٥٥)، فكان لجدعون في اليوم التالي، ما اراد: «فكان على الجزاز وحده جفاف وعلى سائر الأرض ندي»^(٥٦).

ومهما يكن من امر هذه الرؤيا الاسطورية، فقد قرر جدعون خوض المعركة ضد خصومه الكثر المجتمعين عليه الى الشمال، على «تل المورة» في الوادي نفسه، فتقدم بجيشه في مرج ابن عامر (بالقرب من الموقع الذي هُزم فيه سيسرا، قائد جيش يابين) ونزل على «عين حرود» او «عين جلود» او «عين جالوت»، في الشمال الغربي من جبل جلبوع، والى الجنوب من محلة المدينيين^(٥٧)، بينما كان المدينيون وحلفاؤهم لا يزالون على «تل المورة»، في الوادي شمال جيش جدعون.

وكان جدعون قد جمع جيشا قوامه ٢٢ الف رجل، فرأى ان يخير جنده: من اراد منهم البقاء ورغب في القتال فليبق، ومن اراد الرحيل ولم يرغب في القتال فليرحل، فرحل من القوم ٢٢ الفا، وبقي معه عشرة آلاف^(٥٨). ثم رأى جدعون ان يختار، من الباقين، شجعانهم، فعمد الى وسيلة مبتكرة، وذلك بأن أورد جنده الماء بحيث يبقى معه «كل من ولغ في الماء بلسانه كما يلغ الكلب» ويصرف كل من «جثا على ركبتيه ليشرب»، فولغ من الماء ثلاثماية وجثا الباقون على ركبهم لكي يشربوا، فاختار جدعون الثلاثماية كي يشكلوا جيشه لمحاربة المدينيين وحلفائهم^(٥٩). ويبدو، بحسب رواية العهد القديم، ان الرب هو الذي أوحى لجدعون بكل هذا، وانه قال له بعد ذلك: «بهؤلاء الثلاثمئة رجل الذين ولغوا، أخلصكم وأسلم مدين الى يدك أما سائر القوم، فليرجع كل واحد الى مكانه»^(٦٠).

(٥٤) م. ن. قفس ٢٨: ٦.

(٥٥) م. ن. قفس ٢٩: ٦.

(٥٦) م. ن. قفس ٤٠: ٦.

(٥٧) م. ن. قفس ١٠٧، والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٢٢٢.

(٥٨) العهد القديم، قفس ٣: ٧.

(٥٩) م. ن. قفس ٧: ٥-٧.

(٦٠) م. ن. قفس ٧: ٧.

وكان «المدينيون والعمالقة وجميع بني المشرق» قد عسكروا في السهل، وباتوا «كالجراد كثرة»^(٦١)، فقسم جدعون مئاته الثلاث الى ثلاث فرق، كل فرقة مئة، وأعطى كل فرد منهم بوقاً وجرة فارغة في ضمنها مشعل، وأمرهم ان يصنعوا كما يصنع، وشرح لهم ماذا يجب ان يصنع كل منهم عند ساعة الصفر، ثم أمر الفرق الثلاث بالانتشار حول معسكر المدينيين وحلفائهم^(٦٢).

وفي الساعة المحددة، وكانت منتصف الليل «في اول الهزيع الاوسط»، وهي عادة ساعة تبديل الحراس والخفراء في المعسكر، نفخ جدعون وفرقة الأبواق وضربوا الجرار بعضها ببعض فتكسرت وبانت المشاعل، وفعلت كل فرقة مثلما فعل جدعون وفرقة، اذ نفخت الفرق الثلاث في الأبواق وحطموا الجرار وأخذوا المشاعل بأيديهم اليسرى والأبواق بأيديهم اليمنى لينفخوا فيها، وهتفوا: «السيف للرب ولجدعون»^(٦٣)، فذب الذعر في صفوف المدينيين وحلفائهم، وتراكم عسكرهم «وصرخوا وهربوا»، ثم «نفخ الثلاث مئة في الأبواق، فجعل الرب كل واحد يوجه سيفه الى صاحبه في المعسكر كله»^(٦٤)، وهرب عسكر المدينيين وحلفائهم، لا يلوون على شيء، حتى بلغوا «بيت شطة» الى «صريرة» حتى عدوة «آبل محولة التي عند طبات»^(٦٥).

وأخذ جدعون ومن معه من بني اسرائيل (من نفتالي وأشير ومنسى) يتعقبون أثر المدينيين وحلفائهم. وأرسل جدعون الى آل أفرائيم المقيمين في جبلهم ان «أنزلوا لملاقاة مدين واستولوا، قبلهم، على عيون المياه، الى بيت بارة والاردن» فقبض رجال أفرائيم على قائدين من قادة المدينيين هما: عوريب (ويعني الغراب) وزيب (ويعني الذئب) وقتلوهما وحملوا رأسيهما الى جدعون «في عبر الأردن»^(٦٦).

وظل جدعون ورجاله يطاردون قلول خصومهم الذين فروا عبر الأردن، فتبعوهم

(٦١) م.ن. قض ٧: ١٢.

(٦٢) م.ن. قض ٧: ١٦-١٧.

(٦٣) م.ن. قض ٧: ١٩-٢٠.

(٦٤) م.ن. قض ٧: ٢١-٢٢.

(٦٥) م.ن. قض ٧: ٢٢.

(٦٦) م.ن. قض ٧: ٢٢-٢٥. والمصدر السابق ج ٢: ٢٢٤.

حتى سكوت ففئوئيل الى قرقر حيث لجأ ملكا مدين «زاباح وصلمناح» ومعهما خمسة عشر الف رجل هم كل من بقي معهم من قلول جيشهم، «وكان الذين سقطوا مئة الف وعشرين الف رجل مستل سيف»^(٦٧). ففاجأهم جدعون، وهم مطمئنون، شرق «نوبح وُجبهة»، وأعمل، وجماعته، السيف فيهم حتى «ضرب كل للجيش» وظفر بزاباح وصلمناح فأسرهما^(٦٨)، ثم مال الى سكوت فقتل سبعة وسبعين من كبرائها، لأنهم امتنعوا عن اطعام جيشه عند مروره بها، وكذلك فعل بأهل فئوئيل بعد ان هدم برجها، ثم قتل الملكين الاسيرين^(٦٩)، واستعبد بنو اسرائيل مدين «واستراحت الارض اربعين سنة ايام جدعون»^(٧٠) الذي مات بعد ان رزق، من نسائه الكثير، سبعين ولدا كان «ابيملك» احدهم من سرية له من اهل شكيم، ودفن في «غفرة ابيعزر» في قبر ابيه يواش^(٧١). (انظر الخارطة رقم ١٠)

استنتاج:

لا شك في ان ما يلاحظه القارئ او الباحث، في الرواية التوراتية لهذه المعركة، من اسطورية ومبالغة خارجة عن المعقول والمنطق، يجعله يرفض، كليا، مجرياتها ونتائجها، ولا يخامرنا الشك في ان ما غشي هذه الرواية من تدخل «رباني» لصالح جدعون وشعب اسرائيل يزيدنا تمسكا بلا عقلانياتها ولا منطقها. ومع ذلك، فقد تميزت هذه المعركة - الاسطورية بالمزايا الكاملة لاية معركة حقيقية، مثل:

- ١- الاعداد للمعركة، بالنعينة لها، ثم باختيار الجند المنتخب، وباختيار وسائل القتال واسلحته وان كانت غير مالوفة (البوق والجرة والمصباح والسيف).
- ٢- المعركة، التي تميزت بعنصري الخدعة والمباغطة، وبحسن اختيار ساعة الصفر.
- ٣- المطاردة، وهي اساس السلوك الصحيح في اية معركة ناجحة لاستثمار النصر.

(٦٧) العهد القديم، قض: ٨: ٤-١٠.

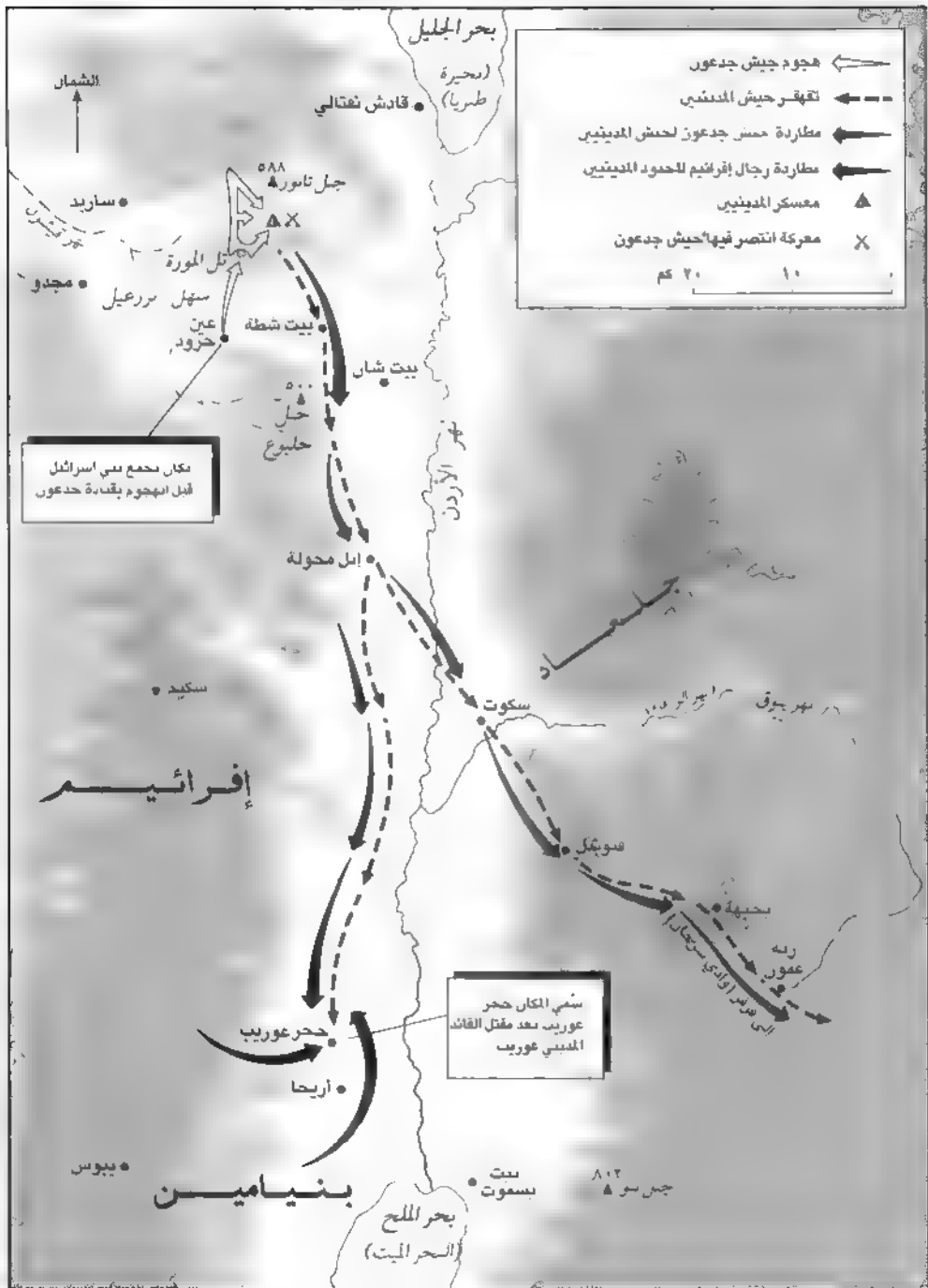
(٦٨) م.ن. قض: ٨: ١١-١٢.

(٦٩) م.ن. قض: ٨: ١٧، ١٤ و ٢١.

(٧٠) م.ن. قض: ٨: ٢٨.

(٧١) م.ن. قض: ٨: ٣٠-٣٢.

خارطة رقم ١٠ : حرب جدعون (موقعة تل المورة)



ارتفاع اليمس بالامطار



مما يجعلنا نعتبرها واحدا من نماذج اساليب القتال والتكتيك العسكري التي استخدمها بنو اسرائيل في حروبهم المختلفة.

١- في الاعداد للمعركة، اعتمد جدعون الوسائل التقليدية للحشد والاستنفار والتعبئة، ثم عمد الى ترك الخيار للجند، من كان منهم راغبا في القتال يذهب اليه، ومن كان راغبا عنه لا يذهب، وهو أسلوب اتبعه القادة المسلمون في حروبهم الاولى، وان كان القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة قد عرّضا بالمتخاذلين والمتقاعسين عن القتال، الا ان الاسلوب الذي اتبعه جدعون لاختيار النخبة من جيشه (ثلاثماية من اصل عشرة آلاف) تدعو الى التساؤل والاستهجان ونحن، وان كنا نميل الى عدم تصديق الرواية، نرى من المفيد ان نحاول تحليلها تحليلًا منطقيًا، متسائلين عن مغزى التمييز بين الذين يتناولون الماء من النهر بأفواههم راكعين وبين أولئك الذين يتناولونها براحتهم وهم في وضع القرفصاء. فهل رأى جدعون في ركوع الجند، لتناول الماء، علامة من علامات الضعف والجبن والتخاذل، فاختار أولئك الذين لم يركعوا، دليلا على صلابتهم وشدتهم وروح المقاومة لديهم؟

أما اختياره لوسائل القتال (المصباح والجرة والبوق والسيف) فهو اختيار غير مألوف وان كان قد ثبت فعاليتها في المعركة: فالبوق يرمي الرعب في قلوب العدو، والنار المفاجئة تلتهم الخيم ان رميت على معسكر العدو من قرب، والجرة لإخفاء النار حتى لحظة رميها على المعسكر، والسيف للقتال. ولكن السؤال الذي لا بد منه: كيف يمكن لثلاثماية نفر مزودين بهذه المعدات، وبالسيف دون سواء من الأسلحة، ان يهزموا جيشا بلغ عديده نحو مائة وأربعين ألف رجل، حيث قتلوا منه نحو مائة وعشرين ألفا (بحسب رواية العهد القديم) وقضوا على أربعة من ملوك الأعداء بعد أسرهم؟

٢- لا شك في أن المعركة قد تميزت بعنصري الخدعة والمفاجأة، وهما اهم عوامل النصر في أية معركة، وقد أحسن جدعون تقسيم قواته واختيار مواقعه حول معسكر الأعداء، فهو لم يحاول حصرهم ضمن معسكرهم من جهاته الأربع بحيث لا يبقى لديهم أية فرصة للهروب، بل حاصرهم من جهات ثلاث، فرقة من كل جهة، متيحاً لهم الفرصة للهروب من الجهة الرابعة، (تماما كما فعل خالد بن الوليد في حربه مع الروم في معركة اليرموك)، كما انه احسن خداع الأعداء واتقن وسيلة المفاجأة عندما اخفى المشاعل في الجرار ثم ابرزها في لحظة استخدامها لإحراق مخيم الأعداء (وان لم يكن ذلك قد ذكر في

الرواية التوراتية)، ثم انه احسن اختيار ساعة الهجوم، وهي، منتصف الليل، حين يتم استبدال الخفراء، فيذهب المتيقظون منهم ويأتي الذين لم يتألفوا مع عتمة الليل، او لم يستيقظوا تماما، كما احسن اكتناف الهاربين والقضاء عليهم بواسطة الكمائن التي نصبت لهم من قبل رجال أفراتيم، بين بيت بارة والأردن، ولكن ما لا يمكن تصديقه والقبول به هو ان يكون ثلاثماية رجل لا سلاح لهم سوى السيف قاندين، مادياً، على أن يقضوا على مائة وعشرين الف مقاتل.

٢ - يبقى ان استثمار النصر بعنصريه: للمطاردة واكتناف الهاربين عند مجرى نهر الأردن، كان تاما وناجحا، فقد طارد جدعون ورجاله الهاربين حتى النهر، حيث كان ينتظرهم آخرون من رجال أفراتيم لكي يقضوا عليهم ويأسروا ملوكهم.

الا اننا لن نذهب الى ما ذهب اليه «جان لارتيغي J. Larteguy» من ان جدعون برز، في هذه المعركة «قائدا عسكريا اصيلا وشجاعا، عرف كيف يستثمر عنصر المباغثة وروح الهجوم»^(٧٢)، وذلك لسبب بديهي وبسيط، وهو ان هذه المعركة تظل، في قناعتنا، وبمبالغاتها غير المنطقية، أقرب الى الخيال والاسطورة، منها الى الواقع والحقيقة، رغم تأكيدنا بان قناعتنا هذه لن تؤثر في قناعات بني اسرائيل في القرن العشرين، الذين يستمدون من «تاريخهم العسكري» المكتوب في «العهد القديم» معظم نماذج حروبهم العصرية الحديثة، ولا سيما «الكمائن والغارات الصاعقة»^(٧٣)، كما يرى لارتيغي نفسه، وكذلك اساليب الخداع والمفاجأة وغيرها من أساليب القتال، وهذا ما سنبيّنه فيما بعد^(٧٤).

VI - حروب أبيمالك بن جدعون

تسلم حكم بني اسرائيل، بعد موت جدعون، ابنه أبيمالك، وكان هذا قد قتل اخوته السبعين، في بيت ابيه في عفرة «على صخرة واحدة» ولم ينج منهم سوى أخ صغير له اختبأ من وجهه، هو أخوه «يوتام» أصغر ابناء يربعل^(٧٥). وكان أهل شكيم أخوال أبيمالك،

(٧٢) - Larteguy, Jean, les Morailles d'Israël, P. 214

(٧٣) - Ibid, P. 212.

(٧٤) انظر باب: الجنود الدينية للمعينة العسكرية الصهيونية.

(٧٥) العهد القديم، قض: ٩: ٥.

(وهم كنعانيون يتصلون به من جهة نسب الأم)^(٧٥ مكرر)، فأزروه، إلا أن الصفاء لم يدم طويلاً بينه وبينهم فافترق عنهم وغادر مدينتهم مع انصار له، وأقام بعيداً عنهم، بينما تحيّن أخوه «يوتام» الفرصة فأوغر قلوب أخواله أهل شكيم على أخيه أبيمالك^(٧٦)، فأخذوا يتحرشون به ويأمنونه. وجاء شكيم رجل يدعى «جاعل بن عابد» مع أخوة له فزاد في تحريض أهل المدينة على أبيمالك، وكانوا قد وثقوا به^(٧٧)، ووصل الخبر إلى أبيمالك عن طريق وكيله في المدينة ويدعى «زبول»، فخرج مع أنصاره إلى شكيم حيث حاصرها بأربع فرق من جهاتها الأربع، فخرج جاعل بن عابد لقتاله ففاجأته كمائن أبيمالك ورجالها في أرومة^(٧٨)، إلا أن أهل شكيم خرجوا، من جديد، لقتال أبيمالك، فسار أبيمالك إليهم في ثلاث فرق، وكمن في الحقول، حتى إذا ما وصلوا إليه انقضت الكمائن عليهم، وقد انشغلت فرقتان من الفرق الثلاث بقتال أهل شكيم في الحقول بينما وقف أبيمالك بفرقة على مدخل المدينة ليمنع المرتدين إليها من دخولها. ثم احتل أبيمالك المدينة «وقتل الشعب الذي فيها ودمر المدينة وزرعها ملء»^(٧٩). ثم أتى سرداب (أوبرج) «بيت أيل برّيت» من جهة جبل «سلمون» وكان أعيان «مجدال شكيم» قد لجأوا إليه، فأحرقه بمن فيه من أهل شكيم، وكان فيه نحو ألف نسمة^(٨٠). ثم انطلق أبيمالك إلى «تاباص» فامتلكها، وكان في وسطها برج محصن لجأ إليه من بقي من أهل المدينة من نساء ورجال وأطفال، فقصده أبيمالك لكي يحرقه، لكن امرأة رمت من أعلى البرج بوعاء شج رأسه، فاستدعى واحداً من غلمان وأمره بأن يقتله بالسيف كي لا يقال إن امرأة قتلتها، فقتله الغلام بسيفه^(٨١) وكان أبيمالك قد حكم ثلاث سنوات^(٨٢).

(٧٥ مكرر) - Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 64

(٧٦) م. ن. قس ٩: ٧-٢٠.

(٧٧) م. ن. قس ٩: ٢٦-٢٩.

(٧٨) م. ن. قس ٩: ٢٤-٤١. وتقع أرومة بين شكيم وشيلو (Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 64)

(٧٩) م. ن. قس ٩: ٤٢-٤٥.

(٨٠) م. ن. قس ٩: ٤٩. وسرداب أو «برج» لأن هذا الهيكل هو خندق وملجأ في آن (العمود القديم، ص ٤٨٨ حاشية ١٢).

(٨١) م. ن. قس ٩: ٥٠-٥٤. وتاباص هي متوباص اليوم، وتبعد ١٥ كلم شمال شكيم (م. ن. ص ٤٨٨ حاشية ١٢).

(٨٢) م. ن. قس ٩: ٢٢.

VII - حروب يفتاح الجلعادي (أواخر القرن ١٢ ق.م)

تسلم حكم بني اسرائيل، بعد موت ابيمالك، تولع بن فوأة بن دودو، من يساكر، فتولى قضاء اسرائيل طيلة ٢٢ عاما، ثم خلفه في الحكم يائير الجلعادي الذي تولى القضاء طيلة ٢٢ عاما، وكان بنو اسرائيل قد انتابهم الضعف وأنحازوا الى عبادة «البعل والعشتاروت»، آلهة آرام وصيدون ومؤاب وبني عمون الفلسطينيين قبايعهم الرب «الى ايدي الفلسطينيين وإلى ايدي بني عمون» وحكم هؤلاء بني اسرائيل «وحطموا» طيلة ١٨ عاما «جميع بني اسرائيل الذين كانوا في عبر الأردن، في ارض الاموريين الذين في جلعاد»، كما اجتاز بنو عمون الأردن ليهاربوا يهوذا وبنيامين واقرائيم «وكان ضيق عظيم على (بني اسرائيل)»^(٨٣).

وكان «يفتاح الجلعادي» رجلا ذا بأس شديد، استطاع، وهو ابن امرأة بني جلعاد، ان يكون لنفسه مكانة بارزة بين قومه، رغم طرد اخوته من ابيه له، واقامته بعيدا عنهم، في ارض «طوب»، وذلك لما تميز به من قوة وسطوة، فقصده بنو قومه ورأسوه عليهم لعله يحررهم من عبودية بني عمون والفلسطينيين فاستجاب يفتاح لهم وانتقل الى «المصفاة» حيث اتخذها مقرا له^(٨٤).

١ - حربه ضد بني عمون (حرب بني عمون لاسترداد الارض المقتسبة):

كان بنو اسرائيل قد اغتصبوا ارض بني عمون منذ خروجهم من مصر، وكان هؤلاء يسعون لاسترداد ارضهم المقتسبة رغم مرور ٣٠٠ سنة على اغتصابها^(٨٥)، وكانوا قد اجتازوا الأردن غربا لتحقيق هذا الهدف.

أ - المفاوضات: ما ان تسلم يفتاح الحكم حتى باشر التفاوض مع بني عمون الذين طالبوا باسترداد ارضهم المقتسبة والممتدة «من أرنون الى اليبوق والأردن»^(٨٦)، لكن المفاوضات لم تؤد الى نتيجة ايجابية بين الفريقين، فكانت الحرب هي البديل. وكان بنو عمون قد اجتمعوا بجلعاد، بينما اجتمع بنو اسرائيل بالمصفاة^(٨٧).

(٨٣) م.ن. قض ١٠: ٩-١.

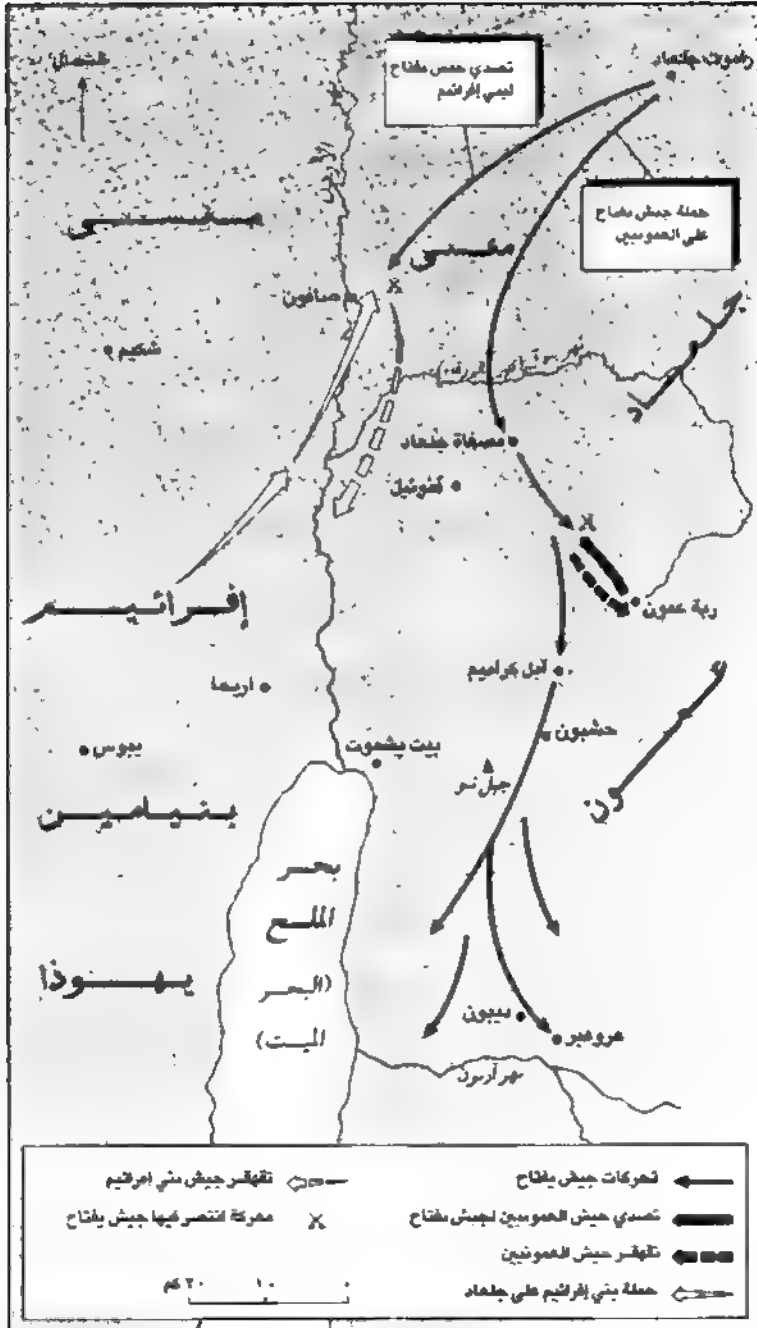
(٨٤) م.ن. قض ١١: ١١-١٠. وجلعاد: إسم جغرافي وهي الارض التي اقام فيها بنو جاد. الا ان الاسم يستعمل هنا كاسم شخص «بحسب العادة المألوفة في الانساب» (م.ن. هس. ٤٩ حاشية ١).

(٨٥) م.ن. قض ١١: ٢٦.

(٨٦) م.ن. قض ١١: ١٢.

(٨٧) م.ن. قض ١٠: ١٧.

خارطة رقم ١١: جروب يفتاح الدعااض



ب - **الموقعة:** بدأ يفتاح الحرب بان انتقل بجيشه من المصفاة، عبر جلعاد ومنسى، الى «مصفاة جلعاد» ومنها الى ارض بني عمون، حيث بدأ القتال «من عروعر» فاجتاحت قوات يفتاح عشرين مدينة من مدن بني عمون «من عروعر الى مدخل «مَنِيَّت» والى «آبل كراميم» او «آبل الكروم»^(٨٨)، وعاد يفتاح، بعد هذا الانتصار، الى المصفاة ليستمر في حكم بني اسرائيل بينما استمر الفلسطينيون في عدائهم لبني اسرائيل وتسلطهم عليهم.

٢ - حربه ضد افرائيم:

لام بنو افرائيم يفتاح لعدم دعوته لهم لمحاربة بني عمون الى جانبه ولكنهم أصروا على قتاله فحاربهم بجلعاد حيث أمسك الجلعاديون على افرائيم (معابر الأردن) ومنعواهم من عبورها، ثم فتكوا بهم فقتلوا منهم نحو اثنين واربعين الفا^(٨٩). وقد استمر حكم جلعاد لبني اسرائيل ستة اعوام مات بعدها ودفن في مدينته بجلعاد^(٩٠). (انظر الخارطة رقم ١١).

VIII - الحرب بين سبط بنيامين وباقي اسباط اسرائيل

١ - اسباب الحرب:

استضاف شيخ من بلدة «جبع» التي يقطنها بنو بنيامين، رجلا من اللاويين مع سُرُوتَه، وعند المساء، طرق باب الشيخ رجال من المدينة، من بني بليعال، طالبين تسليمهم اللاوي الغريب عن مدينتهم، ولكن الشيخ رفض طلبهم وعرض عليهم أن يأخذوا بدلا منه، ابنته العذراء وسُرُبة اللاوي الضيف، فرفضوا ذلك ايضاً فما كان من اللاوي الا ان اخرج

(٨٨) م. ن. قس ١١: ٢٢-٢٣. ويبدو من النص ان هناك موضعين راموت جلعاد (المصفاة) ومصفاة جلعاد (انظر قس ١٠ ١٧ و قس ٢٩: ٢٤).

(٨٩) م. ن. قس ١٢: ١-٦. والطريق ان الجلعاديين كانوا يميزون بني افرائيم عن سواهم بطريقة لفظ هؤلاء لكلمة «سُوت»، العبرية، إذ انهم كانوا يلفظونها بطريقة مختلفة عن لفظ العبرانيين لها. وسُوت، تعني سنبلة. وكانت افرائيم تلفظ السون سينا بينما يلفظها العبرانيون شيئا (الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٤٢). وهكذا كان الجلعاديون يتحققون من هوية الافرائيمي، اذ انكر هويته، «فيقبضون عليه ويذبحونه عند معابر الأردن» (م. ن. قس ١٢: ٦-٧) وذلك يذكرنا بما انتشر من شائعات، خلال الحرب الأهلية اللبنانية، بان حواجز القوات اللبنانية كانت تتأكد من هوية الفلسطيني بلفظه المميز لكلمة «بندورة» بالعربية.

(٩٠) م. ن. قس ١٢: ٧.

سُرَيْتِه وقدامها اليهم، فأخذوها، واغتصبوها طوال الليل، وأعادوها، عند الفجر، حيث سقطت على باب الشيخ المضيف جثة هامة. وما ان رآها اللاوي حتى قطع جسدها اثنتي عشرة قطعة، بعدد اسباط اسرائيل، ووزعها في «جميع اراضي اسرائيل»^(٩١).

٢ - الاستعداد للحرب:

اجتمع بنو اسرائيل، بعد هذه الحادثة، في المصفاة من ارض جلعاد، «كرجل واحد، من دان الى بئر سبع وارض جلعاد»، جميع اسباط بني اسرائيل، باستثناء سبط بنيامين، فكانوا «اربعة مئة ألف رجل مستل سيف»^(٩٢)، وقرروا تأديب بني بنيامين لانهم «صنعوا عيبا وفاحشة في اسرائيل»^(٩٣)، فاختروا لذلك:

- من كل مئة رجل عشرة رجال.

- من كل الف مئة.

- ومن كل ربوة (عشرة آلاف) الف، من كل اسباط بني اسرائيل، باستثناء سبط بنيامين^(٩٤).

كما قرر المجتمعون ان ينذروا بني بنيامين ويطلبوهم بتسليم المعتدين من بني بليعال، ولكن بني بنيامين رفضوا ذلك وأعدوا، بدورهم، انفسهم للحرب، فاستنفر رجالهم في مختلف مدنهم فكان ان حشدوا للقتال «سنة وعشرين ألف مستل سيف» باستثناء اهل جبع الذين كانوا يعدون «سبع مئة رجل مختارين»، وكان هؤلاء للمختارون «يسر الايدي» يرمي احدهم «الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئ»^(٩٥).

٣ - الحرب:

سار بنو اسرائيل للحرب، فصعدوا، اولا، الى «بيت ايل» ليستخيروا ربهم، فوقع الاختيار على «سبط يهوذا» لكي يبدأ القتال. ثم تقدم جميعهم عند الفجر، نحو جبع،

(٩١) م.ن. قضا ١٩: ٣٠.

(٩٢) م.ن. قضا ٢٠: ٢٥.

(٩٣) م.ن. قضا ٢٠: ٦.

(٩٤) م.ن. قضا ٢٠: ١٠.

(٩٥) م.ن. قضا ٢٠: ١٦-١٥.

فعمسكروا قبالتها، واسطفوا رجالهم للحرب، وفي مقدمتهم «بنو يهوذا»، كما أمر الرب، بينما خرج بنو بنيامين، بدورهم من مدينتهم، واصطفوا للحرب قبالة خصومهم.

اليوم الأول: التقى الفريقان، في ساحة المعركة، في اليوم الأول، ونشب القتال بينهما، فسقط من بني اسرائيل، في ذلك اليوم، «اثنين وعشرين الف رجل»^(٩٦) فانهمز بنو اسرائيل امام بني بنيامين، وصعدوا الى «بيت ايل» حيث «بكوا امام الرب» وسألوه ان كانوا يعودون لقتال بني بنيامين فاجابهم الرب: «اصعدوا اليهم»^(٩٧).

اليوم الثاني: وعاد بنو اسرائيل، في فجر اليوم الثاني، لقتال بني بنيامين، بناء لتوجيهات الرب، لكن بني بنيامين بادروهم بالقتال فأسقطوا منهم «ثمانية عشر الف رجل كلهم مستلو سيف»^(٩٨)، فهزم بنو اسرائيل وفروا هاربين لا يلوون على شيء. وصعدوا من جديد الى «بيت ايل» حيث الرب، فبكوا امامه وصاموا اليه ذلك اليوم وقدموا القرابين والذبائح واصعدوا المحروقات، وسألوه ان كانوا يعودون من جديد، لقتال بني بنيامين، فأوصاهم بالعودة للحرب، ووعدهم بالنصر^(٩٩).

اليوم الثالث: وخرج بنو اسرائيل للقتال في اليوم الثالث، واصطفوا للحرب في المكان نفسه، لكنهم، هذه المرة، استخدموا الاسلوب نفسه الذي استخدمه يشوع ضد ملك عاي، (المي) فأرسلوا الى محيط جبع، عند «عراء جبع»، كميناً من «عشرة آلاف رجل» انتخبوهم من كل اسرائيل ومهمتهم مهاجمة «جبع» واحراقها، وكانت العلامة بين رجال اسرائيل والكامنين «انهم يصعدون دخاناً كثيراً من المدينة»^(١٠٠).

ورأى بنو بنيامين خصومهم وقد اصطفوا للحرب فخرجوا اليهم، وما ان بدأ القتال بين الفريقين حتى تظاهر بنو اسرائيل بالهزيمة وبدأوا يفرون من امام بني بنيامين الذين ظنوا ان هزيمة خصومهم «حقيقية» كالمرتين السابقتين، وبدأوا يطاردونهم حتى قتلوا منهم، على طريق جبع بيت ايل، نحو ثلاثين رجلاً. وظل بنو اسرائيل يتراجعون وبنو بنيامين يلحقون بهم حتى ابتعد هؤلاء كثيراً عن مدينتهم. وعندما كان رجال الكمين قد

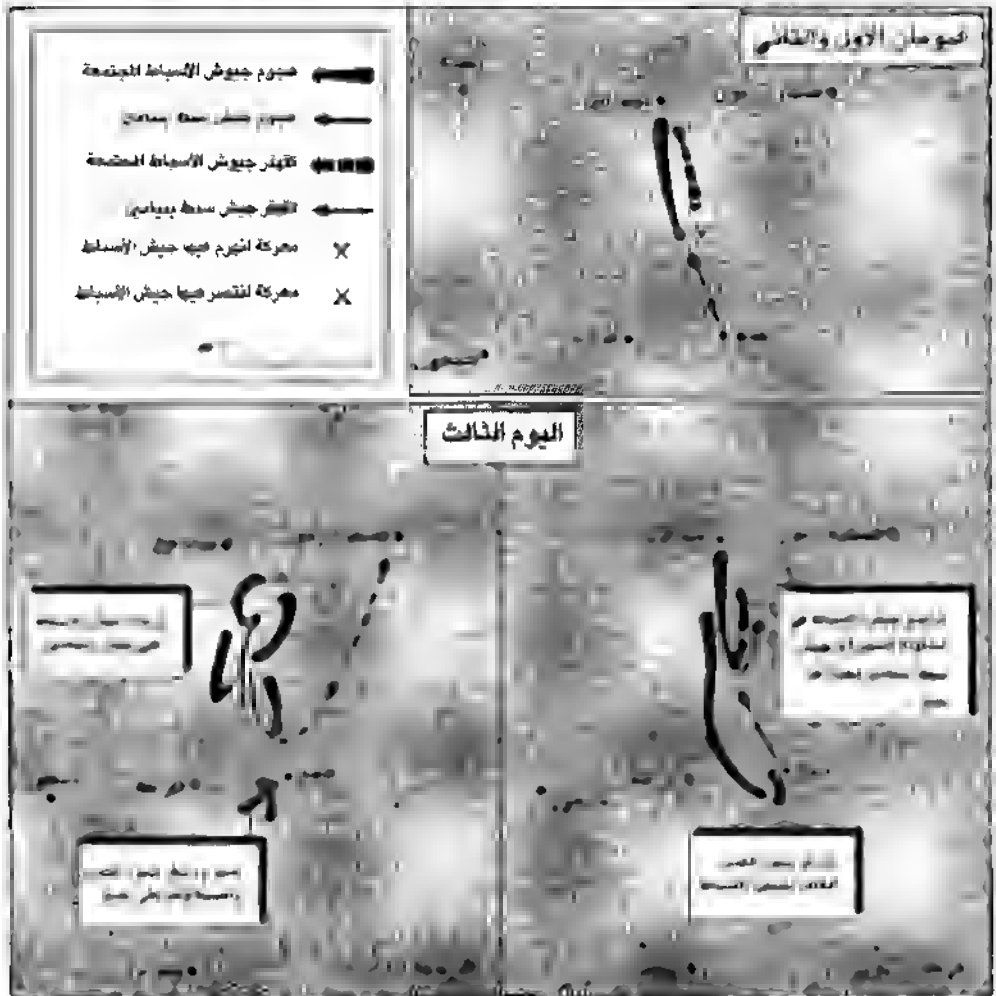
(٩٦) م.ن. قض ٢٠: ٢١.

(٩٧) م.ن. قض ٢٠: ٢٢.

(٩٨) م.ن. قض ٢٠: ٢٥.

(٩٩) م.ن. قض ٢٠: ٢٨، ٢٦.

(١٠٠) م.ن. قض ٢٠: ٢٨.



فجهر اصم واحد قواها وانشرها فيها وصرى بها ملك الهند تحت السيف والارواح من
 لاهم من الساسانيين الذين كانوا يقاتلون من جهة اخرى الى ان جاءهم من جهة اخرى
 وسواي عليها فم فم من الموقر واصطفوا من جهة القتال على رجلين واحد واحد
 من الساسانيين اعدوا من جميع جهات وصرى في صدهم فاجابوا له بالارواح من
 الساسانيين اعدوا من جميع جهات وصرى في صدهم فاجابوا له بالارواح من

فولوا هاربين «الى البرية الى صخرة الرّمون»، وقبض بنو اسرائيل على خمسة آلاف منهم «وجدوا في إثرهم الى جدعون» حيث قتلوا منهم ألفي رجل. وقد بلغ عدد القتلى من بني بنيامين في ذلك اليوم «خمسة وعشرين الفا مستلي سيف، كلهم محاربون بوسائل»^(١٠٢) ثم ارتد بنو اسرائيل الى المدينة وفتكوا بمن بقي من أهلها، وبكل ما وجدوا فيها، حتى البهائم، كما أحرقوا كل مدن بنيامين^(١٠٣). (انظر الخارطة رقم ١٢)

IX - حروب النبي صموئيل، آخر قضاة بني اسرائيل:

منذ ان استقر العبرانيون في ارض كنعان، في القرن الحادي عشر ق. م، وهم يحاولون التغلب على الفلسطينيين القاطنين في فلسطين واحتلال ارضهم، الا انهم لم يتمكنوا من ذلك، وان كانوا قد تغلبوا على العديد من الشعوب القاطنة في تلك الأرض. لذا، ظل الفلسطينيون يسيطرون على بني اسرائيل ويستبدون بهم من وقت الى آخر، وكانوا، وهم المتمركزون في خمس من المدن المهمة في فلسطين (غزة وعسقلان واشدود وجت وعقرون)، والمنتشرون في البلاد، من الساحل الى الداخل، يتحكمون بمعظم المدن العبرانية ويحاولون منع بني اسرائيل من التوسع، كما منعوهم من الحصول على أسباب القوة اللازمة لتحقيق هذا التوسع، كإقتناء الحديد الضروري لصنع الأدوات المعدنية والأسلحة التي يحتاجونها في حروبهم، خصوصاً وان إقتناء الحديد وتصنيعه والاتجار به كان من اهم خصائص الشعب الفلسطيني الذي أدخل هذه المادة الى فلسطين منذ وصوله اليها، فاستأثر بها، وظلت المدن الفلسطينية تحتكر صناعة الأدوات الحديدية والأسلحة الحربية كعامل مهم من عوامل تفوقها العسكري. وهكذا، فان «معظم الأدوات والأسلحة الحديدية، في هذا العهد، كانت تأتي من الأماكن التي يشغلها الفلسطينيون او التي كانت تخضع لنفوذهم، وكان يوجد القليل جداً من الأدوات الحديدية والمواد البرونزية في الأماكن الكنعانية والاسرائيلية»^(١٠٤). وكان هذا الأمر من اهم عوامل انكفاء نار الحروب المستمرة بين الشعبين العبراني والفلسطيني. فقد كان الفلسطينيون يدركون المطامع التوسعية لبني اسرائيل ويحرصون على الاحتفاظ بأسباب القوة للوقوف في وجه

(١٠٢) م. ن. قفس ٢٠: ٤٦٤٥.

(١٠٣) م. ن. قفس ٢٠: ٤٨.

(١٠٤) Prichard, Op. Cit. P. 67; cf. Barnavi, Op. Cit. P. 14

اطماعهم هذه، وكان بنو اسرائيل يدركون انهم لن يستطيعوا انتزاع الأرض من اصحابها الحقيقيين الا اذا استطاعوا انتزاع الاسلحة التي تمكنهم من الدفاع عنها، مما جعل الصراع متأججا، وباستمرار، بين اصحاب الأرض وبين الشعب الدخيل المعتدي.

١- موقعة «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر» الاولى:

تفجر الصراع بين الشعبين الفلسطيني والعبراني، في مراحل مختلفة من عهود القضاة. وكانت احدى مراحل هذا الصراع الحرب التي اندلعت بينهما في نواحي «أفيق» في أول عهد «صموئيل» حيث حشد كل من الفريقين قواته في مواجهة الفريق الآخر، فاحتشد العبرانيون عند «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر»، واحتشد الفلسطينيون في «أفيق»، وما ان اندلع القتال بينهما و«اتسع» حتى هزم العبرانيون وولوا هاربين، فلاحق بهم الفلسطينيون وقتلوا «من الصف وفي البرية نحو اربعة آلاف رجل»^(١٠٥).

٢- موقعة «أبان هاعيزر» او «صخرة النصر» الثانية:

واستجار بنو اسرائيل بربهم «رب الجند» ودعوه لنصرتهم، ثم عادوا فجمعوا صفوفهم واستعدوا لقتال الفلسطينيين من جديد، وكان معهم «تابوت العهد» يهرسه اثنان من كهنتهم هما «حفني وفنحاس» ابناء «عالي» رئيس الكهنة، وأحد قضاة بني اسرائيل، وهو الذي سهر على تربية النبي «صموئيل» وتنشئته^(١٠٦). واحتشد الفلسطينيون، بدورهم، لمواجهة خصومهم، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة جديدة لبني اسرائيل، فكانت هزيمتهم «ضربة عظيمة جداً» لهم، اذ سقط منهم «ثلاثون الفا» كما «قتل ابناء عالي: حفني وفنحاس»^(١٠٧). اما الفلسطينيون فقد اخذوا «تابوت العهد» من «أبان هاعيزر» الى «أشود» حيث وضعوه في معبد إلههم «داجون»، بالقرب منه^(١٠٨). وظل «تابوت العهد» بيد الفلسطينيين «سبعة اشهر»^(١٠٩).

(١٠٥) العهد القديم، ١ صم ٤: ٢٨.

(١٠٦) ١ صم ١٠: ٢.

(١٠٧) ١ صم ١٠: ١١.

(١٠٨) ١ صم ١٠: ٢. وترد التسميات «تابوت العهد» و«تابوت الرب» و«تابوت إله اسرائيل» و«تابوت الله»، في العهد القديم، المسمى نفسه.

(١٠٩) ١ صم ١٠: ٦.

٣- موقعة «المصفاة»:

اعاد الفلسطينيون «تابوت الرب» الى بني اسرائيل، فوضعوه في قرية «يعازيم»، وكانوا قد انصرفوا عنه الى عبادة «البعليم والعشتاروت»، فقام بينهم «صموئيل» النبي ودعاهم الى عبادة «الرب وحده» الذي يستطيع ان ينقذهم «من يد الفلسطينيين»، فسمعوا قوله، وازالوا «الآلهة الغريبة» من بينهم^(١١٠). واندفع صموئيل يحشد بني قومه لمواجهة حاسمة مع الفلسطينيين بعد ان ضمن التفاهم حوله ووثقهم به من خلال عودتهم الى عبادة ربهم الواحد «رب الجند»، وكان قد مر على هزيمتهم في «أبان هاعيزر» عشرون عاماً.

واحتشد بنو اسرائيل في «المصفاة» استعداداً لمواجهة الفلسطينيين، وما ان علم الفلسطينيون بذلك حتى احتشدوا بدورهم استعداداً للقتال، ثم انهم «صعدوا» لقتال العبرانيين حيث كانوا محتشدين «فأرعد الرب بصوت عظيم، في ذلك اليوم، على الفلسطينيين، وهزمهم، فانكسروا امام اسرائيل. فخرج رجال اسرائيل من المصفاة وطاردوا الفلسطينيين وضربوهم الى ما تحت بيت كار»^(١١١).

لا شك في ان ما رواه العهد القديم من «إرعاد الرب» على الفلسطينيين الى درجة «انهزامهم»، من جراء ذلك، أمر لا يحتمل التصديق. وربما كان سبب هزيمتهم انهم «صعدوا» الى مواقع العبرانيين ليقاتلوهم فيها، حيث كان العبرانيون متمركزين ومستعدين لاستقبال الفلسطينيين المتقدمين للقتال بلا تحفظ. ومعلوم ان موقع المقاتل المتمركز في القتال أكثر أماناً وقوة وقابلية للمناورة، وبالتالي ارجحية للنصر، من موقع المقاتل المتحرك، وخصوصاً المتقدم «صعدوا» باتجاه عدو متمركز ومتسلط، ولا سيما اذا كان موقع التمرکز هضبة أو تلة أو مرتفعاً، كما يبدو في رواية «العهد القديم» للحدث.

وما ان أحرز الاسرائيليون النصر في المصفاة، حتى أخذ صموئيل حجراً ونصبه «بين المصفاة والسن» ودعاه «أبان هاعيزر» أي «صخرة النصر» تذكراً لانتصار بني اسرائيل في هذه الموقعة^(١١٢). أما الفلسطينيون فقد نزلوا «ولم يعودوا يدخلون أرض اسرائيل»، واستولى العبرانيون على مدن الفلسطينيين «من عقرون الى جت»^(١١٣).

(١٠٩) م.ن. ١ ص ٦-١٠.

(١١٠) م.ن. ١ ص ٧-٤.

(١١٢) م.ن. ١ ص ٧-١٢.

أما صموئيل فقد تولى قضاء اسرائيل طوال حياته، بل كان آخر قضاتها، وأقام في «الرامة» حيث كان بيته^(١١٤)، ثم انه قدم نفسه «نبياً» يتلقى من «الرب» الأوامر والتوجيهات التي كان ينقلها لشعبه، وكان أهمها قول الرب له «اسمع لكلامهم وولّ عليهم ملكاً»^(١١٥) فكان «شاول» ذلك الملك.

(١١٤) م. ن. ١، ص ٧: ١٥-١٧.

(١١٥) م. ن. ١، ص ٨: ٢٢ وانظر P. 14 - Barnavi, Op. Cit.

الفصل الثالث

حروب الملوك

(القرن ١١-١٠ ق.م.)

I - حروب الملك شاول (١٠٢٩-١٠٠٧ ق.م.)^(١)

مسح النبي (أو الرائي)^(٢) صموئيل «شاول بن قيس بن أبينيل بن هرور بن بكورت بن أفيح»^(٣) ملكا على بني اسرائيل، وكان شاول من سبط «بنيامين» وهو «أصغر أسباط اسرائيل» ومن عشيرة «مطري» وهي «أصغر جميع عشائر سبط بنيامين»^(٤) إلا أنه كان يتحدر من أب «ثري جداً» كما أنه «لم يكن، في بني اسرائيل رجل أحسن منه» ولم يكن فيها رجل بطول قامته، فقد كان يزيد طولاً «على كل الشعب من كتفه فما فوق»^(٥). وأقام شاول عاصمته في بلدته «جبع» التي سميت باسمه «جبع شاول»^(٦).

١ - الحرب بين شاول وناحاش ملك العمونيين: موقعة يابيش جلعاد:

أسباب الحرب: تسلط ناحاش، ملك العمونيين، على بلدة «يابيش جلعاد» وكان سكانها

(١) 14-15. Bamavi, E. Histoire Universelle des Juifs, P. 71. (Aharoni, Macmillan Bible Atlas, P. 71). ١٠١٧ ق.م.

(٢) كان الذي يقال له اليوم «نبي» يقال له، في ذلك الزمن، «رائي» فكان إذا أراد الرجل من اسرائيل أن يذهب ليسأل الله يقول: «علم نذهب إلى الرائي» (العهد القديم، ١ صم ٩: ٩).

(٣) م.ن. ١ صم ٩: ١.

(٤) م.ن. ١ صم ٩: ٢١ و ١ صم ١٠: ٢٦.

(٥) م.ن. ١ صم ٩: ٢١.

(٦) م.ن. ١ صم ١٠: ٢٦، وانظر: Aharoni, Macmillan Bible Atlas, P. 72.

من سبط منسى، فأخذ يغير عليها ويهدد أهلها بأنه سيقطع «كل عين يمنى» لهم ليجعل ذلك «عارا على كل اسرائيل»^(٧).

واستنفر أهل البلدة باقي الأسباط من العبرانيين وأرسلوا رسلا إلى «أراضي اسرائيل كلها» يطلبون النجدة والمعونة، فكان شاول لول من لبي دعوتهم وأرسل، بدوره، إلى باقي العبرانيين يطلب منهم التحشد لقتال العمونيين، فخرج بنو اسرائيل للقتال «كرجل واحد»^(٨).

الحرب: تجمع لشاول نحو ثلاثماية وثلاثين ألف مقاتل، منهم ثلاثون الفا من سبط يهوذا (وقد أحصوا لوحدهم لأن هذا السبط لم يشترك مع العبرانيين في حروب القضاة)^(٩)، فسار بهم من «جبع» شمالا إلى «بيت ايل» و«شكيم» و«قرصة» و«بازق»^(١٠)، حيث حشد شاول قواته، ثم انحدر شرقا نحو الأردن فاجتازه وتابع تقدمه حتى بلغ مداخل «يابيش جلعاد»، حيث قسم جيشه إلى ثلاث فرق ودخل البلدة «عند هجيع الصبح»^(١١)، وكان ناحاش، ملك العمونيين، قد سبقه إليها منطلقا من عاصمته «ربة بني عمون» الواقعة شرق نهر الأردن^(١٢)، ودارت بين الفريقين معركة، في وسط المدينة، استمرت حتى الظهر وانتهت بهزيمة ناحاش ومقتله وتشيت جنده الذين طاردهم شاول في أرض جلعاد وشتت شملهم «ولم يبق اثنان منهم معا»^(١٣).

بعد هذا الانتصار الكاسح الذي حققه شاول على العمونيين، دعا صموئيل الشعب إلى «الجلجال» حيث جدد الملك لشاول «امام للرب، في الجلجال»^(١٤)، ثم عاد شاول إلى جبع.

(انظر الخارطة رقم ١٢)

(٧) م. ن. ١٠ ص ١١ و ٢١.

(٨) م. ن. ١٠ ص ١١ و ٧٤.

(٩) الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٢٧٧، وانظر: العهد القديم: ١ ص ١١: ٨.

(١٠) Aharoni, Op. Cit. P. 70. Map. 87 وقد وردت «بازق» و«بازاق» في العهد القديم.

(١١) العهد القديم، ١ ص ١١: ١١.

(١٢) Aharoni Op. Cit. P. 70, Map. 87

(١٣) العهد القديم، ١ ص ١١: ١١، والدبس المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٧، وانظر: Aharoni, Ibid.

(١٤) م. ن. ١ ص ١١ و ١٤ و ١٥، والجلجال: يسمى اليوم (الجلول) ويقع بمحاذة لريحا (الدبس، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٧).



٢- الحرب بين شاول والفلسطينيين (او ثورة شاول على الفلسطينيين).

لم يكن ممكناً لشاول ان يحقق الامن والاستقرار في مملكته ان لم ينخلص من الاخطار المحيطة به واهمها الخطر الفلسطيني وهكذا ما ان استتب لشاول الملك. ولما بعث عليه ستمار. حتى بدأ يعد العدة لقتال الفلسطينيين

وكان الفلسطينيون أصحاب بأس و سطوة، يمتلكون جيشاً قوياً عديده «ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف من الفرسان» وشعب «مثل الرمل» في كثرته^(١٥). ويعزز قوتهم هذه استثنائهم المطلق بصناعة الأسلحة - كما سبق أن قدمنا - إذ أنه لم يكن يوجد في كل أرض إسرائيل حداده، بل كان على العبراني أن يتوجه إلى أية مدينة فلسطينية «ليسنّ سكوته ومعوله وفأسه ومنجله»، وهكذا وجد العبرانيون أنفسهم، عندما حان وقت القتال، بلا سلاح، حيث «لم يوجد سيف ولا رمح في يد كل الشعب»، باستثناء شاول وابنه يوناتان، بحسب ما ورد في العهد القديم^(١٦).

ولا بد لنا من أن نلاحظ، إذا صدّقنا ما ورد في العهد القديم، مدى سطوة الفلسطينيين على العبرانيين وتسلطهم عليهم، بحيث كانوا قادرين على منعهم من تعاطي مهنة الحدادة لئلا «يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً»^(١٧)، وهو ما حدا بشاول، ملك العبرانيين، «للتمرّد» على الفلسطينيين، بغية التحرر من عبوديتهم، (وقد استخدم الباحث اليهودي «يوهانان أهاروني» عبارة «التمرد» نفسها، واصفاً بها حرب شاول ضد الفلسطينيين)^(١٨).

ولكن الذي لا بد من أن يثير استغراب أي باحث واستهجاناً، هو المبالغة غير المنطقية أو المعقولة في وصف ما كان عليه الفلسطينيون من كثرة وقوة وبأس (٢٠ ألف مركبة و٦ آلاف فارس) مقابل ما كان عليه العبرانيون من قلة وضعف وافترار إلى السلاح (الف وستماية فقط) في مواجهة الفلسطينيين، وهي مواجهة انتهت بتغلب القلة العبرانية غير المسلحة على الكثرة الفلسطينية القوية والمسلحة، كما سنرى.

- موقعة جيب بنيامين - مكماش (أو مخماس): كان الفلسطينيون قد تركوا محرساً (مخفراً) لهم «عند الممر الاستراتيجي الذي يفصل جيب عن مكماش»^(١٨ مكرر) فامتلكوا الممر وتحكموا به، وكان ذلك دليلاً على قوتهم وتسلطهم على ملك شاول، مما دفع شاول «للتمرّد» عليهم واعداد العدة لمحاربتهم. واختار شاول، لذلك، ثلاثة آلاف مقاتل، منتخبين،

(١٥) م.ن. ١ ص ١٣: ٥.

(١٦) م.ن. ١ ص ١٣: ١٩.

(١٧) م.ن. ١ ص ١٣: ١٩.

The Rebellion of Saul against the Philistines. Akaroni, Op. Cit. P. 70 (١٨)

Pritchard, Atlas du Monde Biblique, P. 74. (١٨ مكرر)

من بني اسرائيل، حيث وضع اللقيين منهم، بقيادته، في مكماش (أو مخماس)، وجبل بيت ايل، على مقربة من جبج (وكان يسهل على الواقف في مخماس ان يرى جبج ومن فيها)، وأبقى، في جبج، الفا بقيادة ابنه يوناثان^(٢١).

احتشد الفلسطينيون في «مكماش»، وعددهم «ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف من الفرسان وشعب مثل الرمل... كثرة»، مما رمى الهلع والرعب في قلوب بني اسرائيل وجعلهم يهربون ويلجأون الى «المغاور والحفر والصخور والسراديب والآبار»^(٢٢)، الا ان قلة منهم التحقت بشاول الذي كان مقيما في «الجلجال» غرب الأردن، وتبعهم النبي «سموئيل» الذي التحق بشاول في الموقع نفسه، وكان نفر من الذين التحقوا بشاول في الجلجال قد انفصوا عنه خوفا من الفلسطينيين^(٢٣).

وأحصى شاول من بقي معه من العبرانيين في الجلجال، بعد وصول سموئيل، فبلغ عددهم ستمائة رجل^(٢٤)، فانطلق شاول بهم الى جبج بنيامين، ثم الى جبج، حيث انضم اليه ابنه يوناثان ومن معه، بينما بقي الفلسطينيون معسكرين قبالتهم في مكماش^(٢٥).

في هذه الاثناء، كان الفلسطينيون (الذين يصفهم العهد القديم «بالمخربين»، مما يؤكد توراثية هذه العبارة التي تستخدمها اسرائيل، اليوم، لوصف الفدائيين الفلسطينيين) قد انقسموا الى ثلاث فرق وانتشروا على ثلاثة محاور:

المحور الأول: طريق عفرة، في ارض شوعال، باتجاه الشمال.

المحور الثاني: طريق بيت حورون، باتجاه الغرب.

المحور الثالث: الطريق المؤدية الى القمة المشرفة على وادي صبوعين، باتجاه الشرق نحو البرية^(٢٦)

(٢١) العهد القديم، ١ صم ١٣: ٢.

(٢٢) م. ن. ١ صم ١٣: ٦. وانظر: P. 24, Op. Cit. - Pritchard.

(٢٣) م. ن. ١ صم ١٣: ٧-١٠.

(٢٤) م. ن. ١ صم ١٣: ١٥.

(٢٥) م. ن. ١ صم ١٣: ١٦.

(٢٦) م. ن. ١ صم ١٣: ١٧-١٨. وانظر: P. 78, Map. 88, 89. - Aharoni.

ولم يتجه الفلسطينيون جنوباً بسبب وجود شاول وجيشه في جبع.

الموقعة: بدأ يوناثان بن شاول المعركة بأن توجه إلى مخفر الفلسطينيين عند معبد مكاش، وخلفه غلامه، حامل سلاحه، وصعد إليه زحفاً على يديه ورجليه^(٢٥). ورغم أنه لم يباغت الفلسطينيين الذين شاهدوه، وغلامه، يتجهان نحوهم، بل تركوهما يتقدمان باتجاههم قائلين: «هؤذا العبرانيون خارجون من الحفر التي اختبأوا فيها» وخاطبوهما قائلين: «تعاليا إلينا نعلمكما أمراً»^(٢٦). ورغم ذلك، فقد فتك يوناثان برجال المخفر من الفلسطينيين «وكان حامل سلاحه يقتل وراءه. وكانت الضربة الأولى التي ضربها يوناثان وحامل سلاحه تعدّ نحو عشرين رجلاً في نحو نصف تلم فدان الحقل»^(٢٧). وبيالغ بعض مؤرخي اليهود، بشكل غير معقول، في وصف شجاعة يوناثان وغلامه «حامل سلاحه» في هذه المعركة، فيقول يوسفوس أن يوناثان وغلامه هاجما المخفر من موضع لم يكن فيه حرس «فوجدوا الأعداء نائمين، فأعمالا السيف بهم، فأخذوا يطرحون سلاحهم لينجوا بأنفسهم، وبعضهم يقتل بعضاً يظنهم أعداء... وبعضهم كان يدفع بعضاً ويزحمه فارتأ فيقعون من على الصخور» ويقول كريتس أن الفلسطينيين قد توهموا «أن موجودات غير طبيعية تقاثلهم»^(٢٨) ذلك كله دون أن يلحظ الفلسطينيون أن عدد المهاجمين لا يتعدى اثنين فقط.

ويحاول يوسفوس وكريتس تبرير هذه المبالغة، غير المعقولة، بأن ذلك كله قد جرى لأن الفلسطينيين كانوا «من أمم مختلفة» بحيث لا يعرف بعضهم بعضاً، وأن المهاجمين قد سلكوا، للوصول إلى مخفر الفلسطينيين، طريقاً «لم يكن عليه حرس» بينما كان المخفر قائماً «على صخر عال لا يتسنى لأحد الصعود إليه»^(٢٩).

وما أن رأى شاول ما حلّ بالفلسطينيين على يد يوناثان حتى أسرع، ورجاله، إلى مكان المعركة لكي يساهموا فيها إلى جانب يوناثان، وانضم إلى شاول ويوناثان

(٢٥) م. ن. ١ ص ١٤: ١٢.

(٢٦) م. ن. ١ ص ١٤: ١٢.

(٢٧) م. ن. ١ ص ١٤: ١٣.

(٢٨) الدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٨٠. ويوسفوس في كتابه «تاريخ اليهود» وكذلك كريتس في كتابه «تاريخ اليهود» أيضاً (كما يذكر الدبس).

(٢٩) م. ن. ١ ص. ن.

العبرانيون الذين كانوا قد التحقوا بالفلسطينيين خوفا منهم، كما ان اولئك الذين كانوا قد لجأوا الى المغاور والكهوف من جبل افراثيم خوفا من الفلسطينيين، خرجوا من جحورهم ما ان راوا هزيمة الفلسطينيين على يد شاول ويوناثان ورجالهما، وانضموا الى شاول لكي يقاتلوا الى جانبه «وخلص الرب اسرائيل في ذلك اليوم»^(٢٠)، فهزم الفلسطينيون، وانتقلت الحرب الى بيت آون»^(٢١)، وطارد شاول ورجاله، في ذلك اليوم، الفلسطينيين المنهزمين «من مكماش الى آيالون»^(٢٢)، وكان لدى شاول الرغبة في الاستمرار بمطاردة الفلسطينيين فقال لرجاله «لننزل في اثر الفلسطينيين ليلا ونسلبهم، الى ضوء المصباح، ولا نبقي منهم رجلا»^(٢٣)، ولكنه عندما استشار ربه في ذلك قائلا: «هل أنزل في اثر الفلسطينيين؟ هل تسلمهم الى يد اسرائيل؟» لم يجبه ربه عن سؤاله هذا^(٢٤)، فكف شاول عن مطاردة الفلسطينيين^(٢٥) خشية ان لا يلقى، من ربه، الدعم والمساندة، خصوصا وان بني اسرائيل لا يقاتلون في معركة الا اذا كان إلههم (رب الجند) الى جانبهم، بل يخوض تلك المعركة في مقدمتهم. (انظر الخارطة رقم ١٤)

واستتب الملك لشاول، فحارب كل من كان حوله من الاعداء «من المؤابيين وبني عمون والادوميين وملوك صوبة والفلسطينيين»، كما قاتل العماليقة^(٢٦)، وكان شاول قد عهد بقيادة جيشه الى عمه «أبشير بن نير»، كما كان لا يفتأ يضم الى هذا الجيش كل رجل يراه «باسلا او ذا بأس»، مما جعله يحقق، بواسطته، انتصارات باهرة على أعدائه جميعا^(٢٧). ويرى «بريتشارد» انه لم يكن ممكنا لشاول ان يعد جيشا كافيا للانتصار على العمونيين اذا لم يكن قد تخلص من الوجود الفلسطيني عند جبع، لذلك فهو يناقض ما ورد في العهد القديم، ويرى ان معركة شاول مع الفلسطينيين في «مكماش» قد جرت قبل معركته مع العمونيين في «مابيش جلعاد»^(٢٧ مكرر).

(٢٠) العهد القديم، ١ صم ١٤: ٢١-٢٢.

(٢١) م. ن. ١ صم ١٤: ٢٢.

(٢٢) م. ن. ١ صم ١٤: ٢١.

(٢٣) م. ن. ١ صم ١٤: ٢٦.

(٢٤) م. ن. ١ صم ١٤: ٢٧.

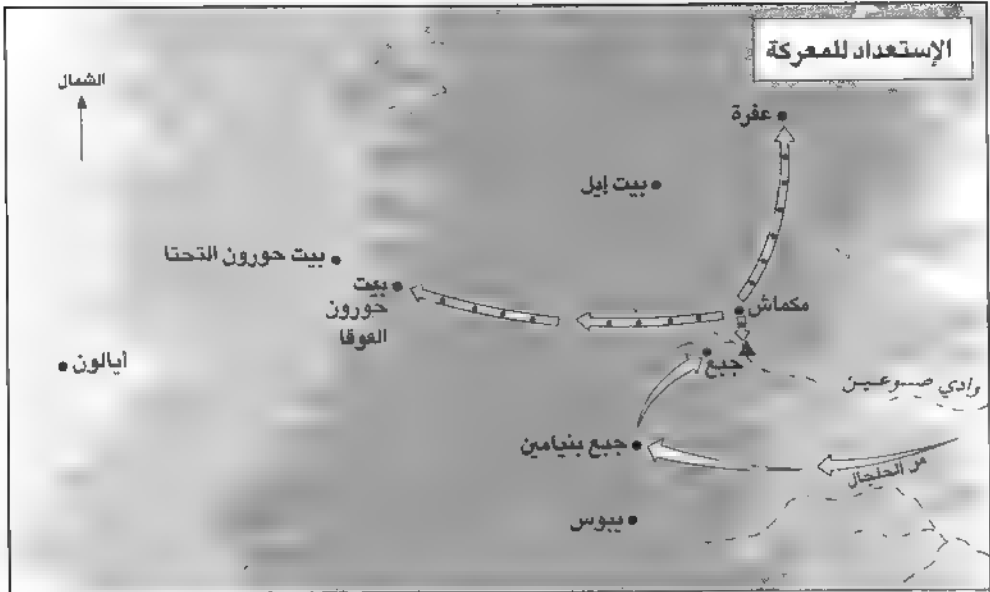
(٢٥) م. ن. ١ صم ١٤: ٤٦.

(٢٦) م. ن. ١ صم ١٤: ٤٧-٤٨.

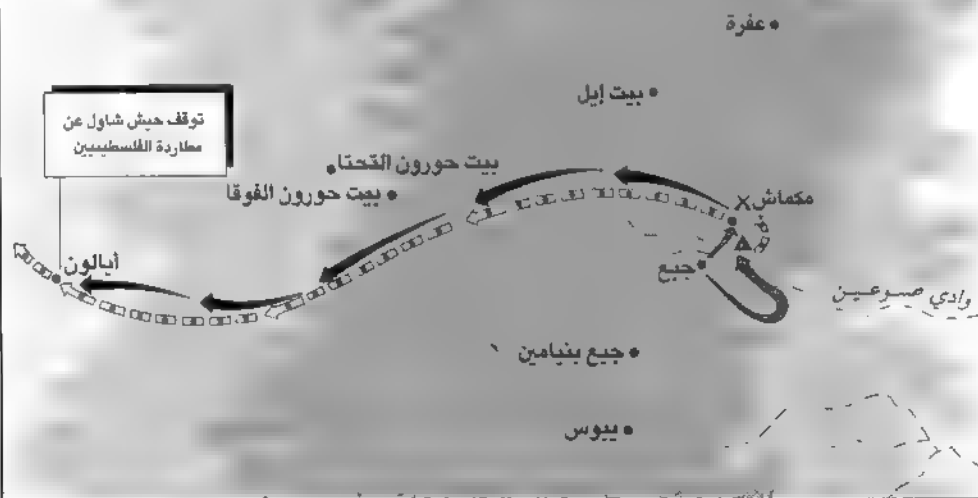
(٢٧) م. ن. ١ صم ١٤: ٥٠-٥٢.

(٢٧ مكرر) - Pritchard, Op. Cit. P. 74.

خارطة رقم ١٤ : موقعة مكماش (مخماس)



المعركة



مطاردة جيش شاول لجيش الفلسطينيين

معركة انتصر فيها جيش شاول

مخفر للفلسطينيين

١٠ كم

انتشار الفلسطينيين

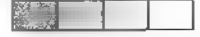
ممار جيش بني إسرائيل بقيادة شاول

هجوم جيش شاول

تقهقر جيش الفلسطينيين

ارتفاع انيايس بالأمتار

٥٠٠ ٢٠٠ ١٠٠



٣- الحرب بين شاول والعمالقة (او العماليق):

ينتسب العمالقة الى عماليق بن اليافاز (من سُرِّية له تدعى تمناع) بن عيسو، ابي الادوميين (وعيسو هو أدوم). وكانت اقامة عيسو بجبل سعير، وقد اقام به بعد ان ترك ارض كنعان لآخيه يعقوب، لان مالهما كان أكثر من ان يقيما معاه^(٢٨) في ارض واحدة. وكان العمالقة قد اعترضوا بني اسرائيل عند خروجهم من مصر نحو ارض كنعان^(٢٩)، وناصروا المدينيين ضدهم، في عهد جدعون بن يواش الابعزرري^(٣٠).

ولم ينس «رب الجنده» رب بني اسرائيل ما فعله العمالقة بشعبه، فأمر شاول بان «اضرب عماليق وحرِّم كل مالههم ولا تبقِ عليه، بل أمت الرجال والنساء والاولاد وحتى الرضع والبقر والغنم والإبل والحمير»^(٤١). انها، اذن، حرب افناء يشنها رب العبرانيين على الشعب العماليقي، بشرا وبهائم، دون ان تدركه على هذا الشعب شفقة او رحمة.

التحشد للمعركة: وتنفيذاً لأوامر الرب، استنفر شاول وشعبه وأعدَّ حشوده في «طلائيم» للقتال، فاجتمع لديه مايتا ألف راجل و«عشرة آلاف رجل من يهوذا»^(٤٢) ثم زحف شاول بهذا الجيش الكثيف الى مدينة عماليق «وكن في الوادي»^(٤٣).

المعركة: بدأ شاول المعركة بشن هجوم مباغت على عماليق «من حويلة الى شور التي شرقي مصر»^(٤٤). فقتل كل شعب العمالقة «بحد السيف» وأسر «أجاج» ملك العمالقة واقتاده حياً، ثم عفا شاول عنه وعن «خيار الغنم والبقر وكل سمين، والحملان، وكل ما كان جيداً» بينما قضى على كل ما كان حقيراً هزيلة من البهائم^(٤٥). ثم اقام شاول لنفسه نصيباً يذكر بانتصاره هذا، وقد اقامه على جبل الكرمل^(٤٦) الذي يقع في نصيب سبط يهوذا

(٢٨) م. ن. تك ٢٦: ١-١٢.

(٢٩) م. ن. امل ١٥: ٢.

(٤٠) انظر حروب جدعون بن يواش الابعزرري، في الفصل السابق.

(٤١) العهد القديم، ١ صم ١٥: ٣.

(٤٢) م. ن. ١ صم ٤. وكما اشرنا سابقاً كان يحسب رجال يهوذا لو حدهم لانهم لم يكونوا يشتركون في الحروب، في عهد القضاة، مع باقي اسباط اسرائيل. وقد بالغ المؤرخ اليهودي يوسفوس، في عهده هذا الجيش فقال انه بلغ ٤٠٠ ألف رجل ما عدا ٣٠ ألف من يهوذا (الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٨٢).

(٤٣) للعهد القديم، ١ صم ١٥: ٥.

(٤٤) م. ن. ١ صم ١٥: ٧. وحويلة وشور: من بلاد العرب (الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٨٢).

(٤٥) م. ن. ١ صم ١٥: ٩-٨.

(٤٦) م. ن. ١ صم ١٧: ١٢.

«في المحل المعروف الآن بخربة الكرمل على عشرة أميال من الخليل جنوباً»^(٤٧)، ونزل شاول بعدها إلى الجلجال^(٤٨).

ولكن الرب غضب على شاول وندم لأنه أقامه ملكاً على بني إسرائيل، وذلك لأنه عصي توجيهاًته وعفا عن ملك العمالقة وعن خيار بهائمهم، ولم يقتلهم جميعاً كما أمره^(٤٩). وقد أسرَّ الرب لصموئيل بذلك، ولكن صموئيل عاد فتوسط لشاول عند ربه فعفا عنه بعد أن أتى شاول بأجاج، ملك العمالقة، و«قطعه» في الجلجال «أمام الرب»^(٥٠). ثم انصرف صموئيل بعدها إلى بيته في الرامة، وانصرف شاول إلى بيته في «جبع شاول»^(٥١). ورغم ذلك، فقد ظل الرب نادماً لأنه «ملك شاول على إسرائيل» كما أن صموئيل لم يعد يرى شاول إلى يوم وفاته^(٥٢)، ثم أمر الرب صموئيل أن يمسح داود ملكاً على إسرائيل خلفاً لشاول^(٥٣).

٤- الحرب، من جديد، بين شاول والفلسطينيين (١٠١٠ ق.م):

استجمع الفلسطينيون قواهم، بعد هزيمتهم أمام شاول في معركة جبع بنيامين - مكماش وأخذوا يستعدون لمواجهة حاسمة مع العبرانيين. وعلم شاول بالامر فأخذ يستعد بدوره، لمواجهةهم.

الاستعداد للقتال:

أ- الفلسطينيون: احتشد الفلسطينيون للقتال، وجمعوا عساكرهم في «سوكو»، ثم انتشروا بين سوكو وعزيقة «أفيس دميم»، على جبل يشرف على الوادي، باتجاه العبرانيين^(٥٤).

(٤٧) الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٨٢، نقلاً عن أوسابيوس وايرونيμος.

(٤٨) العهد القديم، ١ صم ١٥: ١٢.

(٤٩) م. ن. ١ صم ١٥: ١١ و ١٧-١٩.

(٥٠) م. ن. ١ صم ١٥: ٢٠-٢٣.

(٥١) م. ن. ١ صم ١٥: ٢٤.

(٥٢) م. ن. ١ صم ١٥: ٢٥.

(٥٣) م. ن. ١ صم ١٦: ١٢.

(٥٤) م. ن. ١ صم ١٧: ٣٠.

ب - العبرانيون: اجتمع العبرانيون: في «وادي البطمة»، ثم انتشروا على جبل مقابل للجبل الذي انتشر عليه الفلسطينيون، فأصبح الجيشان متقابلين يفصل بينهما الوادي.

الموقعة: بدأ القتال بالمبارزة، وفقا للتقاليد التي كانت سائدة يومذاك وظلت سائدة بعد ذلك الى زمن طويل.

أ - جليات الفلسطيني: إنبرى من الفلسطينيين، رجل اسمه «جليات» من بلدة «جت». وكان طول هذا الرجل «ست أذرع وشبرا» وكان يعتمر «خوذة من نحاس» ويلبس «درعا حرسقية» وزنها «خمسة آلاف مثقال نحاس»، وتغطي رجليه «ساقان من نحاس» ويحمل بين كتفيه «مزراق من نحاس»، كما كان يحمل رمحا قناته «كمطوى النساج» ووزن سنانه «ست مئة مثقال حديد»، وكان يتقدمه خادم يحمل «ترسه»^(٥٦).

تقدم الفلسطيني «جليات» صفوف قومه، مقتربا من صفوف العبرانيين، ونادى هؤلاء مطالباً إياهم أن يختاروا واحدا منهم لمبارزته، «فإن استطاع أن يحاربني وقتلني، صرنا لكم عبيدا، وإن ظفرت أنا به وقتلته تصيرون انتم عبيدا لنا»^(٥٧). وظل الفلسطيني «جليات» كذلك، طيلة أربعين يوما، يبرز صباحا ومساء، ويدعو العبرانيين لمبارزته، وما من مجيب^(٥٨). وكان شاول وقومه قد سمعوا نداء الفلسطيني «فزعوا وخافوا خوفا شديدا»^(٥٩).

ب - داود: وكان داود بن يسى «الأفراطي من بيت لحم يهوذا»^(٦٠) شابا «أصهب جميل العينين وسيم المنظر» يبدو أنه «ذو بأس ومحارب بأسل»^(٦١) إلا أنه كان أصغر أخوته^(٦٢).

وكان داود يرعى غنم أبيه بعد أن التحق أخوته الثلاثة الكبار (ألباب وأبينا داب وشمة) بجيش شاول، وكان داود يتردد على مواقع هذا الجيش لكي يتفقد أخوته ويستقصي حاجاتهم، كما كان يمونهم، ويمون «فائد الالف» بالفريك، والارغفة و«قطع الجبن»^(٦٣).

(٥٦) م. ن. ١ ص ١٧-٧. والمتقال: درهم و ٧/٣ أو درهم ونصف، بمسلب المصافة. والمزراق. الرمح القصير.

(٥٧) م. ن. ١ ص ١٧-٨. ١٠.

(٥٨) م. ن. ١ ص ١٧-١٦.

(٥٩) م. ن. ١ ص ١٧-١١.

(٦٠) م. ن. ١ ص ١٧-١٢.

(٦١) م. ن. ١ ص ١٦-١٢ و ١٨.

(٦٢) م. ن. ١ ص ١٧-١٤.

(٦٣) م. ن. ١ ص ١٧-١٨.

وزار داود اخوته في «المعسكر» غداة ذات يوم، وسمع منهم قصة ذلك الفلسطيني الذي مضى عليه اربعون يوما يدعو العبرانيين للمبارزة وما من مبارز، وسمع منهم، كذلك، ان الملك وعد من يتقدم لمبارزته بثروة طائلة وبابنته زوجة له وبمعاملة متميزة له ولاهل بيته^(٦٤). وكان الجيشان قد تصافيا للقتال «صفا بازاء صف» وتهيأ للحرب، وبينما هما كذلك خرج الفلسطيني جليات ودعا العبرانيين للمبارزة، كعادته كل يوم، وسمعه داود، ورأى بنفسه، «جميع رجال اسرائيل» يهربون من وجهه خائفين^(٦٥)، فانبرى داود مستاندا الملك لقتال ذلك الفلسطيني، معتدا بقدرته وقوته، وهو الذي قتل «أسدا ودبا، وسيكون هذا الفلسطيني الاقلف مثل واحد منهما»^(٦٦)، فاذن له شاول بذلك، وحاول ان يكبسه ثيابه ويقلده سيفه ودرعه، الا ان داود أبى ذلك قائلا: «لا استطيع ان امشي بهذه، لاني لم اكن قد جربتها» ثم نزعها عنه، و«اخذ عصاه بيده، وانتقى خمسة حجارة ملس من الوادي ووضعها في حيب كيس الراعي الذي له، ومقلعه بيده، وتقدم من الفلسطيني»^(٦٧).

المبارزة:

تقدم داود من الفلسطيني بمقلعه، واقترب الفلسطيني من داود برمحه ومزراقه ودرعه، وخادمه الذي يحمل «قرسه»^(٦٨). وتطلع جليات الى داود فاستخف به «لانه كان غلاما أصهب جميل المنظر»^(٦٩)، ودار بين الخصمين نقاش قصير تباهى خلاله الفلسطيني بسيفه ورمحه ومزراقه، وتباهى العبراني بمقلعه وبربه، «رب القوات، إله صفوف اسرائيل» الذي سوف يدفع بجليات وقومه الى يديه «فاقتلك وأفصل رأسك عنك، واجعل اليوم جثث جيش الفلسطينيين لطيور السماء ووحوش الارض، حتى تعلم الارض كلها ان لاسرائيل إلهاء»^(٧٠). ثم تقدم كل منهم نحو الآخر، «ومد داود يده الى الكيس واخذ

(٦٤) م.ن. ١ ص ١٧: ٢٥.

(٦٥) م.ن. ١ ص ١٧: ٢٤-٢٠.

(٦٦) م.ن. ١ ص ١٧: ٣٦.

(٦٧) م.ن. ١ ص ١٧: ٣٧-٤٠.

(٦٨) م.ن. ١ ص ١٧: ٤١.

(٦٩) م.ن. ١ ص ١٧: ٤٢.

(٧٠) م.ن. ١ ص ١٧: ٤٣-٤٦.

منه حجرا وقذف بالمقلع، فضرب الفلسطيني في جبهته، وانغرز الحجر في جبهته فسقط على وجهه على الارض. وانتصر داود على الفلسطيني بالمقلع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن في يد داود سيف^(٧١). وتقدم داود، بعد ذلك، من جليات، فاحتز رأسه واخذه للملك شاول. وما ان رأى العبرانيون ذلك حتى هاجموا الفلسطينيين فهزموهم وطاردهم «حتى انتهوا الى الوادي والى ابواب عقرون»^(٧٢)، وقتل من الفلسطينيين خلق كثير «في طريق شعريم، الى جت والى عقرون»^(٧٣).

٥ - الحرب الأخيرة بين شاول والفلسطينيين:

معركة جلبوع ومقتل شاول (١٠٠٧ ق.م):

مرة أخرى استجمع الفلسطينيون قواهم، ونهضوا لقتال العبرانيين. وكان الفلسطينيون بقيادة «أكيش بن ماعوك» ملك «جت»، بينما كان العبرانيون بقيادة «شاول». وكان شاول قد بدأ يخشى الصعود السريع لنجم داود بعد انتصاره على «جليات» الفلسطيني، فقرر القضاء عليه، ولكن داود استطاع الإفلات منه، ولجأ، مع انصاره، وكانوا يعدون ستمائة رجل، الى «أكيش بن ماعوك» الفلسطيني الذي أقطعه مدينة «صفلاج»^(٧٤). والتحق بداود، في صفلاج، رجال أشداء من مختلف اسباط اسرائيل. ويقدم العهد القديم لائحة بأسماء القادة الذين التحقوا بداود في تلك المدينة وهو مبعد من وجه شاول، وكان هؤلاء القادة «بين الأبطال، انصارا على الحرب» كما كانوا «مسلمين بالقسي، وهم يرمون بالحجارة والسهام عن القسي، باليمين واليسار» ومن بينهم: من اخوة شاول من البنياميين، ومن الجاديين «أبطال بأس رجال حرب حاملو تروس ورماح»، ومن يهوذا ومنسى. وكان بينهم قادة «أصغرهم على مئة وكبرهم على الف» فسلمهم داود قيادات في جيشه، وظل جيشه يزاد يوميا، حتى صار معسكرا عظيما كمعسكر الله^(٧٥).

(٧١) م.ن. ١ ص ١٧: ٤٩-٥٠.

(٧٢) م.ن. ١ ص ١٧: ٥١-٥٢.

(٧٣) م.ن. ١ ص ١٧: ٥٢.

(٧٤) م.ن. ١ ص ٢٧: ٦٢.

(٧٥) م.ن. ١ ص ١٢: ٢٧.

الاستعداد للقتال:

١. الفلسطينيون: استنفر ملكيش جميع بلاد الفلسطينيين، وطلب من داود ورجاله ان يشتركوا معه في القتال ضد شاول فلبى داود طلبه، وجمع اكيش جيشه في «افيق» (في سهل شارون)، ثم تقدم شمالا، بمحاذاة طريق فياماريس Via Maris حتى وصل الى «شونم» (في مرج ابن عامر) عند سفح جبل موره، فعسكر هناك استعدادا لمواجهة العبرانيين^(٧٦).

وبينما كان قادة الفلسطينيين يعبرون «مئة ومئة والفا الفاه من افيق الى شونم، استرعى انتباههم وجود داود ورجاله بينهم، مما اثار استهجانهم وغضبهم، فقالوا لأكيش: «رد الرجل (داود) وليرجع الى الموضع الذي عينته له، ولا ينزل معنا الى الحرب، فلا يكن لنا خصما في القتال. فبماذا يرضي هذا سيده الا برؤوس هؤلاء الرجال؟»^(٧٧)، فطلب أكيش عندهما من داود ورجاله ان يعودوا ادراجهم الى صفلاج.

ب. العبرانيون: استنفر شاول، بدوره، بني اسرائيل، وجمع رجاله على جبل «جلبوع» عند عين «يزرعيل» حيث نشرهم على الجبل في مواجهة الفلسطينيين، مفضلا ان يتحصن جيشه في الارض الجبلية كبديل عن السلاح الخفيف الذي يحمله^(٧٨).

الموقعة:

ما ان نشب القتال بين الجيشين حتى انهزم رجال اسرائيل من وجه الفلسطينيين، وسقط معظمهم قتلى في جبل الجلبوع، وفر شاول وبنوه الثلاثة: يوناثان وأبينا داب وملكيشوع، فطاردهم الرماة الفلسطينيون بقسيهم حتى أدركوهم، فقتلوا أبناء شاول الثلاثة وأخذوا شاول بالجراح^(٧٩). وخاف شاول ان يقع بأيدي الفلسطينيين فيقتلوه «ويشنعوا فيه»، فطلب من حامل سلاحه ان «استل سيفك واطعني به» فأبى حامل سلاحه

(٧٦) م. ن. ١ ص ٢٨ و ٤ ص ٢٩: ١: وانظر. Aharoni, Op. Cit. P. 74-75.

(٧٧) م. ن. ١ ص ٢٩: ٤: ٢.

(٧٨) م. ن. ١ ص ٢٨ و ٤ ص ٢٩: ١: وانظر. Aharoni, Op. Cit. P. 74-75.

(٧٩) Aharoni, Ibid. P. 75.

ذلك، عندها «أخذ شاول سيفه وسقط عليه» فمات، وفعل حامل سلاحه الشيء ذاته بنفسه عندما رأى أن شاول قد مات^(٨٠).

وأتى الفلسطينيون، في اليوم التالي، فوجدوا شاول وابناءه الثلاثة صرعى، في جبل الجلبوع، «فقطعوا رأسه، ونزعوا سلاحه... وعلقوا جثته على سور بيت شان»، وجاء أهل «يابيش جلعاد» ليلاً، وكان شاول قد انقذ مدينتهم من العمونيين، فانزلوا جثته وجثث ابنائه الثلاثة، عن سور بيت شان، ونقلوها إلى يابيش وأحرقوها هناك». وهجر العبرانيون، بعد هذه المعركة، المدن، عبر الوادي وعبر الأردن، فاحتلها الفلسطينيون و«قاموا فيها»^(٨٢).

موقعة «صقلاج» بين داود والعمالقة:

تقع «صقلاج» على حدود النقب جنوب بئر السبع^(٨٣). وكان أكيش ملك «جت» قد أقطعها لداود ورجاله، كما مر معنا. ولما عاد داود من افيق، بناء لطلب أكيش وقادته، وجد صقلاج قد نهبت وأحرقت، كما سبيت نساؤه ونساء رجاله، وكذلك بنوهم وبناتهم. وكان العمالقة قد هاجموا المدينة حين غادرها داود ورجاله، فأحرقوها ونهبوها وسبوا أهلها^(٨٤).

وقرر داود مطاردة الفاعلين ومقاتلتهم، وتبعه أربعماية من رجاله، بينما تقاعس مثنان عن السير معه لقتال العمالقة وظلوا في المدينة. ووصل داود ورجاله إلى أرض العمالقة فوجدهم «ياكلون ويشربون ويعيدون» منتشدين بالنصر الذي أحرزوه في صقلاج، فانقضَّ عليهم وضربهم «من الفجر إلى مساء الغد» فأبادهم ولم يفلت منهم سوى «أربعماية من الفتيان» هربوا على ظهور الجمال، أما داود فاستعاد السبي والمال كله، لم

(٨٠) العهد القديم، ١ صم ٣٠: ١-٥. إلا أن سفر سموئيل الثاني أورد رواية أخرى لمقتل شاول قال: وصل عماليقي إلى صقلاج بعد المعركة وقابل داود وروى له أنه مر بجبل جلبوع اثر المعركة فوجد شاول جريحاً، فناداه شاول وطلب إليه أن يقتله قللاً له: «قد أخذني الدوار، مع أن نفسي لم تنزل في». فقتله العماليقي وأخذ تاجه والسوار الذي بيده وأتى بهما إلى داود لتأكيد موت شاول، فبكى داود ورجاله على شاول ويوناثان وقتل داود العماليقي لأنه قتل مسيح الرب (٢ صم ١: ١٥-١٦).

(٨١) م. ن. ١ صم ٢١: ١٢.

(٨٢) م. ن. ١ صم ٢١: ٧.

(٨٣) النيس، المصدر السابق، ج ٢: ص ٢٠١ و P. 73. Aharoni, Op. Cit.

(٨٤) العهد القديم، ١ صم ٣٠: ٥-١.

ينقص شيء مما سلبه العمالقة من صقلاج، كما أخذ داود البقر والغنم والمواشي التي خلفها العمالقة بعد المعركة، فكانت غنيمة لداود^(٨٥).

تقسيم الغنائم:

وزع داود غنائم هذه المعركة وفقاً لقاعدة سنّها يومذاك، وأضحت بعدها «سنة وحكماً في إسرائيل إلى هذا اليوم»، وهذه القاعدة هي: «كنصيب النازل إلى الحرب يكون نصيب القائم على الامتعة/ على السواء يقتسمون»^(٨٦) فأصابت أسهم الغنيمة من بقي في صقلاج من رجاله، كما أصابت أصحابه في «جميع الأماكن التي سار فيها داود ورجاله»^(٨٧).

II - حروب الملك داود (١٠٠٧ - ٩٦٧ ق.م.) (٨٧ مكر).

١ - الحرب بين داود وإشبعيل (إشبوشث) بن شاول (موقعة بركة جبعون: ١٠٠٧ أو ١٠٠٦ ق.م.):

تلقى داود نبأ مقتل شاول ولبنائه الثلاثة وهو في صقلاج، فبكاه هو ورجاله، بكاء مرا، ورثاه مرثاة ذاع صيتها بين جميع بني إسرائيل، ومما قاله فيها: «شاول ويوناثان محبوبان عزيزان، في حياتهما وفي مماتهما لم يفترقا. أسرع من العقبان وأشد من الأسود. يا بنات إسرائيل ابكين على شاول الذي كان يكسوكن القرمز زينة، وبعلى الذهب يزيّد ثيابكن بهاء... قد ضاق صدري عليك يا أخي يوناثان، لقد كنت عزيزاً عليّ جداً، وكان حبك عندي أعجب من حب للنساء»^(٨٨).

ثم ارتحل داود ورجاله من صقلاج إلى حبرون حيث مسح رجال يهوذا «ملكا على بيت يهوذا»^(٨٩) وقد أحصى العهد القديم عديد جيش داود الذي تشكل في حبرون، بعد

(٨٥) م.ن. ١ ص ٣٠: ١٠ - ٢٠.

(٨٦) م.ن. ١ ص ٢٤: ٣٠ - ٢٥.

(٨٧) م.ن. ١ ص ٣٠: ٢٦ - ٣١.

(٨٧ مكر) Barnavi, Op. Cit. P. 15.

(٨٨) م.ن. ٢ ص ٢٣: ١ - ٢٦.

(٨٩) م.ن. ٢ ص ٤: ٤.

موت شاول، فبلغ ثلاثماية واربعين الفا، وثمانماية واثنين وعشرين رجلا(٣٤٠٨٢٢ رجلا) موزعين كما يلي:

٦٨٠٠	- بنو يهوذا (حاملو القروس والرماح)
٧١٠٠	- بنو شمعون
٤٦٠٠	- بنو لاوي
٣٧٠٠	- يوياداع، رئيس الهرونين
٠٠٢٢	- صادوق
٣٠٠٠	- بنو بنيامين، اخوة شاول
٢٠٨٠٠	- بنو افرايم
١٨٠٠٠	- نصف سبط منسى
٠٠٢٠٠	- بنو يساكر (مقتا رئيس، وجميع اخوتهم تحت امرهم)
٥٠٠٠٠	- سبط زبولون (بجميع ادوات الحرب)
٣٨٠٠٠	- سبط نفتالي (الف رئيس و٣٧ الفا مسلحين بالقروس والرماح)
٢٨٦٠٠	- سبط دان
٤٠٠٠٠	- سبط اشير
١٢٠٠٠٠	- من عبر الاردن (من اللاويين والجاديين ونصف سبط منسى)
٣٤٠٨٢٢ (٨٩ مكرر)	المجموع

(٨٩ مكرر) م.ن. ١١ ع ١٢: ٢٤-٣٨.

وكان ابنير بن نير، قائد جيش شاول، قد فرّ من معركة «جلبوع» والتحق بابن شاول الأصغر «اشبعل» أو «اشبوشت»، فأخذ ابنير أشبوشت إلى «محنائيم» عبر الأردن، وأعلنه ملكاً على «جلعاد» والاشيريين ويزرعيل واقرائيم وبنيامين، وعلى كل إسرائيل^(٩٠). وهكذا ظهر أول انقسام جدي بين يهوذا وباقي إسرائيل ترسّخ بعدما وتجذّر، بعد الملك سليمان، في مملكتين منفصلتين هما مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل كما سنرى.

ولكن ما لبثت الحرب أن نشبت بين اتباع داود واتباع اشبوشت وابنير، إذ خرج ابنير واشبوشت وانصارهما، «من محنائيم إلى جبعون»، وخرج يوّاب بن صروية، قائد جيش داود، وانصاره، نحو جبعون كذلك، فعسكر كل من الفريقين قبالة الآخر، على ضفة من ضفاف «بركة جبعون»، وتداعى الفريقان للمبارزة، فانتدب كل منهما فريقاً من اثني عشر رجلاً ليتبارزوا فيما بينهم، فقتل بعضهم الآخر ولم يبق واحد منهم حياً، فدعي ذلك المكان «حقل الصخور» استذكّاراً لتلك المبارزة^(٩١). ثم جرى قتال شديد بين الجيشين انتهى بهزيمة ابنير «ورجال إسرائيل» أمام رجال داود^(٩٢). وكانت حصيلة المعركة ٢٠ قتيلاً من رجال داود بينهم «عسايل» أخو يوّاب، قائد الجيش، و ٣٦٠ قتيلاً من رجال ابنير، من بني إسرائيل^(٩٣).

وطالت الحرب بين بيت شاول وبيت داود، «ولم يزل داود يتقوّى وبيت شاول يضعف»^(٩٤)، وحدث أن وقع خلاف بين ابنير واشبوشت بسبب سرّية كانت لشاول واستأثر بها ابنير، فأرسل ابنير رسلاً إلى داود يفأوضه على الملك، وعلم يوّاب بتوّد ابنير لداود فعاتب سيّده ثم سعى لاستدراج ابنير إليه، في حبرون، بدون علم داود، حيث اختلى به جانباً وطعنه طعنة واحدة كانت كافية للقضاء عليه^(٩٥).

وعلم اشبوشت بنياً مقتل قائده ابنير في حبرون فارتعد وثبطت همته للقتال، كما

(٩٠) م. ن. ٢. ص ٨٠٢. وكان عمر اشبوشت عند ما ملكه ابنير، أربعين سنة وملك سنتين فقط (م. ن. ٢. ص ٩٢).

(٩١) م. ن. ٢. ص ١٦٢-١٦٦.

(٩٢) م. ن. ٢. ص ١٧٢.

(٩٣) م. ن. ٢. ص ٢٦٤.

(٩٤) م. ن. ٢. ص ١٠٢.

(٩٥) م. ن. ٢. ص ٢٧٠-٢٧٢.

«ارتاع كل اسرائيلي»^(٩٦). وكان في جيش اشبوشت رجلان «رئيسا غزاة» احدهما يدعى «بعنة» والثاني «ريكاب» من «بني بنيامين»، فتأمر الرجلان لقتل اشبوشت ودخلا بيته خلسة وهو نائم، ثم قتلاه واخذا رأسه لداود في حبرون، فأمر داود بقتلهما لأنهما «قتلا رجلا بارا في بيته، على سرير»، ودفن رأس اشبوشت في قبر ابنير بحبرون^(٩٧). وبعد موت اشبوشت، اقبل «جميع أسباط اسرائيل» وكذلك «جميع شيوخ اسرائيل» الى داود، في حبرون ومسحوه «ملكا على اسرائيل»، وكان داود حينذاك «ابن ثلاثين سنة». وقد ملك طيلة اربعين عاما، «ملك في حبرون، على يهوذا، سبع سنين وستة اشهر، وملك في اورشليم ثلاثا وثلاثين سنة على كل اسرائيل ويهوذا»^(٩٨).

٢- الحرب بين داود واليبوسيين: سقوط حصن صهيون واحتلال ييبوس (اورشليم)، (١٠٠٠ ق.م):

كانت ييبوس (اورشليم) عاصمة لليبوسيين (احدى عشائر الكنعانيين)، وكان في مقدمتها حصن يدعى «حصن صهيون»، لا بد من احتلاله لبلوغ اورشليم، فسار داود اليه برجاله، لكن اليبوسيين تمردوا عليه ورفضوا تسليمه اليه، ووضعوا على أسوار الحصن كل من كان أعمى أو مقعدا، وقالوا لداود: «انك لا تدخل الى هنا، فحتى العميان والعرج يصدونك»^(٩٩). وكان اليبوسيون يظنون ان قلعته حصينة تعصى على داود، خصوصا وان قناة ماء كانت تفصل بينه وبين الحصن، وانه لن يغامر بقتل العميان والمقعدين لكي يدخل الحصن على جثثهم. ولكن داود عمد الى وضع خلة تؤمن له بلوغ الحصن دون ان ينال من حماته العميان والمقعدين، فحاصره وطلب من رجاله ان يجتازوا القناة اليه، وأعلن انه سوف يكافئ كل من اجتاز القناة وقتل ييبوسيا ووصل الى مواقع اولئك المقعدين والعميان. فكان يوتاب ورجاله اول من اجتاز القناة ووصل الى اسوار الحصن فاخترقها

(٩٦) م.ن. ٢. ص ٤: ٩.

(٩٧) م.ن. ٢. ص ٤: ١٢.

(٩٨) م.ن. ٢. ص ٥: ٥-٥.

(٩٩) م.ن. ٢. ص ٥: ٦، والديس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٢١٠.

وتغلب على المدافعين عنها واحتل الحصن، ثم دخله داود وأقام فيه وسماه «مدينة داود»، وأقام حوله مباني وأسواراً «من ملو» (وهو واد كان يفصل بين ييوس القديمة والحصن) فداخلا، حيث ردم الوادي وأقام فيه «قصرأله ومسكن لأعوانه ومجتمعاً للشعب»^(١٠٠).
(انظر الخارطة رقم ١٥).

خارطة رقم ١٥ : موقعة وادي رفائيم

اربع مع سامس بالعدد

٣- الحرب بين داود والفلسطينيين: موقعة وادي رفائيم (١٠٠٠ ق.م)

ارتاع الفلسطينيون لنمو قوة داود وقدروا الخطر المحتمل عليهم ان هو استمر في قوته المطردة، فقرروا ضربه قبل ان يستفحل خطره، واحتشدوا لذلك، في وادي يسمى «وادي رفائيم» (جنوب غربي اورشليم) فصعد اليهم داود برجاله فهزمهم وشتت جموعهم واخذ اصنامهم، (لذا، سمي ذلك المكان بعدها «بعل فراحيم» او «بعل فراصيم») ثم عاد الى مواقعه. ولكن الفلسطينيين عانوا فاحتشدوا، من جديد، في الوادي المذكور، استعدادا لقتال داود من جديد. اما داود فقد وضع لقتالهم خطة عبّر عنها العهد القديم بقوله: «فسأل داود الرب فقال له: «لا تصعد (الى الفلسطينيين) مجابهة، بل اعطف من خلفهم واتهم من حيال اشجار البلسان»^(١٠١)، وقد استدار داود برجاله من خلف مواقع الفلسطينيين ففاجأهم وهزمهم وشتت جموعهم وطاردهم «من جبع الى مدخل جازر»^(١٠٢). (انظر الخارطة رقم ١٥)

٤- الحرب بين داود والفلسطينيين والمؤابيين وملك صوبة والآراميين (١٠٠٠ -

٩٩٠ ق.م):

أ- الحرب بين داود والفلسطينيين:

كان داود قد استقر في عاصمة ملكه بأورشليم وبدأ باخضاع القبائل والمدن المجاورة له، فكان ان بدأ بالفلسطينيين حيث هاجم عاصمتهم (جت) واخضعها، كما أخضع ما جاورها من المدن والقرى^(١٠٣).

ب- الحرب بين داود والمؤابيين:

ثم اتجه داود الى المؤابيين، فعبر، لذلك، الأردن، وهاجمهم فهزمهم وقتل وأسر الكثير

(١٠١) العهد القديم، ٢ صم ٢٣: ٥. واشجار البلسان = شجر ابيض كالزهر، يستعمل في الابوية. ويسمى «السيسبان» (محيط المحيط). وقد وردت «بعل فراحيم» في العهد القديم (٢ صم ٢٠: ١١ و ١٤: ١١).

(١٠٢) العهد القديم، ٢ صم ٢٥: ٥. والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٢١١-٢١٢. وانظر للموقعة نفسها، ١ صم ١٤: ٨-١٥.

(١٠٣) م. ن. صم ١٠: ٨. والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٢١٦. وانظر تكرار الرواية هذه الحرب في ١ صم ١٨: ١. حيث جاء فيه ان داود اخذ جت وتوابعها من ايدي الفلسطينيين وهو ما لم يكن واضحا تملما في ٢ صم ٨: ١.

منهم، أما الأسرى فكان يأمر الواحد منهم ان يضطجع على الارض فان كان طول حبلين قتله وان كان اقل استبقاه وقد أضحى المؤابيون عبيدا لداود يؤدون اليه الجزية^(١٠٤).

ج - الحرب بين داود وهَدَدُ عازر بن رحوب، ملك صوبية، وحلفائه الأراميين:

كانت تقع مملكة صوبية في شمال سوريا، شمال جبال لبنان الشرقية نحو حمص وحماة وحلب، الى يبرود والنبك وصدد والقريتين، فتدمر والغرات^(١٠٥). وكان هَدَدُ عازر قد توجه نحو الغرات رغبة في ان يمد سلطته اليه، فهاجمه داود وأخذ منه «الفا وسبع مئة فارس وعشرين ألف راجل» و«عرقب» خيل جميع مركباته باستثناء مائة منها فقط^(١٠٦). وهبَّ آراميو دمشق لنجدة هَدَدُ فقتل داود منهم اثنين وعشرين الفا، ثم اقام محافظين في «آرام دمشق» واصبح الأراميون يدفعون الجزية لداود^(١٠٧).

وكان لـ «توغو»، ملك حماة، ثار عند هَدَدُ عازر لما كان بينهما من حروب سابقة، فلما علم بهزيمته امام داود ارسل الى داود ابنه «يورام» مع الكثير من الهدايا. اما داود فقد قتل، في طريق عودته الى اورشليم، ثمانية عشر الفا من الأراميين، في «وادي الملح»، واجتاح ادوم ووضع فيها محافظين من قبله «وصار جميع الادوميين رعايا لداود»^(١٠٨).

وهكذا اصبح داود ملكا «على جميع اسرائيل»، بينما ظل «يوآب بن صَرْوِيَّة» قائدا لجيش خاله داود^(١٠٩).

(١٠٤) م. ن. ٢. ص ٢٠٨. والديس. المصدر السابق، ج ٢: ٣١٦. وانظر تكرار الرواية هذه الحرب (دون ذكر رواية فيلاس الأسرى بالحبل)، في ١٨: ٢٤.

(١٠٥) الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٣١٦.

(١٠٦) العهد القديم، ٢ ص ٨: ٤.

(١٠٧) م. ن. ٢. ص ٨: ٥-٦. وكان ملكهم يسمى هَدَدُ، ايضا (الديس، المصدر السابق، ج ٢: ٣١٧).

(١٠٨) العهد القديم، ٢ ص ٨: ١٤-١٦. وانظر: م. ن. ١٨: ١٦-١٢. ويبين سفر الاخبار الاول (١٢: ١٦) ان أبشاي بن صَرْوِيَّة (أي أخو يوآب بن صَرْوِيَّة قائد جيش داود) هو الذي قتل ١٨ الفا من الأراميين في وادي الملح.

(١٠٩) م. ن. ٢ ص ٨: ١٥-١٦. وانظر: م. ن. ١٨: ١٤-١٥. ويذكر الديس. (المصدر السابق، ج ٢: ٣١٩) ان يوآب بن صَرْوِيَّة هو ابن أخت الملك داود.

٥- الحرب بين داود والعمونيّين وحلفائهم الآراميين: موقعة ربة عمون (٩٩٠ ق.م):

مقدمات الحرب:

جرت هذه الحرب إثر معاملة سيئة تلقاها وفد التعزية الذي أرسله الملك داود إلى حنون، ملك عمون، بمناسبة وفاة والده، الملك ناحاش، إذ زين لحنون أن هذا الوفد ليس قادمًا للتعزية بل للتجسس على مملكته وعاصمته، فألقى القبض على أعضائه وحلق نصف لحاهم وقطع نصف ثيابهم من الوسط حتى أدبارهم، ثم صرفهم^(١١٠)، فقرر داود، إثر ذلك، الانتقام للوفد ومهاجمة بني عمون للاقتصاص منهم، في «ربة عمون» عاصمة ملكهم ذاتها

الاستعداد للحرب:

أ- العبرانيون: استنفر داود «جيش الأبطال كله» وحشده، بقيادة يوأب^(١١١)، ولم تذكر النصوص التوراتية عدد جيش يوأب).

ب- العمونيون وحلفاؤهم الآراميون: أرسل العمونيون إلى آراميي النهرين وآراميي معكة وصوبا، (أو صوبة) «الف قنطار من الفضة» لكي يستاجروا منهم «مراكب وفرسان» لمواجهة العبرانيين فأرسلوا إليهم نحو ٢٢ ألف رجل، موزعين كما يلي:

- من آراميي بيت رحوب وآراميي صوبا: ٢٠ ألف رجل

- ملك معكة ومعه: ١٠ ألف رجل.

- من رجال طوب: ١٢ ألف رجل.

- كما أرسلوا إليهم بالاضافة الى ذلك: ٣٢ ألف مركبة.

وقد اتخذ العمونيون وحلفاؤهم التشكيلة التالية للقتال:

- بنو عمون. اصطفوا للحرب عند مدخل المدينة، ومهمتهم الدفاع عنها.

(١١٠) م.ن. ٢-ص ٤:٩٠ وانظر: ١٩:٤.

(١١١) م.ن. ٢-ص ٧:٩٠ وانظر: ١٩:٨.

- الآراميون (رحوب وصوبا ومعكة وطوب): نزلوا عند «ميدبا» (مأدبا اليوم) بناحية الحقل وكانت مهمتهم مفاجأة المهاجمين من الخلف وحصرهم بينهم وبين العمونيين^(١١٢).

الحرب:

لقد جرت هذه الحرب على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: انتقل يوتاب بجيشه الى مدينة العمونيين «ربة عمون» فوجد العمونيين وقد «اصطفوا للحرب» عند مدخل المدينة، وبعيدا عنهم في الحقل عند «ميدبا»، حلفاءهم الآراميون، ينتظرون انشغاله بالحرب مع العمونيين لكي ينقضوا عليه من الخلف. وقد قدر يوتاب الموقف تقديرا صحيحا، فخشي، ان هو اقتحم مواقع العمونيين، ان يقع بين نارين، نارهم من الشمال ونار حلفائهم الآراميين من الجنوب، فبادر الى تقسيم جيشه الى فرقتين:

- الفرقة الأولى، بقيادته، وقد اختارها من «جميع منتخبى اسرائيل»، وكانت مهمتها مشاغلة الآراميين لكي يتاح للفرقة الثانية مقاتلة العمونيين بدون حاجس مباغتتها من الخلف.

- الفرقة الثانية، وهي باقى الجيش، بقيادة أخيه أبشاي (أو أبيشاي)، وكانت مهمتها مهاجمة مواقع العمونيين عند مدخل مدينتهم^(١١٣).

وأصدر أوامره الى الفرقتين ان يكون القتال بالتساند بينهما: إن استقوى الآراميون على فرقته اعانه اخوه على الآراميين، وإن استقوى العمونيون على فرقة أخيه اعان اخاه على العمونيين^(١١٤).

وما ان وصل يوتاب وفرقته الى مواجهة الآراميين حتى بادرهم بالقتال فانهزموا وعاد

(١١٢) م.ن. ٢ ص ١٠: ٨ و ١٩ ص ٦.

(١١٣) م.ن. ١٩ ص ١٠: ١١ و ٢ ص ١٠: ٩.

(١١٤) م.ن. ١٩ ص ١٢ و ٢ ص ١١: ١٢) م.ن. ٢ ص ١٠: ٨ و ١٩ ص ٦.

يوآب لمؤازرة اخيه. وما ان رأى العمونيون حلفاءهم الآراميين منهزمين حتى انهزموا بدورهم، ودخلوا مدينتهم، واقتلوا بابها خلفهم.

ولم يحاول يوآب اقتحام المدينة عليهم، بل تركهم وانصرف عائدا الى اورشليم^(١١٥).

- المرحلة الثانية: لم يرضَ «هدد عازر» ملك صوبا، بالهزيمة على يد العبرانيين خصوصا بعد هزيمته امامهم في معركة الفرات، فقرر ان يعود لمنازلتهم مع حلفائه الآراميين. وبعد ان حرّض هؤلاء على القتال، وبعد ان حشد، لذلك، «الآراميين الذين في عبر النهر»، نهر الفرات، اجتمع لديه، في «حيلام» عبر الاردن جيش كثيف سلم قيادته الى قائد جيشه «شوباك» او (شوفاك)^(١١٦).

علم داود بأمر الحشود الآرامية في «حيلام» فانطلق بجيشه من اورشليم، واتجه شمالا نحو بيت ايل فشكيم، ثم انعطف شرقا حيث عبر الاردن جنوب بيت شان، وتابع تقدمه شمالا بشرق، مارا شمال بيت جلعاد حتى اطل على مواقع الآراميين في «حيلام» من الجنوب.

وفوجئ الآراميون بالعبرانيين فاصطفوا، على عجل، لقتالهم، لكن العبرانيين بادروهم بالقتال، فانهزم الآراميون شمالا، وطاردهم العبرانيون باتجاه دمشق بعد ان قتلوا منهم اربعين الف رجل ودمروا لهم سبعة آلاف مركبة وقتلوا قائد جيشهم «شوفاك» او «شوباك» (وقد ورد في سفر صموئيل الثاني: سبع مئة مركبة واربعين الف فارس)^(١١٧).

المرحلة الثالثة: بعد هذه الموقعة انكفأ الآراميون الى مواطنهم ولم يعودوا يجرؤون على مساندة العمونيين ضد العبرانيين^(١١٨)، مما أتاح لداود التصرف بحرية تجاه العمونيين، فأرسل اليهم، بعد عام، جيشا بقيادة «يوآب» فهاجمهم وحاصر عاصمتهم «ربة عمون» واحتلها بعد ان دمرها، ثم نهبها واستعبد أهلها. وكان داود قد بقي بأورشليم^(١١٩).

(١١٥) م.ن. ١٩: ١٤-١٥ و ٢٠ ص ١٤١: ١٠.

(١١٦) م.ن. ١٩: ١٦ و ٢٠ ص ١٥: ١٠ وانظر. Aharoni, Op. Cit. PP. 78-79.

(١١٧) م.ن. ١٩: ١٦-١٨. وانظر: ٢ ص ١٠: ١٨-١٧.

(١١٨) العهد القديم، ١٩: ١٦ و ٢ ص ١٠: ١٩.

(١١٩) م.ن. ١٠: ٢٠ و ٢١ ص ١١: ١.

ولما تأكد يوأب من أن سقوط عاصمة العمونيين اضحى أكيدا، طلب من داود أن ينتقل إليها لكي يأخذ المدينة بنفسه فيكون الفتح باسمه، «فجمع داود كل الشعب وزحف على ربة فحاربها وأخذها»^(١٢٠) وأخذ تاج «ملكهم»، ملك العمونيين، عن رأسه «وكان وزنه قنطارا من الذهب، بالحجارة الكريمة»، فوضعه فوق رأسه، وأخرج من المدينة غنائم «وافرة جدا» كما أنه جمع شعب «ربة عمون» وجعله «على المناشير وعلى نوارج الحديد وفؤوس الحديد» وجعل بعضه على «أعمال قوالب الأجر». وهكذا صنع «بجميع مدن بني عمون»^(١٢١)، التي دمرت جميعها^(١٢٢)، كما دمرت «ربة عمون» نفسها^(١٢٣). (انظر الخارطة رقم ١٦).

استنتاج:

يمكننا أن نستنتج من هذه الحرب ما يلي:

١ - لقد طبق «يوأب، قائد جيش داود، في حربه هذه، مناورة معروفة من مناورات الحرب العصرية، تكتيكيا واستراتيجيا، هي «المناورة بالخطوط الداخلية Manoeuvre par lignes intérieures وتتلخص هذه المناورة بما يلي:

إذا وجد جيش في وضع يوجب عليه التصدي لقوى عدوة من محاور مختلفة، فيمكن اعتماد الخطة التالية:

أولا: يختار هدفا واحدا (أي محورا واحدا) كهدف رئيسي، بينما يصنع قوى أخرى للمشاغلة تجاه باقي الأهداف بغية كسب الوقت والقضاء على كل هدف على حدة.

ثانيا: يهاجم الهدف الأول فيقضي عليه، بينما تكون بقية قواه تشاغل باقي الأهداف.

ثالثا: يعود فيقضي بالتتابع، وبالطريقة نفسها، على بقية الأهداف العدو على باقي

المحاور.

(١٢٠) م.ن. ٢ ص ١٢: ٢٧-٢٩.

(١٢١) العهد القديم، إخ ١١: ٢٠-٢٠، ٢ ص ١٢: ٢٩-٣١.

(١٢٢) م.ن. ١١: ٢٠ ص ١١: ١.

(١٢٣) م.ن. ١١: ٢٠ ص ١: ٢ ولم يرد شيء عن تدمير (ربة عمون) في سفر صموئيل الثاني. وإن كان قد ورد أنها حوصرت (٢ ص ١١: ١).

- فرقة تهاجم العمونيين وتقاتلهم وهي مطمئنة الى انها لن تضرب من الخلف بسبب انشغال الأراميين، حلفاء العمونيين، بالقتال ضد فرقة يوباب.

- ما ان انتصر يوباب على الأراميين حتى عاد لمؤازرة اخيه ابشاي في قتاله ضد العمونيين، فانهزم هؤلاء.

ب - استراتيجيا: عمد داود في المرحلتين الثانية والثالثة:

- الى مهاجمة الأراميين في عقر دارهم، في «حيلام» عبر الأردن وهزمهم وطاردهم شمالا باتجاه دمشق، الى ان جعلهم في وضع يستحيل عليهم مساندة العمونيين عسكريا

- ثم ارتد الى العمونيين فهاجمهم، في عقر دارهم كذلك، وضربهم وهزمهم ودمر مدنها وعاصمتهم وقتل شعبهم.

٢- طبق داود في المرحلتين: الثانية والثالثة، من حربه هذه، مبدأ «الحرب الجماعية» او «الامة المسلحة» حيث جمع «كل اسرائيل وعبر الأردن وزحف على حيلام»^(١٢٤)، لمحاربة الأراميين المحتشدين فيها، ثم ارسل، بعد ذلك، «يوباب» وضباطه معه، وكل اسرائيل^(١٢٥) لمحاربة بني عمون، مطبقا بذلك مبدأ «الحرب الجماعية» تطبيقا تاما.

ويرى الصحفي الفرنسي «جان لارتيغي» في كتابه «أسوار اسرائيل» ان هذه الحرب اعتبرت، لفترة طويلة، كاحدى الحروب المصيرية «وتكاد تكون لدى اليهود، أهم من المباراة التي جرت بين داود وجليات»^(١٢٦)، فقد حشد داود فيها، ليس فقط «يوباب» والجيش النظامي» بل كذلك «شعب اسرائيل بأسره» ليوقع بالأراميين هزيمة حاسمة، ولكن كان من الواضح ان ذلك لم يكن اكثر من مقدمة «للتغلب على العمونيين واخضاعهم»^(١٢٧).

(١٢٤) م.ن.م. ٢٠ ص ١٧:١٠ و ١٧:١٩.

(١٢٥) م.ن.م. ٢ ص ١١.

(١٢٦) Larteguy, Jean, Les Murs d'Israël P. 215.

Ibid (١٢٧)

٦- الحرب بين داود وابنه ابشالوم: موقعة غابة افرائيم (١٧٥ ق.م.):

تمرد ابشالوم بن داود على ابيه وأدعى الملك، فتبعه جمهور بني اسرائيل^(١٢٨)، فخاف داود وهرب، مع انصاره، وهم من سبط يهوذا، من اورشليم، تاركاً في بيت الملك «عشراً من السواري لحفظ البيت»^(١٢٩)، وتبعه ستمئة رجل من «جت» بقيادة «اتاي» الجتي، عبروا الاردن مع داود^(١٣٠).

وعبر داود وانصاره «وادي قدرون» ليلاً، الى طريق البرية، وتبعه الكاهنان «صادوق» و«ابياتار» ومعهما «جميع اللاويين» يحملون «تابوت العهد»، فطلب الملك من الكاهنين ان يعيدا تابوت العهد الى اورشليم وان يبقيا فيها مع ابنيهما «احيما» و«عص بن صادوق» و«يوناثان بن ابياتار» لكي يتجسسوا له على ابشالوم وينقلوا اليه اخباره، ففعل الكاهنان ما طلبه داود منهما وعادا، مع ابنيهما، الى اورشليم.

أما داود فصعد، مع انصاره، «مرتقى الزيتون» (جبل الزيتون)، حتى اذا ما وصل الى قمة الجبل التقى بصديق له يدعى «حوشاي الاركي» ينتظره، فأمره داود ان يعود الى اورشليم (التي كان ابشالوم قد دخلها، بعد ان هجرها ابوه، واتخذها عاصمة لملكه) وينضم الى الكاهنين «صادوق و«ابياتار» وابنيهما، وان يرسلوا اليه اخبار ابشالوم و«كل كلمة تسمعونها» من «بيت الملك»^(١٣١)، فعمل «حوشاي» بأمر الملك والتحق بابشالوم في اورشليم وتقرب منه حتى أضحى واحداً من المقربين اليه.

وهكذا استطاع داود ان يقيم، في مقر ابنه بأورشليم، شبكة تجسس متكاملة، تعمل في «بيت الملك» وفي مقر دار ابشالوم، وهذه الشبكة هي:

- الكاهنان صادوق و«ابياتار» وابناهما احيما وعص ويوناثان.

- حوشاي الاركي، صديق داود.

- بعض نساء اورشليم اللواتي كن يتعاطفن مع داود وانصاره^(١٣٢).

انتقل داود من جبل الزيتون الى «بحوريم»^(١٣٤) على الطريق من اورشليم الى الاردن،

(١٢٨) العهد القديم، ٢ ص ١٥: ١٠-١٢.

(١٢٩) م. ن. ٢ ص ١٥: ١٦.

(١٣٠) م. ن. ٢ ص ١٥: ١٨-٢٢.

(١٣١) م. ن. ٢ ص ١٥: ٢٣-٢٧.

(١٣٢) م. ن. ٢ ص ١٥: ٢٤.

(١٣٣) م. ن. ٢ ص ١٧: ٢٠.

(١٣٤) م. ن. ٢ ص ١٦: ٥٠.

وكان ابشالوم قد عزم على مطاردته فأشار عليه «أحيتوفل» أن يجمع «اثني عشر ألف رجل» ويداهم أباه «هذه الليلة» وهو تعب ومسترخي اليدين «ويعرّبه» فيهرب كل الشعب الذي معه فيضربه «على انفراذه»^(١٢٥). ولكن «حوشاي» تدخل وأفسد على «أحيتوفل» مشورته بمشورة أخرى وهي أن يجمع ابشالوم إليه «كل إسرائيل» من دان إلى بئر سبع» ويسير لمواجهة أبيه، لأن أباه ورجاله «أبطال» وأبوه «رجل حرب»، ويخشى أن يكون متخفياً فلا يطاله وتقع الواقعة عليه وعلى جيشه^(١٢٦). فمال ابشالوم وشيوخ إسرائيل إلى مشورة «حوشاي» ولم يأخذوا بمشورة «أحيتوفل» رغم أنها كانت الأصوب^(١٢٧). ثم عين ابشالوم رجلاً يدعى «عماسا بن يتراء» قائداً لجيشه بدلاً من يوأب الذي كان قد اتبع الملك داود، وخرج هو وجيشه «وجميع رجال إسرائيل» لقتال والده. ونزل بأرض جلعاد^(١٢٨). وقامت شبكة التجسس «بنقل الخبر إلى داود، فوراً» عبر أمة من اورشليم نقلته إلى يوناتان وأهيماعص عند «عين روجل»^(١٢٩)، فنقل هذان الخبر إلى داود الذي ما لبث أن عبر بجيشه «وكل الشعب» الأردن ليلاً، وعسكر عند الفجر، في بلدة تدعى «معنائيم» (أو محنة، في جبل عجلون) عبر الأردن^(١٣٠).

وفي معنائيم، نظم داود جيشه مئات والوفاء، وجعل على كل مئة أو ألف رئيساً، وقسمه ثلاث فرق: الأولى بقيادة يوأب القائد العام للجيش، والثانية بقيادة ابشاي أخى يوأب، والثالثة بقيادة اتاي الجتي^(١٣١). وكان داود قد عزم على أن يخرج، بنفسه، مع الجيش إلى الحرب، إلا أن الشعب طلب منه أن لا يفعل ذلك، بل يبقى في المدينة لكي يؤمن لجيشه النجدة عند الضرورة، وذلك «لأننا إذا هربنا نحن لا يبالون بنا، وإذا مات نصفنا لا يبالون بنا، أما أنت فكعشرة آلاف منا»، هكذا قال له الجيش والشعب^(١٣٢).

(١٢٥) م. ن. ٢. ص ١٧: ٢٠١.

(١٢٦) م. ن. ٢. ص ١٧: ١٢٠-١٢١.

(١٢٧) م. ن. ٢. ص ١٧: ١٢٤.

(١٢٨) م. ن. ٢. ص ١٧: ٢٦٠-٢٦١.

(١٢٩) م. ن. ٢. ص ١٧: ١٧٠-١٧١.

(١٣٠) م. ن. ٢. ص ١٧: ٢٤٠ و ٢٤١.

(١٣١) م. ن. ٢. ص ١٨: ٢٠١.

(١٣٢) م. ن. ٢. ص ١٨: ٢٠٢.

ووقف داود امام باب المدينة يستعرض جيشه الذاهب لقتال ابنه ابشالوم، وأوصى قاداته ان «ترفقوا بالفتى ابشالوم»، وخرج الجيش كله «مئة مئة والفا الفا... الى البرية للقاء اسرائيل»^(١٤٣).

وكانت المواجهة بين للجيشين في «غابة افرائيم» قاسية وشرسة وحاسمة، حيث كان القتال منتشرا «على وجه تلك الارض كلها» وحيث «افتترست الغابة» من الرجال «اكثر مما افتترس السيف في ذلك اليوم» فكانت «هزيمة عظيمة» لاسرائيل، وقتل منها «عشرون الفا»^(١٤٤).

اما ابشالوم فقد فاجاه رجال ابيه وهو راكب بغلا، «فدخل البغل تحت اغصان بلوطة... فتعلق رأسه بالبلوطة، فبقي معلقا بين السماء والارض»^(١٤٥)، فتقدم يوأب منه «واخذ بيده ثلاثة أوتاد فغرسها في قلب ابشالوم» الذي كان لا يزال حيا، ثم احاط بابشالوم «عشرة فتيان حاملو سلاح يوأب» وضربوه حتى قتلوه. ونفخ يوأب في البوق اعلانا لانتهاه القتال، ثم سحبت جثة ابشالوم وطرحت في الغابة ووضعت فوقها كومة من الحجارة، بينما هرب رجاله «كل امرئ الى خيمته»^(١٤٦). ولما أخبر داود بمقتل ابنه ابشالوم بكى بكاء مرا ورثاه رثاء حزينا.

٧- ثورة شابع بن بكري على داود (٩٧٧ ق.م):

قرر داود، بعد هزيمة ابنه في «غابة افرائيم» ومقتله، ان يعود بجيشه وشعبه الى اورشليم ليمارس الملك فيها، وسعى لكي يستميل اليه قلوب بني اسرائيل جميعا، وكان اول ما قام به ان ارسل الي «عماسا» يستميله واعدا اياه ان يكون قائدا لجيشه بدلا من يوأب^(١٤٧)، ثم «امال اليه قلوب جميع رجال يهوذا وشيوخهم الذين طلبوا من داود ان يعود الى اورشليم، وانتقلوا الى «الجلجال» ليرافقوه في عبوره الاردن الى اورشليم، فعبروا معه»^(١٤٨).

(١٤٣) م.ن. ٢. ص ١٨: ٦٤.

(١٤٤) م.ن. ٢. ص ١٨: ٨٦.

(١٤٥) م.ن. ٢. ص ١٨: ٩.

(١٤٦) م.ن. ٢. ص ١٨: ١٧-١٨.

(١٤٧) م.ن. ٢. ص ١٩: ١٢.

(١٤٨) م.ن. ٢. ص ١٩: ١٥-١٦.

كان «شابع بن بكري» وهو رجل من «بليعال» من بنيامين، قد استطاع ان يجمع حوله جمهور بني اسرائيل ويحرضهم على داود قائلا لهم: «ليس لنا نصيب مع داود، ولا لنا ميراث مع ابن يسى»^(١٤٩)، فارتد بنو اسرائيل عن داود واتبعوا ابن بكري، بينما استمر بنو يهوذا في موالاتهم لداود ورافقوه من الاردن الى اورشليم^(١٥٠).

وفور وصول داود الى اورشليم، استدعى «عماسا» قائد جيش ابنه، اليه، وطلب منه ان يجمع اليه رجال يهوذا «في ثلاثة ايام»، وانطلق عماسا لتنفيذ امر الملك الا انه لم يعد في الموعد المحدد، فطلب داود من ابيشاي ان يطارد شابع بن بكري، فخرج ابيشاي لمطاردته، وكذلك فعل اخوه يواكب ورجاله^(١٥١). وما ان وصل يواكب الى «جبعون» حتى وجد «عماسا» في استقباله، فتقدم يواكب منه لكي يعانقه، الا انه عاجله بطعنة من سيفه «في بطنه، فدلِق اعضاءه الى الارض، ولم يُكنْ عليه، فمات»^(١٥٢).

مضى يواكب وابيشاي في طلب «شابع» الذي فر من وجههما والتجأ الى «آبل بيت معكة»، فحاصر يواكب وابيشاي ورجالهما المدينة وباشروا بهدم السور «وركموا ردما الى المدينة مستندا الى السور»^(١٥٣). ورائتهم امرأة حكيمة من المدينة فطلبت ان تتحدث الى يواكب الذي استمع اليها فسألته عن مطلبه ومطلب جنده فأجابها بان متمردا على الملك، هو شابع بن بكري، قد لجأ الى المدينة، وان مطلبه هو ان يتسلم ذلك الرجل لكي ينصرف عنها. فوعدت المرأة يواكب خيرا، ثم عادت الى اهلها في المدينة وأشارت عليهم ان يقطعوا رأس شابع ويسلموه الى يواكب لكي يفك حصاره عن مدينتهم، ففعل اهل المدينة ذلك وعاد يواكب الى اورشليم، حاملا معه، إلى الملك، رأس شابع^(١٥٤).

٨ - حروب اخرى بين داود والفلسطينيين:

وكانت، غير ما ذكرنا، حروب عدة بين داود والفلسطينيين ذكرها العهد القديم وهي:

(١٤٩) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٠: ١.

(١٥٠) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٠: ٢.

(١٥١) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٠: ٧.

(١٥٢) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٠: ٨.

(١٥٣) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٠: ١٤.

(١٥٤) م. ٢٠. ن. ٢٠. ص ٢٢: ١٦.

أ- حربه مع بيشببنوب من بني رافاة (رفائيم): وقد حضرها داود بنفسه، وقاتل فيها الفلسطينيين على رأس جيشه، وكاد يقتل على يد «بيشببنوب» لولا أن تداركه ابن اخته «ابيشاي» فضرب الفلسطيني ضربة قضت عليه. عندها، «ناشد داود رجاله» قائلين له: «لا تخرج معنا إلى الحرب، لئلا تُطْفِئَ سراج إسرائيل»^(١٥٥). وكان «بيشببنوب» هذا متقلداً سيفاً جديداً «ووزن رمحه ثلاثمئة مثقال من نحاس»^(١٥٦). ولم تذكر التوراة مكان هذه الموقعة.

ب- موقعة جوب (أو جازر): ذكر العهد القديم هذه الموقعة (في سفر سموئيل الثاني) في «جوب» التي لم يحدد موقعها بالضبط، وذكرها (في سفر الأخبار الأول) في «جازر»، وقد هُزم فيها الفلسطينيون وقتل أحد بني رافاة (أو رفائيم) ويدعى «سبكاي الحوشي سَفَاي»^(١٥٧).

ج- موقعة جوب الثانية: وقد هُزم الفلسطينيون كذلك في هذه الموقعة وقتل الاسرائيلي الحانان بن ياعري أخا «جليات الجتي» المدعو «لحمي»، وكانت قناة رمح «لحمي» هذا «كنول النساج»^(١٥٨).

د- موقعة «جت»: (وهي ذكرين أو تل الصافي اليوم). وقد أقدم رجل من بني رافاة (أو رفائيم) من الفلسطينيين على تقريع إسرائيل فقتله «يوناثان بن שמعا»، ابن أخي داود. وكان الرجل الفلسطيني هذا «طويل القامة سداسي الأصابع، أي له أربع وعشرون اصبعاً»^(١٥٩).

الخدمة في جيش داود:

وزع داود الخدمة في جيشه على رؤساء الجيش، الذين هم، عادة، رؤساء قبائل أو عشائر أو عائلات، من كل سبط، وكان توزيعها كما يلي:

(١٥٥) م.ن. ٢٠ ص ٢١: ١٧-١٥.

(١٥٦) م.ن. ٢٠ ص ٢١: ١٦.

(١٥٧) م.ن. ٢٠ ص ٢١: ١٨ و ١٩: ٢٠.

(١٥٨) م.ن. ٢٠ ص ٢١: ١٩ و ١٩: ٢٠.

(١٥٩) م.ن. ٢٠ ص ٢١: ٢٠-٢١، و ٢١: ٢٠-٢٦.

- خدمة بيت الرب: ويقوم بها بنو آساف وبنو هيمان وبنو يدوتون، وعددهم مائتان وثمانية وثمانون رجلاً. وكانت خدمة بيت الرب و«بيت الله» كناية عن خدمة «المتنبيئين تحت يدي الملك» (بنو آساف)، أو خدمة «المتنبيئين على صوت الكنّارات لاجل الحمد والتسبيح للرب» (بنو يدوتون)، أو خدمة «رائي الملك، ينفخون في البوق، لكلام الله» (بنو هيمان). وكان أبناء كل أسرة من الأسر الثلاث (آساف ويدوتون وهيمان) يخدمون «تحت يد أبيهم، للغناء في بيت الرب، بالصنوج والعيّان والكنّارات». وتكون خدمة «بيت الله»، عادة «تحت يد الملك» وأيدي أرباب الأسر الثلاث (آساف ويدوتون وهيمان) (١٦٠).

- خدمة الحراسة: وقد وزعت هذه الخدمة على ٢٤ قرعة «على حد واحد، الصغير والكبير، والمعلم والتلميذ»، وطالت كل أبناء الأسر الثلاث (١٦١).

وقد وزعت حراسة «بيت الرب» الى:

أ - حراسة الأبواب: ويقوم بها «فرقة البوابين» الذين توزع عليهم الأبواب بالقرعة وفقاً للجهات الأربع، وكانت فرق البوابين من القورحيين (من بني آساف) أصلاً، ثم من الحوسيين (من بني مراري) وبني عوبيد أدوم، واللاويين، وغيرهم. وكان البوابون يقومون بالحراسة صغيرهم ككبيرهم، «بحسب بيوت آبائهم، لكل من الأبواب»، وكانت حراسة الأبواب تشمل المخازن والأروقة والمصاعد (أي الأدراج) (١٦٢).

ب - حراسة خزائن بيت الله وخزائن الأقداس: ويقوم بها اللاويون أصلاً، وكانت خزائن الأقداس بإشراف الملك نفسه ورؤوس الآباء ورؤساء الألوف والعشرين ورؤساء الجيش، وكانت تضمن ما «قدّسوه من الحروب والغنائم لتزيم بيت الرب» وكل ما «قدّسه صموئيل الرائي وشاول بن قيس وابنير بن نير ويوآب بن صروية»، وكانت هذه المقدسات جميعها بيد «شلميت بن العازر» وأخوته، وقد أوكل الملك اليهم حراستها (١٦٣).

(١٦٠) العهد القديم ١١ أخ ٢٥: ٧٨١.

(١٦١) م. ن. ١١ أخ ٢٥: ٩. وانظر: م. ن. ١١ أخ ٢٥: ٣١-٨.

(١٦٢) م. ن. ١١ أخ ٢٦: ١-١٩.

(١٦٣) م. ن. ١١ أخ ٢٦: ٢٠-٢٨.

ج - خدمات أخرى:

- للعمل الخارجي (كتبة وقضاة): لليصهاريين.

- لخدمة الرب والملك في عبر الأردن: للحبرونيين (حشيبا واخوته، وهم «الف وسبعماية، ذوو بأس»).

- لخدمة الرب والملك في يعزيز جلعاد: للحبرونيين (يريا واخوته، وهم «الفان وسبعماية، ذوو بأس»)^(١٦٤).

توزيع الخدمات على الفرق:

كانت فرقة الخدمات موزعة على اثني عشر شهراً، برئاسة رؤساء الآباء ورؤساء الالوف والمثين وكتبتهم الذين يخدمون الملك»، وكانت كل فرقة مؤلفة من ٢٤ ألف رجل، وعليها رئيس من عشيرتها، أو من سبطها، وكان لكل سبط رئيس^(١٦٥). فكان عديد الفرق جميعها: $١٢ \times ٢٤٠٠٠ = ٢٨٨٠٠٠$ رجل.

القيّمون على المرافق المهمة:

وقد عيّن الملك قيّمين على المرافق المهمة مثل:

- خزائن الملك، وعليها عزموت بن عديشيل.

- خزائن البلاد (في الحقول والمدن والضياح والحصون)، وعليها يوناثان بن عزّيا.

- فلاحي الأرض، وعليهم عزري بن كلوب.

كما عيّن قيّمين على الكروم وما فيها من خزائن الخمر، وعلى الزيتون والجمّيز، والبقر والجمال والحمير والغنم وكل هؤلاء رؤساء الأموال التي للملك داود^(١٦٦).

(١٦٤) م.ن. ١٠ غ ٢٦: ٢٩-٢٢.

(١٦٥) م.ن. ١٠ غ ٢٧: ٢٢-٢٣.

(١٦٦) م.ن. ١٠ غ ٢٧: ٢٥-٣١.

وفي المراكز المهمة:

- يونانان عم الملك، وهو رجل خبير وفتيه، واحتوّل^(١٦٧) وحوشاي الاركي، صديق الملك، ويوياداع بن بنايا وأبياتار: مستشارو الملك.
- يحيئيل بن حكموني: مستشار ابناء الملك.
- يوتاب بن صروية: قائد الجيش^(١٦٨).

ابطال الحرب الاسرائيليون في عهد داود:

عدّ العهد القديم، من ابطال الحرب الاسرائيليين، في عهد داود، سبعة وثلاثين بطلا، وألصق بهم صفات بالغ فيها حتى جاوزت حد الاساطير واصبحت غير قابلة للتصديق، وفيما يلي اسماء هؤلاء «الابطال» ونماذج من أعمالهم «الخارقة»:

- ١- إشبعيل الحكموني (عدينو العَصْنِي)، وهو رئيس الثلاثة الذين كانوا مع داود، وقد قام على ثمانماية من اعدائه «فقتلهم بمرة واحدة».
- ٢- العازار بن دودو (الأحوي)، قاتل جيشا من الفلسطينيين، وكان قومه قد هزموا امامهم، فضربهم بالسيف حتى «كثت يده ولصقت بالسيف» وانتصر عليهم.
- ٣- شمة بن آجيء الهاراري: قاتل جيشا من الفلسطينيين الذين اجتمعوا قبالة الاسرائيليين، في حقل عدس، فهُزم الاسرائيليون امامهم، عندها وقف هذا «في وسط الحقل... وضرب الفلسطينيين» وهزمهم.
- ٤- أبيشاي بن صروية (ابن اخوت داود واخو يوتاب)، وهو رئيس الثلاثة، ولكنه لم يبلغ مرتبة الثلاثة الاولين، «أشرع رمحه على ثلاثمئة وقتلهم».
- ٥- بنايا بن يوياداع، كان له اسم بين الثلاثة الاولين، الا انه لم يبلغ مرتبتهم وان كان اشهر الثلاثة. وقد قتل «بطلي مؤاب» كما قتل اسدا «في وسط جب يوم تلج».

(١٦٧) ظل احتوّل مستشارا لداود في اورشليم حتى غادرها بعد تمرد ابنته ابشالوم، فبقي احتوّل فيها والتحق بابشالوم مستشارا له، الا ان تخلي ابشالوم عن مشورته التي نصحه فيها بمطالبة ابيه فورا وعمله بمشورة حوشاي الاركي - كما سبق ان مر معنا - جعله يغادر اورشليم الى بلدته ويقدم على الانتحار (٢: ١٧-٢٢).

(١٦٨) العهد القديم، ١١: ٢٧-٢٢-٢٤.

٦- عسائيل اخو يوأب، وهو من الثلاثين.

٧- الحانان بن دودو، من بيت لحم.

٨ و٩- شمة الحرودي واليقا الحرودي.

١٠ و١١- حالص الفلطي وعيرا بن عقيش النقوعي.

١٢ و١٣- أبيعازر العناتوتي وسبكاي الحوشي.

١٤ و١٥- صلكون الاحومي ومهراي النطوفي.

١٦ و١٧- هالب بن بعنة النطوفي واتاي بن ريباي «من جبع بني بنيامين».

١٨ و١٩- بنايا الفرعتوني وهذاي «من اودية جاعش».

٢٠ و٢١- أبيعلبون العربتي وعزموت البرحومي.

٢٢ و٢٣ و٢٤- أليحبا الشعلبوني وياشين الجوني.

٢٥ و٢٦- يوناثان بن شمة الهراري وأحيام بن شارار الاراري.

٢٧ و٢٨- أليفالط بن أحسبائي (بن المعكي)، واليعام بن أحيثوفل الجيلوني.

٢٩ و٣٠- حصراي الكرملني وقعراي الاربي.

٣١ و٣٢- بجال بن ناتان (من صوبة) وباني الجادي.

٣٣ و٣٤- هالقي العموني ونعراي الليثيوتي (حامل سلاح يوأب).

٣٥ و٣٦- عيرا البتري وجاريب البتري.

٣٧- أوريا الحثي^(١٦٩).

الا ان العهد القديم يقدم لنا، في سفر آخر، اللائحة نفسها تقريبا، مضافا اليها أسماء أخرى لم يرد ذكرها في هذه اللائحة^(١٧٠).

(١٦٩) م.ن.م. ٢٠ ص ٢٢: ٨-٣٩.

(١٧٠) م.ن.م. ١١ الخ ١١: ١١-٤٧.

احصاء بني اسرائيل في اواخر عهد داود:

أمر الملك داود قائد جيشه يوأب ان يطوف في «جميع اسباط بني اسرائيل، من دان الى بئر سبع» لكي يحصي عددهم، فأصطحب يوأب معه قادة الجيش، «فعبروا الأردن وبدأوا بعرو غير... في وسط وادي جاد جهة يعزير، وأتوا الى جلعاد... ثم أتوا الى دان... وما حولها نحو صيدون. ثم أتوا الى حصن صور وجميع مدن الحويين والكنعانيين، ثم ذهبوا الى نقب يهوذا الى بئر سبع»^(١٧١). وعادوا بعد «تسعة اشهر وعشرين يوماً» وكان عدد ما أحصاه داود وقادة جيشه، في هذه الجولة، من جميع اسباط بني اسرائيل، مليوناً وثلاثمائة ألف رجل «محارب مستل سيف»: ثمانمائة ألف رجل من اسرائيل وخمسمائة ألف من يهوذا^(١٧٢). ويذكر العهد القديم ان الرب ارسل بعد ذلك، وفي عهد داود، وباء في اسرائيل «فمات من الشعب ومن دان وبئر سبع، سبعون ألف رجل»^(١٧٣)، فيكون عدد القادرين على حمل السلاح قد أضحى، بعد هذا الوباء: مليوناً ومئتين وثلاثين ألف رجل (او مليوناً وثلاثمائة ألف نسمة، اذا اخذنا بالحسبان ما ورد في سفر الاخبار الاول، راجع الحاشية ١٧٢).

داود وصناعة السلاح:

لم يقدم لنا العهد القديم شيئاً في هذا المجال، الا ان القرآن الكريم خصّ داود بآيات، مظهراً فضل الله عز وجل عليه في تعليمه استخدام الحديد لصنع الدروع والأسلحة، وهو أمر كان، قبل داود، حكراً على الفلسطينيين في ارض كنعان، كما سبق ان بينّا، فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ فَضْلًا، يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ، وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ...﴾ (سبا ٢٤ / ١٠ و ١١). ويبدو ان داود كان اول من صنع

(١٧٠) م.ن. ١١: ١١-٤٧.

(١٧١) م.ن. ٢: ٢٤-٧.

(١٧٢) م.ن. ٢: ٢٤-٩٨. وقد ورد في موضع آخر من العهد القديم، ان يوأب أحصى مليوناً وخمسمائة وسبعين ألف رجل، مستل سيفه منهم: مليون ومئة ألف رجل من اسرائيل وأريعمالية وسبعون ألف رجل من يهوذا، هذا باستثناء اللاويين والبنياميين (العهد القديم، ١١: ٢١-٦٥). الا اننا اعتبرنا ان السبعين الفا الذين زادوا في هذا الاحصاء هم اولئك الذين ماتوا بالطاعون في عهد داود (انظر: م.ن. ٢: ٢٤: ١٥).

(١٧٣) م.ن. ٢: ٢٤-١٥.

الدروع، اذ كانت صفائح، فكان اول من سردها وحلقها، اي جعلها حلقات (قتادة، في القرطبي)، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ، وَالطَّيْرَ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ؟ (الانبياء ٧٩ و ٨٠)، واللبوس هي الدرع، لانها تلبس. ولتحصنكم من باسكم: اي لتحميمكم في حروبكم مع اعدائكم، والباس هنا بمعنى الحرب او آلة الحرب، بعد حذف المضاف: آلة باسكم (القرطبي) (١٧٤).

وقد سبق ان رأينا، في سياق البحث، ان السيوف لم تكن الا سلاح القادة في جيش اسرائيل (كما في عهد شاول) وان باقي الجيش كان مسلحا بالقسى والسهام والتروس والرماح والمقلاع (كشأن داود مع جليات)، وان تعبير «مستلي سيف» الذي يرد، غالبا، في نصوص العهد القديم، في سياق وصفه للمقاتلين من بني اسرائيل، لم يكن اكثر من نعت مجازي للدلالة على مقدرتهم وبأسهم في الحروب.

فهل يعقل، والحالة هذه، ان يجتاح العبرانيون ارض كنعان ويتغلبوا على شعوبها ويمتلكوا بلادا ومدنا يدمرونها ويفتكون بأهلها، وينتصروا على جيوش جرارة تاركين خلفهم، في معاركهم معها، اعدادا هائلة من القتلى، وهم غير مسلحين بأسلحة حديدية كالسيوف مثلا؟ وان يكونوا قد انتظروا مجيء داود ليعلمهم استخدام الحديد وصناعة الدروع والأسلحة؟

موت داود ومقتل قائد جيشه يوب:

لما شعر داود بدنو اجله، دعا اليه ابنه سليمان وعهد اليه بالملك وأوصاه بالاقتصاص من قائد جيشه يوب لما صنعه به «وبقائدي جيوش اسرائيل: أبنيير بن نير وعماسا بن ياتر، اذ انه قتلها وسفك دماء الحرب في السلم» (١٧٥)، ثم توفي بعد ان كان قد ملك اربعين سنة: سبع سنين منها بحبرون والباقي بأورشليم (١٧٦). وما ان تسلم سليمان الملك حتى

(١٧٤) سويد، ياسين، الفن العسكري الاسلامي، اصوله ومصادره، ص ٢٩. وقد سبق ان اوردنا هذه الآيات، مع تفسيرها، في الفصل الخامس من الباب الأول، فارجع اليه.

(١٧٥) العهد القديم، ١ مل ٢: ٥-٦.

(١٧٦) م. ن. ١ مل ٢: ١١.

بادر الى تنفيذ وصية ابيه فأمر بقتل يوأب قائد الجيش «لأنه ضرب رجلين أبر وخيراً منه، وقتلها بالسيف على غير علم من داود ابيه، وهما أبنيير بن نير قائد جيش اسرائيل وعماسا بن ياتر قائد جيش يهوذا»^(١٧٧). واللافت ان داود لم يوص يوأب بسبب قتله لابنه ابشالوم في معركة «غابة افرائيم» رغم انه اوصاه وأوصى جنده رفقا بابشالوم. وكلف سليمان «بنايا بن يوياداع» تنفيذ عملية الاعدام هذه، فبطش بنايا بيوأب و«قتله ودفن في بيته في البرية. واقام للملك (سليمان) بنايا بن يوياداع مكانه على رأس الجيش»^(١٧٨). وكان حين تسلم سليمان الملك، قد مضى على خروج العبرانيين من مصر أربعماية وستة وسبعون (٤٧٦) عاماً^(١٧٩).

انقسام مملكة سليمان وقيام مملكتي يهوذا واسرائيل:

استقر الحكم للعبرانيين في ارض كنعان بعد ان استطاعوا القضاء على مقاومة الشعوب، اصحاب الارض، لهم، ولا سيما الفلسطينيين الذين ظلوا على نزاع مستمر معهم طيلة عهدي القضاة والملوك، الى آخر عهد الملك داود.

وتفرغ سليمان، منذ ان تسلم الحكم من ابيه، للبناء والاعمار، فكان اهم ما قام به بناء بيت الرب المسمى «هيكل سليمان» وبيت الملك، في اورشليم. وتوفي سليمان بعد ان حكم أربعين عاماً^(١٨٠).

ويبدو ان هروبا ذات اهمية لم تقع في عهد سليمان، ولكن أخطر ما حدث لمملكته بعد وفاته أنها انقسمت الى مملكتين: مملكة يهوذا، ومملكة اسرائيل.

- مملكة يهوذا، وفيها سبطا يهوذا وبنيامين (ثم انضم اليهم السواد الأعظم من اللاويين). وقد حكمها «رحبعام بن سليمان» وجعل «اورشليم» عاصمة لملكه.

(١٧٧) م.ن. ١. مل ٢: ٢٢.

(١٧٨) م.ن. ١. مل ٢: ٢٤: ٢٥.

(١٧٩) م.ن. ١. مل ٦: ١.

(١٨٠) م.ن. ١. مل ١١: ٤٢.

— مملكة اسرائيل، وفيها الاسباط العشرة للباقيون من بني اسرائيل، وقد حكمها «ياربعام بن نباط»^(١٨١)، وكان قد تمرد على الملك سليمان ثم فر من وجهه الى مصر حيث احتضنه ملكها «شيشاق»، وما ان توفي سليمان حتى عاد ياربعام الى «شكيم» (نابلس) فجعلها عاصمة لملكه بعد انقسام مملكة سليمان، وأبقى على تحالفه مع ملك مصر، وقُلت مصر في عبادة الأصنام فصنع عجلين من ذهب جعل احدهما في «بيت ايل» والثاني في «دان»، ودعا شعبه لعبادتهما^(١٨٢).

(١٨١) م. ن. ١ مل ١٢: ٢٩. ويذكر «ماروني» تاريخ الانقسام في العام ٩٢١ ق. م. Altamni, Op. Cit. P. 90 ويذكره بريتشارد في العام نفسه (Pritchard, Op. Cit. P. 104) ويبدو ان مملكة الشمال كان اسمها، في البدء، أفرائيم، وكانت (شكيم) عاصمتها، الا انها اتخذت، بعد ذلك، وفي عهد الملك عمري، اسم (اسرائيل) ولصيحت (السامرة) عاصمتها، ولكن العهد القديم، يدعوها، في مطلق الاحوال، (اسرائيل) (Barnavi, Op. Cit. P. 20)

(١٨٢) العهد القديم، ١ مل ١٢: ٢٩.

... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...

... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...
... the ... of the ...

الباب الثالث

حروب المملكتين

الفصل الأول: الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل.

الفصل الثاني: الحروب بين المملكتين واهل البلاد.

الفصل الأول

الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل

رغبة في تسهيل قراءة الأحداث التي جرت في المملكتين اليهوديتين، رأينا ان نحاول وضع جدول باسماء الملوك الذين حكموا كلا منهما، مع مدة حكم كل ملك والسنة التي بدأ ملكه فيها، وذلك من خلال ما ورد في سفري الملوك الاول والثاني، وفقا لما يلي:

الجدول الأول: وهو جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل وفقا لما ورد في العهد القديم، (سفري الملوك الاول والثاني). وقد وضعنا هذا الجدول استنادا الى العهد القديم وحسبناه بالطريقة التالية:

- تحديد تاريخ موت سليمان وانقسام المملكة: وجدنا اسانيد متباينة في هذا المجال منها:

١- الدبس، تاريخ سوريا، ج٢ ص ٤٨٩: يذكر الدبس، نقلاً عن المؤرخ «باتو»، ان حكم ياربعام الاول (ملك اسرائيل) بدأ عام ٩٧٥ ق. م. وكذلك ما نقله عن المؤرخ «وينر»، أما ما نقله عن المؤرخ «كلينتون»، فهو ان حكم ياربعام بدأ عام ٩٧٦ ق. م. وياربعام هو أول ملك لاسرائيل بعد موت سليمان وانقسام المملكة. وقد استبعدنا هذه الآراء لعدم اتفاقها مع آراء معظم الباحثين.

٢- موسوعة «كيبه Quillet» الفرنسية: وقد جاء فيها ان الملك سليمان مات عام ٩٢٥ ق. م.

٣- الباحث اليهودي «آهاروني Aharoni» وفريق من الباحثين، في كتابهم: «أطلس مكميلان للتوراة The Macmillan Bible Atlas»، ص ٩٠ حيث ورد أن المملكة العبرية انقسمت عام ٩٢٨ ق.م.

٤- الباحث اليهودي «إيلي برنافي E. Barnavi» وفريق من الباحثين، في كتابهم «التاريخ العالمي لليهود، Histoire universelle des Juifs» ص ١٧، حيث ورد أن الملك سليمان مات عام ٩٢٨ ق.م.

٥- الباحث «برنارد ويلر فال B. Willerval» وفريق من الباحثين، في كتابهم «التسلسل المصور لأحداث التاريخ العالمي Chronologie illustrée de L'histoire universelle» ص ٤٠، حيث ورد أن الملك سليمان مات عام ٩٢١ ق.م.

٦- موسوعة «دائرة المعارف البريطانية The New Encyclopedia Britannica» ج ٢٥: ٤٠٦، وقد جاء فيها أن مُلْك سليمان بدأ في منتصف القرن العاشر ق.م. دون تحديد العام الذي بدأ فيه هذا المُلك أو انتهى به.

٧- الموسوعة العالمية Encyclopaedia universalis، وقد جاء فيها أن الملك سليمان مات عام ٩٣٠ ق.م.

٨- العهد القديم، الطبعة الفرنسية La Sainte Bible, ancien et nouveau testaments وقد ورد في ص ٣٨٦ من العهد الجديد "nouveau testament, P. 386" أن انقسام المملكة العبرية كان عام ٩٢٢ ق.م.

أمام هذه التواريخ المتباينة في تاريخ موت سليمان وانقسام مملكته، كان علينا أن نختار تاريخاً محدداً لنبدأ منه الجدول الذي نعدّه، وقد اخترنا العام ٩٢٠ ق.م.

ولقد كان من الممكن أن نضع هذا الجدول دون تحديد السنوات لبداية حكم كل ملك وانتهائه، كما فعل العديد من الباحثين في هذا المجال، إلا أننا آثرنا تحديد هذه السنوات

لنبيين مدى ما يجده الباحث من صعوبة، بل استحالة، في نقل ما ورد في العهد القديم الى
حيث الواقع، والى صعوبة، بل استحالة، اعتماد العهد القديم كمستند علمي صحيح
وموثوق لكتابة التاريخ، كما سيقين لنا من الجدول المرفق.

(١) الجدول الأول

محاولة لوضع جدول يبين الفترة الزمنية لحكم كل من الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفر الملوك الأول والثاني) (١)

١- مملكة يهوذا (اورشليم)

اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس:		المستند
			١- مدة ملكه	٢- بدء حكم ملك اسرائيل	
- رحبعام بن سليمان - ابيا او (ابيام) بن رحبعام - آسا بن ابيا (او ابيام)	- بعد موت سليمان مباشرة - في السنة ١٨ لملك ياربعام باسرائيل. - في السنة ٢٠ لملك ياربعام باسرائيل	١٧ سنة ٣ سنوات ٤١ سنة	٩١٤-٩٢٠ ٩١٢-٩١٤ ٨٧٢-٩١٢	٩١١-٩١٣ ٨٧١-٩١١	١ مل ١: ١٤ و ٢١ ١ مل ١٥: ١ و ٢ ١ مل ١٥: ١ و ١٠
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
يوشافاط بن آسا	في السنة الرابعة لملك آحاب باسرائيل	٢٥ سنة	٨٤٨-٨٧٢	٨٤٧-٨٧١	١ مل ٢٢: ٤١ و ٤٢
=	=	=	=	=	=
=	=	=	=	=	=
يورام بن يوشافاط	في السنة الخامسة لملك يورام باسرائيل	٨ سنوات	٨٤١-٨٤٨	٨٤١-٨٤٨	٢ مل ٨: ١٦ و ١٧
أحزيا بن يورام	في السنة ١٢ لملك يورام باسرائيل (٤)	سنة واحدة	٨٤٠-٨٤١	٨٤٠-٨٤١	٢ مل ٨: ٢٥ و ٢٦ و ٢ مل ٩: ٢٩
عزكيا ماحزيا	بعد مقتل لينها ماحزيا	٧ سنوات	٨٢٤-٨٤٠	٨٢٤-٨٤٠	٢ مل ١١ و ١٠ و ٢٠

الجدول الأول (ب)

محاولة لوضع جدول يبين الفترة الزمنية لحكم كل من الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل

(المستند: العهد القديم، سفر الملوك الأول والثاني)^(١)

ب - مملكة اسرائيل (السامرة) لوقرصة او شكيم او يزرعيل					
المستند	تاريخ ملكه، محسوباً على أساس:		مدة ملكه	السنة التي بدأ ملكه فيها	اسم الملك
	٢ - بدء حكم ملك يهوذا	١ - مدة ملكه			
١ مل ١٤: ٢٠	—	٩٠٩-٩٣٠	٢٢ سنة	بعد موت سليمان مباشرة (٧)	ياربعام بن نباط الافرائيمي
١ مل ١٥: ٢٥	٩١٠-٩١١	٩٠٨-٩٠٩	سنتان	في السنة الثانية لملك آسا ببهودا	ناداب بن ياربعام
١ مل ١٥: ٢٣	٨٨٧-٩١٠	٨٨٥-٩٠٨	٢٤ سنة	في السنة الثالثة لملك آسا ببهودا	بعشا بن أحيا
١ مل ١٦: ٨	٨٨٦-٨٨٧	٨٨٤-٨٨٥	سنتان	في السنة ٢٦ لملك آسا ببهودا في السنة ٢٧ لملك آسا ببهودا	إيلة بن بعشا
١ مل ١٥: ١٥	٨٨٦-٨٨٦	٨٨٤-٨٨٤	٧ أيام		زمرى (عبد إيلة) عُمرى (قائد الجيش)
١ مل ١٦: ٢٢ و ٢٣	٨٨٦-٨٨٦	٨٨٠-٨٨٤	٥ سنوات	في السنة ٢٧ لملك آسا ببهودا في السنة ٣١ لملك آسا ببهودا	وَقْدَنِي بن جينث
١ مل ١٦: ٢٣	٨٧٦-٨٨٢	٨٧٤-٨٨٠	٧ سنوات		عُمرى (٣)
١ مل ١٦: ٢٩	٨٥٤-٨٧٥	٨٥٢-٨٧٤	٢٢ سنة	في السنة ٢٨ لملك آسا ببهودا في السنة ٣٦ لملك آسا ببهودا	أحاب بن عمري
—	—	—	—		"
—	—	—	—	في السنة ٣٨ لملك آسا ببهودا —	"
١ مل ٢٢: ٥٢	٨٥٥-٨٥٦	٨٥٣-٨٥٣	سنتان		أخزيا بن أحاب
٢ مل ١: ١٠	٨٤٤-٨٥٥	٨٤٦-٨٥٢	١٢ سنة	في السنة ١٧ لملك يوشافاط ببهودا	يورام بن أحاب
—	—	—	—	في السنة ١٨ لملك يوشافاط ببهودا	"
٢ مل ١: ٢٦	٨١٧-٨٤٤	٨١٤-٨٤١	٢٨ سنة	— بعد قتله ليورام بن أحاب	باصو بن يوشافاط بن نمشي (قائد الجيش)

الجدول الأول (تابع)

محاولة لوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفر الملوك الأول والثاني)

أ - مملكة يهوذا (أورشليم)					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوباً على أساس:		المستند
			١ - مدة ملكه	٢ - بدء حكم ملك اسرائيل	
يواش بن أحرزيا =	في السنة ٧ لملك ياهو باسرائيل	٤٠ سنة	٧٩٥-٨٢٤	٧٩٦-٨٢٥	٢ مل ١: ١٢
امصيا بن يواش =	في السنة الثانية لملك يواش باسرائيل	٢٩ سنة	٧٦٧-٧٩٥	٧٦٩-٧٩٦	٢ مل ١٤-١٥ او ٢
عزريا (عزيا) بن امصيا =	في السنة ٢٧ لملك ياربعام باسرائيل (٥)	٥٢ سنة	٧١٦-٧٦٧	٧٠٦-٧٥٧	٢ مل ١٥ او ٢
=					
=					
=					
=					
يوثام بن عزريا أهاز بن يوثام =	في السنة ٢ لملك فالح باسرائيل في السنة ١٧ لملك فالح باسرائيل	١٦ سنة ١٦ سنة	٧١٦-٧٠١ (٧) ٦٨٦-٧٠١	٧١٧-٧٢٢ ٧٠٢-٧١٧	٢ مل ٢٣ و ٢٢ ٢ مل ١٦ او ٢
حزقيا بن أهاز*	في السنة ٢ لملك عوشع باسرائيل	٢٩ سنة	٦٥٨-٦٨٦	٦٨٤-٧١٢	٢ مل ١٨ او ٢
منسي بن حزقيا		٥٥ سنة	٦٠٤-٦٥٨	٦٢٠-٦٨٤	٢ مل ٢١
أمون بن منسي		سنتين	٦٠٤-٦٠٢	٦٢٠-٦٢٠	٢ مل ٢١
يوشيا بن أمون		٣١ سنة	٥٧٢-٦٠٢	٥٩٩-٦٢٩	٢ مل ٢٢
يوأهاز بن يوشيا		٢٣ شهر	٥٧٢-٥٧٢	٥٩٩-٥٩٩	٢ مل ٢٣

الجدول الأول (تابع)

محاولة اوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفر الملوك الأول والثاني)

ب - مملكة اسرائيل (السامرة) او ترصة او شكيم او زرعيل					
المستند	تاريخ ملكه، محسوبا على أساس:		مدة ملكه	السنة التي بدأ ملكه فيها	اسم الملك
	٢ - بدء حكم ملك يهوذا	١ - مدة ملكه			
٢ مل ١٠: ٣٦	٨١٧-٨٤٤	٨١٤-٨٤١	٢٨ سنة	بعد فتحه لهورام بن أحاب	ياهو بن يوشافاط (قلد الجيش)
٢ مل ١٠: ١٢	٧٩٦-٨١٢	٧٩٨-٨١٤	١٧ سنة	في السنة ٢٣ لملك يواش بيهوذا	يوأحاز بن ياهو
٢ مل ١٠: ١٣	٧٨٣-٧٩٨	٧٨٣-٧٩٨	١٦ سنة	في السنة ٣٧ لملك يواش بيهوذا	يوأش بن يواحاز =
٢ مل ١٤: ٢٣	٧٤١-٧٨١	٧٤٣-٧٨٢	٤١ سنة	في السنة ١٥ لملك أمصيا بيهوذا	ياربعام بن يواش (الثاني) =
٢ مل ١٥: ٨	٧٢٠-٧٣٠	٧٤٣-٧٤٣	٦ اشهر		زكريا بن ياربعام
٢ مل ١٥: ١٣	٧٢٩-٧٢٩	٧٤٣-٧٤٣	شهر واحد	في السنة ٣٨ لملك عزريا بيهوذا	شلوم بن يابوش (٦)
٢ مل ١٥: ١٧	٧٢٠-٧٢٩	٧٢٤-٧٤٣	١٠ سنوات	في السنة ٣٩ لملك عزريا بيهوذا	منحيم بن جادي
٢ مل ١٥: ٢٣	٧١٧-٧١٨	٧٢٣-٧٢٤	سنتان	في السنة ٣٩ لملك عزريا بيهوذا في السنة ٥٠ لملك عزريا بيهوذا (٧)	فقحيا بن منحيم
٢ مل ١٥: ٢٧	٦٩٧-٧١٦	٧١٤-٧٢٣	٢٠ سنة	في السنة ٥٢ لملك عزريا بيهوذا	فاحش بن رمليا =
٢ مل ١٧: ١٧ (أ)	٦٨١-٦٩٠		٩ سنوات		موشع بن ايلة

(٥) «وفي السنة السادسة لحزقيا (ملك يهوذا) التي هي السنة التاسعة لهوشع ملك اسرائيل، استولى (شلمنصر، ملك آشور) على السامرة، وجلا ملك آشور اسرائيل إلى آشور، وأسكنه في حلاج وعلى الخابور. شهر جوزان، وفي مدن ميديا، (٢ مل ١٧: ١١ و ١٨).

الجدول الأول (تابع)

محاولة لوضع جدول يبين الملوك الذين حكموا مملكتي يهوذا واسرائيل
(المستند: العهد القديم، سفر الملوك الأول والثاني)

١- مملكة يهوذا (اورشليم)					
اسم الملك	السنة التي بدأ ملكه فيها	مدة ملكه	تاريخ ملكه، محسوبا على اساس:		المستند
			١- مدة ملكه	٢- بدء حكم ملك اسرائيل	
الباقيم (او يواقيم) بن يوشيا	_____	١١ سنة	٥٦٣-٥٧٣	٥٨٩-٥٩٩	٢ مل ٢٣: ٣٦ و ٢٤
يوياكين بن يواقيم	_____	٢ الشهر	٥٦٣-٥٦٣	٥٨٩-٥٨٩	٢ مل ٢٤: ٨
مثنيا (صدقيّا) عم يواقيم (٥٥)	_____	١١ سنة	٥٥٢-٥٦٣	٥٧٩-٥٨٩	٢ مل ٢٤: ١٧ و ١٨
جدليا بن احيقام بن شافان (٥٥٥)	_____	١٧ شهر	٥٥٢-٥٥٣ ^(١)	٥٧٩-٥٧٩	٢ مل ٢٤: ٢٥ و ٢٥ ^(١٠)

(٥٥) وفي السنة التاسعة لملكه... (صدقيّا) زحف نبوكد نصر ملك بابل، هو وجميع جيوشه، على اورشليم، وعسكر عندها وبني حولها تحصينات. فصارت المدينة تحت الحصار الى السنة الحادية عشرة لملك صدقيّا، (٢ مل ٢٥ او ٢٦). ثم احرق (نبوكد نصر) بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت اورشليم..... (٢ مل ٢٥: ٩).

(٥٥٥) «واما من بقي من الشعب في ارض يهوذا، ممن ابقاهم نبوكد نصر، ملك بابل، فولى عليهم جدليا بن احيقام بن شافان» (٢ مل ٢٥: ٢٢).

هوامش الجدول الأول:

(١) - اعتمدنا، في تاريخ فترة حكم كل ملك، القاعدة التالية:

١ - على أساس مدة ملكه: حساب سنوات الحكم لكل ملك، ناقص واحد (السنة الأخيرة) التي ظلت مشتركة بينه وبين الملك الذي خلفه، حيث دخلت هذه السنة في حساب الأخير، مثلاً:

- حكم الملك أبيّا بن رحبعام (يهوذا)، بعد أبيه رحبعام، مدة ٢ سنوات. وبما أننا قدرنا أن حكم أبيه قد انتهى عام ٩١٤ (حكم ١٧ سنة من تاريخ ٩٣٠ ق.م. حتى تاريخ ٩١٤ ق.م. أي: ٩٣٠ - ١٧) = ٩١٤، فإن حكمه يكون قد بدأ عام ٩١٤ ق.م. وانتهى عام ٩١٢ ق.م. (أي: ٩١٤ - ١٣) = ٩١٢ ق.م. وهكذا إلى آخر ملوك يهوذا (أو إسرائيل).

٢ - على أساس بدء حكم قرينه في مملكة إسرائيل (أو يهوذا): حساب سنوات الحكم لكل ملك (من يهوذا) وفقاً للسنة التي بدأ فيها حكمه بالنسبة إلى قرينه في المملكة الأخرى (إسرائيل) ناقص واحد، حيث ظلت السنة الأخيرة مشتركة بينه وبين الملك الذي يليه، ودخلت في حساب الأخير، مثلاً:

- بدأ حكم الملك أبيّا بن رحبعام (يهوذا) في السنة ١٨ من حكم ياربعام بإسرائيل، وبما أن حكم ياربعام بدأ عام ٩٢٠ ق.م.، فإن حكم أبيّا بدأ عام: ٩٢٠ - ١٨ = ٩١٢ ق.م. وانتهى في العام ٢٠ من حكم ياربعام، أي عام ٩١٣ (١ - ٢) = ٩١١ ق.م. وهكذا إلى آخر ملوك يهوذا، ويعاد الأمر نفسه لملوك إسرائيل بالنسبة إلى حكم ملوك يهوذا.

وقد تبين لنا، من خلال هذه العملية الحسابية الصحيحة، في رأينا، أنه يستحيل التوفيق، أو المطابقة، بين سنوات الحكم لكل ملك (من المملكتين) على أساس مدة ملكه، وبين سنوات حكمه على أساس بدء حكم قرينه في المملكة الأخرى، وهكذا نجد أن حكم أبيّا (في يهوذا) بدأ عام ٩١٤ ق.م. على الأساس الأول وعام ٩١٣ ق.م. على الأساس الثاني، وهكذا بالنسبة إلى سائر ملوك يهوذا (وإسرائيل)، كما يظهر واضحاً في الجدول. وتظهر الفروقات كبيرة وواضحة بين سنوات الحكم لباقي الملوك في الجدول كذلك، مما يؤكد لنا عدم محاولة التوفيق بين هذين الأساسين في أية عملية حسابية كما يؤكد لنا عدم إمكان اعتماد مرويات العهد القديم (في هذا المجال على الأقل) أساساً صالحاً لحساب التاريخ الصحيح لحكم كل ملك من ملوك يهوذا وإسرائيل، ويظل الأمر، في نظرنا، تقديراً يعتمد على الحس والمنطق فقط.

(٢) - يبدو أن ياربعام قد أعلن رغبته في الاستيلاء على الملك قبل موت سليمان بفترة وجيزة، مما أدى إلى مطاردته من قبل سليمان إذ تراءى له النبي (أحيا الشيلوني) وبشره بأن مملكة سليمان سوف

تنقسم على نفسها وانه سيكون ملكا على اسرائيل (١ مل ١١: ٢٦-٢٢)، فأعلن رغبته في الاستيلاء على الملك، وكان سليمان لا يزال على عرش مملكته هو والتمس سليمان قتل ياربعام، فقام وهرب الى مصر، الى شيشاق، ملك مصر، ومكث في مصر الى وفاة سليمان (١ مل ١١: ٤٠).

(٢) - جاء في العهد القديم، بعد موت زمري: حينئذ انقسم شعب اسرائيل شطرين: شطر من الشعب تبع تبني بن جينت ليقيمه ملكا، والشطرا الآخر تبع عمري. وقوي الشعب الذي مع عمري على الشعب الذي مع تبني بن جينت فمات تبني وملك عمري. في السنة الحادية والثلاثين لآسا، ملك يهوذا، ملك عمري على اسرائيل اثنتي عشرة سنة. ملك في ترصة ست سنين (١ مل ١٦: ٢١-٢٢)، فيكون عمري قد ملك، بالأشتراك مع تبني خمس سنوات، من عام ٢٧ حتى عام ٣١ لملك آسا، ملك يهوذا، ثم ملك لوحده سبع سنوات، من عام ٣١ حتى عام ٣٨ لملك آسا، حيث ملك آحاب ابنه، بعد ذلك. فيكون مجموع ملك عمري: ١٢ سنة منها ٦ سنوات بترصة والباقي بالسامرة.

(٤) - ورد في العهد القديم (٢ مل ٨: ٢٥) انه في السنة الثانية عشرة ليورام بن آحاب ملك اسرائيل، ملك أحمزيا بن يورام على يهوذا، ثم ورد في الكتاب نفسه (٢ مل ٩: ٢٩) انه في السنة الحادية عشرة ليورام بن آحاب كان أحمزيا قد ملك على يهوذا.

(٥) - يبدو ان التطابق في سنوات الملك بين زكريا بن ياربعام وعزريا بن أمصيا غير ممكن وفقا لما ورد في العهد القديم. فقد ورد ان زكريا تسلم الملك في اسرائيل في السنة ٢٨ لملك عزريا بيهوذا، وان عزريا تسلم الملك في يهوذا في السنة ٢٧ لملك ياربعام الثاني بن يواش باسرائيل، فاذا حاولنا تطبيق ذلك على ما حصلنا عليه من حساب السنوات كما هو وارد في الجدول يتبين لنا ما يلي:

- بدأ ملك زكريا بن ياربعام عام ٧٤٢ ق.م. (وفقا للجدول)، ولكن اذا حسبنا سنة بدئه الملك بالنسبة الى ملك عزريا، ملك يهوذا، نجد انه بدأ ملكه عام ٧٣٠ ق.م. أي بفارق ١٢ عاما عن الرقم الوارد في الجدول (وقد وجد بريتشارد حلا لهذه المشكلة في جدولته الوارد في ص ٢٠ من كتابه «أطلس العالم التوراتي» Atlas du monde biblique، بأن حسب مدة حكم ياربعام الثاني ٢٩ سنة وليس ٤١ سنة كما ورد في العهد القديم).

- بدأ ملك عزريا عام ٧٦٧ ق.م. (وفقا للجدول)، ولكن اذا حسبنا سنة بدئه الملك بالنسبة لملك ياربعام ملك اسرائيل نجد انه بدأ ملكه عام ٧٥٧ ق.م. أي بفارق عشر سنوات عن الرقم الوارد في الجدول.

(٦) - ورد في العهد القديم ان ملك منحميم بن جادي (اسرائيل) بدأ عام ٢٩ لملك عزريا بن أمصيا

(يهوذا) وانتهى عام ٥٠ لمُلك عزريا، وقد حكم منحيم عشرة أعوام. فإذا حسبنا المدة الواقعة بين (٣٩ و ٥٠) نجد أنها تبلغ ١٢ عاما، مع حساب العامين، الأول والآخر (٣٩ و ٥٠).

(٧) - ورد في العهد القديم ان مُلك يوتام بن عزريا (يهوذا) بدأ عام ٢ لمُلك فاقح ابن رمليا (اسرائيل) وانتهى عام ١٧ لمُلك فاقح. وقد حكم ١٦ عاما. فإذا حسبنا المدة الواقعة بين ٢ و ١٧ نجد أنها لا تتجاوز الـ ١٥ عاما رغم حساب العامين ٢ و ١٧. كما أنه، وفقا لما ورد في العهد القديم (٢ مل ١٥: ٢٢ و ٢٣)، يجب ان يكون حكم يوتام قد بدأ عام ٧٢٦ ق.م. وليس عام ٧١٦ ق.م. أي بفارق عشرة أعوام، والا فان الملكين لا يلتقيان في فترة زمنية واحدة. الا اننا نجد، في العهد القديم، (٢ مل ١٥: ٢٠) ان هوشع بن ايلة (ملك اسرائيل) ملك مكان فاقح بن رمليا «في السنة العشرين ليوتام بن عزياه ملك يهوذا، ثم نجد، في مكان آخر من السفر نفسه (٢ مل ١٥: ٢٣) ان يوتام نفسه «ملك ست عشرة سنة» فقط. وقد اعتمدنا الرأي الأخير في جدولنا.

(٨) - ان مجموع سنوات الملك في اسرائيل، بحسب السفرين المذكورين اعلاه، هو ٢٥٢ سنة، فإذا حسبنا، من هذا المجموع، السنوات المشتركة بين الملوك والتي تبلغ ١٢ سنة، وحسبنا ايضا ٨ سنوات (في حال اعتبار السنة التي يتحدث عنها العهد القديم سنة قمرية)، يصبح مجموع سنوات الملك في اسرائيل ٢٣٢ سنة، فيكون انتهاء مملكة اسرائيل، وفقا لهذا الحساب، وهو عام ٦٩٨ ق.م. غير مطابق للتاريخ المتداول والمتعارف عليه لسقوط مملكة اسرائيل بيد شلمنصر وهو عام ٧٢١ ق.م.

(٩) - لا شك في ان التواريخ التي حصلنا عليها في آخر الجدول والتي تبين نهاية مملكة يهوذا (عام ٥٥٢ ق.م.) ونهاية مملكة اسرائيل (عام ٧٠٦ ق.م.) هي غير مطابقة للواقع، وذلك وفقا لرأي معظم الباحثين الذين يرون ان نهاية مملكة يهوذا كانت عام ٥٨٧ - ٥٨٦ ق.م. وان نهاية مملكة اسرائيل كانت عام ٧٢٢ - ٧٢١ ق.م.

(١٠) - ان مجموع سنوات الملك في يهوذا، بحسب سفر الملوك الأول والثاني، هو ٣٩٥ سنة. فإذا حسبنا، من هذا المجموع، السنوات المشتركة بين الملوك والتي تبلغ ١٦ سنة، وحسبنا ايضا ١٣ سنة (في حال اعتبار السنة التي يتحدث عنها العهد القديم سنة قمرية)، يصبح مجموع سنوات الملك بيهوذا ٣٦٦ سنة، فيكون انتهاء مملكة يهوذا، وفقا لهذا الحساب، وهو عام ٥٦٤ ق.م. غير مطابق للتاريخ المتداول والمتعارف عليه لسقوط اورشليم بيد نبوخذنصر (نبوكتنصر) (عام ٥٨٦ ق.م.).

الجدول الثاني: جدول يبين الملوك الذين حكموا في مملكتي يهوذا واسرائيل مع تبيان مدة ملك كل منهم وذلك وفقا للموسوعة العالمية "Encyclopaedia Universalis" (بحث كتبه: ج. ناهون).

مملكة اسرائيل (السامرة) (١)				مملكة يهوذا (اورشليم) (١)			
اسم الملك	تاريخ الملك	مدة الملك	العهدة بحسب العهد القديم	اسم الملك	تاريخ الملك	مدة الملك	العهدة بحسب العهد القديم
رحبعام	٩١٧-٩١٠	١٢ سنة	١٧ سنة	رحبعام	٩١٣-٩١٠	١٧ سنة	٢٢ سنة
ابيا	٩١٥-٩١٧	٢ سنتان	٢ سنوات	ابيا	٩١٣-٩١٠	٢ سنوات	٢ سنتان
اسا	٨٧٥-٩١٥	٤٠ سنة	٤١ سنة	اسا	٨٨٦-٩١٠	٢٤ سنة	٢٤ سنة
يوشافاط	٨٥٠-٨٧٥	٢٥ سنة	٢٥ سنة	يوشافاط	٨٨٥-٨٨٥	٢ سنتان	٢ سنتان
يورام	٨٤٤-٨٥٠	٦ سنوات	٨ سنوات	يورام	٨٨٥-٨٨٥	٧ شهور	٧ شهور
أحزيا	٨٤٢-٨٤٤	٢ سنتان	سنة واحدة	أحزيا	٨٨٥-٨٨٥	٩ سنوات	١٢ سنة
عثلها	٨٤٢-٨٣٦	٦ سنوات	٦ سنوات	عثلها	٨٧٦-٨٥٢	٢٤ سنة	٢٢ سنة
يواش	٧٩٧-٨٣٦	٢٩ سنة	٤٠ سنة	يواش	٨٥٢-٨٥٢	٢ سنتان	٢ سنتان
أمنسيا	٧٨٠-٧٩٧	١٨ سنة	٢٩ سنة	أمنسيا	٨٥٢-٨٤٢	١٠ سنوات	١٢ سنة
عزريا (الوعزيا)	٧٨٠-٧٤٠	٤٠ سنة	٥٢ سنة	عزريا (الوعزيا)	٨٤٢-٨١٢	١٩ سنة	٢٨ سنة
يوتام	٧٣٥-٧٤٠	٥ سنوات	١٦ سنة	يوتام	٨١٢-٨٠٠	١٤ سنة	١٧ سنة
أحاز	٧٢٢-٧٣٥	١٤ سنة	١٦ سنة	أحاز	٨٠٠-٧٨٥	١٥ سنة	١٦ سنة
حزقيا	٦٩٢-٧٢٢	٣٠ سنة	٢٩ سنة	حزقيا	٧٨٥-٧٤٤	٤٠ سنة	٤١ سنة
منسي	٦٤٢-٦٩٢	٥٠ سنة	٥٥ سنة	منسي	٧٤٤-٧٤٢	٢ شهور	٦ شهور
أمون	٦٤٢-٦٤٠	٢ سنتان	٢ سنتان	أمون	٧٤٢-٧٤٢	شهر واحد	شهر واحد
يوشيا	٦٤٠-٦٠٨	٣٢ سنة	٣١ سنة	يوشيا	٧٤٢-٧٣٦	٧ سنوات	١٠ سنوات
يوياقيم (يوياقيم)	٦٠٨-٦٠٨	٣ شهور	٣ شهور	يوياقيم (يوياقيم)	٧٣٦-٧٢٥	٢ سنتان	٢ سنتان
يوياكين	٥٩٨-٦٠٨	١١ سنة	١١ سنة	يوياكين	٧٢٥-٧٢٠	٦ سنوات	٢٠ سنة
	٥٩٨-٥٩٨	٣ شهور	٣ شهور		٧٢٠-٧٢٠	٨ سنوات	٩ سنوات

N. B. Encyclopaedia "Universalis" Vol. 9. PP. 527 - 528, article: Judaïsme, Histoire des Hebreux, Par G NAHON.

(١) قارنا بين مدة حكم كل ملك كما وردت في العهد القديم وكما وردت في الموسوعة.

ويثير ناهون، في بحثه، مسألة صحة التاريخ لاهداث ذلك العصر فيقول: «بداية، يثير التاريخ مشكلة، وعمليا، تأكد التاريخ بشيء من الدقة بدءا من العام الالف قبل الميلاد، أي في عهد سليمان (حيث نجد، لذلك، توافق آشورية ومصرية). وقد بنى سليمان المعبد، بحسب سفر الملوك الأول (١ مل ٦ : ١) عام ٤٨٠ بعد الخروج من مصر، ويتوافق هذا التاريخ مع العام ٩٧٠ ق.م. ولكن الخروج من مصر قد تم عام ١٤٥٠ ق.م. وهو تاريخ لا يتوافق مع حساب السنوات منذ بدء الخليقة، بحسب سفر التكوين (عام ٢١٢ ق.م هو تاريخ الخروج وفقاً للحسابات الربينية (الهاخامية) التقليدية، ولا مع نتائج الحفريات التي جرت في ارض كنعان (فتوح يشوع في مطلع القرن الثالث عشر ق.م.)، اذ انه لم يحكم مصر، عام ١٤٥٠ ق.م. أي فرعون باسم رع مسيس، بينما نجد ان احدى المدن التي بناها العبرانيون المسترقون قد سميت بهذا الاسم (العهد القديم، خر ١ : ١١). ونحسب ان التاريخات التوراتية، كباقي التاريخات القديمة الاخرى، لا تهدف الى اعادة بناء حسابية للزمن بقدر ما تهدف الى تأويله».

(Nahon, Ibid, P. 531 PP. 526, 531)

معلومات عن التقويم اليهودي^(٥): يستند هذا التقويم الى الدوريتين الشمسية والقمرية، ففي التقويم اليهودي المستعمل حاليا، يحسب اليوم من غروب شمس اليوم الأول الى غروبها في اليوم التالي، ويتضمن الاسبوع ٧ ايام، والشهر ٢٩ او ٣٠ يوما، والسنة ١٢ شهرا قمريا ونحو ١١ يوما، (او ٢٥٢ او ٢٥٤ او ٢٥٥ يوما).

ولكي يتطابق هذا التقويم مع التقويم السنوي الشمسي يجب اضافة شهر ثالث عشر من ٣٠ يوما، على السنوات ٦ و ١٦ و ١٧ و ١٩، وذلك في الدورة المؤلفة من ١٩ سنة. لذلك، فان السنة اليهودية «الكبيس» تراوح بين ٢٨٢ و ٢٨٥ يوما.

وقد قدم العديد من علماء اليهود، منذ القرن التاسع الميلادي، تواريخ مختلفة لبداية الكون او خلق العالم، تراوح جميعها بين ٢٧٦٢ و ٢٧٥٨ ق.م.، ولكن التاريخ الذي يعتبره عامة اليهود صحيحا ومقبولا لبداية خلق الكون هو ٧ تشرين الأول عام ٣٧٦١ ق.م. ومع

(٥) المرجع Encyclopedia britannica
T1, p.430, T3, P.289 and T 6, P. 546.

ذلك، فإن الشك يطال جميع هذه التواريخ التي تظل تستخدم رغم عدم التأكد من صحتها، لدى الكثير من أئمة اليهود، كإشارة لتأكيد تمسكهم بالتقليد اليهودي.

ومنذ أن بدأ الشعب اليهودي يؤرخ على أساس سنة بدء الخليقة (Anno Mundi) في القرن التاسع الميلادي، بدأت التناقضات تظهر في النصوص التوراتية، وكذلك التقلبات في حسابات الأئمة اليهود، مما أدى إلى الوقوع في حسابات غير مضبوطة. حتى أنه، عندما أرخت التوراة عهد الملوك، بعد الشتات، كان من الصعب تضبيط هذا التاريخ على جداول ملوك آخرين في الفترة نفسها^(٥).

(٥) المرجع: Encyclopedia Britannica T1P. 430.

الجدول الثالث

ملوك يهوذا واسرائيل

من الانشقاق (٩٢٣) حتى نهاية مملكة الشمال (٧٢٢ - ٧٢١ ق.م) وسقوط اورشليم (٥٨٧ ق.م).
كما ورد في الترجمة العربية للكتاب المقدس، العهد القديم (ص ١٩ - ٢١).

مملكة اسرائيل (السامرة)		مملكة يهوذا (اورشليم)	
تاريخ الملك	اسم الملك	تاريخ الملك	اسم الملك
٩١١-٩٢٣	ياربعام الاول	٩١٦-٩٢٣	رحبعام
٩١٠-٩١١	ناداب	٩١٣-٩١٥	أبنيام
٨٨٧-٩١٠	بعشا	٨٧١-٩١٢	آسا
٨٨٦-٨٨٧	إيلة	٨٤٦-٨٧٠ (١)	يوشافاط
٨٨٦	زكري	٨٤١-٨٤٨	يورام
٨٧٥-٨٨٦	عمري	٨٤١	أهزيا
٨٥٢-٨٧٥	آحاب	٨٢٥-٨٤١	مثليا
٨٥٢-٨٥٢	أهزيا	٧٩٦-٨٢٥	يواش
٨٤١-٨٥٢	يورام	٧٨٢-٨١١ (٢)	أمصيا
٨١٤-٨٤١	ياهو	٧٤٠-٧٨١	عزريا
٨٠٢-٨١٤ (٣)	يوحاز	٧٢٥-٧٤٠	يوثام
٧٨٧-٨٠٢	يواش	٧١٦-٧٢٥	أهاز
٧٤٧-٧٨٧	ياربعام الثاني	٦٨٧-٧٢٠ (٤)	حزقيا
٧٤٧	زكريا	٦٤٢-٦٨٧	منسى
٧٤٦-٧٤٧	شلوم	٦٤٠-٦٤٢	أمون
٧٢٧-٧٤٦	منحيم	٦٠٩-٦٤٠	يوشيا
٧٢٥-٧٢٧	فحميا	٦٠٩	يواحاز
٧٢٢-٧٢٥	فائق	٥٩٨-٦٠٩	يواقيم (الياقيم)
٧٢٢-٧٢٤	هوشح	٥٩٧-٥٩٨	يوياكين
٧٢٢-٧٢٦	سقوط السامرة	٥٨٧-٥٩٧	صدقيا
		٥٨٧	سقوط اورشليم والقبض على صدقيا وخراب الهيكل.

هوامش الجدول الثالث

(١) - ورد في النص موملك يوشافاط بن آسا على يهوذا في السنة الرابعة لأحاب ملك اسرائيل... ومملك في اورشليم خمسا وعشرين سنة. (١ مل ٢٢ : ٤١ و ٤٢) وقد حدد العهد القديم (٢ مل ٨ : ١٦) تاريخ نهاية ملك يوشافاط بتاريخ بداية ملك خلفه يورام، وهو ما لم يتقيد به واضعو الجدول.

(٢) - ورد في النص موفي السنة الثانية ليواش بن يواحاز، ملك اسرائيل، ملك أمصيا بن يواش، ملك يهوذا... ومملك تسعا وعشرين سنة في اورشليم. (٢ مل ١٤ : ٢١). ولا ندري على ماذا اعتمد محققو تواريخ الملوك في هذا الجدول كي يضعوا بدء ملك أمصيا عام ٨١١ بينما هو، وفقا لحساب السنوات الوارد ذكرها في النص، عام ٨٠١، كما ان ملك يواش على يهوذا قد استمر أربعين عاماً (٢ مل ١٢ : ٢١). ورغم اعتقادنا بأن خطأ مطبعياً أدى الى استبدال ٨١١ بـ ٨٠١، يظل الفارق بين انتهاء ملك يواش (عام ٧٩٦) وبدء ملك أمصيا (عام ٨٠١) خمس سنوات، أي ان ملك أمصيا قد بدأ قبل انتهاء ملك يواش بخمس سنوات، وهذا غير منطقي البتة.

(٣) - ورد في النص موفي السنة الثالثة والعشرين ليواش بن أحزيا، ملك يهوذا، ملك يواحاز بن ياهو على اسرائيل في السامرة، سبع عشرة سنة. (٢ مل ١٣ : ١) وهذا يعني ان بدء حكم يواحاز في اسرائيل كان عام ٨١٢ وليس عام ٨٢٠ كما ورد في الجدول.

(٤) - ورد في النص موفي السنة الثالثة لهوشع بن ايلة، ملك اسرائيل، ملك حزقيا بن آحاز ملك يهوذا... ومملك تسعا وعشرين سنة في اورشليم. (٢ مل ١٨ : ٢١) الا ان حساب بدء ملك حزقيا استنادا الى بدء ملك هوشع (عام ٧٢٢) لا يستقيم، إذ يكون ملك حزقيا قد بدأ قبل انتهاء ملك آحاز بأربعة عشر عاماً وهذا غير منطقي البتة.

الجدول الرابع

ملوك يهوذا واسرائيل كما أوردهم المؤرخ «بريتشارد»

في كتابه «اطلس للعالم التوراتي» ص ٢٠ — ٢١.

(Pritchard, J. B. Atlas du Monde Biblique, P. 20- 21)

وضع المؤرخ بريتشارد وفريق من الباحثين جدولاً يحدد تاريخ حكم كل ملك من ملوك يهوذا واسرائيل على الشكل التالي :

ملوك يهوذا	تاريخ الملك	ملوك اسرائيل	تاريخ الملك
- رحبعام	٩١٢-٩٣١	ياربعام الاول	٩١٠-٩٣١
- ابنيام	٩١١-٩١٢	ناداب	٩٠٩-٩١٠
- آسا	٨٧٠-٩١١	بعشا	٨٨٦-٩٠٨
- يوشافاط	٨٤٨-٨٧٠	إرلة	٨٨٥-٨٨٦
- يورام	٨٤١-٨٤٨	زمرى	٨٨٥
- اهزيا	٨٤١	عمرى	٨٧٤-٨٨٥
- عتليا	٨٢٥-٨٤١	آحاب	٨٥٣-٨٧٤
- يواش	٧٩٦-٨٢٥	اهزيا	٨٥٢-٨٥٣
- عزريا (امصيا)	٧٦٧-٧٩٦	يورلم	٨٥٢-٨٤١
- عزريا (مزيا) (١)	٧٤٠-٧٦٧	يامو	٨٤١-٨١٤
- يورتام	٧٢٢-٧٤٠	يواحاز	٧٩٨-٨١٤
- آحاز	٧١٦-٧٢٢	يواش	٧٨٢-٧٩٨
- حزقيا	٦٨٧-٧١٦	ياربعام الثاني (٤)	٧٥٣-٧٨٢
- منسى (٢)	٦٤٣-٦٨٧	زكريا	٧٥٢-٧٥٣
- امون	٦٤١-٦٤٣	شالوم	٧٥٢
- يوشيا	٦٠٩-٦٤١	منصيم	٧٤٢-٧٥٢
- يواحاز	٦٠٩	فصيا	٧٤٠-٧٤٢
- يواكيم (الياقيم او يواقيم)	٥٩٨-٦٠٩	فلقح (٤)	٧٢٢-٧٤٠
- صدقيا (٣)	٥٨٦-٥٩٧	موشع	٧٢٢-٧٢٢

هوامش الجدول الرابع:

- (١) - ورد في العهد القديم (٢ مل ١٥ : ٢١) ان عزريا (او عزيا) بن أمصيا قد ملك طيلة ٥٢ سنة، ولكن هذا الجدول اختصر فترة ملك عزريا هذه الى ٢٧ سنة بدلا من ٥٢ سنة.
- (٢) - ورد في العهد القديم (٢ مل ٢١ : ١) ان منسى قد ملك طيلة ٥٥ سنة، ولكن هذا الجدول اختصر فترة ملك منسى هذه الى ٤٤ سنة بدلا من ٥٥ سنة.
- (٣) - لم يظهر، في الجدول، اسم (يوياكين) الذي ملك في يهوذا لمدة سنة (٥٩٨-٥٩٧ ق. م) بعد يوياقيم (او يواكيم) وقبل صدقيا.
- (٤) - يبدو ان فترة ملك ياربعام الثاني قد اختصرت في هذا الجدول الى ٢٠ سنة بدلا من ٤١ سنة كما وردت في العهد القديم (٢ مل ١٤ : ٢٢). كما يبدو ان خطأ مطبعيا وقع في الجدول (Pritchard, P.) حيث ذكر ان فترة ملك فافح استمرت من عام ٧٥٢ حتى عام ٧٢٢ ق. م. الا انها وردت، في مكان (20) آخر من الكتاب نفسه، انها استمرت من عام ٧٤٠ حتى عام ٧٢٢ ق. م. (Pritchard, P. 105).

الحروب الأهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل^(*):

يبدو، من مراجعة سفري الملوك (الاول والثاني)، ان الحروب بين مملكتي يهوذا واسرائيل لم تنهدأ الا في فترات محدودة ومتقطعة، فقد كانت بين رحبعام (ملك يهوذا) وياربعام (ملك اسرائيل) حرب بكل الايام^(١). ورغم ان العهد القديم لم يشر، بالتفصيل، الى أية حرب جرت بينهما، بل يذكر ان رحبعام حشد، لقتال ياربعم، جيشا من ١٨٠ الف رجل «منتخبين، رجال حرب»، لكن الرب نهاه عن ذلك، فأذعن، هو وجنده «لكلام الرب، وعادوا ممتثلين لأمر الرب»^(٢)، ولم يذكر بعدها أية حرب بين الملكين. الا ان أبييا (او أبيام) بن رحبعام، خليفة أبيه رحبعام في ملك يهوذا، اشار، عندما نهد الى حرب ياربعم، الى حرب جرت بين أبيه وبين هذا الأخير، فقال ان رجالا «لا خير فيهم تافهون» اجتمعوا الى ياربعم «وتغلبوا على رحبعام بن سليمان، وكان رحبعام فتى ضعيف القلب فلم يثبت أمامهم»^(٣). وكما كانت الحرب بين أبييا ورحبعام، فقد كانت، بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا (ملك اسرائيل) حرب «كل أيامهما»^(٤). وتبدو لنا الصورة جلية عندما نرى ان حكم كل من هؤلاء الملوك قد امتد زمنا طويلا، فقد حكم رحبعام وأبييا وآسا مملكة يهوذا طيلة ٦١ عاماً، وحكم ياربعم وبعشا مملكة اسرائيل طيلة ٤٦ عاماً. كما يبدو ان الحكم، في مملكة اسرائيل خصوصاً، قد تعرض لانقلابات عسكرية عديدة ناجحة كان أهمها: الانقلاب الذي قام به (عمري) قائد الجيش في عهد ايلة بن بعشا، ضد (زمرى) عبد ايلة (وكان هذا قام بانقلاب ضد سيده فقتله وملك مكانه)، والانقلاب الذي قام به (ياهو بن يوشافاط) قائد الجيش في عهد (يورام بن آحاب)، إذ انقلب ياهو على مليكه فقتله وملك مكانه^(٥). بالإضافة الى عمليات دموية أخرى، كاغتيال سلوم بن يابيش لذكريا بن ياربعم، واغتيال منحيم بن جادى لشلوم بن يابيش، واغتيال فاقح بن رمليا لفقحيا بن منحيم واغتيال هوشع بن ايلة لفاقح بن رمليا، وغيرها^(٦).

(٥) نقيدنا، في هذا الفصل، بالتواريخ الواردة في المراجع التي استندنا إليها. مستثنيين بالجدول الذي نوردنا في مطلع الفصل

(١) العهد القديم، ١ مل ١٤: ٣٠ و ١ مل ١٥: ٦.

(٢) م. ن. ١ مل ١٢: ٢١-٢٤، وكفوا عن الخروج على ياربعم. (١٢ آخ ٤: ٤).

(٣) م. ن. ١ مل ١٢: ٢٢.

(٤) م. ن. ١ مل ١٥: ١٦.

(٥) م. ن. ١ مل ١٦: ٨-٢٢، و ٢ مل ٩: ١٥-٣٠.

(٦) م. ن. ٢ مل ١٥: ٨-٢٠.

١- الحرب بين أبيّا بن رجبعام (ملك يهوذا) وياربععام (الاول) بن نباط الافرائيمي (ملك اسرائيل):

معركة جبل صمارثيم:

حشد أبيّا، لقتال ياربعام، اربعمئة الف رجل «أبطال حرب... منتخبين»، وحشد ياربعام، في مواجهته ثمانماية الف رجل «منتخبين، من لبطال بأس»^(٧).
المعركة:

اتخذ أبيّا مواقع لجيشه على جبل «صمارثيم» في جبل «افرائيم»، ثم توجه مخاطبا بني اسرائيل لعله يستطيع ان يعيدهم الى عبادة رب اسرائيل والتخلي عن عبادة «عجول الذهب» التي صنعها لهم ياربعام «آلهة»^(٨). في هذه الاثناء كان ياربعام يعدّ العدة لمفاجأة خصمه بمناورة بارعة وهي ارسال قوى للالتفاف من وراء جيشه ومهاجمته من الخلف، بينما يقوم هو بمهاجمته من امام، فيجعله بين نارين، حيث يكون هو وجيشه «قدام يهوذا، والكنين وراءهم»^(٩).

وبينما كان أبيّا مستغرقا في توجيه النصيح لاعدائه ان «هوذا الله معنا، رئيسا لنا». ومناديا بني اسرائيل ان «لا تحاربوا الرب اله آبائكم فانكم لا تنجحون»^(١٠) اذا به يفاجأ بالاعداء وقد احاطوا بجنده «من امامهم ومن خلفهم». وكعادة بني اسرائيل في كل ساعة ضيق، «صرخوا الى الرب ونفخ الكهنة في الابواق» فاذا برّب اسرائيل يضرب «ياربععام وكل اسرائيل امام أبيّا ويهوذا» ويقتل منهم «خمس مئة ألف رجل»، وينهزم ياربعام وجيشه امام أبيّا وجيشه، ويطارد أبيّا قلوب جيش ياربعام فيحتل عدة مدن لاسرائيل ومنها «بيت ايل وتوابعها، ويشانة وتوابعها، وغرفائين وتوابعها» بينما لم يقوَ ياربعام، بعد ذلك، على تحمل نتائج الهزيمة «وضربه الرب فمات»^(١١).

ولم يذكر لنا العهد القديم عدد قتلى بني يهوذا، وكعادة العهد القديم في كل معركة تقريبا، نرى رب اسرائيل يتدخل باستمرار في القتال لصالح شعبه فينصره ويهزم اعداءه، ولو كان هؤلاء الاعداء من بني اسرائيل كما هي الحال في هذه المعركة.

(٧) م.ن. ١٢: ١٢.

(٨) م.ن. ١٢: ١٢-٨.

(٩) م.ن. ١٢: ١٢.

(١٠) م.ن. ١٢: ١٢.

(١١) م.ن. ١٢: ١٣-٢٠.

II - الحرب بين آسا (ملك يهوذا) وبعشا (ملك اسرائيل) (١٢).

كان جيش آسا مسلحا بالتروس والرمح، وكان يعد ثلاث مئة ألف من يهوذا، وثمانين الفا من بنيامين «ممن يحملون التروس ويشدون القسي كل هؤلاء أبطال باس» (١٢). وأراد بعشا ان يحصن مدينة الرامة في أرض يهوذا، على التخوم بين المملكتين، فنقل الحجارة والاخشاب وبدأ تحصينها، وفي نيته ان يمنع بني يهوذا من الوصول الى آسا مليكهم، بحيث «لا يدع احدا (منهم) يخرج او يدخله اليه. وكان ذلك في السنة السادسة والثلاثين من ملك آسا» (١٣).

وكان آسا على عهد تحالف مع «بَنَهْدَ بن طبرمُون بن حزيون» (او بنهدد الاول ٩٠٠ - ٨٦٠ ق. م) ملك آرام في دمشق، وكان بنهدد، كذلك، على عهد مع بعشا ملك اسرائيل، فارسل آسا اليه الهدايا من الفضة والذهب من «خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك»، وكتب اليه يقول: «ان بيني وبينك وبين ابي وابيك عهدا، وما انذا مرسل اليك هدية فضة وذهبا، فهل وانقض عهدك مع بعشا ملك اسرائيل فينصرف عني» (١٤). فاستجاب بنهدد لطلب آسا ووجه جيوشه الى اسرائيل حيث دخلها من الشمال وتقدم، محققا انتصارات، الى دان فحاصور حتى بحر الجليل (١٥)، فضرب مدنها «عيون ودان وآبل بيت معكة، وكل كَنَاروت مع كل أرض نفتالي» (١٦)، عندها توقف بعشا عن تحصين الرامة واقام بترصة، بينما توجه آسا الى الرامة فنقل حجارتها واخشابها وحصن بها «جبع بنيامين والمصفاة» (١٧) ويبدو ان الرب سبب جام غضبه على آسا لانه استعان باجنبي على بني قومه فضربه «ومرض آسا في رجليه في السنة التاسعة والثلاثين من ملكه... ومات في السنة الحادية والاربعين من ملكه» (١٨). (انظر الخارطة رقم ١٧)

(١٢) Pritchard, Atlas du monde Biblique P. 104 - 105

(١٣) م. ن. ١٢: ١٤

(١٤) م. ن. ١ مل ١٥: ١٧ و ١٢: ١٦

(١٥) م. ن. ١ مل ١٥: ١٨ - ١٩ و ١٢: ١٦

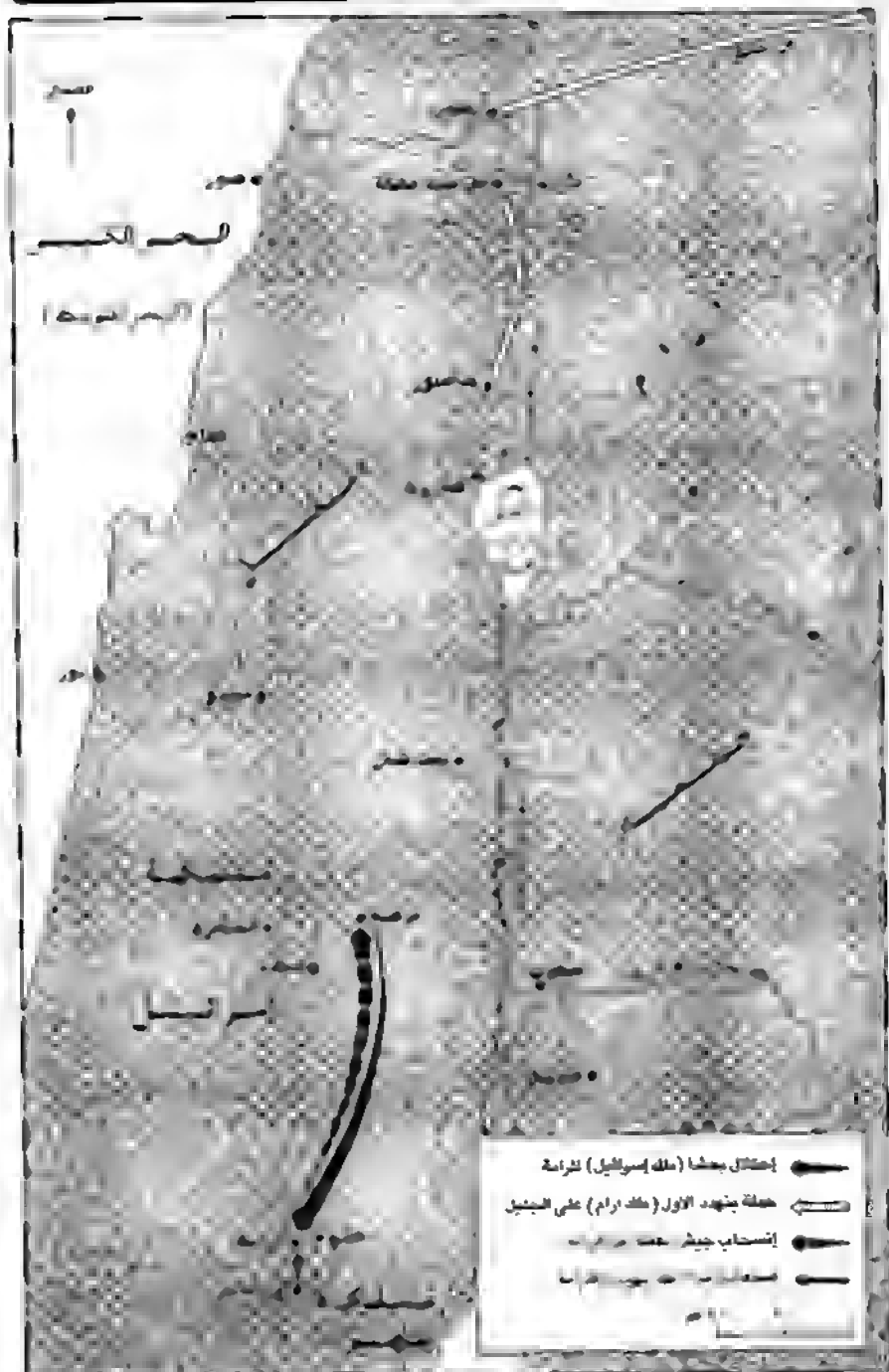
(١٦) Pritchard Op. Cit. P. 104

(١٧) م. ن. ١ مل ١٥: ٢٠. ووردت في سفر الاخبار الثاني «فضربوا عيون ودان وآبل ملثيم وجميع مخازن مدن نفتالي» (٢: ٤)

(١٨) م. ن. ١ مل ١٥: ٢١ - ٢٢. ووردت في سفر الاخبار الثاني (٢: ١٦ - ١٧): «جبع والمصفاة».

(١٩) م. ن. ١٢: ١٦

خارطة، هيكل، الحرب مع أمم ملك يهودا، ونعما، ملك إسرائيل،



بعد موت آسا، تسلم ابنه يوشافاط مقاليد الملك في يهوذا، وكان أبوه قد استظهر على اسرائيل وانتزع منها «مدن افرائيم» فوضع يوشافاط في هذه المدن، وفي باقي «مدن يهوذا المحصنة»، جيشاً، وأقام فيها محافظين^(٢٠). وقد عزز يوشافاط جيشه طيلة مدة ملكه، فبلغ ذلك الجيش مليوناً ومائة وستين ألف رجل «رجال حرب إبطال بأس» كما وصفهم العهد القديم، وكانوا موزعين كما يلي:

- من يهوذا: ٢٠٠ ألف بقيادة الرئيس عذنه ومعه «رؤساء الوف».

- ويليهِ: ٢٨٠ ألفاً بقيادة الرئيس يوحانان.

- ويليهِ: ٢٠٠ ألف «بقيادة عمسيا بن زكري».

- من بنيامين: ٢٠٠ ألف «مسلحون بالقسي والتروس» بقيادة الياذاع

- ويليهِ: ١٨٠ ألفاً «مجهزون للحرب» بقيادة يوزاباد.

فيكون المجموع: ١.١٦٠ مليوناً ومائة وستين ألف رجل، باستثناء «الذين جعلهم الملك في المدن المحصنة في كل يهوذا»^(٢١).

وقد تمت، في عهد يوشافاط بن آسا، ملك يهوذا، وأحاب بن عمري، ملك اسرائيل، مصاهرة بين المملكتين، إذ صاهر يوشافاط أحاب، ثم أقاما تحالفاً عسكرياً بينهما ضد ملك آرام فقاتلاه متحدين في راموت جلعاد^(٢٢) كما سنبين فيما بعد.

وقد تجدد التحالف بين المملكتين، بعد ذلك، في عهد أمصيا بن يواش، ملك يهوذا، ويواش بن يواحاز، ملك اسرائيل، إلى درجة أن أمصيا كان يستأجر جنداً من رجال يواش يقاتلون إلى جانبه في الحروب، فقد استأجر من اسرائيل «مئة ألف بطل بأس، بمئة قنطار من الفضة» عندما قرر مهاجمة بني سعير^(٢٣). وقد عزز أمصيا جيشه حتى بلغ ثلاثماية ألف رجل «منتخبين، يخرجون إلى الحرب ويحملون الرمح والترس»^(٢٤).

(٢٠) م. ن. ٢. ١٧: ٢٠١.

(٢١) م. ن. ٢. ١٧: ١٩-٢٤.

(٢٢) م. ن. ٢. ١٨: ٢٨ و ٢٤.

(٢٣) م. ن. ٢. ٢٥: ١٢٦.

(٢٤) م. ن. ٢. ٢٥: ٥٠.

III - الحرب بين أمصيا بن يواش (ملك يهوذا) ويواش بن يواحاز (ملك إسرائيل):

معركة بيت شمس:

الا ان الخلاف دب بين أمصيا ويواش فتواعدا للقتال عند بيت شمس من أرض يهوذا، وزحفا بجيشهما الى موقع المعركة حيث تواجه للجيشان فهزم أمصيا وجيشه أمام يواش وجيشه، وفر جنود يهوذا الى خيامهم بينما طارد يواش ملك إسرائيل، أمصيا ملك يهوذا، حتى اذا ما قبض عليه اقتاده الى اورشليم عاصمته (عاصمة يهوذا) فهدم اسوارها «من باب أفرائيم الى باب للزاوية على أربعمئة ذراع»، وأخذ «كل الذهب والفضة وجميع الأنية التي وجدت في بيت الله... وخزائن بيت الملك، ورهائن»، ثم اطلق سراح أمصيا وعاد الى السامرة^(٢٥). وقد عاش أمصيا، بعد موت يواش بن يواحاز، ملك إسرائيل، خمسة عشر عاما استمر، خلالها، ملكا على يهوذا^(٢٦)، ولكن مؤامرة دبّت ضده في اورشليم فهرب الى لاكيش حيث تبعه المتآمرون وقتلوه فيها^(٢٧).

الحرب بين فاقح بن رمليا (ملك إسرائيل) وآحاز بن يوتام (ملك يهوذا) واحتلال اورشليم:

في السنة السابعة عشرة من ملك فاقح بن رمليا لاسرائيل، ملك آحاز بن يوتام على يهوذا، وكان سنّه لا يزيد على العشرين، وقد هاجمه ملك آرام المقيم في دمشق فهزمه وأسر «جمعا عظيما» من أهله وساقهم الى دمشق^(٢٨)، واغتتم فاقح بن رمليا، ملك إسرائيل، فرصة ضعف آحاز وهزيمته أمام الملك الآرامي فهاجمه، بدوره في اورشليم، وهزمه، وقتل من بني يهوذا «مئة وعشرين الفا، في يوم واحد، كلهم ذوّو بأس»^(٢٩). كما سبى بنو إسرائيل، من اخوتهم (بني يهوذا) «مئتي الف من النساء والبنين والبنات» وسلبوا «غنائم كثيرة»، وأتوا بسبيهم هذا الى السامرة عاصمتهم^(٣٠).

(٢٥) م. ن. ٢٠: ٢٥ - ١٧: ٢٤.

(٢٦) م. ن. ٢٠: ٢٥ - ٢٥: ٢٥.

(٢٧) م. ن. ٢٠: ٢٧ - ٢٧: ٢٧.

(٢٨) م. ن. ٢٠: ٢٨ - ٥١: ٥١.

(٢٩) م. ن. ٢٠: ٢٨ - ٦: ٦.

(٣٠) م. ن. ٢٠: ٢٨ - ٨: ٨.

ويبدو ان فئة من بني اسرائيل استعابت على نفسها ان تقود بني قومها سبايا وأسرى، ومن هؤلاء جماعة من رؤساء بني افرائيم رفضت ان يدخل نساء بني يهوذا وبناتهم السبايا، وكذلك بنوهم المسييون، السامرة، على هذا الشكل وبهذا الخزي، فغلب رأيهم هذا رأي المتشددين الذين يقودون السبي والسلب، مما جعل هؤلاء يذعنون لرأي حكمائهم، فأخذوا السبي «والبسوا من السلب جميع العراة بينهم، وكسوهم والبسوهم أحذية وأطعموهم وسقوهم ودهنوهم، وحملوا جميع العرجان منهم على حمير، وجاؤوا بهم الى أريحا مدينة النخل، الى أخوتهم، ثم رجعوا الى السامرة»^(٢١).

بعد هذه الهزيمة الكاسحة التي تلقاها بنو يهوذا على يد الآراميين ثم على يد اخوتهم من بني اسرائيل، تجرأ عليهم أهل تلك البلاد فهاجمهم الأدوميون وضربوهم وأخذوا منهم أسرى، ثم هاجمهم الفلسطينيون «في مدن السهل ونقب يهوذا» واحتلوا «بيت شمس وآيالون وجديروت وسوكو وتوابعها، وثمنة وتوابعها، وجمزو وتوابعها، واستوطنوا تلك الديار»^(٢٢).

(٢١) م.ن. ١٢: ٢٨-١١، ويذكر العهد القديم ان نبيا للرب اسمه «عويده» أثب بني اسرائيل على سبيهم لاخوتهم من بني يهوذا ونصحهم باعادة السبي الى دياره كي لا يغضبوا الرب اله ابايتهم، ففعلوا (م.ن. ١٢: ٢٨-١١).

(٢٢) م.ن. ١٢: ٢٨-١٧.

الفصل الثاني

الحروب بين المملكتين واهل البلاد(*)

لم يكن الحال مستقرا في فلسطين بين الغزاة العبرانيين الذين استوطنوا بلادا ليست لهم، بل اغتصبوها وطردوا اهلها منها واقاموا فيها لهم مملكة انشطرت، بعد موت سليمان، الى شطرين: يهوذا واسرائيل.

ومع نشوب الحرب بين المملكتين الشقيقتين من حين لآخر، كان العبرانيون يخوضون، الى جانب ذلك، حروبا أخرى هي حروبهم مع اهل البلاد الاصليين الذين لم يعترفوا بالاحتلال العبراني لبلادهم وظلوا يقاومونه.

ومن هذه الحروب: حربهم مع الآراميين والمؤابيين والادوميين (بني سيعير) والفلسطينيين والعمونيين. وقد اقام العبرانيون في مناطق الهضاب، بينما كان الآراميون في الشمال، والعمونيون والمؤابيون والادوميون يقيمون في شرقي البلاد.

I - الحروب بين العبرانيين والآراميين:

كان الآراميون يقطنون سوريا الداخلية ويتخذون من دمشق عاصمة لهم، وكانت حدودهم تمتد جنوبا حتى شمال فلسطين حيث كانوا يخاصمون العمونيين ثم العبرانيين في منافسة مستمرة للسيطرة على «عبر الأردن» وخصوصا «باشان وجلعاده». وقد تمكن الآراميون في القرن التاسع ق. م. وبقيادة ملكهم «حزائيل»، من السيطرة على القسم الأكبر من سوريا وفلسطين^(١) من ارض كنعان.

(٥) نقيضا، في هذا الفصل، بالتواريخ الواردة في المراجع التي استندنا اليها، مستديرين بالجدول التي اوردها في مطلع الفصل الأول

(١) Pritchard, Atlas du monde Biblique, P. 70

وقد جرت بين الآراميين والعبرانيين في مملكتي يهوذا واسرائيل حروب عديدة أهمها تلك التي وردت في العهد القديم وهي:

١- الحرب بين بنهدد الأول ملك آرام وبعشا ملك اسرائيل: وقد سبق ان تحدثنا عن هذه الحرب في الفصل الأول من هذا الباب (II - الحرب بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك اسرائيل)، وكان بنهدد فيها نصيرا لآسا ملك يهوذا، فهاجم اسرائيل واحتل قسما منها^(٢).

٢- الحرب بين بنهدد الثاني ملك آرام (٨٦٠ - ٨٤٣ ق.م) وآحاب ملك اسرائيل (٨٧٤ - ٨٥٣ ق.م):^(٣)

خلف بنهدد الثاني ابيه بنهدد الأول في ملك آرام بدمشق عام ٨٦٠ ق.م.، وكان قد تولى عرش اسرائيل عام ٨٧٤ ق.م. آحاب بن عمري، خلفا لوالده.

أ- حصار السامرة: قرر بنهدد حصار السامرة (عاصمة اسرائيل)، فجمع جيشا من خيل ومراكب وعلى رأسه ٣٢ ملكا، وسار من دمشق الى راموت جلعاد فسكوت، ثم اجتاز الأردن وصعد الى السامرة وأوقع عليها الحصار، وارسل الى آحاب (ملك اسرائيل) رسلا يطلبون اليه الاستسلام وتسليم كل ما لديه من فضة وذهب وزوجات وبنين حسان^(٤) وكذلك بان يفتش عبيد بنهدد بيت الملك آحاب ويأخذون منه كل ما يقع تحت عيونهم ويشتهونه^(٥). فجمع آحاب رجال الرأي والمشورة من قومه واستشارهم في الأمر، فاشاروا عليه بالتمنع والرفض، وعاد رسل بنهدد بجواب آحاب الى ملكهم الذي امر بتشديد الحصار على المدينة، وأخذ يستعمل لقتال اسرائيل. واستمر الحصار على السامرة حتى اكل اهلها الحمير وزبل الحمام، وصار رأس الحمار «بثمانين من الفضة»، وحتى اكلت النساء اولادهن^(٦) عندها قرر آحاب مبادرة بنهدد بالقتال. ويذكر العهد القديم ان نبيا تقدم من آحاب وأشار عليه ببده القتال ووعدته بالنصر، ونصحه ان يبعث، في طليعة الجيش، «فتيان رؤساء الاقاليم»، وكانوا ٢٣٠ رجلا، لكي ينشبوا القتال مع الآراميين، ويرسل

(٢) انظر ١ مل ١٥ و ٢ مل ١٦.

(٣) Pritchard, Op. Cit. P. 70 (٢)

(٤) العهد القديم، ١ مل ٢٠: ٢-٣، وانظر Pritchard, Op.Cit. P. 104

(٥) م. ن. ١ مل ٢٠: ٦.

(٦) م. ن. ١ مل ٢٠: ١٣-١٩ و ٢ مل ٦: ٢٤-٢٩.

خلفهم جيش اسرائيل وكان عديده ٧ آلاف رجل، فجمع آحاب فتيان رؤساء الاقاليم واوفدهم للقتال وارسل الجيش خلفهم. وكان بنهدد قد آوى الى خيمته، عند الظهيرة، وجمع الملوك حوله، وهم يشربون ويسكرون^(٧).

وأخطر بنهدد بخروج نفر من رجال السامرة باتجاه معسكره، فلم يكثرث، وأمر بالقاء القبض عليهم عند وصولهم، وسوقهم اليه أحياء، وتابع، مع الملوك، المشرب والسكر. واقترب فتيان رؤساء الاقاليم من المعسكر، والجيش وراءهم، وفوجئ بنهدد بجند اسرائيل ينقضون عليهم ويقتل كل رجل منهم من يلتقيه من رجال الأراميين «فهرب الأراميون واتبعتهم اسرائيل»، اما بنهدد فقد استطاع الهرب «على فرس مع الفرسان». وهاجم جيش اسرائيل، وآحاب على رأسه، معسكر الأراميين «وضرب أرام ضربة عظيمة»^(٨).

ب - موقعة افيق: ويبدو ان بنهدد لم يرض بالهزيمة وقرر منازلة آحاب في السهل بعد ان هُزم أمامه في جبال السامرة، فجمع، بعد عام من حصاره للسامرة، جيشا كذلك الذي جمعه في المعركة السابقة «خيلا كالخيل السابق ومركبات كالمركبات السابقة» وعزل الملوك وعين، بدلا منهم، قادة الجيش ثم سار الى «افيق» لمحاربة آحاب^(٩). وما ان علم آحاب بمسير بنهدد لقتاله في افيق حتى أعد للقاءه جيشا من مملكته، وسار به الى سهل افيق حيث عسكر قبالة جيش بنهدد، وحيث بدا جيش اسرائيل، في مواجهة جيش آرام، كأنه «قطيعان هفيران من المعز» مقابل الأراميين الذين كانوا «قد ملأوا الأرض»^(١٠).

واستمر الجيشان في معسكريهما، الواحد مقابل الآخر، طيلة ستة ايام، لم يتقدم أي منهما لقتال الآخر، الا ان الحرب «التحمت» في اليوم السابع، اذ بادر آحاب خصمه بهجوم مفاجئ استطاع خلاله، ان يقتل «مئة الف راجل» من جيش آرام «في يوم واحد»^(١١) بينما هرب الباقون ودخلوا مدينة «افيق» فسقط عليهم سورها وقتل من تبقى منهم وكانوا ٢٧

(٧) م. ن. ١٠ مل ١٢: ٢٠-١٦.

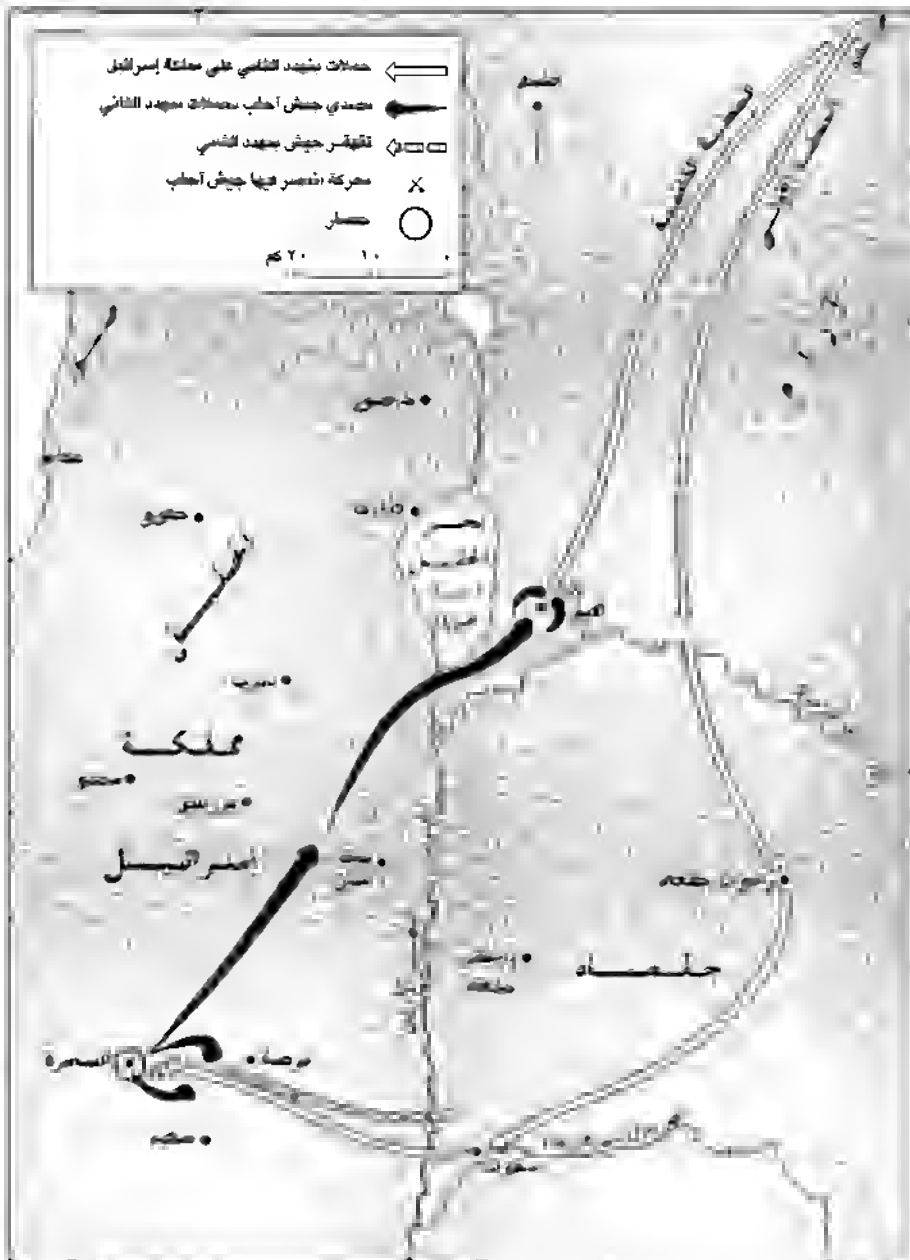
(٨) م. ن. ١٠ مل ٢٠: ١٧-٢٦.

(٩) م. ن. ١٠ مل ٢٠: ٢٤-٢٦.

(١٠) م. ن. ١٠ مل ٢٠: ٢٧.

(١١) م. ن. ١٠ مل ٢٩: ٢٠.

خارطة رقم ٨٠١ الحرب بين بغداد الناصريه ملك ارامو و اخاب ملك اسرائيل



الف رجل^(١٢). اما بنهدد فقد فرّ متخفياً من مخبأ الى آخر في المدينة حتى اذا ما وجد ان لا مناص من الاستسلام ارسل لآحاب يعرض عليه ذلك، ويتوسل اليه ان يبقى على حياته لقاء تنازلات يقدمها اليه، فوافق آحاب على ذلك، واستسلم بنهدد ملك آرام لآحاب ملك اسرائيل، الذي أطلق سراحه لقاء ما يلي:

- ان يعيد الى آحاب المدن التي أخذها ابوه (بنهدد الاول) من عمري (ابي آحاب).

- ان يجعل للاسرائيليين أسواقاً في دمشق كما سبق لبنهدد الاول ان فعل في السامرة^(١٣).

ويذكر بريشارد ان تحصينات بناها الاسرائيليون في مجدو وحاصور لمواجهة الأراميين^(١٤).

(انظر الخارطة رقم ١٨).

٣ - الحرب بين الاتحاد اليهودي - الاسرائيلي (في عهد يوشافاط ملك يهوذا وآحاب ملك اسرائيل) والأراميين:

خلف يوشافاط ابيه آسا في ملك يهوذا (عام ٨٧٠ ق.م) فعزز مدنه المحصنة بجيش قوي، واقام محافظين في مدن يهوذا وافرثيم (وكان والده آسا قد استولى عليها)، فذاع صيته وهابه الجميع، بمن فيهم الفلسطينيون والعرب^(١٥). ثم تعاظم شأنه بين الشعوب التي تقطن البلاد، خصوصاً بعد ان بنى في مدن يهوذا قلاعاً للحرب ومدناً للخرن، وكان له «رجال حرب أبطال بأس» في اورشليم، وقد بلغ عديد جيش يهوذا، في عهده، مليوناً ومئتين وستين ألف رجل، موزعين كما يلي:

- من يهوذا: ٣٠٠ ألف رجل بقيادة الرئيس «عَدَنهُ»

و ٢٨٠ ألف رجل بقيادة الرئيس «يوحانان»

(١٢) م ن. ١ مل ٢٠: ٣٠.

(١٣) م ن. ١ مل ٢٠: ٣٤-٣٢. وانظر P. 114. Prichard, Op. Cit.

(١٤) Prichard, Ibid (١٤)

(١٥) العهد القديم، ٢ اخ ١٧: ١١.

٢٠٠ الف رجل بقيادة الرئيس «عمسيا بن زكري»

– ومن بنيامين: ٢٠٠ الف رجل «مسلحون بالقسي والتروس» بقيادة «ألياداع» و ٢٨٠ الف رجل بقيادة «يوزاباد».

هذا عدا الذين جعلهم يوشافاط «في المدن المحصنة في كل يهوذا»^(١٦).

موقعة راموت جلعاد الأولى:

صاهر يوشافاط آحاب، وكان هذا قد خسر «راموت جلعاد» في حربه مع بنهدد ملك آرام. وكان قد مضى ثلاث سنوات لم تقم خلالها حرب بين اسرائيل وأرام، وكان بنهدد، ملك آرام، قد التزم، في المعاهدة التي لقرّت بينه وبين آحاب بعد موقعة افيق، ان يعيد الى آحاب البلدان التي أخذها والده من اسرائيل، ومنها (راموت جلعاد)، الا انه لم ينفذ التزامه، رغم مرور ثلاث سنوات على المعاهدة. فقرر آحاب، عندئذ، ان يستعيد (راموت جلعاد) بالقوة، فدعا نسيبه يوشافاط، وكان في زيارة له بالسامرة، لمساندته في حربه مع الآراميين لاسترداد ارضه، فلبى يوشافاط طلبه^(١٧).

وجمع آحاب أبناء اسرائيل، وكان عددهم «اربعمئة الف رجل»، واستشارهم في الامر فوافقوه على النهوض للحرب واسترداد «راموت جلعاد» من الآراميين وتنبأوا له بالنصر^(١٨). فخرج بجيشه ومعه «يوشافاط» وصعدا معا الى «راموت جلعاد»، واتفق الملكان على ان يتنكر احدهما، وهو آحاب، ويتقدم لقتال الآراميين، بينما يظل يوشافاط بملابسه الملكية. وتقدم آحاب للحرب وكان ملك آرام (بنهدد) ينتظره وهو على أهبة الاستعداد لمقاتلته ومعه ٣٢ مركبة، وقد أعطى التعليمات لجنده ان لا تقاتلوا الا «ملك اسرائيل وحده»^(١٩).

ولما كان يوشافاط قد بدا، في ساحة القتال، بزيه الملكي، وآحاب متنكراً، فقد شاهد

(١٦) م.ن. ٢٠: ١٧، ١٢: ١٩.

(١٧) م.ن. ١٠: ٢٢، ١: ٤، ٢٢: ١٨، ٢٤.

(١٨) م.ن. ١٠: ٢٢، ١٢: ٢٢، ١٨: ١١.

(١٩) م.ن. ١٠: ٢٢، ٢٩: ٣١، ٢٨: ٢٨، ٣٠.

جند بنهد يوشافاط فظنوه آحاب، ملك اسرائيل، وحاولوا قتله الا انه صرخ فادركوا انه ليس آحاب ورجعوا عنه، ولكن احد جند بنهد أصاب آحاب، وبصورة غير متعمدة، بسهم منه «بين مفاصل الدرع» فجرحه جرحا بليغا، أحس آحاب بعده بخطر الموت، فأمر جنده ان يخرجوا به من ساحة القتال وظل واقفا في مركبته، قبالة آرام، يراقب القتال، وقد اشتد، وهو ينزف دما، الى ان مات في المساء، بعد ان نزف دمه في «باطن المركبة»، ونودي، عندها، على الجيش، عند غروب الشمس ان «لينصرف كل رجل الى مدينته، وكل رجل الى ارضه»^(٢٠).

اما يوشافاط فعاد الى بلاده، واما اسرائيل فقد تسلم الملك فيها، بعد مقتل آحاب (عام ٨٥٢ ق.م.) ابنه احزيا.

٤- الحرب بين الاتحاد اليهودي - الاسرائيلي (في عهد احزيا بن يورام ملك يهوذا ويورام بن آحاب ملك اسرائيل) والآراميين:

خلف حزائيل بن بنهد الثاني اباه على عرش آرام بدمشق (عام ٨٤٢ ق.م.)، وكان ذلك في عهد احزيا الذي خلف والده يورام بن يوشافاط على عرش يهوذا، (وكان يورام نفسه قد تسلم الملك في يهوذا خلفا لابيه يوشافاط، عام ٨٤٨ ق.م.) وفي عهد يورام الذي خلف اخاه احزيا بن آحاب على عرش اسرائيل (عام ٨٥٢ ق.م.).

موقعة راموت جلعاد الثانية (عام ٨٤٢ ق.م.):

كان يورام بن آحاب، ملك اسرائيل، قد كرر محاولة ابيه لاستعادة «راموت جلعاد» من الآراميين، الا انه هزم امامهم وجرح في المعركة ونقل الى بلدة «يزرعيل» (زرعين)، العاصمة الشتوية لاسرائيل في ذلك الحين، لكي يعالج من جراحه التي اصابه بها الآراميون في الرامة (راموت) عند محاربته لحزائيل ملك آرام^(٢١)، وقد عاد احزيا بن يورام ملك يهوذا، في يزرعيل، للاطمئنان عليه.

(٢٠) م.ن. ١ مل ٢٢: ٣٢-٣٦، ٢ مل ١٨: ٣٤-٣٦ وانظر: Pritchard, Op. Cit. P. 104.

(٢١) العهد القديم. ٢ مل ٨: ٢٨-٢٩، ٢ مل ٩: ١٥ وانظر: Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 99, Map. 134.

ثورة ياهو على بيت آحاب:

وفي اثناء ذلك، عام ٨٤١ ق.م.، دبر ياهو بن يوشافاط بن نمشي، قائد جيش اسرائيل، انقلاباً ضد سيده الملك يورام، ثم سار اليه وهو في يزريعيل مع احزيا ملك يهوذا، وما ان علم الملكان بقدوم قائد جيش اسرائيل حتى هبا لاستقباله فبادرهما بالقتال فأصيب يورام بسهم أطلقه عليه ياهو نفسه فارتد قتيلاً، وحاول احزيا الهرب فلحقه جند ياهو، وأدركوه عند «عتبة جور» قرب «بيلعام» ورموه بسهم أصابه، ولكنه تابع هربه الى «مجدو» حيث مات هناك^(٢٢).

تسلم ياهو، بعد ذلك، ملك اسرائيل (عام ٨٤١ ق.م.) وكان لآحاب، بالسامرة، سبعون ابناً، فكتب ياهو الى شيوخها وأمرهم بان يرسلوا اليه رؤوس الرجال «ابناء سيدهم (آحاب) ويلاقيه بها الى يزريعيل، ففعلوا ذلك. ثم قتل ياهو كل من بقي من بيت آحاب في يزريعيل» وجميع عظمته ومقربيه وكهنته، حتى لم يُبق له «باقيا»^(٢٣). واتى، بعد ذلك، السامرة «فضرب جميع من بقي لآحاب فيها» حتى أبادهم^(٢٤)، ثم دعا اليه «جميع انبياء البعل وعباده وجميع كهنته، لا يتخلف منهم احد» (وكان بيت آحاب قد عبدوا البعل من دون اله اسرائيل)، وما ان اجتمع الانبياء والكهنة حتى أمر بقتلهم جميعاً. وبارك «الرب اله اسرائيل» عمل ياهو هذا، وبشّره بانه سيجلس، من بنيه «الى الجيل الرابع، على عرش اسرائيل» مكافأة على ما صنعه ببيت آحاب^(٢٥).

٥- الحرب بين يواحاز ملك اسرائيل (٨١٤ - ٧٩٨ ق.م.) وحزائيل ملك آرام (٨٤٣ - ٨٠٥ ق.م.):

خلف يواحاز ابيه ياهو على عرش اسرائيل (عام ٨١٤ ق.م.)، وكان لا يزال حزائيل على عرش آرام بدمشق، فأخذ حزائيل «يمخرق» على حدود اسرائيل، من الأردن شرقاً، حيث ضرب في ارض جلعاد، بني جاد وبني راوبين وبني منسى، واتسعت سيطرته، عبر

(٢٢) م.ن. ٢ مل ٩: ٢٧.

(٢٣) م.ن. ٢ مل ١٠: ١١.

(٢٤) م.ن. ٢ مل ١٠: ١٧.

(٢٥) م.ن. ٢ مل ١٠: ١٨-٢٠. ويبدو ان ياهو قد دفع الجزية لشلمناصر ملك اشور، وقد أظهرت تلك الخطوط المسمارية التي اكتشفت في تگار شلمناصر وجاء فيها «وفي هذه الايام، اخذت الجزية من صيدا ومن ياهو بن عمري»، ويبدو ان تسمية «ياهو بن يوشافاط» بياهو بن عمري لان عمري كان اصل الدولة باعتباره اباً لآحاب وجدا لاحتيا ويورام (الديس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٤٤٩).

الأردن حتى «عرو غير (عراعر) التي على وادي أرنون (وادي الموجب) وجليعاد وباشان» حيث شكل تهديداً مستمراً لإسرائيل. ويذكر عاموس في نبوءته أن ناراً سوف «تلتهم قصور بنهد» وابيه «حزائيل» من ملوك آرام لأنهم «داسوا جليعاد بنوارج من حديد»^(٢٦).

وكانت حروب الآراميين، بالإضافة إلى هجماتهم المتكررة على تخوم إسرائيل، قد استنزفت جيش إسرائيل وانهكته، بحيث لم يبق ليوأحاز منه سوى ٥٠ فارساً و ١٠ مراكب و ١٠ آلاف رجل^(٢٧) وقد استمر بنهد بن حزائيل (أو بنهد الثالث) الذي حكم آرام بعد موت أبيه (٨٠٥-٧٧٣ ق.م.)، في السياسة نفسها التي سلكها أبوه تجاه إسرائيل^(٢٨).

٦- الحرب بين يواش بن أحمزيا ملك يهوذا (٨٣٤-٧٩٥ ق.م) وحزائيل ملك آرام:

تسلم يواش بن أحمزيا عرش يهوذا من عتليا، جدته لأبيه (عام ٨٢٤ ق.م)، وقد حكم وهو ابن سبع سنين وظل في الحكم أربعين عاماً^(٢٩)، وقد هاجم حزائيل مملكة يهوذا فقابله يواش بجيش «عظيم جداً» إلا أنه هزم أمامه، فاحتل اورشليم وأهلك جميع وجهائها وقادتها، و«رؤساء الشعب» فيها، وسبها وأخذ منها غنائم وفيرة، وعاد إلى دياره. أما يواش فلم يلبث بعد ذلك أن أصيب بأمراض كثيرة، ثم «تأمر عليه حاشيته وقتلوه»^(٣٠).

٧- الحرب بين يواش بن يواحاز ملك إسرائيل (٧٩٨-٧٨٣ ق.م) وبنهد الثالث

(ابن حزائيل) ملك آرام (٨٠٥-٧٧٣ ق.م):

خلف يواش أباه يواحاز على عرش إسرائيل (عام ٧٩٨ ق.م) وكانت لا تزال الأراضي التي احتلها الآراميون من مملكته بأيديهم، ولم يردوها بحسب المعاهدة التي تمت بين آحاب وبنهد الثاني بعد موقعة أقيق، بل إن حزائيل كان قد أضاف إليها، في حروبه، معظم أراضي إسرائيل عبر الأردن. وكان حزائيل قد مات وخلفه ابنه بنهد الثالث (عام ٨٠٥ ق.م)، وكان بنهد هذا ضعيفاً، فاستقوى عليه يواش ابن يواحاز، ملك إسرائيل، وهاجمه، واسترد منه المدن التي كان أبوه حزائيل قد أخذها في عهد أبيه يواحاز، ثم أعاد يواش

(٢٦) م.ن. ٢. مل ١٠: ٢٢-٢٣، Pritchard, Op. Cit., P. 104 - وسفر «نبوة عاموس»، ص ١: ٢.

(٢٧) م.ن. ٢. مل ١٢: ٧.

(٢٨) م.ن. ٢. مل ١٢: ٣.

(٢٩) م.ن. ٢. مل ٢٤: ١.

(٣٠) م.ن. ٢. مل ٢٤: ٢٣-٢٥.

الكرة ثلاث مرات مهاجماً آرام حتى استرد كل الاراضي التي كانت قد انتزعت من مملكته^(٢١).

٨- الحرب بين ياربعام الثاني ملك اسرائيل (٧٨٣-٧٤٣ ق.م) وهديانو ملك آرام (٧٧٣-٧٥٠ ق.م):

خلف ياربعام الثاني اباه يواش في ملك اسرائيل (٧٨٣ ق.م)، فحارب هديانو وانتصر عليه وورد حدود اسرائيل من مدخل حماة الى بحر العربية، (البحر الميت)^(٢٢) كما استرد بلاد العمونيين والمؤابيين الى مملكة اسرائيل، واستعاد الى مملكته بني اسرائيل الذين يقطنون عبر الاردن، وكان ملوك آرام قد احتلوا بلادهم واخضعوهم لحكمهم^(٢٣).

٩- الحرب بين آحاز بن يوتام ملك يهوذا (او يوتام: ٧٣٢-٧١٧ ق.م) ورصين ملك آرام (٧٥٠-٧٣٢ ق.م) ومعه فاقح بن رمليا ملك اسرائيل (٧٣٣-٧١٤)^(٢٤).

إلا ان التحالفات انقلبت في عهد فاقح بن رمليا الذي ملك اسرائيل بعد ياربعام الثاني بأكثر من ثلاثين عاماً (انظر الجدول رقم ١) حيث انحاز فاقح الى آرام في حربه ضد

(*) لم يكن ممكناً الجمع بين الفترات الزمنية التي حكم، خلالها كل من:

- آحاز بن يوتام، ملك يهوذا

- وفاقح بن رمليا، ملك اسرائيل.

- ورصين ملك آرام.

فهينما يقرر هيريتشارد ان حكم آحاز كان بين عامي ٧٣٢ و٧١٦ ق.م وان حكم فاقح كان بين عامي ٧١٠ و٧٢٢ ق.م، وان حكم رصين كان بين عامي ٧٥٠ و٧٣٢ ق.م، حيث يجعل العام ٧٢٢ ق.م. العام للوحد المشترك بين الملوك الثلاثة، مما يعني ان الحرب بين هؤلاء الملوك، والتي ورد ذكرها في العهد القديم (مل ١٦: ٥-٩) قد جرت في هذا العام دون سواه، فراه يخطئ، في حساب الفترة الزمنية لحكم ياربعام الثاني ملك اسرائيل فيقتصرها الى ٣٠ سنة بدلاً من ٤١ سنة، مما يدفع بفترة حكم فاقح بن رمليا عشر سنوات فيجعلها بين ٧٤٠ و٧٢٢ ق.م. كما يجعل العام ٧٢٢ ق.م. مشتركاً في فترتي حكم الملكين المذكورين (آحاز وفاقح). إلا ان هيريتشارد يذكر في كتابه (ص ١٠٥) ان فاقح ورصين حاولا جر يوتام، ملك يهوذا، (٧٤٠-٧٣٢ ق.م) الى حلف معها ضد ميجت فلاسره ملك آشور، إلا انهما لم يفعلها في ذلك، فاقدا على غزو يهوذا واحتلال عاصمتها اورشليم، دون ان يحدد زمن هذا الغزو وهل تم في عهد يوتام أم في عهد ابنه آحاز. (Pritchard, Op. Cit. P. 105) مع الإشارة الى ان العهد القديم حدد زمن هذه الحرب في عهد آحاز بن يوتام (٢ مل ١٦: ٥-٩).

كما نذكر ان أخطاء مماثلة وقعت في الجدولين الثاني والثالث (أوردناها في تطبيقاتنا على تلك الجداول) مما يجعلنا نشك:

أ- في صحة حساباتنا (الجدول الأول) من جهة.

ب- أو في صحة حسابات الجداول الأخرى (الثاني والثالث والرابع) من جهة ثانية.

ج- أو في صحة ما ورد في العهد القديم من تحديد لفترات الحكم لكل من ملوك يهوذا واسرائيل وخصوصاً لفرة حكم كل من (آحاز وفاقح) وحرب فاقح ورصين (ملك آرام) مع آحاز. ولجين أن يسهم القارئ الكريم في إيجاد حل لهذه المعضلة.

(٢١) م.ن. ٢ مل ١٣: ٢٥-٢٢.

(٢٢) م.ن. ٢ مل ١٤: ٢٥.

(٢٣) الديس، تاريخ سوريا، ج٢: ٤٥٧.

يهوذا، فتحالف مع رصين ملك آرام، ضد آحاز ملك يهوذا، وانطلقا معا، بجيشيهما، ليحاصرا اورشليم، عاصمة يهوذا، الا انهما عجزا عن اخضاعها^(٢٤)، وكان رصين قد استرد «إيلة» للأدوميين وطرد اليهود منها، فعاد اليها أهلها وأقاموا فيها^(٢٥). أما آحاز فقد استنجد بتجالت فلاسر ملك آشور، لكي يخلصه من «يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل» القائمين عليه، وأرسل اليه، مقابل ذلك، ما وجده في بيت الرب وخزائن بيت الملك من الذهب والفضة، فلبى ملك آشور طلب آحاز وهاجم دمشق عاصمة الملك الآرامي فاحتلها، وسبى أهلها الى «قير» وقتل ملكها «رصين»^(٢٦).

II - الحرب بين العبرانيين والمؤابيين:

١- الحرب بين الاتحاد اليهودي - الاسرائيلي، ومعه الأدوميون، ضد المؤابيين،
موقعة «قير حراست»:

جرت هذه الموقعة بين يورام بن آحاب ملك اسرائيل (٨٥٢ - ٨٤١ ق. م) ومعه يوشافاط بن آسا ملك يهوذا (٨٧٢ - ٨٤٨ ق. م) وملك أدوم، من جهة، وميشاع ملك مؤاب، من جهة أخرى^(٢٧). ويبدو ان هذه للموقعة جرت عام ٨٥٠ ق. م، أي بعد تسلم يورام الملك مباشرة، كما سيتبين من أسبابها.

أسباب الحرب: كانت مؤاب الشمالية أرضا متنازعا عليها. : اقلها أيدي الممالك المجاورة لها، من عمونيين واسرائيليين وآراميين دمشق، بعكس مؤاب الجنوبية. وكان ميشاع، ملك مؤاب، يدفع الجزية السنوية لملك اسرائيل، آحاب، ومقدارها «مئة الف حمل ومئة الف كبش بصوفها». وما ان مات آحاب وخلفه ابنه يورام على عرش اسرائيل حتى تمرد ميشاع على الملك الجديد وأبى دفع الجزية^(٢٨).

(٢٤) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٥. وانظر Pritchard, Op. Cit. P. 105.

(٢٥) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٦ و Pritchard, Op. Cit. P. 104.

(٢٦) م. ن. ٢ مل ١٦: ٦ و Pritchard, Op. Cit. P. 105.

(٢٧) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas P 98.

(٢٨) العهد القديم، ٢ مل ٣: ٥ و Pritchard, Op. Cit. P. 70.

الاستعداد للقتال: استنفر يورام بني اسرائيل للقتال وأحصاهم، ثم ارسل الى يوشافاط ملك يهوذا يستشيريه في الدخول معه في حرب ضد ميشاع، ملك مؤاب، لتمرده عليه، فوافق يوشافاط وأعد جيشه للقتال. واجتمع الملكان ليتدارسا معا الطريق التي ينبغي عليهما سلوكها للوصول الى قير حراست (او قير حارس او قير حارسية او قير مؤاب) عاصمة المؤابيين، مع توخي الحذر والحيلة والمباغنة في السير للوصول اليها، فقرر رأيهما على ان يسلكا طريق «برية أدوم»، وكانا على علاقة حسنة بملك أدوم، فأجاز لهما ذلك، بل انه وافق على التحالف معهما ضد مؤاب^(٣٩).

السير للقتال: انطلق يورام بجيشه من السامرة، واتجه جنوبا حتى بلغ اورشليم حيث انضم اليه يوشافاط بجيشه، ثم انطلقا معا، متجهين جنوبا كذلك، حتى حبرون فعزاد في مملكة يهوذا، ثم اتجها شرقا فجنوبا سالكين «طريق أدوم» في برية أدوم، حيث انضم اليهما ملك أدوم بجيشه، وكان قد مر عليهم، في مسيرتهم، سبعة أيام لم يجدوا خلالها ماء لهم او لبهائمهم، فأشير عليهم ان «اجعلوا هذا الوادي حُقْرًا حُقْرًا» فاذا الماء تنبجس من الحفر وتفيض في الوادي، في ارض أدوم، فتسقي الجيوش كافة^(٤٠).

دارت الجيوش الثلاثة حول البحر الميت، اذن، من الغرب، فالجنوب، ثم اتجهت شمالا نحو التخوم الفاصلة بين أدوم وفلسطين عند بلدة «زوار» على الحدود نفسها، ودخلت ارض المؤابيين سالكة طريق «هوروناييم» المحاذية للبحر الميت شرقا، ثم استدارت شرقا نحو «قير حراست» عاصمة المؤابيين فحاصرتها^(٤١).

وبلغ المؤابيين تحركات الجيوش الثلاثة واختراقها حدود أدوم باتجاه عاصمة بلادهم، فاستنفر ملك مؤاب شعبه، واجتمع لديه «كل من ابتدا يتقلد سلاحا فما فوق»^(٤٢) ووقف المقاتلون على تخوم ارضهم للدفاع عنها.

(٣٩) م. ن. ٢. مل ٢. ٨. ٩.

(٤٠) م. ن. ٢. مل ٢. ١٦. ٢٠ و ٢٠. ٩٨. P. ٩٨. - Aharoni, Op. Cit.

وقد ورد عند اهاروني ما نصه «وقد عاثوا في الطريق الصحراوي. من ظمأ شديد. الا انهم انفقوا بغيسان مفاجئ. وهذه الظاهرة ليست بغريبة في وديان صحراء يهوذا. الا اننا لم نأخذ بهذه الظاهرة المعجزة. وفضلنا اعتماد ما ورد في العهد القديم من ان نبيا اسمه (الميشاع) اشار على الملوك ان «اجعلوا هذا الوادي حُقْرًا حُقْرًا» ففعلوا ذلك. وكان في الصباح ان مياهها جاءت من طريق أدوم. فامتلات الارض ماء» (مل ٢٠ - ٢) وهذا يعني. في نظرنا. ان الآبار التي حفرها الجيش امتلات ماء. من جراء الامطار التي انهمرت. وليس هناك أية ظاهرة عجائبية.

Aharoni, Op. Cit. P. ٩٨, Map. 130 (٤١)

(٤٢) العهد القديم. ٢. مل ٢: ٢٦.

ويذكر العهد القديم، انه، ما ان اشرقت شمس الصباح وشاهد المؤابيون مياه الوادي وقد اصطبغت باللون الاحمر (الذي هو، ولا شك، لون تراب الأرض التي تفجرت الماء منها) حتى ظنوا ان قتالا وقع بين الملوك المتحالفين فجرت دماؤهم في الوادي، فانقلبوا الى السلب والنهب، مما أتاح الفرصة للجيش المتحالفة كي تفتك بهم. وضرب المتحالفون (العبرانيون والادوميون) المؤابيين فانهزموا من أمامهم، فطاردهم ودخلوا البلاد وهم يضرّبونهم، ثم هدموا المدن المؤابية «وردوا كل عين ماء وقطعوا كل شجرة حسنة، حتى انهم لم يبقوا الحجارة الا في قير حراست»^(٤٣) الا انهم لم يستطيعوا دخول قير حراست فضرّبوها بالمقاليع (المجانيق)، وحاول ميشاع ملك مؤاب ان يخترق، بسبعماية مقاتل من رجاله، صفوف الادوميين ليصل الى مليكهم، فلم يستطع، ولكنه استطاع ان يأسر الابن البكر لملك المؤابيين، وكان ولي عهده، فأخذه وأحرقه على سور المدينة، وعندها انصرف المهاجمون عائدين الى بلادهم وهم غاضبون لانهم لم يستطيعوا فتح «قير حراست»^(٤٤).

ولا بد من التساؤل، امام الحركة الالتفافية التي قامت بها الجيوش المتحالفة، عن الاسباب الاستراتيجية والتكتيكية التي اقتضت القيام بها، ويبدو لنا، من دراسة هذه العملية، ما يلي:

أ- تقع «قير حراست» عاصمة المؤابيين، وهي هدف الهجوم، في الجزء الجنوبي من مؤاب، بالقرب من حدود مؤاب - أدوم، حيث يحدها من الغرب البحر الميت، ومن الشرق الصحراء، ومن الجنوب بلاد أدوم، اما من الشمال فيفصل بينها وبين الحدود الشمالية للبلاد، والمتصلة بحدود اسرائيل، كثافة من التجمعات السكانية يصعب على الجيوش المهاجمة اختراقها بلا خسائر، لذلك، فان القيام بهجوم من الشمال على مؤاب للوصول الى عاصمتها في الجنوب يكاد يكون مكلفا للمهاجم، ان لم يكن مستحيلا.

(٤٣) م. ن. ٢، مل ٢٢: ٢-٢٥.

(٤٤) م. ن. ٢، مل ٢٥: ٢-٢٧ و ٩٩-٩٨، Op. Cit. - Aharoni.

ويذكر الدبس، ان الادوميين حلفاء العبرانيين عانوا فانهزوا. بعد هذه المعركة، الى المؤابيين وخرجوا على حليفهم يوشافاط ملك يهوذا، ثم دخلوا مملكتهم ودمروا مدنا كثيرة فيها. لانه انحاز الى اسرائيل ضد المؤابيين. ويستند في روايته هذه الى صحيفة اثرية تدعى مصحفة ميشاع، كشف عنها العالم الاثري الفرنسي كليرمون كانو، عام ١٨٦٩ وهي الآن في متحف اللوفر بفرنسا، وتؤكد هذه للصحيفة ما أورده الدبس (الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ١٢٦). وانظر، Aharoni, Op. Cit. P 97

ب - ان الهجوم من الشمال يقتضي عبور نهر الأردن، بينما لا يقتضي ذلك اذا تم من جنوب البحر الميت وهو ما تم بالفعل.

ج - كان لا بد من تجميع الجيوش الثلاثة المتباعدة (السامرة، واورشليم، وادوم)، وكانت هذه الطريقة هي الافضل والاسرع لذلك.

د - بعكس الهجوم من الشمال، لم يكن بين الحدود المؤابية - الادومية من الجنوب، وبين العاصمة المؤابية، تجمعات سكانية تعيق تقدم الجيوش المهاجمة.

٢ - الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا والمؤابيين، والادوميين والعمونيين: موقعة (عين جدي):

سوف نتحدث عن هذه الحرب عند حديثنا عن حرب يوشافاط مع العمونيين.

III - الحرب بين العبرانيين والادوميين:

كان موطن الادوميين في «جبل سعير» جنوب البحر الميت، على جانبي وادي عربة (لذلك سموا «بني سعير»). وكانت عاصمتهم (بصرى) تقع في منطقة خصبة بعكس القسم الأكبر من المناطق الأخرى في بلادهم. وغالباً ما كانوا على علاقة طيبة بملوك يهوذا، الا انهم كانوا يشكلون حاجزا بين هؤلاء الملوك وبين خليج العقبة، مما أدى الى كثير من الازمات بين الفريقين^(٤٥).

١ - الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا والادوميين، والمؤابيين والعمونيين:

سوف نتحدث عن هذه الحرب عند حديثنا عن حرب يوشافاط مع العمونيين في موقعة عين جدي).

٢ - الحرب بين يورام بن يوشافاط ملك يهوذا (٨٤٨ - ٨٤١ ق.م.) والادوميين: موقعة صعير:

ما ان تسلم يورام للملك في يهوذا خلفاً لابيه يوشافاط (عام ٨٤٨ ق.م.) حتى تمرد

Prichard, Op. Cit. P. 70 (٤٥)

الأدوميون الذين كانوا خاضعين لسيطرة يهوذا «واقاموا عليهم ملكا»، فاستنفر يورام قومه وسار بجيش كثيف الى «صاعير» او «صعير» ثم هاجم ادوم بمركباته ليلا وضرب الأدوميين، الا انه لم يتمكن من الانتصار عليهم واعادتهم الى طاعته، بل ظلوا خارجين «من تحت ايدي يهوذا»^(٤٦). ويعتقد «يوسفوس» ان حملة يورام على الأدوميين وهزيمته امامهم جرأت عليه شعوبا أخرى مثل «لبنة»^(٤٧).

٣- الحرب بين أمصيا بن يواش ملك يهوذا (٧٩٥-٧٦٧ ق.م) والأدوميين:

موقعة وادي الملح:

تسلم أمصيا ملك يهوذا بعد أبيه يواش (عام ٧٩٥ ق.م) فقرر معاقبة الأدوميين الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة مملكته في عهد يورام، فجمع جيشا من ثلاثماية الف رجل «منتخبين، يخرجون الى الحرب، ويحملون الرمح والترس»^(٤٨)، وكانوا جميعا من يهوذا وبنيامين «من سن عشرين سنة فما فوق»، ثم رتبهم «ببيوت آباء ورئاسات الوف ورئاسات مئتين»^(٤٩) أي انه رتبهم (بالبيوت، أي بالعشائر، وقادة الوف وقادة مئتين)، واستأجر كذلك من اسرائيل، مئة الف رجل «بطل باس، بمئة قنطار من الفضة»^(٥٠). ولكن أمصيا خشي من خيانة يوقعها به مرتزقة اسرائيل الذين جندهم فأثر ان يعيدهم الى موطنهم ولا يستعين بهم في قتاله، فعادوا^(٥١). وسار أمصيا لقتال الأدوميين بجيشه، وكانت المواجهة بين الفريقين في مكان يدعى «وادي الملح» جنوب البحر الميت، حيث تمكن أمصيا من ان يهزم الأدوميين ويوقع بهم خسائر فادحة، اذ قتل منهم عشرة آلاف وأسر عشرة آلاف آخرين، الا انه اقتاد الأسرى جميعهم الى رأس صخرة شاهقة العلو ثم طرهم من أعلاها «فتحطموا باجمعهم»^(٥٢). وأما أولئك الذين كان أمصيا قد استأجرهم من بني اسرائيل ثم

(٤٦) العهد القديم، مل ٨: ٢٠-٢٢. ومصاعير، مكان مجهول، في شرق الاردن.

(٤٧) الدبس، تاريخ سوريا، ج٢، ٤٤٢-٤٤٤.

(٤٨) م.ن. ٢٠: ٢٥.

(٤٩) م.ن.

(٥٠) م.ن. ٢٠: ٢٥.

(٥١) م.ن. ٢٠: ٢٥-١٠.

(٥٢) م.ن. ٢٠: ٢٥-١١.

اعادهم، فقد تفرقوا في مدن يهوذا «من السامرة الى حورون» حيث «قتلوا ٢ آلاف رجل» وسلبوا سلبا كثيرا، وعادوا الى ديارهم^(٥٣).

IV - الحرب بين العبرانيين والعمونيين:

١ - الحرب بين يوشافاط ملك يهوذا (٨٧٢-٨٤٨ ق.م) والمؤابيين والادوميين والعمونيين: موقعة عين جدي او حصون تامار:

تقع ارض العمونيين على الحدود الشمالية الشرقية لمؤاب وعلى الحدود الشرقية لمملكة اسرائيل، وعاصمتها «ربة عمّون» الواقعة عند منبع اهم روافد نهر يَبوق. وكانت مملكة عمّون على نزاع مستمر مع مملكة اسرائيل بسبب اراضي جلعاد ومؤاب الشمالية^(٥٤).

وفي اواخر عهد يوشافاط ملك يهوذا (عام ٨٥٠ ق.م) تحالف العمونيون والمؤابيون واهل جبل سعيير (الادوميون) ضد مملكة اسرائيل وساروا جميعهم لقتالها بعد ان عبروا البحر الميت في عملية جريئة ومن معبر مقابل لبلدة «مسادة» على الضفة الغربية للبحر المذكور، ثم توجهوا شمالا نحو بلدة «عين جدي» او «حصون تامار» وانطلقوا منها نحو اورشليم متسلقين احدى اصعب الطرق الصاعدة مباشرة في قلب هضاب يهوذا^(٥٥) وهي ما يسمى «بمرتقى صيص» او «عقبة صيص» الموصلة مباشرة الى «برية يروثيل» فبرية «نقوع»^(٥٦).

وعلم يوشافاط بخبر مسير الملوك الثلاثة المتحدين لمحاربته، فاستنفر بني يهوذا الذين اجتمعوا امام بيت الرب في اورشليم، وطلب منهم يوشافاط «الصوم» تقربا من الرب، وتلا صلاة هي غاية في التزلف والخضوع نجتزئ منها:

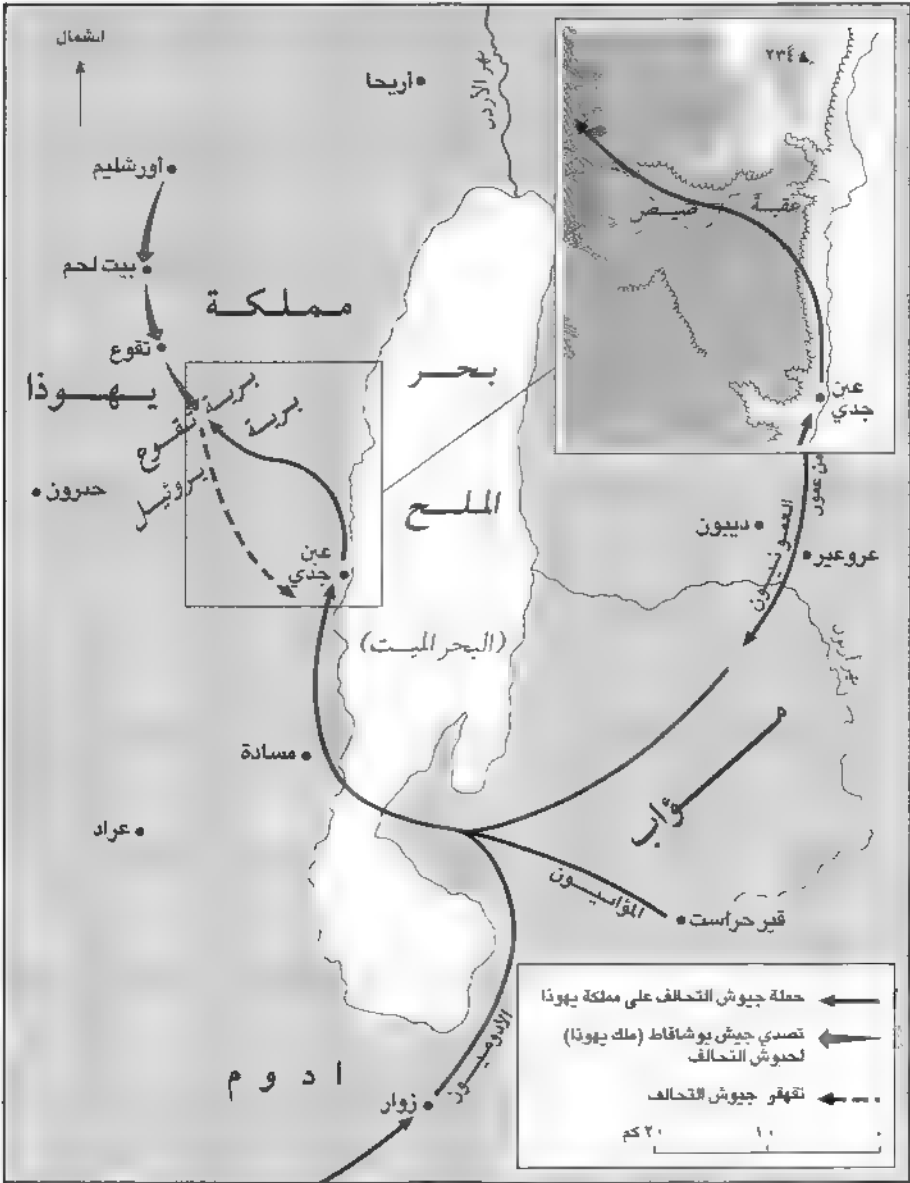
«ياها الرب... الست انت الهنا الذي طردت سكان هذه الارض من وجه شعبك اسرائيل واعطيتها لنسل ابراهيم خليك للأبد؟... يا الهنا، ألا تقضي عليهم (بني عمون والمؤابيين

Prichard, Op. Cit. P. 70 (٥٤)

(٥٥) العهد القديم، ٢٠: ٢٤-١. وانظر 99-98 PP. Cit. Alkarni.

(٥٦) العهد القديم، ٢٠: ١٦ وانظر 129 Map. 98 PP. Cit. Alkarni.

خارطة رقم ١٩ : موقعة عين جدي أو حصون تاهار



وأهل جبل سعير اي (الأدوميين)؟ اذ لا قوة لنا امام هذا الجمع العظيم الآتي علينا، ولا نعلم ماذا نصنع، وانما عيونتنا اليك»^(٥٧). وكانت «صلاة الرجاء هذه» كافية لكي يطمئن بنو يهوذا الى النصر على اعدائهم، فساروا لملاقاتهم، من اورشليم الى بيت لحم فتقوع، حتى اذا ما وصلوا الى «برية تقوع» وجدوا الجيوش الثلاثة المتحالفة ضدهم قد انهكها القتال فيما بينها حتى غطت جثث رجالها ارض برية تقوع. ويذكر العهد القديم انه، خلال مسير الجيوش الثلاثة الى اورشليم، تحالف المؤابيون والعمونيون ضد الأدوميين فقاتلهم حتى افنؤهم، ثم تقاتل المؤابيون مع العمونيين حتى أقتنى بعضهم بعضا، وتطلع بنو اسرائيل الى القوم «فانما هم جثث صرعى على الأرض ولم يكن منهم ناج»^(٥٨). عندها أقبل بنو يهوذا على الجثث فوجدوا بينها «أموالا كثيرة.. وأمتعة ثمينة»، وظلوا ينقلون الغنائم من بين هذه الجثث طيلة «ثلاثة أيام»^(٥٩). واجتمعوا في اليوم الرابع في «وادي البركة» ثم قفلوا عائدين الى اورشليم^(٦٠). (انظر الخارطة رقم ١٩).

٢- الحرب بين يوتام ملك يهوذا (٧١٦ - ٧٠١ ق.م) والعمونيين:

تسلم يوتام بن عزيا عرش يهوذا عام (٧١٦ ق.م) خلفا لوالده عزيا (او عزريا) ابن أمصيا بن يواش، فبنى مدنا في جبل يهوذا وعزز دفاعها بالحصون والبروج، وقاتل العمونيين فهزمهم وفرض عليهم الجزية «مئة قنطار فضة وعشرة آلاف كُرٍّ من الحنطة وعشرة آلاف من الشعير»، وظل العمونيون يدفعون هذه الجزية ليوتام ثلاث سنوات^(٦١).

٧- الحرب بين العبرانيين والفلسطينيين:

كان الفلسطينيون يقيمون في المنطقة الجنوبية من الساحل السوري (او الشامني) عندما غزا العبرانيون أرضهم، لذا كانوا، في الغالب، على عداء، بل على حروب معهم. وظل

(٥٧) العهد القديم، ١٢: ١٢-١٤.

(٥٨) م.ن. ١٢: ٢٠-٢٤.

(٥٩) م.ن. ١٢: ٢٠-٢٥.

(٦٠) م.ن. ١٢: ٢٦.

(٦١) م.ن. ١٢: ٢٧-٣٠. والكُر: مكيال يساوي ستين قفيز أو أربعين أردبا أو ستة أوقار حمار. (والقفيز: مكيال يساوي ثمانية مكالكيك. والمكوك: مكيال يساوي صاعا ونصف الصاع، أو نصف رطل إلى ثمانتي لواقى، والأردب: مكيال يساوي ٢٤ صاعا، ووقر الحمار: حملة). (انظر: محيط المحيط، قفز).

الفلسطينيون يقاومون الغزاة العبرانيين، وما زالوا الى يومنا هذا. وقد اعطى الفلسطينيون اسمهم «فلسطين» لكل البلاد الواقعة في الجنوب الشامي، والتي غزاها العبرانيون فيما بعد.

١ - ناداب ملك اسرائيل يحاصر «جبتون» الفلسطينية (عام ٩٠٩ ق.م.):

اعتلى ناداب بن ياربعام عرش اسرائيل لسنتين فقط، وقد غزا مدينة «جبتون» التي كان يقطنها الفلسطينيون وحاصرها (عام ٩٠٩ ق.م) الا ان ثورة قامت ضده بقيادة «بعشا بن احياء» من آل يساكر فضربه بعشا وهو محاصر لجبتون وقتله وتسلم عرش اسرائيل مكانه (٩٠٨-٨٨٥ ق.م) (٦٢).

وقد استمر بعشا في محاصرة جبتون، بعد استلامه الملك، الا انه لم يقوَ عليها، ثم عاد وحاصرها عدة مرات، وكذلك فعل ابنه ايلة بعد ان تسلم الملك خلفا لابيهِ (٨٨٥-٨٨٤ ق.م)، الى ان ثار عليه عبده (زمري)، فهاجمه وهو محاصر (جبتون) (عام ٨٨٤ ق.م) وقتله، ثم تسلم عرش اسرائيل مكانه، الا ان زمري لم يبق في الملك سوى سبعة ايام، اذ ثار عليه (عُمري) قائد الجيش، وكان محاصرا جبتون، ففك الحصار عنها وسار، مع جيشه، الى «ترصة» حيث كان يقيم «زمري»، فحاصر المدينة واحتلها، عندها دخل (زمري) برج بيت الملك «وأحرق على نفسه بيت الملك بالنار ومات» (٦٣).

٢ - الحرب بين عزريا (او عزيا) بن امصيا، ملك يهوذا (٧٦٧-٧١٦ ق.م) وبين الفلسطينيين والعمونيين والعرب:

خلف عزريا (او عزيا) والده امصيا بن يواش على عرش يهوذا في اورشليم (عام ٧٦٧ ق.م) فعزيز جيشه ونظمه وجَهَّزَه للهجوم والدفاع ودرَّبه على القتال.

عديد جيش عزريا وتنظيمه: كان عدد جيش عزريا ٣٠٧٥٠٠ رجل، وقد نظم هذا الجيش أفواجا، لكل «فوج» قائد او «رئيس»، وقد بلغ عدد الرؤساء ٢٦٠٠ رئيس، مما يجعلنا نعتقد ان كل فوج كان مؤلفا من نحو ١١٨ مقاتلا (٣٠٧٥٠٠ ÷ ٢٦٠٠ = ١١٨).

(٦٢) العهد القديم، ١ مل ١٥: ٢٨-٢٥.

(٦٣) م.ن. ١ مل ١٦: ٨-١٨.

وكان «حنانيا»، أحد رؤساء الملك، قلندا للجيش يعاونه كل من «يعيثيل الكاتب» و«مَعَسْيَا». وقد اعتمد هذا الجيش نظام القتال بالأفواج، إذ كان يخرج للقتال «فوجا فوجا»، وكان «جيش حرب» يقاتل «ببأس شديد، لمناصرة الملك على العدو»^(٦٤).

تجهيزاته العسكرية: كان هذا الجيش مجهزا تجهيزا جيدا للهجوم والدفاع، فقد جهزه عزريا بالتروس والرماح والخوذ والدروع والقسى وحجارة المقاليع^(٦٥)، كما انه صنع «في اورشليم، المنجنيقات التي اخترعها رجال حذاق» وركزها على البروج والزوايا «لرمي السهام والحجارة الضخمة»^(٦٦)، ثم انه حصن مدن يهوذا بالبروج المعجزة بالمجانيق، إذ بنى بروجاً في عاصمته اورشليم «عند باب الزاوية وعند باب الوادي وعند الزاوية»، وفي البرية، وحصنها بالمنجنيقات، وحفر آباراً في تلك المدن وفي البرية وفي الحقول والسهل والساحل، وفي الجبال^(٦٧).

حروبه:

وذاع صيت عزريا، واشتهر جيشه بقوته وقدراته القتالية، مما جعله يطمح الى محاربة الفلسطينيين الذين كانوا المقاومين الرئيسيين للبرانيين في أرض كنعان، فخرج اليهم بجيشه وحاربهم في جت وبينة وأشدود فهزمهم «وهدم سور جت وسور يَبنة وسور أشدود»، واحتل أرضهم، وبنى فيها مدناً، ثم تحول لمحاربة العرب المقيمين في «جوربعل»، والعمونييين الذين دفعوا له الجزية. «وامتدت سمعته الى داخل مصر» والى أمكنة أخرى بعيدة «اذ كانت له نصرة عجيبة حتى أصبح مقتدرا»^(٦٨). وقد انتظر الفلسطينيون طويلا، حتى عهد آحاز بن يوتام بن عزريا (٧٠١ - ٦٨٦ ق. م) حين غزا فاقح بن رملبا، ملك اسرائيل، مملكة يهوذا، فقتل أعداداً هائلة وسبى أعداداً أخرى من أهلها، فانتقم الفلسطينيون من يهوذا بأن انتشروا في جنوبها واحتلوا مدنها «بيت شمس وأيالون

(٦٤) م. ن. ٢٠، ٢٦: ١١-١٣.

(٦٥) م. ن. ٢٠، ٢٦: ١٤.

(٦٦) م. ن. ٢٠، ٢٦: ٢٥.

(٦٧) م. ن. ٢٠، ٢٦: ٩-١٠.

(٦٨) م. ن. ٢٠، ٢٦: ٦-٨ و١٥.

وجديروت وسوكو وتوابعها، وتمنة وتوابعها وجمزو وتوابعها، واستوطنوها^(٦٩) كما سبق ان قدمنا^(٧٠).

٣ - الحرب بين حزقيا بن آحاز، ملك يهوذا (٦٨٦ - ٦٥٨ ق.م.) والفلسطينيين:

خلف حزقيا والده آحاز بن يوتام بن عزريا على عرش يهوذا (عام ٦٨٦ ق.م.)، فكان اول عمل قام به هو ان هاجم الفلسطينيين وضربهم حتى وصل الى «غزة وتخومها» من «برج الحراس الى المدينة المحصنة»^(٧١)، ولم يتوقف عن الاستمرار في مهاجمتهم وضربهم الا بعد ان هاجم شلمناصر، ملك اشور، عاصمته «السامرة»^(٧٢) واحتلها بعد ثلاث سنوات من محاصرتها، ثم اجلى سكانها الى اشور^(٧٣).

(٦٩) م. ن. ٢٠، ا ح ١٨، ٢٨. مع النحفظ الذي سبق ان لورمناه في الفصل السابق حول الفترة التي حكم فيها كل من آحاز وفاتح، وفيما اذا كانا قد التقيا في فترة زمنية واحدة، ام لا.

(٧٠) انظر البند ١٧ من الفصل السابق.

(٧١) العهد القديم، ٢ مل ١٨: ٨.

(٧٢) م. ن. ٢٠، ٢ مل ١٨: ٩.

(٧٣) م. ن. ٢ مل ١٨: ١٠-١١.

الباب الرابع
حروب الغزاة (العبرانيين)
مع الغزاة (الآخرين) على أرض كنعان

- الفصل الأول: حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين.
- الفصل الثاني: حروب العبرانيين مع الآشوريين.
- الفصل الثالث: حروب العبرانيين مع الكلدانيين.
- الفصل الرابع: ثورة المكابيين ضد السلوقيين وحلفائهم.

1. The first part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom. It is shown that the structure of the atom is determined by the laws of quantum mechanics, and that the structure of the atom is determined by the laws of quantum mechanics.

2. The second part of the paper is devoted to a discussion of the general principles of the theory of the structure of the atom. It is shown that the structure of the atom is determined by the laws of quantum mechanics, and that the structure of the atom is determined by the laws of quantum mechanics.

الفصل الأول

حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين

١- حملة الفرعون «شيشاق»، على مملكة يهوذا (عام ٩٢٦ ق.م.)

كان «شيشاق» أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين من الفراعنة في مصر، استولى على الحكم عام ٩٤٥ ق.م.^(١)، ولم تكن أحوال المملكة العبرية غريبة عنه عندما هاجمها عام ٩٢٦ ق.م، إذ أنه سبق أن استقبل، في بلاده، زعيما متمردا على الملك سليمان هو «ياربعام بن نباط الأفرائيمي»، وكان هذا طامحا إلى الملك فحاول سليمان قتله، فهرب إلى شيشاق في مصر ومكث عنده حتى موت سليمان، حيث عاد ليتسلم الحكم في مملكة إسرائيل بعد انفصالها عن مملكة يهوذا^(٢).

وفي السنة الخامسة من ملك رحبعام بن سليمان على يهوذا (عام ٩٢٦ ق.م) شن شيشاق على هذه المملكة حملة عسكرية قوامها ستون ألف فارس «من اللوبيين (الليبيين) والسكيين (قبيلة إفريقية على شواطئ البحر الأحمر) والكوشيين (الأحباش)»^(٣)، فاجتاح مدنها المحصنة حتى وصل إلى أورشليم عاصمتها فنهب «ما في خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك» وكذلك «كل تروس الذهب التي صنعها سليمان»^(٤).

(١) حتي، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ج٢: ٦٦، وينكر مجون ولسمون، في كتابه «الحضارة المصرية، تعريب د. أحمد فخري، إن شيشاق (ويسميه: شلشونق الأول) هذا كان من أصل ليبي مصري، وإن الأسرة الثانية والعشرين من فراعنة مصر بدلت به (ولسمون، الحضارة المصرية، ص ٤٦٢).

(٢) العهد القديم، ١ مل ١١: ٢٦-٤٠.

(٣) عبد الملك، بطرس، وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٧٢ و ٧٩٩ و ٨٢٠ والعهد القديم، ٢.١٢ وأخ ٢.١٢ ويرى بعضهم أن الكوشيين من سكان جنوب الجزيرة العربية (الديس، تاريخ سوريا، ج ٢: ٢٩٧).

(٤) العهد القديم، ١ مل ١٤: ٢٥-٣٦ و ٢.١٢: ٩.

ويبدو ان رحبعام لم يقاوم هذه الحملة طيلة زحفها نحو عاصمته، وفي عاصمته، اذ ان شيشاق لم يهدم أسوار اورشليم ولم يدمرها بل اكتفى بنهب خزانها وقفل عائدا الى بلاده، مخلفا رحبعام، كما كان، على مملكته.

ويذكر «بارنافي» ان شيشاق بلغ، في حملته هذه، وادي يزرئيل، ووادي بيت شان، خارج حدود يهوذا، كما يذكر انه اجتاز الاردن. وقد نقش شيشاق، في معبد آمون بالكرنك، اسماء المدن التي اجتاحتها في حملته هذه وهي: جبعون، وأورشليم، ومجدو وآيالون، وبيت شان^(٥).

ولكن «أهاروني» يذكر ان النقوش الظاهرة على البوابة التي بناها شيشاق في الزاوية الجنوبية الغربية لمعبد آمون في الاقصر تنبئنا ان حملته قادت عبر مملكة ياربعام (اسرائيل) وعبر النقب في مملكة يهوذا، وان أسماء المدن المدرجة في هذه النقوش تتضمن اسماء مدن في اسرائيل وأخرى في يهوذا، ومعظمها في النقب. ويبدو ان شيشاق احتل مجدو وتوغل عبر الاردن لمطاردة ياربعام حتى أقصى مركز قيادته شرقا، ويدل على ذلك الجزء من تمثاله الذي عثر عليه في مجدو. مما يشير الى ان الهدف الاول لشيشاق كان تدمير المراكز الرئيسية المحصنة لكل من يهوذا واسرائيل، وهكذا وضع شيشاق حدا لسيطرة كل من رحبعام وياربعام على طرق القوافل التي تمر، عبر الأردن، في وادي يزرئيل في الشمال، وعبر النقب في الجنوب، ولكن شيشاق لم يكن من القوة بحيث يستطيع تحقيق طموحاته كلها، وتحويل غزوته الى فتح، وفي كل حال، فان الاسباب التي دفعت شيشاق الى استخدام القوة ضد ياربعام (الذي كان قد حماه في السابق) لا تزال مجهولة^(٦).

الا اننا لم نجد، في المهد القديم، ما يؤيد اقوال كل من بارنافي وأهاروني وتحليلاتهما، فكل ما جاء فيه هو ان رحبعام بنى مدنا في مملكته وحصنها وجعل فيها «قوادا وخزائن طعام وزيت وخمر، ومجانب ورماحا»، وهذه المدن هي: «بيت لحم وعيطم

(٥) Baravi, Elic, Histoire Universelle des Juifs, P. 20

(٦) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 91

بالادم، فهو يتابع قائلا: «ويبدو ان الفلسطينيين هم الذين حرضوا شيشاق على هذا الغزو لانهم كانوا مرفقين من

Aharoni, Ibid, P. 92: خضوعهم لسلطة مملكة اسرائيل الموحدة»

وتقوع، وبيت صور وسوكو وعدّلام، وجّت ومريشة وزيف، وأدورائيم ولاكيش وعزّيقة، وصُرعة، وأيالون وحبرون^(٧)، وإن شيشاق «استولى على المدن المحصنة التي في يهوذا، ووصل إلى اورشليم»^(٨)، دون أن يشير العهد القديم إلى احتلال شيشاق لأية مدينة من مدن حليفه ياربعام ملك اسرائيل، أو إلى مطاردته له عبر الأردن، كما ورد في النقوش التي خلفها، والتي استند إليها الباحثان.

٢- حملة الفرعون نكو على مملكة يهوذا: موقعة مجدو:

تسلم الفرعون نكو (أو نخو أو نخاو) حكم مصر منذ العام ٦٠٩ ق.م. وحتى العام ٥٩٤ ق.م. وهو من ملوك الأسرة السادسة والعشرين من أسر الفراعنة في مصر^(٩)، وقد عاصر يوشيا ملك يهوذا (٦٠٣-٥٧٢ ق.م).

كان الصراع محتدماً بين نينوى (عاصمة الآشوريين) التي بدأت تشهد انحسار مجدها بعد موت مليكها آشور بنيبال، وبين بابل (عاصمة الكلدانيين) التي بدأت تشهد صعود قوتها في عهد مليكها نابوبولاصر ابن نبوخذنصر الأول.

وقد ازدادت قوة نابوبولاصر عندما صاهر الملك سياكسار، ملك الميديين، وحالفه، فتمرد على أسياده الآشوريين وسعى إلى تأسيس مملكة قوية بزعامته، هي مملكة بابل الكلدانية.

وخشي نكو، فرعون مصر، من طموح نابوبولاصر المتزايد، وكان نكو حليفاً للآشوريين، فسعى لتأييد آخر ملوكهم «آشور اوباليت» الذي كان قد عزم على استعادة حرّان من أيدي الملك البابلي المتمرد، فاعد، لذلك، جيشاً، وتوجه به نحو كركميش، عند الفرات مروراً بغزة وعسقلان، لمواجهة الكلدانيين وحلفائهم الميديين الذين كانوا يزحفون نحو نينوى^(١٠).

(٧) العهد القديم، ١٢: ١١-١٢.

(٨) م.ن. ١٢: ١٢.

(٩) ولسون، المصدر السابق، ص ١١، وقد ذكر حتى (المصدر السابق، ج ١: ١٢٤) أن الفرعون نكو قد حكم مصر منذ عام ٦٠٠ وحتى عام ٥٩٣ ق.م. وأن أهم عمل قام به هو حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر. وينمو المؤرخ «هيرودوت» المنحى نفسه عندما يذكر أن نكو هو الذي باشر بحفر القناة بين النيل والبحر الأبيض (البحر الأحمر) وأن داريوس الفارسي انهما (Hérodote, L'Enquête, T1, LII P. 249 N 158) كما يذكر هيرودوت أن «نكو» حكم مصر منذ عام ٦٠٩ حتى عام ٥٩٤ ق.م. (Ibid, T1, P. 511, Note 210)

(١٠) حتى، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠ و 24، Barnavi, Op. Cit.,

وكان يوشيا ملك يهوذا، حليفاً للكلدانيين، كما كان يخشى أن يؤدي انتصار الفرعون نكو إلى فقدان يهوذا لاستقلالها، وهي المستقلة حديثاً، فتصدى لنكو عند «مجدو» محاولاً عرقلة تقدمه باتجاه كركميش^(١١). ويذكر «العهد القديم» أن نكو حاول اقناع يوشيا بعدم التعرض له، إذ وجه إليه رسلاً لكي يقول له «مالي ولك يا ملك يهوذا، أنا لست أخرج اليوم عليك، بل على بيت آخر أحاربه، لأن الله أمرني أن أبادر، فكف عن مقاومة الله الذي معي لئلا يهلكك»^(١٢)، ولكن يوشيا لم يرتدع، فتحول نكو لقتاله في «مجدو» حيث قتله وهزم جيشه.

ويصف العهد القديم كيفية مقتل يوشيا فيقول: «لم يحول يوشيا وجهه عنه (أي عن نكو)، بل تنكر لمحاربته، ولم يسمع لكلمات نكو عن فم الله، وجاء للقتال في وادي مجدو، فرمى الرماة نحو الملك يوشيا، فقال الملك لرجاله: «انقلوني فاني قد أشخت بالجراح، فنقله رجاله من المركبة ووضعوه في مركبة أخرى كانت له وجاؤوا به إلى اورشليم فمات ودفن في مقابر آبائه»^(١٣).

أما نكو، فتابع تقدمه نحو كركميش بعد أن أرسل من يتولى أمر اورشليم من قبله، وكان شعب يهوذا قد نصب عليه يواحاز بن يوشيا ملكاً، بعد مقتل أبيه، وكان عمره ٢٣ سنة، فعزله نكو من منصبه، بعد ثلاثة أشهر فقط من توليه الملك، وعين مكانه أخاه الياقيم ملكاً على يهوذا وأورشليم، وكان عمره ٢٥ سنة، وسماه «يواقيم»، ثم أخذ أخاه يواحاز إلى مصر حيث مات هناك^(١٤). وفرض نكو على يهوذا غرامة «مئة قنطار فضة وقنطار ذهب»^(١٥).

في هذه الاثناء، كانت جيوش الكلدانيين، بقيادة نابوبولاصر، والميديين بقيادة سياكسار، تحاصر نينوى، فتقهرها، ثم تدخلها فتنهبها وتدمرها^(١٦). أما نكو الذي كان قد انتصر على يوشيا في مجدو، واحتل غزة وعسقلان وأورشليم، فقد هزم في معركة

(١١) Athanasi, Op. Cit. P. 122

(١٢) العهد القديم، إخ ٢٥: ٢١.

(١٣) م. ن. ٢٠، إخ ٢٥: ٢٢-٢٤، و ٢٢: ٢٢-٢٩.

(١٤) م. ن. ٢٠، و ٢٢: ٢٤، و ٢٢: ٢٦.

(١٥) م. ن. ٢٠، و ٢٢: ٢٢، و ٢٢: ٢٦. وانظر لمعركة مجدو. Hérouluc, Op. Cit. LII N° 159 et dossier P. 458.

(١٦) حتي، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩.

حاسمة في «كركميش» على الفرات، ضد نبوخذنصر الثاني ابن نابوبولاصر، وكان هذا قد تسلم الملك، حديثاً، من والده. وهكذا اوضحت بابل، بعد تدمير نينوى، وهزيمة فرعون مصر، السيد المطلق على غرب آسيا^(١٧).

٣- حملة زارح الكوشي على مملكة يهوذا: موقعة مريشة او وادي صفاته:

اختلف الباحثون في نسب الكوشيين وموطنهم، فبعضهم من قال انهم كانوا يقطنون اواسط الجزيرة العربية وجنوبها، ومنهم من قال انهم كانوا يقطنون شواطئ افريقيا، وقال آخرون انهم من بلاد الحبشة. وذكر آهاروني انهم من بلاد النوبة^(١٨).

ويذكر العهد القديم، ان الكوشيين هم من بني حام، وان بني كوش هم «سبا وحويلة وسبته ورعمة وسبتكا» وان كوش هو «ولد نمرود» وهو «اول جبار في الارض»، وكان اول مملكته «بابل وارك واكد وكلفة في ارض شنعار»^(١٩). ويرى الطبري ان زارح (او ذرح) الكوشي هو «ملك من ملوك الهند»^(٢٠). وكذلك يراه ابن الاثير الذي يسميه (زرخ)^(٢١). اما الدبس فيرى ان «كوش» هي بلاد الحبشة، وهو يوافق الباحث «لانرمان» ان زارح الكوشي هو ملك الحبشة الذي كان قد انقض على مصر فخرّبها واراد ان يفعل الشيء نفسه بفلسطين^(٢٢).

(١٧) حتي، المصدر السابق، ج١: ٧٠، و: 24، P. Barnavi. Op. Cit. وقد جاء في سفر ارميا، عن موقعة كركميش ما يلي: «كلمة الرب التي كانت الى ارميا النبي على الامم. على مصر. على جيش فرعون نكو. ملك مصر الذي كان عند نهر الفرات في كركميش، الذي ضرب به نبوخذ نصر ملك بابل في السنة الرابعة ليوافيم بن يوشيا ملك يهوذا» (ار ٤٦: ٢٦-٢٧). وكركميش: هي مدينة سورية تقع على الضفة اليمنى للفرات، ويدعى موقعها اليوم (جرابلس).

(١٨) Aharoni, The Macmillan Bible Atlas, P. 91 ~ 92.

(١٩) العهد القديم، تك ١٠: ١١-١٦، ١٦: ١-١٠. وارض شنعار: هي المنطقة المستكة بين بابل وارك وكلفة واكد. ولها اقيم برج بابل (عبد الملك، مرجع سابق، ص ٥٢٥). وسبا، او سبا: قبيلة عربية من نسل سام، يبدو ان بعض افرادها هاجر الى الحبشة حيث لقبوا بقبيلة الكوشيين (م. ن. ص ٥٠٤). وحويلة: مقاطعة من بلاد العرب، يسكن بعضها الكوشيون (م. ن. ص ٢٢٩). وسبته الابن الثالث من ابناء كوش، يعتقد ان اولاده اقاموا في جنوب بلاد العرب، ولن اسم مدينتهم «شبو» عاصمة حضرموت (م. ن. ص ٤٥٥). ورعمة: مقاطعة في الجنوب الغربي من بلاد العرب، كانت تقطنها ذرية حام (م. ن. ص ٤٠٦). سبتكا (او شبكا) اسم الابن الخامس من اولاد كوش، ويعتقد ان اولاده اقاموا في بلاد العرب بالقرب من الخليج الفارسي (العربي)، (م. ن. ص ٤٥٥).

(٢٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١: ٥١٧.

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١: ٢٥١.

(٢٢) الدبس، تاريخ سورية ج٢: ٤٠٤، وقد ذكر ذلك «لانرمان» في كتابه «التاريخ القديم للشرق».

ومهما يكن من أمر، فإن «زارح» الكوشي (أو زرح، كما يسميه الطبري، أو رزح كما يسميه ابن الأثير، أو زادح كما يسميه ابن خلدون)^(٢٣)، هاجم مملكة يهوذا، في عهد آسا ملكها (٩١٢ - ٨٧٢ ق.م) بجيش عديده «الف الف» مقاتل و«ثلاثماية مركبة»، فلاقاه آسا بجيش بلغ عديده خمسمائة وثمانين الف مقاتل «ثلاثماية الف من يهوذا ومئتان وثمانون الفا من بنيامين» وهم مجهزون «بالتروس والرماح» ويحملون التروس ويشدون القسي^(٢٤)، وكان للقاء في «وادي صفاته عند مريشة»^(٢٥)، فهزم الكوشيون امام آسا الذي طاردهم، بجيشه، حتى «جرار» وسحق جيشهم «حتى لم يبق منهم حي»، وغنم منهم «غنيمة عظيمة جدا»، وضرب «جميع المدن المحيطة بجرار» ونهبها، وأخذ «كثيرا من الغنم والابل» وضرب «حظائر الماشية» ثم عاد الى اورشليم^(٢٦).

رواية الطبري عن الحرب بين زرح وآسا:

روى الطبري عن الحرب بين زرح الكوشي وآسا بن آبيا رواية لم نجدها عند أحد سواه، فهو يصف آسا بالصالح والورع والاغراق في عبادة الله، بعكس والده آبيا الذي كان يعبد الأصنام، أما زرح، فهو من ملوك الهند، وقد كان جبارا فاسقا يعبد الشمس والقمر.

وقد تسلم آسا حكم يهوذا خلفا لآبيه فانكر آلهة آبيه وقومه وفرض على شعبه عبادة الاله الواحد، مما اثار حفيظة العديد من قومه، فلجا بعضهم الى زرح ملك الهند وشكوا اليه أمر ملكهم ودعوه لاحتلال بلادهم.

١- بعثة التجسس الى مملكة يهوذا: عندما اختار زرح عصبة من أمناء قومه وعهد اليهم بالذهاب الى أرض كنعان حيث مملكة يهوذا، متظاهرين بانهم تجار يبيعون بضاعة من بلادهم البعيدة، حيث يطلعون، سرا، وعن كذب، على أحوال هذه البلاد وأحوال ملكها

(٢٣) ابن خلدون، تاريخه، ج٢: ١٩٢.

(٢٤) العهد القديم، ٢: ١٤: ٨٧.

(٢٥) م. ن. ١٢: ١٤: ٩. ومريشة: هي الآن مخربة مرارش على بعد ثلاث ساعات من بيت جبرين جنوبا. (الديس، م. ن. ج٢: ٤٠٥). ووادي صفاته: اما ان يكون «تل الصافي» الذي يبعد ثلاث ساعات عن خربة مرارش فانه الوادي المعتمد من بيت جبرين الى تل الصافي، وهذا هو المرجح، وكانت الموقعة عند طرف بيت جبرين (م. ن. ص. ن.).

(٢٦) م. ن. ١٢: ١٤: ١٥ - ١٦. وجرار، أو أم الجرار: جنوب غزة، على بعد ساعتين منها. (الديس، م. ن. ج٢: ٤٠٥).

وقوة جيشها، ويقيّمون وضعها العسكري والاجتماعي وامكانات التغلب على أهلها، فسار هؤلاء حتى وصلوا الى ايلياء (بيت المقدس) وبدأوا ينشرون ما لديهم من بضاعة يبيعونها ويستقصون، في الوقت نفسه، من اهل البلاد، أحوال المدينة وحصونها وعدد ينافيها، ويستقصون اخبار مليكهم وقوة جيشه، وطريقة قتاله، وعدد عساكره ومراكبه، واين قراره ومسكنه؟ فأخبرهم اهل البلاد ان للملك حليفا صديقا، قويا وعزيزا، لا يخذله ان طلب نجدة، ولا يهزمه ان استجاره. ثم ان هذه العصابة من الجواسيس دخلت قصر الملك ومثلت بين يديه وعرضت عليه النفيس من بضاعتها، فوجدته زاهدا باللالىء والجواهر، مستغنيا عن الياقوت والحلي، رافضا ان يأخذ من بضاعتهم شيئا، بثمن او بلا ثمن.

وعادت بعثة الجواسيس الى زرح مليكها لتروي له ما وجدت، واستحلفهم زرح بالشمس والقمر ان كانوا صادقين، فحلفوا له بذلك.

٢- الاستنفار والتحشد: عندها قرر زرح القيام بحملة الى تلك البلاد فكتب الى كل البلاد التي يحكمها او يحالفها لكي ترسل اليه جندا، فكتب الى يأجوج ومأجوج والترك وفارس وغيرهم ممن يثق بمناصرتهم له، فأمدوه بالفرسان والخيول والرجالة والعدد، واجتمع اليه الجند من كل ناحية، وأحصى ما بلغه جيشه من عدد فاذا هو «الف الف ومائة الف سوى اهل بلادهم»^(٢٧)، ثم امر باعداد مائة مركبة، تجر كل واحدة منها أربعة بغال، ومعها عشرة من الخدم وخمسة اقبال، وعرف على جنده العرفاء، وحرصهم على القتال. وبلغ آسا ما يعدّه زرح من جيش لقتاله فاستجار بربه الذي طمأنه ووعدّه بالنصر^(٢٨).

٣- السير للقتال: سار زرح بجيشه حتى بلغ ساحل ترشيش^(٢٩)، ولما علم آسا بذلك ارسل اليهم مفاوضين من قبله لعلهم يمتنعون عن قتاله^(٣٠)، فأبى زرح الا مقاتلته، ولم يكن امام آسا الا ان يتضرّع الى ربه ليستبدل بضعفه قوة، وينصره.

(٢٦) م. ن. ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨،

وتابع زرح مسيرة ترشيش حتى وصل الى مرحلتين من ايلياء حيث أوفد رسلا من قبله الى ملكها آسا وهم يحملون اليه التهديد والشتائم والاستخفاف بإلهه الذي يستنصره على زرح وجيشه الذي عسكر بالقرب من عاصمة يهوذا.

٤- الاستعداد للقتال: بينما كان جيش زرح يستعد لحصار المدينة ومهاجمتها، أوصى الله الى آسا ان يطمئن قلبه ووعد بالنصر، ثم أمره ان «أخرج من مصلاك، ثم مر خيلك ان تتجمع، ثم أخرج بهم وممن اتبعك حتى تقفوا على نشز من الأرض»^(٢١)، ففعل آسا ما أمره به، وخرج اثنا عشر من رؤساء جيشه، مع كل واحد رهط من الجند، حيث وقفوا على رابية مشرفة على معسكر زرح الذي هزئ بهم وبقوتهم حتى انه تردد في مهاجمتهم، وأرسل الى آسا يسأله «أين صديقك الذي كنت تعدنا به، وتزعم انه يخلصك مما يحل بكم من سطوتي؟»^(٢٢).

٥- القتال: اصطف جيش زرح للقتال، وأمر زرح الرماة ان يرموا جند آسا بنشابهم ولكن الله بعث ملائكة ردت السهام عن جند آسا وأعادتھا الى مصدرھا فارتدت السهام الى صدور رماثهم فقتلتهم. عندها أمر زرح جنده ان يسلوا سيوفهم ويشنوا هجوما على جند آسا الذين كانوا لا يزالون في مواقعهم على التلة، فتصدت لهم الملائكة وقتلتهم، فقتلتهم جميعا ولم يبق منهم غير زرح ونسائه ورفيقه^(٢٣) ومائة ألف فقط^(٢٤).

وقر زرح، بمن معه، هاربا، حتى اذا ما بلغ الساحل حيث تستقر سفنه، ركب تلك السفن التي ما ان بدأت تمخر عباب اليم حتى هبت عليها الرياح من كل جانب «فغرق زرح ومن كان معه» بينما غنم جند آسا ما تركه جيش زرح من غنائم^(٢٥).

لا شك في ان الطبري، في روايته هذه، لم يستند الى أي مرجع تاريخي او ديني، كما ان تفاصيل هذه الرواية لم ترد في العهد القديم، وان كنا قد أوردناها فلكي ندل على ما ينتاب التاريخ المكتوب، في كثير من الاحيان، من تشويش يبلغ حد الاساطير.

(٢١) الطبري، المصدر السابق، ج ١: ٥٢٨.

(٢٢) م.ن. ج ١: ٥٢٩.

(٢٣) م.ن. ص.ن.

(٢٤) م.ن. ج ١ ص ٥٣٠.

(٢٥) م.ن. ص.ن.

الفصل الثاني

حروب العبرانيين مع الآشوريين

كان الآشوريون قد وطّدوا دعائم مملكة قوية أقاموها ما بين دجلة والفرات، عندما بدأوا يتغلّعون للتوسع نحو مملكة الكلدانيين جنوباً ونحو سوريا غرباً، فقد كان عسيرا عليهم أن يتوسعوا شرقاً، نحو بلاد فارس، عبر جبال زاغروس المنيعّة، أو أن يتوسعوا شمالاً، نحو أرمينية، عبر جبالها الصعبة المرتقّى^(١). وقد تكرّرت حملاتهم على سوريا منذ القرن التاسع ق. م. حيث أخذوا يجتاحون المدن العبرية في مملكتي يهوذا والسامرة، والمدن الفلسطينية كعقرون وأشدود وعسقلان وغزة، والمدن الآرامية السورية كدمشق وحماة، والمدن الفينيقية كصور وصيدا وجبيل وأرواد^(٢) وكانت حروبهم مع العبرانيين هي التالية:

١- في عهد شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م.)^(٣): موقعة قرقر (٨٥٣ ق. م.)

حكم شلمنصر الثالث مملكة آشور طيلة ٣٥ عاماً، وقد وجّه، خلال حكمه، عدة

(١) بورتر، هارفي، النهج القديم في التاريخ القديم، ص ٤٧.

(٢) م. ن. ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) تجدر الإشارة إلى أننا لم نعتمد التسميات الواردة في جدول ملوك آشور عند بورتر (ص ٥٠) نظراً لما ورد فيه من

أخطاء، فهو سُمى، مثلاً: شلمنصر الثاني بدلاً من الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م.) والثالث بدلاً من الرابع (٧٨١ - ٧٧١ ق. م.)

والرابع بدلاً من الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق. م.) وسرجون بدلاً من سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق. م.) وانظر لذلك

-- Quillet (encyclopédie) Histoire Universelle, T 1, P.P. 98 - 109.

- Pritchard, Atlas du monde biblique, P. 106 - 107

(وفيه جدول ملوك آشور وبابل المعاصرين لملوك إسرائيل ويهوذا)

- Aharoni, Johanan, The Macmillan Bible Atlas, P. 99

حملات الى البلدان والممالك المجاورة، ومنها سوريا التي هاجمها عام ٨٥٢ ق.م، فتحالف ضده هدد إيزر (بنهدد) الآرامي ملك دمشق وإيرموليني ملك حماة وآحاب ملك اسرائيل مع ملوك الحثيين والفينيقيين. وكانت اسرائيل قد اشتركت في جيش التحالف بنحو الفي مركبة حربية وعشرة آلاف مقاتل، كما اشتركت حماة بعشرة آلاف مقاتل ايضا، وقدمت دمشق عشرين الفا، وكانت الخيالة من دمشق وحماة، بينما قدم «جندب»، أحد مشايخ القبائل العربية، ألف مقاتل يمتطون الجمال^(٤)، كما شارك العديد من المدن الفينيقية، وكذلك حامية جبيل المصرية، بعدد كبير من المقاتلين. وقد حدد «بريتشارد» القوى المشاركة في التحالف من مختلف الممالك والمدن السورية كما يلي:

- دمشق: ٢٠ ألف مشاة، و ١٢٠٠ خيالة و ١٢٠٠ مركبة حربية.

- حماة: ١٠ آلاف مشاة و ٧٠٠ خيالة و ٧٠٠ مركبة حربية.

- اسرائيل: ١٠ آلاف مشاة و ٢٠٠٠ مركبة حربية.

- جبيل: ٥٠٠ مشاة. ومن الحامية المصرية في جبيل: ألف مشاة.

- عرقة: ١٠ آلاف مشاة و ١٠ مركبات حربية.

- أرواد: ٢٠٠ مشاة.

- من باقي المدن الفينيقية: أوساناتو Ousanatou (جنوب عرقة) وشيانو Shianou او سيانو Siannu (شمال أرواد وغرب حماة على الساحل) ١٠ آلاف و ٢٠٠ مشاة و ٢٠ مركبة حربية.

- من العرب: ألف مقاتل يمتطي كل منهم جملا (ألف جمل).

فيكون مجموع جيش التحالف: ٦٠٩٠٠ مقاتل من المشاة

و ١٩٠٠ مقاتل من الخيالة.

والف مقاتل على الجمال

و ٣٩٤٠ مركبة حربية

وعدة آلاف من يعشابين رحوب من عمون^(٥).

(٤) Pritchard, Op. Cit. P. 108, et Aharoni Op. Cit. P. 96 -- ولنظر، حني، فيليب، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق

الأدنى، ج ١: ٦٨، وقاتور: بلدة تقع على نهر الفرات (العهود القديمة، عدد ٢٢: ٥).

-- Pritchard, Cit. P. 108, et Aharoni, Op. Cit. P. 96 (٥)

بينما لم يكن لدى الاشوريين سوى أقل من نصف ما لدى التحالف من مركبات حربية، الا انهم كانوا يتمتعون بتفوق في الخيالة يصل الى ضعف ما لدى التحالف منها^(٦)

سار شلمناصر بجيشه غربا، من نينوى الى فاتور (Pether) في حران ومنها الى حلب فقرقر، بينما سارت جيوش التحالف من مواقعها في اورشليم والسامرة وربة بني عمون والعربة ودمشق وصور وجبيل وعرة وأرواد وحماة الى قرقر^(٧) على العاصي، حيث دارت بين الفريقين معركة ضارية هزم فيها التحالف السوري امام الملك الاشوري، وخسر نحو عشرين الفا من مقاتليه^(٨) (انظر الخارطة رقم (٢٠)). ويصف شلمناصر في أحد نقوشه التي عثر عليها في «نمرود» انتصاره في قرقر بأنه انزل بالاعداء «هزيمة نكراء» وأجرى في صفوفهم «مجزرة كبرى». ويعلق المؤرخ بريتشارد على ذلك بقوله «وهذا ممكن طالما ان جيش التحالف الذي بلغ عديده نحو ٦٠ ألف مقاتل كان يقوده أحد عشر قائدا مختلفا ودون اي تنسيق بين هؤلاء القادة»^(٩). ورغم انتصار شلمناصر في قرقر على تحالف الملوك السوريين، فإن هذه البلاد لم تخضع للاشوريين خضوعا تاما، بل شهدت عدة ثورات وحالات تمرد عليهم مما اضطر الملك الاشوري لان يعيد الكرة في هجومه على سوريا طيلة اعوام ٨٤٩ و٨٤٨ و٨٤٥ ق.م.^(١٠) دون ان يتمكن من اخضاع البلاد كليا لحكمه.

الا انه، في عام ٨٤٦ ق.م. عاد شلمناصر فوجه حملة على سوريا فقابله ملك دمشق «حزائيل» الذي كان قد اغتصب الحكم من بنهدد، وجرت المعركة عند جبل «سنير» حيث هزم حزائيل بينما تابع شلمناصر تقدمه نحو دمشق فحاصرها الا انها صمدت في وجهه فتقدم الى حوران حيث دمر عددا من مدنها، ومنها اتجه غربا الى حاصور فالساحل السوري حتى بلغ سفوح الكرمل جنوب صور، ثم انعطف بجيشه شمالا نحو صور فحاصرها الى ان استسلمت ودفع مليكها الجزية، وكذلك فعل بصيدا، وتابع تقدمه شمالا

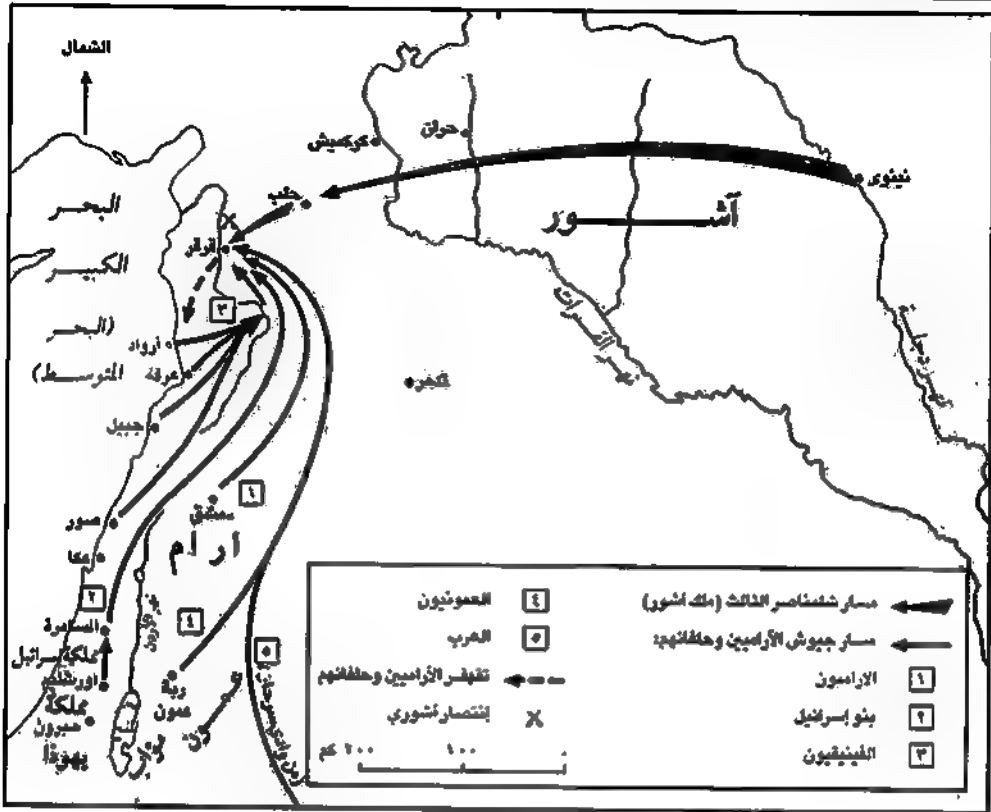
(٦) -- Pritchard, Ibid.

(٧) -- Aharoni Op. Cit. P. 96 - 97

(٨) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٤، الا اننا لا نجد ذكرا لهذه المعركة في العهد القديم.

(٩) Pritchard, Op. Cit. P. 108 ويقول شلمناصر: عن معركة قرقر، في أحد نقوشه التي وجدت في كورك «لقد جمع (أحاب ملك اسرائيل) لمساعدة (التحالف): ٢٠٠٠ مركبة حربية و ١٠ آلاف مقاتل، ولكنني قاتلتهم ولبوكت فيهم هزيمة نكراء، وبعثتهم صنعت ما يشبه الجسر على العاصي» (Pritchard, P. Op. Cit. P. 107).

(١٠) -- Aharoni, Op. Cit. P. 99



حتى نهر الكلب حيث نقش اسمه الى جانب أسماء الفاتحين من المصريين والاشوريين الذين كانوا قد سبقوه^(١١).

٢- في عهد الملك تجلت فلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م.):

حكم تجلت فلأسر الثالث نحو ثمانية عشر عاما وجّة خلالها عدة حملات الى سوريا «من سنة ٧٤٣ حتى سنة ٧٣٢ ق.م.» حيث أخضع «السامرة ودمشق وصور وحماة وعرب البادية بين فلسطين ومصر «وادعى» انه «أخضع ملك يهوذا ايضا»^(١٢).

(١١) يقول شلمناصر الثالث في حواريته التي اكتشفت في حفريات نمرود: لقد اخذت الجزية من صور وصيدا، ومن يامو بن عمري. وهو قد اقام نصبا لانتصاراته هذه عند سفوح جبل الكرمل. -- Aharoni, Op. Cit. P. 99. 100 & Pritchard, Op. Cit. P. 107

(١٢) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٧.

ويذكر العهد القديم ان تجلت فلاسر هذا (وكان قد دعى نفسه «فول» بعد ان تولى السلطة في بابل عام ٧٢٩ ق.م.، وذلك تيمنا بسلفه الملك الاشوري فول لوش الثالث الذي حكم من عام ٨١٠ حتى عام ٧٨١ ق.م وقام بعدة حملات على سوريا^(١٢))، وفي عام ٧٣٨ ق.م.، فرض على منحيم، ملك اسرائيل حينذاك جزية مقدارها «الف قنطار فضة»، وذلك لكي يُبقي المُلك في يده وقد رضخ منحيم لطلب الملك الاشوري وادى للجزية المفروضة عليه بعد ان حصلها «من جميع اصحاب الثروات»، فادى كل رجل «خمسين مثقال فضة»، أما ملك اشور فانه «لم يقم في تلك الارض» بعد ان اخذ الجزية من مليكها^(١٤).

كما يذكر العهد القديم، كذلك، ان تجلت فلاسر عاد فغزا اسرائيل عام ٧٢٤ ق.م. (أو ٧٢٣ ق.م) وفي عهد ملكها «فاقح بن رمليا»، فاخذ «عيون وآبل وبيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجليعاد والجليل وكل ارض نفتالي»، واجلاهم الى اشور^(١٥) (انظر الخارطة رقم ٢٦) فكان هذا هو الإجلاء الاول لبني اسرائيل. ويذكر محققو العهد القديم ان غزو تجلت فلاسر لهذه المدن الاسرائيلية تم على مرحلتين: الاولى في حملة على فلسطين عام ٧٢٤ ق.م. حيث غزا «كل ارض نفتالي» والثانية في حملته على دمشق عام ٧٢٣ ق.م. حيث غزا جليعاد والجليل^(١٦). ويبدو ان رصين، آخر ملوك آرام في دمشق قبل سقوطها بيد الاشوريين، قد تحالف مع فاقح ملك اسرائيل، ضد آحاز ملك يهوذا الذي استجار بتجلت فلاسر، اذ ارسل اليه يقول: «انا عبدك وابنتك، فاصعد وخلصني من يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل القائمين علي»^(١٧)، وكان رصين وفاقح يحاصران عاصمته اورشليم دون ان يتمكنوا من النيل منها، وارسل آحاز ما كان في «بيت الرب وخزائن بيت الملك» في اورشليم، من ذهب وفضة، هدية الى الملك الاشوري الذي قبل المهمة وسار الى

(١٣) العهد القديم، ٢ مل ١٥: ١٩ وص ٧٠٤ حاشية (٤). وانظر بورثر، المرجع السابق ص ٥٠ و ٥٧.

(١٤) م.ن. ٢٠: ١٥: ١٩: ٢٠.

(١٥) م.ن. ٢٠: ١٥: ٢٩.

(١٦) م.ن. ص ٧٠٥ حاشية (٦).

(١٧) العهد القديم، ٢ مل ١٦: ٧.

دمشق فاحتلتها وجمع أهلها وأجلاهم الى «قير» وقتل «رصين»^(١٨)، ثم عاد فضرب «فاقح» ملك اسرائيل وأسر العبرانيين الذين كانوا عبر الأردن شرقا، وأجلاهم الى ما بين النهرين، «وصار اجلاء للشعوب، بعد ذلك، دأب ملوك اشور وبابل، متعا للخيانة»^(١٩).

ودانت سوريا كلها، بعد ذلك، للملك الاشوري، وبدأ ملوكها يفدون اليه لكي يقدموا له الخضوع والطاعة وهم محملون بالهدايا، وكان ممن وفدوا اليه حينذاك «أحاز ملك يهوذا، ومِتْعَنَّا ملك صور، وفاقح ملك السامرة، وحاتون ملك غزة، وغيرهم»^(٢٠).

ويذكر «هريتشارد» ان الحفريات التي جرت في «نمرود» اظهرت نقوشا تقول (على لسان تجلت فلأسر الثالث عام ٧٢٨ ق.م.): «لقد اخذت الجزية من رصين ملك دمشق، ومنحيم ملك السامرة وحيرام ملك صور»، كما ظهرت نقوش أخرى تقول (على لسان تجلت فلأسر نفسه عام ٧٢٤ ق.م.): «لقد اخذت الجزية من يواهاز ملك يهوذا»^(٢١)، وظهرت نقوش أخرى تقول (على لسان تجلت فلأسر ايضا عام ٧٢٢ ق.م.): «لقد خلع (الاسرائيليون) مليكهم فاقح ونصبوا هوشع ملكا عليهم»^(٢٢).

٣- في عهد الملك شلمناصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م.):

حكم شلمناصر الخامس نحو خمس سنوات حاصر، خلالها، السامرة بعد ان كانت قد تمردت على حكم سلفه تجلت فلأسر الثالث، فأخضعها، الا انها عادت فتمردت من جديد وتحالفت مع فرعون مصر ضده، فعاد اليها وحاصرها سنتين او اكثر، الا انه توفي قبل اخضاعها^(٢٣).

كان «هوشع بن ايلة» قد تسلم الملك في السامرة خلفا لفاقح فأخذ يتأمر على ملك اشور محاولا التمرد عليه، حتى انه امتنع عن دفع الجزية السنوية له، وأرسل الى فرعون

(١٨) م.ن. ٢. مل ١٦: ٩-٨.

(١٩) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٧-٥٨.

(٢٠) م.ن. ص ٥٨.

(٢١) Pritchard, Op. Cit. P. 106 -- الا ان يواهاز لم يكن ملكا على يهوذا. في هذه الفترة. وفقا للجداول التي بين ايدينا

ibid (٢٢)

(٢٣) بورتر، المرجع السابق، ص ٥٨.

مصر يفتاحه بأمر التمرد على الملك الاشوري، ويطلب مساعدته في ذلك. قسار شلمناصر الى اسرائيل حيث قبض على «هوشع» وأودعه السجن^(٢٤) ثم حاصر السامرة لسنتين او اكثر الا انه توفي قبل اخضاعها، فأخضعها خليفته سرجون بعده^(٢٥).

ويذكر المؤرخ «آماروني» ان للملك الاشوري شن هجومه على مملكة اسرائيل «في السنة السابعة لملك هوشع» (أي نحو عام ٧٢٥-٧٢٤ ق.م)، حيث حاصر مدينة السامرة التي سقطت بأيدي الاشوريين «في السنة التاسعة لملك هوشع» (أي نحو ٧٢٢/٧٢٣ ق.م)^(٢٦).

٤- في عهد الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م):

حكم سرجون الثاني مملكة اشور نحو سبعة عشر عاما خلفا لآخيه شلمناصر الخامس^(٢٧)، فأخضع، في السنة الأولى لحكمه (عام ٧٢٢ ق.م) السامرة عاصمة اسرائيل وذلك في السنة الثالثة لحصارها من قبل جيش اشور، في عهد سلطة الملك شلمناصر الخامس، كما أسلفنا، حيث «أجلى الآلاف من أهلها بالقوة وأتى مكانهم بقبائل غريبة»^(٢٨). وقد اختلف المؤرخون في من فتح السامرة، أهو شلمناصر ام سرجون، ولكن نقوشا وجدت في حفريات قصر سرجون في «خورساباد» عائدة للعام ٧٢٢ ق.م. وقد جاء فيها عن لسان سرجون نفسه: «في بدء سلطتي الملكية، حاصرت السامرة وفتحتها، وسبيت من أهلها ٢٧٢٩٠ نسمة، كما اني اخذت منها جنودا لمركباتي الحربية الخمسين في أفواجي الملكية. وقد أعدت بناء المدينة افضل مما كانت عليه من قبل، ووضعت فيها أناسا

(٢٤) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٤ و٥. ويبدو ان شلمناصر أسر هوشع قبل حصاره للسامرة. وكان هوشع خارجها، فانهى بذلك ملكه الذي امتد تسع سنوات (العهد القديم، ص ٧٠٧ حاشية ٣).

(٢٥) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٥-٦. وقد ورد في العهد القديم ان اسم فرعون مصر الذي استجده به فائق هو «سوء»، الا ان هذا الاسم غير معروف في التاريخ المصري (ص ٧٠٧ حاشية ٢). ويرى بورتر ان اسم هذا الفرعون هو (سوا او سيقو او شيبق الاول) احد ملوك الدولة الخامسة والعشرين (او الدولة الكوشية). وكان سيقو- اول ملوكها، وقد بدأ حكمه عام ٧٢٠ ق.م (بورتر، المرجع السابق، ص ٢٧).

(٢٦) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٦. وانظر: Aharoni, Op. Cit. P. 114.

-- Quillet, Op. Cit. P. 100 (٢٧)

-- Barnavi, Histoire universelle des Juifs P. 23 (٢٨)

من البلدان التي كنت قد فتحتها. ووضعت عليهم ضابطا من ضباطي وفرضت عليهم الجزية كباقي الرعايا الاشوريين»^(٢٩). وجاء في العهد القديم ما يؤكد ذلك، اذ جاء فيه: «وصعد ملك اشور على تلك الارض كلها، وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات، وفي السنة التاسعة لهوشع استولى ملك اشور على السامرة، وجلا اسرائيل الى اشور، وأسكنهم في حلاح وعلى الخابور، نهر جوزان، وفي مدن ميديا»^(٣٠). فاذا عرفنا ان حكم سرجون الثاني بدأ في السنة التاسعة لهوشع، أدركنا فوراً ان سقوط السامرة واجلاء اهلها الى اشور قد تم على يده وفي عهده كما تؤكد النقوش ذلك. (انظر الخارطتين رقم ٢١ و٢٢).

ويذكر المؤرخ «الدبس» استناداً الى عدد من المؤرخين، ان هناك خلافاً حول من أخضع السامرة، فهو ينسب الى المؤرخ سمث (في كتابه: تاريخ اشور) قوله: «زعم بعضهم ان الاشوريين سئمت نفوسهم إعطاء الأعمال الحربية في فلسطين وقلة النجاح فيها، فثار الجنود في اشور واختاروا ملكاً سرجون الذي كان قائداً في فلسطين»^(٣١). الا انه ينسب الى الأب فيغورو قوله: «ظن سمث وغيره من أهل العلم في تاريخ اشور ان شلمناصر مات قبل افتتاح السامرة، وان سرجون شدد الحصار عليها وافتتحها». وبعد ان يرى فيغورو ان شلمناصر هو الذي افتتح السامرة وليس سرجون، يتابع قوله: «اذا ظهر، من بعض الآثار، نسبة هذا الفتح الى سرجون، فذلك محمول على ان سرجون كان قائد الجيش فتفاخر بالظفر ناسباً اياه الى نفسه»^(٣٢). ولكن فيغورو نفسه يعود فيذكر انه قد وجد لسرجون اثرين ينبئان بانه هو الذي أخضع السامرة، جاء في الاثر الاول: «انا حاصرت مدينة سامريتنا (السامرة) وانا اخذتها وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها، واخذت منها خمسين مركبة حربية حفظتها لنفسي وتركت أموالها لجنودي ووليت عليها نواباً عني وافترضت عليها الجزية التي كانت تؤديها للملك السالف»، وجاء في الاثر الثاني «في بدء ملكي... حاصرت وفتحت السامرة وجلوت ٢٧٢٨٠ من سكانها وحفظت خمسين

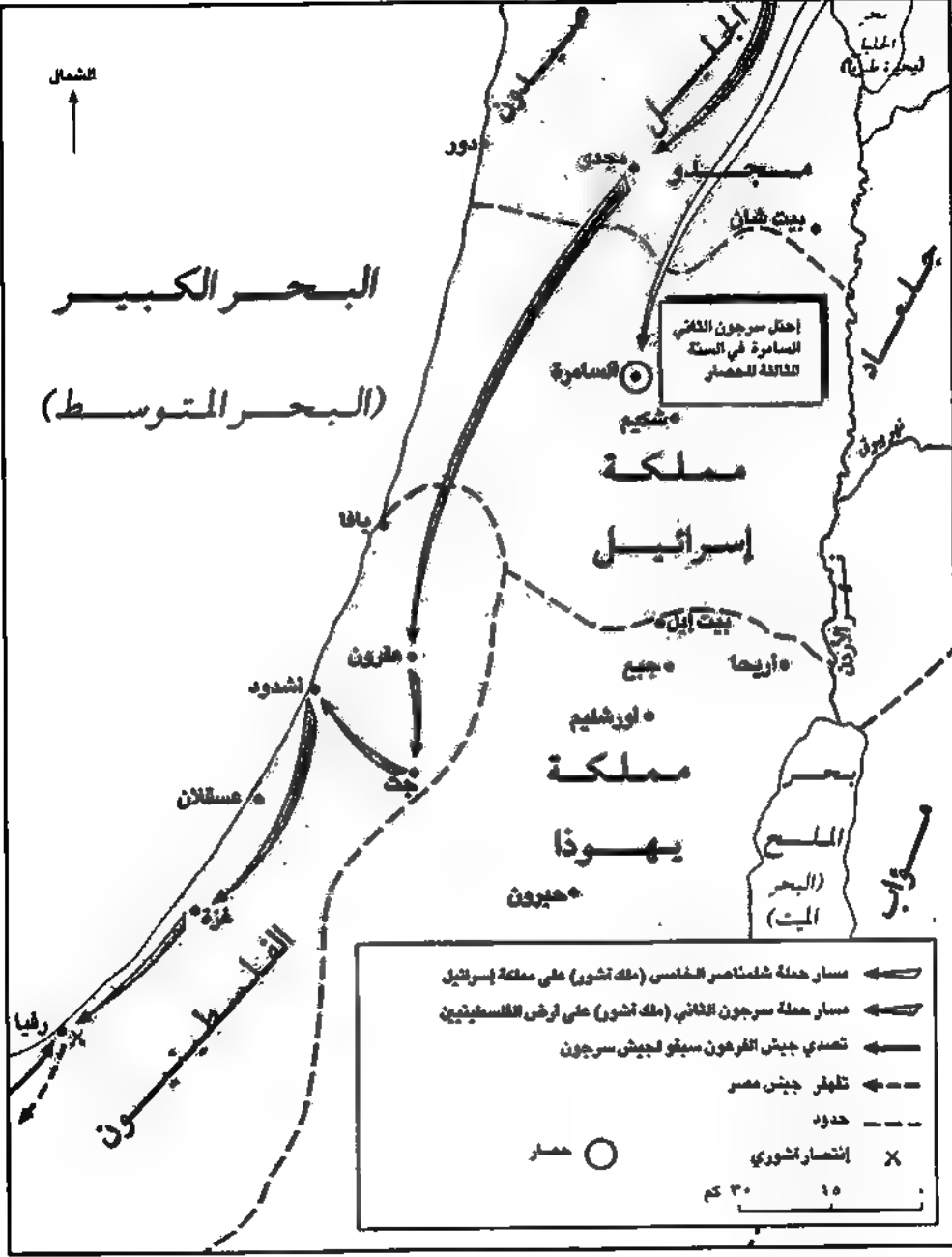
(٢٩) Pritchard, Op. Cit. P. 106 -- 107 وانظر: Barnavi, Op. Cit. P. 23

(٣٠) العهد القديم ٢ مل ١٧: ٥-٦. ونهر جوزان: بالقرب من حران (حاران) في الشمال الاقصى لبلاد ما بين النهرين (العهد القديم، ص ٧٠٧ حاشية ٥). ومدن ميديا شرق بلاد ما بين النهرين (م.ن. ص.ن. حاشية ٦).

(٣١) الدبس، تاريخ سوريا الفخيري والديني، ج ٢: ٤٧٤.

(٣٢) م.ن. ص.ن.

خارطة رقم ٢١: مسار حملة سرجون الثاني



مركبة لجانبى الملكى، وأتيت الى مكان من جلوتهم بـسكان من البلاد التى كنت ملكتها وفرضت عليهم جزية كجزية الاشوريين» وقد أخذ فيغورو ذلك عن المؤرخ «لانرمان» في تاريخه القديم للمشرق^(٢٢).

ورغم ان «أهارونى» يرى ان السامرة سقطت في السنة التاسعة لحكم هوشع وان شلمناصر مات بعد ذلك بوقت قصير وخلفه سرجون^(٢٤)، فانه يظل من المرجح، في رأينا، ان سرجون، وليس شلمناصر، هو الذى اخضع السامرة بعد ان كان شلمناصر قد اقام عليها الحصار مدة سنتين، فخضعت لسرجون في السنة الثالثة للحصار وفي السنة الاولى لملكه، خصوصا وان العهد القديم لم يذكر اسم الملك الاشورى الذى اخضع عاصمة اسرائيل، بل اكتفى بتحديد سنة سقوطها وهي السنة التاسعة والاخيرة لملك هوشع اي السنة التى تسلم فيها سرجون ملك اشور.

بعد ان استقرت الأمور لسرجون في اسرائيل، سار، في السنة الثانية من ملكه، الى حماة، وكانت قد تمردت عليه، فأخضعها وقتل مليكها إيلوبيد، ثم تابع زحفه جنوبا حتى بلغ عقرون فاشدود التى أخضعها وقتل مليكها آزوري (عام ٧١٢ ق.م.)، يقول سرجون في ذلك: «قرر آزوري، ملك أشدود، ان لا يدفع الجزية، وبسبب خطئه هذا، قوّضت سلطانه، وحاصرت أشدود وغات (جت) وفتحتهما، وقد جاء ذلك في أحد نقوشه التى وجدت في خورساباد^(٢٥)، وتقدم منها الى غزة (عام ٧١٠ ق.م) وكان مليكها حانون قد تمرد على اشور وحالف فرعون مصر (ويدعى سبقو) ضدها، فهاجمها سرجون، وتقابل الجيشان في رفيا (رفح) جنوب غزة فأسر حانون ونجا سبقو، وسيطر سرجون، بعد هذه الموقعة، على الساحل السوري بكامله، حتى حدود مصر^(٢٦). ولم ينج عرب البادية، الذين كانوا قد غزوا السامرة، من بطش سرجون الذى طاردهم وأخضعهم ثم أسكن قوما منهم في أرض السامرة «وسلط عليهم ولاية اشوريين»^(٢٧)، مما جعل باقي القبائل ومدن الساحل

(٢٢) م. ن.، ص. ٨.

(٢٤) Aharoni, Op. Cit. P. 114.

(٢٥) Aharoni, Ibid, PP. 114 - 115 et: Pritchard, Op. Cit. P. 106.

(٢٦) Aharoni, Ibid P. 116.

(٢٧) بورتر، المرجع السابق، ص. ٥٩.

السوري تخشى بطش الملك الاشوري وتغد اليه طلعة خاضعة محملة بالهدايا، وكذلك فعل «شيبق» ملك مصر اذ بعث الى سرجون «وفدا يقدم الهدايا، فتركه سرجون»^(٢٨).

ويذكر العهد القديم ان الرب «أبعد اسرائيل من وجهه» بعد ان ساروا «على خطايا ياربعام» وانه «جُلي اسرائيل من أرضه الى اشور... واتى ملك اشور يقوم من بابل وكوت وعوا وحماة وسفروائيم، وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل، فاحتلوا السامرة وسكنوا مدنها»^(٢٩). (انظر الخارطة رقم ٢٢).

وكان هذا هو الإجلاء الثاني لبني اسرائيل من مملكتهم اسرائيل الى ما بين النهرين وما جاورها، بعد الإجلاء الأول الذي فرض عليهم في عهد تجلت فلاسر الثالث، كما قدمنا. ويقول المؤرخ اليهودي «ايلى بارناهي» في ذلك:

«أجلي قسم من سكان اسرائيل في عهد الملك فاقح، وقسم آخر بعد سقوط السامرة، وبقي، أخيراً، قسم مكانه حيث امتزج بخليط من الأقوام أتى به الملك سرجون، فأضاع، بذلك، هويته القومية وشكل، من جراء ذلك، نواة شعب جديد هو الشعب السامرائي. وهذه النتيجة المباشرة للسياسة الاشورية التي اعتمدت تدمير الكيانات الوطنية بواسطة التهجير المكثف للشعوب واستيعاب المنفيين (اليهود) في قلب الشعوب (المجتمعات) المحلية»^(٤٠).

نرى، ألم يكن الاشوريون أكثر وعياً وادراكاً من مجتمعنا اليوم، حين ادركوا خطر اليهود على العالم والانسانية، اذا ما اجتمعوا في بقعة واحدة، فشنتوهم واجبروهم على ان يشكلوا اجزاء متفرقة في مجتمعات عرقية مختلفة؟

ثم، أولاً يعمد اليهود، اليوم، الى فعل الشيء نفسه مع الشعب الفلسطيني، اذ يسعون الى تذويب هذا الشعب في مجتمعات عرقية مختلفة بحيث يضحى من المستحيل عليه ان يستعيد تكوينه الوطني والقومي على أرض واحدة خشية ان يعود ليطالب، من جديد، وبحق، بأرضه «الموعودة» التي اغتصبها اليهود ظلماً وقسراً؟

(٢٨) م. ن. ح. ن.

(٢٩) العهد القديم، ٢ مل ١٧: ٢٢-٢٤.

(٤٠) -- Bamavi, Op. Cit. P. 22

٥- في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م.):

خلف سنحاريب ابيه سرجون الثاني في ملك اشور وقد استمر حكمه اربعة وعشرين عاما، وما ان استقر له الحكم في نينوى وبابل وجوارهما حتى جرد حملة لاجتياح سوريا عام ٧٠١ ق. م. فغزا أشقلون (عسقلان) وكان ملكها قد رفض الخضوع له فأخضعه وتبعه أهلها، ثم غزا عقرون وكان ملكها قد حالف فرعون مصر، فقاتله سنحاريب وقتل حلفاءه المصريين وانتصر عليهم^(٤١)؛ ثم تقدم، في العام نفسه (٧٠١ ق. م.) الى اورشليم عاصمة مملكة يهوذا، وكان عليها ملك يدعى «حزقيا»، فحاصرها (وكان ذلك بعد مرور عشرين عاما على سقوط مملكة اسرائيل) الا انه لم يتمكن من احتلالها، فاجتاح «جميع مدن يهوذا المحصنة وافتتحها» وكان ذلك «في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا»^(٤٢)، عندها ارسل حزقيا الى سنحاريب، وكان في لاكيش، رسالة يقول فيها «انصرف عني، ومهما تفرض عليّ أؤده لك»^(٤٣)، ففرض عليه «ثلاث مئة قنطار فضة وثلاثين قنطاراً ذهباً» دفعها حزقيا جميعها، بعد أن أفرغ خزان بيت الرب وبيت الملك، ونزع الذهب «عن ابواب هيكل الرب وعن الدعائم التي قد لبسها حزقيا»^(٤٤).

وقد ظل حزقيا ملك يهوذا، ومن بعده ابنه منسى، يدفعان الجزية للملك الاشوري، ولكن الحكم الاشوري في سوريا بدأ يضعف بينما بدأت مملكة يهوذا تستعيد قوتها في ظل الملك «يوشيا» حفيد منسى^(٤٥)، مما أنقذ العاصمة اورشليم من الخراب وأهلها من السبي، ولكن الى حين.

حزقيا يحصن اورشليم:

ومما يجدر ذكره ان حزقيا استطاع، في أثناء حصار سنحاريب لأورشليم، ان يؤمن

(٤١) بورثر. المرجع السابق. ص ٦٠.

(٤٢) العهد القديم، ٢ مل ١٨: ١٣ وانظر Hamavi, Op. Cit. P. 24.

(٤٣) م. ن. ٢ مل ١٨: ١٤.

(٤٤) م. ن. ٢ مل ١٨: ١٤-١٦ وقد ورد في النسخة الفرنسية من العهد القديم: "neuf mille Kilos d'argent et neuf cents Kilos d'or".

تسعة آلاف كيلو فضة وتسعمائة كيلو ذهباً. (la Bible, 2 Rois 18: 14) ويرى محققو العهد القديم (ص ٧١١ حاشية ٧) ان اسم «حزقيا» قد حل محل اسم ملك سابق «عن سهو».

(٤٥) Hamavi, Op. Cit. P. 24.

الماء للمدينة المحاصرة بواسطة بركة جمعت فيها مياه نبع «جيحون» بعد ان جرت الى المدينة بواسطة قناة دعيت «قناة سيلويه Siloé» نسبة الى البركة المذكورة^(٤٦).

وكان حزقيا، يبغى، من وراء طمر الينابيع الواقعة خارج اورشليم، بالاضافة الى سقاية اهل المدينة، ان لا يدع الأعداء يستفيدون منها. ويذكر العهد القديم انه «اجتمع شعب كثير وسدوا جميع العيون والنهر الجاري في وسط الارض قناتين: لم ياتي ملوك اشور ويجدون مياهها غزيرة؟ ثم عمد حزقيا الى تحصين المدينة بان «اعاد بناء كل ما كان مهودا من السور، وعلى الابراج، وبني سورا آخر من الخارج، وحصن ملو، مدينة داود، وصنع حرابا وتروسا بكثرة، وأقام قواد حرب على الشعب وجمعهم اليه في ساحة باب المدينة، وخاطب قلوبهم قائلا: «تشددوا وتشجعوا ولا ترتعدوا في وجه ملك اشور، ولا في وجه كل الجمهور الذي معه، لأن معنا أكثر مما معه، ليس معه الا ذراع بشر، ومعنا الرب إلهنا ينصرنا ويحارب حروبنا»^(٤٧).

أما سنحاريب فقد ذكر، في أحد نقوشه التي عثر عليها في حفريات نينوى: «أما حزقيا اليهودي فهو لم يخضع لي، لذا فقد حاصرت ستا واربعين مدينة من مدنه القوية، واجليت ٢٠٠١٥٠ نسمة من اهلها، وثمانماية قنطار من الفضة»^(٤٨). كما ذكر في نقوش اخرى أوردها «تيلور» في «صحيفته» ما يلي: «وأما صدقيا ملك عسقلون فلم يخضع عنقه لنيري، فأخذت آلهة بيت أبيه وقبضت عليه وجلوته وامراته وبنيه وبناته واخوته واسرة بيت أبيه الى اشور وأقمت «سرلوداري بن روكبتي» ملكهم القديم واليا على شعب عسقلون (عسقلان)، وفرضت عليه جزية بيانا لخضوعه لعظمتي، وأخلص في الطاعة لي». ويستطرد سنحاريب: «وتتبع غزوتي قمشيت على بيت داغون (بيت دجن) ويوبا (يافا) وبني برق وهازور (ياسور)، وأما مدن صدقيا، (ملك عسقلان) الذي ابى الطاعة، فافتتحها واخذت سكانها اسرى، وأما رؤساء أمكرونا (عقرون أو عاقر) ووجهائها

-- Ibid (٤٦)

وجيحون: تعني بالعبرية، النبع المتدفق، وهو اسم نبع او مجرى ماء في ضواحي اورشليم. يقال ان اليهوديين هم الذين حفروه عام ٢٠٠٠ ق.م. وقد حفر حزقيا لقنية تحت الأرض من النبع المذكور الى داخل مدينة اورشليم حيث اتصلت هذه اللقنية ببركة «سلام» او «سيلويه» الواقعة داخل أسوار المدينة (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٧٩).

(٤٧) العهد القديم، ٢٠: ٢٢-٢٣.

-- Pritchard, Op. Cit. P. 107 (٤٨)

وشعبها الذين كانوا قد كبلوا ملكهم «بادي» بالحديد لانه اخلص في الطاعة، والامانة لاشور واسلموه الى حزقيا يهوداي (اي ملك يهوذا) فللقاه في السجن، اولئك... حاربتهم وظهرت عليهم... وأخذتهم أحياء، في معمعة الحرب، وضربت مدينة الخثاقو وتمنة وفتحتهما وغنمت ما كان فيهما... وزحفت الى مدينة أمكرونا فقبضت على الرؤساء والوجهاء الذين تسببوا في الثورة وفتكت بهم ووضعت جثثهم بعضها فوق بعض على أسوار المدينة... وأما بادي ملكهم فأخرجته من وسط اورشليم واجلسته على عرشه وفرضت عليه شيئا من الجزية بيانا لسيادتي»^(٤٩).

وكان سنحاريب قد أخضع كلا من صيدون وارواد وجبيل واشدود وعمون ومواب وأدوم^(٥٠) وعاد الى لأكيش (او لأكيش) على تخوم يهوذا من جهة مصر، ليفاوض حزقيا على تسليم عاصمته اورشليم.

وجاء في سفر أشعيا ان ملك اشور (ويرجح انه سنحاريب) اجتاح السامرة من الشمال، وتابع تقدمه جنوبا، مروراً بعبث ومجرون ومكماش وجبع ورامة وجبعة شاول ونوب، حتى وصل الى اورشليم^(٥٠ مكرر). ويبدو ان هذا الاجتياح قد حدث في وقت غير الوقت الذي حدث فيه اجتياح الساحل وصولاً الى اورشليم (انظر الخارطة رقم ٢٢).

المفاوضات بين سنحاريب وحزقيا ملك يهوذا:

يروى العهد القديم، بالتفصيل، سير المفاوضات التي جرت بين سنحاريب ملك اشور وحزقيا ملك يهوذا، وقد جاء في العهد القديم ما يلي:

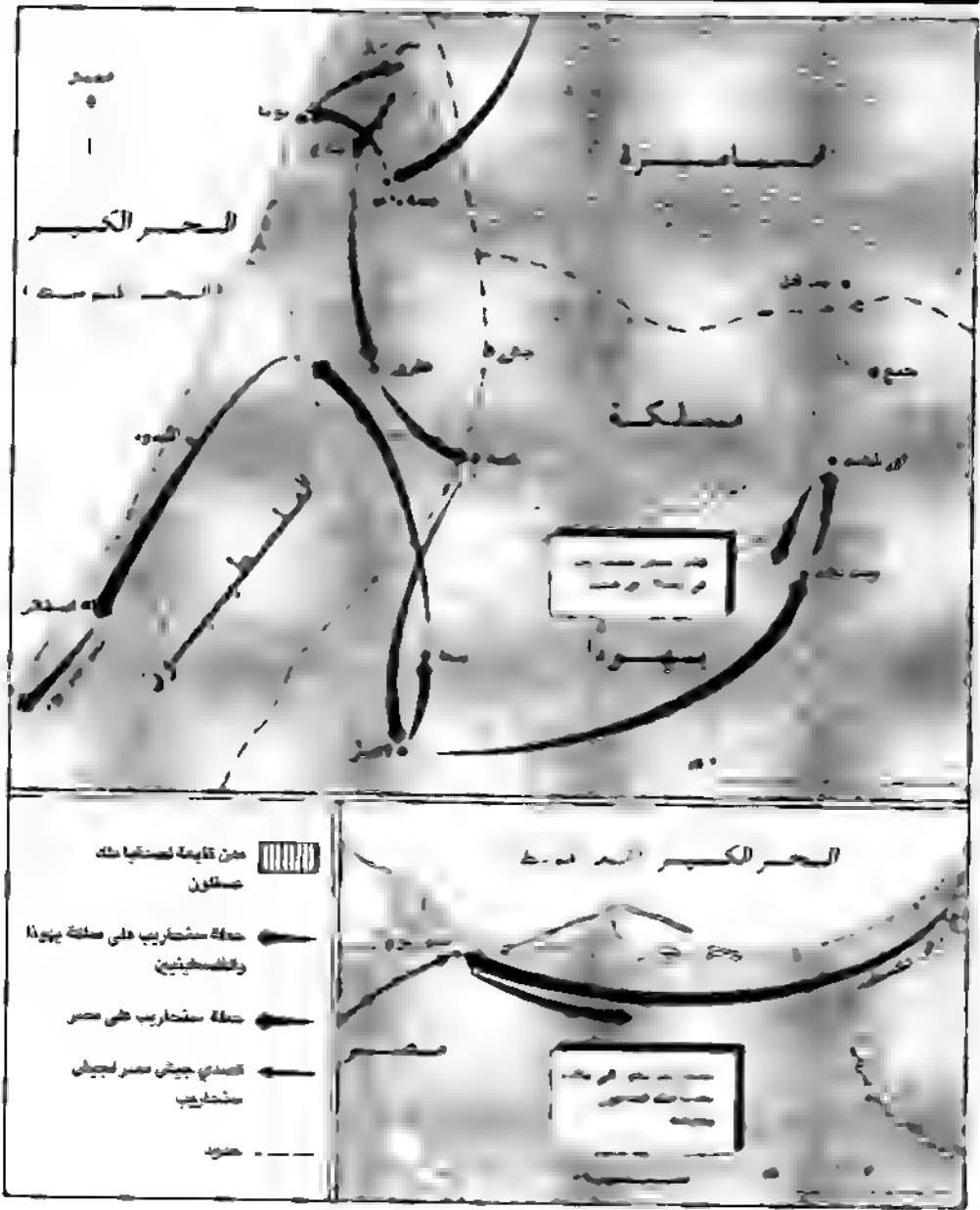
أرسل سنحاريب رسلا الى حزقيا، وهم «قائد القواد ورئيس الخصيان ورئيس السقاة» وأرسل معهم جيشا عظيما، وكان هو في «لأكيش». وما ان وصل هؤلاء الرسل الى أسوار المدينة المحصنة والمحمية بالجند المتمرسين على أسوارها، حتى نادوا الملك

(٤٩) (الدبس، المرجع السابق، ج٢، ١٠٥-١٠٢، وفي النص اخبار عن نجدة ملوك مصر والحبشة لوجهاء عفرون وشعبها ومحاربة سنحاريب لهم وانتصاره عليهم عند مدينة الخثاقو وتمنة (تينة) حيث قبض على رئيس مركبات مصر وعلى بنيه وعلى رئيس مركبات ملوك ملوحي، أي بلاد الحبشة، ومركباتهم وخيولهم.

(٥٠) Aharoni, Op. Cit. P. 117 --

(٥٠ مكرر)، ١١، ١٠: ٢٨-٢٢.

مارطه آل مروم صفایم فی قلمطیر



الذي أرسل لمفاوضتهم «الياقيم بن حلقيا، قِيم البيت، وشبنة الكاتب، ويواح بن آساف المدون» وبدأ بين الفريقين الحوار التالي:

- رئيس السقاة (من وفد سنحاريب): «قولوا لحزقيا: هكذا يقول الملك الكبير، ملك اشور: ما هذا الاتكال الذي اتكلته؟... انك انما اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، أي على مصر التي من اتكا عليها نشبت في كفه وثقبتها. هكذا قال فرعون، ملك مصر، لجميع الذين يتكلمون عليه»^(٥١). ثم يعير رئيس السقاة رسل حزقيا بانكال مليكهم على إلهه الذي لا ينفعه، وينذرهم بانهم لن يستطيعوا ردّ وجه قائد واحد من صغار ضباط» سيده سنحاريب^(٥٢).

- الياقيم (رئيس وفد حزقيا): «كلم عبيدك باللغة الآرامية فاننا نفهمها، ولا تكلمنا باليهودية على مسامع الشعب القائم على السور».

- رئيس السقاة: «أعلمه إلى سيدك واليك أرسلني لأقول هذا الكلام؟ اليس إلى الرجال القائمين على السور، المضطرين إلى أكل برازهم وشرب بولهم معكم؟». ثم نادى رئيس السقاة بأعلى صوته لكي يسمعه من على السور من جند حزقيا، وخاطبهم، باليهودية، بصوت عال:

«اسمعوا كلام الملك الكبير، ملك اشور، هكذا قال الملك: لا يخدعكم حزقيا، لأنه لا يقدر ان ينقذكم من يديّ، ولا يجعلكم حزقيا تتكلمون على الرب بقوله: الرب ينقذنا ولا تسلم هذه المدينة إلى ملك اشور... اعقدوا معي صلحا واخرجوا إليّ، وكلوا كل واحد من كرمه ومن تينيه، واشربوا كل واحد ماء بشره.....» ثم نكّرهم بمصير «حماة وأرفادة» و«سفروائيم وهيناع وعوة»، وكذلك مصير «السامرة» وأنذرهم بان مصير اورشليم لن يكون افضل^(٥٣) «فسكت الشعب ولم يجبه بكلمة، لان الملك أمر قائلا: لا تجيبوه». وعاد الرسل إلى الملك حزقيا «واخبروه بكلام رئيس السقاة»^(٥٤)، أما رسل سنحاريب فقد عادوا إلى مليكهم الذي كان «يقاقل لبنة»^(٥٥) فقصوا عليه ما جرى لهم مع ملك اورشليم.

(٥١) العهد القديم، ٢ مل ١٨: ١٧-٢١

(٥٢) م. ن. ٢ مل ١٨: ٢٥-٢٣

(٥٣) م. ن. ٢ مل ١٨: ٢٦-٢٥

(٥٤) م. ن. ٢ مل ١٨: ٢٦-٢٧

(٥٥) م. ن. ٢ مل ١٩: ٨

ثم عاد سنحاريب وارسل، من جديد، رسلا الى حزقيا، ومعهم رسالة منه يدعوه فيها الى تسليم المدينة اليه، ويقول له: «لا يخدعك الهك الذي انت متكل عليه.... فانك قد سمعت ما صنع ملوك اشور بجميع البلدان وكيف حرّموها، أفأنت تنجو؟...» ويذكره بمصير المدن التي احتلها الاشوريون وخرّبوها^(٥٦).

وقرأ حزقيا الرسالة واستشار ربه، اله اسرائيل، بواسطة النبي «أشعيا بن أموص» الذي حمل رد الرب الى حزقيا، وكان ردا طويلا تغلب عليه صفة الشعر والترانيم، وخلاصته ان ملك اشور «لا يدخل هذه المدينة ولا يرمي اليها سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا ينصب عليها مردوما، وفيه تعهد من الاله نفسه انه سوف يحمي هذه المدينة «أورشليم» ويخلصها «بسببي وبسبب داود عبدي»^(٥٧).

ويبدو ان سنحاريب رأى، بعد فراغه من القتال في لبنة (وكان يقاتل اهلها حين عاد اليه رئيس السقاة وأخبره بما جرى مع رسل حزقيا)، ان ينتقل لقتال المصريين، حلفاء يهوذا، وكانوا قد عسكروا بجيشهم عند مدينة «بيلوزيوم» على حدود مصر استعدادا لقتاله، فعسكر قبالتهم، ولكن اله اسرائيل عاجله بضربة فقتل من جنده «مئة الف وخمسة وثمانين الفا»^(٥٨)، عندها قرر سنحاريب العودة بما تبقى من جيشه الى بلاده، حيث «قتله أدركمك وشرأصر، ابناه، بالسيف، وهربا الى أرض لاراط، وملك اسرحدون، ابنه، مكانه» وكان ذلك عام ٦٨١ ق. م.^(٥٩).

ان رواية من هذا النوع لا تصلح على الاطلاق، لان تكون مستندا تاريخيا مقبولا، سواء من الوجهة العلمية ام المنطقية. ويحاول هيرودوت تحليل هذا الحدث «منطقيا» فيذكر ان الفئران غزت معسكر الاعداء اثناء الليل وقرضت كناناتهم وأقواسهم، حتى سيوف تروسهم، فأصبحوا في اليوم التالي، بلا سلاح، فهربوا وهلك عدد كبير منهم^(٦٠). وورد،

(٥٦) م. ن. ٢. مل ١٩: ١٣-٩.

(٥٧) م. ن. ٢. مل ١٩: ٢٤-١٤.

(٥٨) م. ن. ٢. مل ١٩: ٢٧. وانظر Héroulde, L'Épique, I, P. 238, Note 141.

(٥٩) م. ن. ٢. مل ١٩: ٣٦-٣٧. وص ٧١ حاشية ١٢ و Quillet, Op. Cit. P. 100.

وكان اسرحدون على رأس جيش من جيوش ابيه يقاتل على حدود ارمينية عندما وصله نبا مقتل ابيه في نينوى فعاد بجيشه سريعا الى العاصمة فهرب اخواه القتلان الى ارمينية واستولى هو على الحكم (يورتز، المرجع السابق، ص ٦٣).

(٦٠) Héroulde, L'Épique, I, P. 238, N. 141.

في مكان آخر، ان هذه الفئران حملت للطاعون الذي فتك بالجيش الاشوري فقتل هذا العدد الكبير منه^(٦١).

٦- في عهد الملك أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م):

تسلم اسرحدون الملك في اشور عام ٦٨١ ق.م. خلفا لوالده الذي قتل على يدي ولديه ادرملك وشرآصر، كما قدمنا، وظلَّ اسرحدون في الحكم ثلاثة عشر عاما فقط (حتى عام ٦٦٨ ق.م.) خاض خلالها العديد من الحروب ضد سوريا ومصر، الا انه لم يذكر من حروبه ضد مملكة يهوذا سوى أسره لملكها منسى بن حزقيا وسوقه مكبلا بالحديد الى بابل ثم العفو عنه واعادته الى اورشليم عاصمة ملكه^(٦٢). ورغم ان العهد القديم لم يذكر اسرحدون بالاسم، فإن النصهوس التي وجدت في نقوش اشورية تشير الى ان مملكة يهوذا خضعت، في عهد منسى، الى اسرحدون، ولكنها لم تذكر شيئا عن اسر اسرحدون للملك اليهودي^(٦٣).

وما ان تسلم اسرحدون الحكم حتى واجه ثورة في مملكتي صور وحيدا (عام ٦٧٩ ق.م) الا انه استطاع اخماد هذه الثورة بسرعة كما انه تمكن من السيطرة على الساحل السوري جنوبا حتى حدود مصر ثم على هذا الساحل شمالا حتى بلغ نهر الكلب حيث نقش اسمه الى جانب باقي اسماء الغزاة والفاثحين، وذلك بعد ان اخضع صيدون وعقد معاهدة مع ملك صور (عام ٦٧٧ ق.م) وفرض الجزية على مملكة يهوذا وعلى قبرص وفلسطين^(٦٤).

بعد ان استقر الامر لاسرحدون في سوريا توجه (عام ٦٧١ ق.م.) لغزو مصر، فحاض ضد ملكها ترماقا الحبشي، معركة حاسمة في عسقلان، ودخل مصر فأخضعها لسلطانه. وقد شاركت الممالك السورية، الى جانب مصر في هذه الحرب، وكذلك فعل

-- Hérodote, Op. Cit, Notes du L. II P. 508 (Note 185)(٦١)

(٦٢) العهد القديم، ٢٢: ١١-١٣، وينكر يورتر (م.ن. ص ٦٤) انه ربما كان لشور بنيتيال، ابن اسرحدون الذي استلم الحكم بعده، هو الذي فك اسر منسى، وأعادته الى اورشليم.

(٦٣) العهد القديم، ص ٨٢٤ حاشية (١).

-- Aharoni, Op. Cit. P. 119, & Quillet, Op. Cit. P. 102 (٦٤)

منسى، ملك يهوذا، الذي أرسل بدوره، مثل باقي الممالك المجاورة، جيشا للقتال مع مصر التي هزمت. بينما فر ترهاقة الى كوش واحتل اسرحدون مصر ونظم شؤون الحكم فيها وعاد الى بلاده عن طريق سوريا^(٦٥)، وأرسل وهو في طريق العودة، من قبض على منسى ملك يهوذا، لتمرده، واقتاده أسيرا الى بابل، الا انه، ما ان وصل اسرحدون الى بلاده، حتى أصيب، عام ٦٦٩ ق.م. بمرض عضال اضطره لان يتنازل عن الملك لابنه اشور بنيبال عام ٦٦٨ ق.م. ثم استقر في بابل الى ان توفي في العام نفسه. ويذكر أهاروني انه، ما ان تسلم اشور بنيبال الحكم، بعد موت والده، حتى استدعى اليه منسى الذي استلماع اقناع الملك الاشوري باخلاصه وولائه لاشور، فاطلق سراحه^(٦٦).

(٦٥) Aharoni, Op. Cit. P. 119 & Quillet. Op. Cit. 102 وانظر: بورتر، المرجع السابق، ص ٦٢ - ٦٤.

— Aharoni, Op. Cit. P. 119 (٦٦)

الفصل الثالث

حروب العبرانيين مع الكلدانيين

بلغت آشور أوج مجدها في عهد آشور بنينبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م.)، الا انها بدأت بالانحدار سريعا في أواخر عهده، وبعد وفاته، بينما كانت محميةها «بابل» عاصمة المملكة الاولى للكلدانيين، تنهض بسرعة، خالعة عنها ثوب العبودية التي لبسته طويلا على يد «نينوى» عاصمة الآشوريين. وما ان أزف عام ٦١٢ ق.م. حتى كانت نينوى تترنح تحت وطأة الحصار القاسي الذي فرضه عليها جيش التحالف الميدي - الكلداني (البابلي) بقيادة «نابوبولاصر»، الثائر، وابن الحاكم الذي نصبه آشور بنينبال نائبا له على بابل، والملك «سياكसार» ملك ميديا، ثم لا تلبث ان تسقط مخفية مكانتها التاريخية الرفيعة لبابل، عاصمة المملكة الكلدانية الجديدة المساعدة التي حلت، في قيادة العالم القديم، وفي التاريخ، محل آشور^(١).

بدأت المملكة الكلدانية الجديدة مسيرتها، اذن، في عهد منشئها الملك نابوبولاصر، حيث اقتسمت مملكة آشور المنهارة كل من بابل وميديا ومصر، أما سوريا، فقد كانت تتنازعها كل من المملكتين: بابل من الشمال، ومصر من الجنوب، وأما مملكة يهوذا، التي عبرت عن فرحتها الكبيرة بسقوط نينوى وانهايار آشور على لسان بعض ابنائها، حيث كان تشفيهم بهذين السقوط والانهايار حادا وصارخا: «ويل لمدينة الدماء، الممتلئة بأسرها كذبا وخطفا... هونا صوت السياط، وصوت اهتزاز الدواليب، والخيال العادية والمركبات الواثبة... وبريق الرمح وكثرة القتلى، وتراكم للجثث ولا نهاية للجيف... ها انذا اليك،

(١) جني، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ج ١: ٦٩ - ٧٠، وقد ورد اسم نابوبولاصر عند جني، باسم «نابويلاسر»، وانظر. Quillet (encyclopédie) T. 1, PP. 149-150, et Prichard, Op. Cit. PP. 126-127.

يقول رب القوات، فأرفع نيول ثوبك على وجهك، وأري الامم عورتك، والممالك هوانك، وأقذفك بالاقذار، وأفضحك وأجعلك عبرة،... قد دمرت نينوى، فمن يرثي لها؟^(٢). أما يهوذا هذه فقد لقيت نهايتها المحزنة على يد المملكة الجديدة التي فرحت لها وطربت لانتصاراتها.

ويبدو ان نحو الثاني فرعون مصر حاول استغلال انشغال نابوبولاصر بتثبيت ملكه الجديد بعد انتصاره على نينوى، فعمد الى غزو سوريا حتى بلغ بجيوشه الفرات واحتل مدينة كركميش، مما حدا بنابوبولاصر، ملك بابل، لان يرسل جيشا بقيادة ابنه وولي عهده نبوخذ نصر الثاني، لكبح جماح المصريين وطردهم من سوريا، وجرت بين الجيشين، في كركميش، عام ٦٠٥ ق.م. معركة عنيفة انتهت بهزيمة الفرعون المصري وجيشه الذي أخذ يتقهقر جنوبا، نحو حدود مصر، بضغط من نبوخذنصر، حتى بلغ حماة^(٣).

١- عهد الملك نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م):

بعد معركة كركميش، تلقى نبوخذ نصر نبأ وفاة والده، وكان لا يزال يطارد فلول الجيش المصري، فعاد مسرعا الى بابل لكي يتسلم الملك خلفا لوالده (عام ٦٠٤ ق.م)، ثم عاد بعدها، الى سوريا لكي يستكمل استعدادتها من المصريين^(٤).

كان على يهوذا، في هذه الاثناء، ملك يدعى «يوياقيم بن يوشياه» وكان يخشى بطش نبوخذنصر وسطوته، خصوصا بعد ان تمكن من ان يهزم جيش مصر وفرعونها، ويستعيد سوريا من ايدي المصريين حتى وصل الى عسقلان وغزة، على حدود مصر، واحتلها (عام ٦٠٤ - ٦٠٣ ق.م)، فخضع له يوياقيم طيلة ثلاث سنوات حيث كان يدفع له الجزية بانتظام^(٥).

(٢) العهد القديم، نحو ٢: ٧٨.

(٣) م.ن.، ار. ٤٦: ٢، و ١٥١: ٢٠ - Quillet, OP. Cit. P.

وانظر: Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, P. 123 - وكركميش هي جرابلس اليوم، وتقع شمال شرقي حلب، على الفرات (العهد القديم ص ١٧٩ حاشية ١).

(٤) يرى آهاروني (Aharoni, Op. Cit. P. 123) ان نبوخذ نصر قد تلقى نبأ وفاة والده وهو محاصر كركميش ففادها مسرعا الى بابل ليتسلم الملك ثم عاد بعد ذلك لكي تسقط المدينة في يديه عام ٦٠٥ ق.م. ونحن لا نرى رايه باعتبار انه تسلم الملك خلفا لوالده عام ٦٠٤ ق.م. اي بعد سقوط كركميش وفي اثناء مطاردته لجيش مصر.

(٥) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١، و Aharoni, Op. Cit. P. 123.

الا انه، ما ان عاد نبوخذنصر الى بلاده، حتى انقلب يوياقيم على سيده البابلي، بضغط من فرعون مصر واغراء منه، واعلان التمرد على بابل، فسلط عليه نبوخذنصر (عام ٥٩٩ ق. م) غزاة من الكلدانيين (المحليين) ومن آرام ومواب وبني عمون بينما كان هو مشغول بقتال العرب، ثم جاء نبوخذنصر بجيوشه (عام ٥٩٨ ق. م) فدخل عاصمته اورشليم «واوثقه بسلسلتين من نحاس ليسوقه الى بابل»^(٦)، ثم ملك يوياكين ابنه مكانه^(٧).

ولكن يوياكين اتبع سيرة ابيه، بعد ثلاثة اشهر وعشرة ايام فقط من ملكه، عندها، ارسل نبوخذ نصر، من جديد، جيشاً لحصار اورشليم، فأقام الجيش الحصار على المدينة الى ان وصل نبوخذ نصر نفسه، حيث «خرج يوياكين، ملك يهوذا، الى ملك بابل، هو واهله وضباطه وأشرفه وخصيانه»، فأخذهم نبوخذنصر جميعهم اسرى^(٨). ثم اخرج «جميع كنوز بيت الرب وكنوز بيت الملك، وحطم جميع آنية الذهب التي عملها سليمان، ملك

(٦) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١-٢ وأخ ٣٦: ٦ و ١٢٤: ٢. Aheroni, Op. Cit. P. 124.

وتختلف النسخة العربية من العهد القديم، عن النسخة الفرنسية، لا وورد في النص الثوراتي، في النسخة العربية، ان نبوخذنصر اوثق يوياكين بالسلاسل ليسوقه الى بابل، بينما وورد في النص نفسه، وفي النسخة الفرنسية، ان نبوخذنصر اوثق يوياكين بالسلاسل موساقه الى بابل، (II fit enchaîner solidement Joiaquim et l'emmea à (2 chr. 36: 6) Babytone)، ويعلق محقق العهد القديم بالعربية، على هذا النص بقولهم: «لا يُعرف هذا الاسر وهذا السلب الا من هذا النص، (العهد القديم، ص ٨٢٩ حاشية ٢) بينما يذكر المؤرخ بارناي ان يوياكيم قتل وتسلم ابنه يوياكين الملك مكانه... (Barnavi, Histoire universelle des Juifs, P. 24) اما المؤرخ بريشارد، فهو لا يذكر اسر يوياكين فيما بعد، لا يأتي، في الوقت نفسه، على ذكر اسر والده يوياكيم (Pritchard, Atlas du monde Biblique, P. 107) ولم يرد، في العهد القديم، أي ذكر لاسر يوياكيم غير ما وورد أعلاه، اما اماروني فيرى انه في غضون ذلك، كان يوياكيم قد مات في ٨ كانون الأول عام ٥٩٨ ق. م، بينما كان جيش نبوخذنصر قد توجه من بابل الى اورشليم من ١٧ كانون الأول عام ٥٩٨ الى ١٥ له ٢ عام ٥٩٧ ق. م، وتسلم الملك مكانه ابنه الشاب يوياكين تحت وصاية امه». (Aheroni, Op. Cit. P. 124).

(٧) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ٢ وأخ ٣٦: ٨.

(٨) م. م. ٢ مل ٢٤: ٨-١٢. ونجد، في النص الثوراتي، خلافا بين ما وورد في (٢ مل ٢٤: ٨) و(٢ أخ ٣٦: ١)، حيث وورد في النص الأول ان يوياكين كان مابين ١٨ سنة حين ملكه، وورد في النص الثاني انه كان مابين سنتين سنوات حين ملكه، كما ان هناك تناقضا آخر في النصين المذكورين، حيث وورد في النص الأول (٢ مل ٢٤: ١٢) ان يوياكين هو الذي خرج الى ملك بابل هو واهله وضباطه وأشرفه وخصيانه، وورد في النص الثاني (٢ أخ ٣٦: ١٠) ان نبوخذ نصر ارسل.. فجاء به (اي بيوياكين) الى بابل.. ويعلق محقق النسخة الفرنسية على الخلاف الحاصل بين سفري الملوك والاخبار حول سن يوياكين بان هناك «بعض المخطوطات اليونانية القديمة، وكذلك سفر الملوك (٢ مل ٢٤: ٨) يحددون سن يوياكين عند تسلمه الملك بـ ١٨ سنة.. دون أي تعليق آخر من قبلهم (La Bible, P 1236, note (i)) اما بشأن الخلاف الآخر، فلم نجد أي تبرير أو تطبيق من قبل المحققين للنسختين، العربية والفرنسية، حول هذا التناقض.. ويبدو ان اماروني يعمل الى تأييد الرواية الواردة في (٢ أخ ٣٦: ١٠) حول سن يوياكين، إذ يقرر انه عندما توفي يوياقيم والده، تسلم يوياكين الملك تحت وصاية امه، وان نبوخذنصر ارسل الأوامر لأخذ يوياكين وحاشيته اسرى الى بابل» (Aheroni, Op. Cit. P. 124).

اسرائيل، لهيكل الرب»^(٩)، وأجلى «كل اورشليم وجميع الضباط ورجال الحرب، ابي عشرة آلاف مجلو» وأجلى ايضا «جميع الحدادين والقفالين، ولم يبق الا فقراء شعب تلك الارض»، ثم أجلى كذلك، «يوياكين الملك... وأم الملك وأزواجه وخصيانه، وكل عظماء تلك الارض» الى بابل^(١٠)، وكان جميع رجال الحرب «وهم سبعة آلاف»، والحدادون والقفالون «وهم ألف رجل»، كانوا جميعهم «أبطال رجال حرب»، وقد أخذهم نبوخذنصر جميعهم «مجلولين الى بابل»^(١١). ثم أقام «مُتَّيًّا» عم يوياكين، ملكا على اورشليم، وسمَّاه «صدقيا»^(١٢)، وكان ذلك عام ٥٩٧ ق. م. ويبدو، من خلال ما ورد في العهد القديم، ان نبوخذ نصر اختار وجهاء القوم ومحاربيهم وأشرفهم وأصحاب المهن المهمة فيهم، وأجلاهم الى بابل، كما أجلى بعض الكهنة او الذين هم من ذري السلالة الكهنوتية^(١٣)، ولم يُبقَ في اورشليم سوى الفقراء والمحتاجين والمعوزين. وكان يقصد من وراء ذلك، ولا شك، شل الحياة العامة، الاجتماعية والسياسية والمهنية، في البلاد.

أما «يوياكين» فقد أقام في الأسر، ببابل، سبعة وثلاثين عاما، عومل، خلالها، برفق، حتى اذا مات نبوخذنصر وتولى الملك ابنه «اويل مردوك» مكانه (عام ٥٦١ ق. م.)، اطلق سراحه واحسن معاملته وجعل عرشه اعلى من عروش الملوك الذين معه في بابل، وغير ثياب سجنه... وكانت له معيشة دائمة تعطى من عند الملك... كل ايام حياته»^(١٤).

انقسمت يهوذا، في عهد صدقيا، الى فئتين: الأولى معارضة لحكم بابل وتسمى الى التخلص منه، وذلك عن طريق التحالف مع مصر والتعاون معها (كما حاول يوياقيم ان يفعل)، وأخرى موالية لبابل تؤيد الاستمرار في طاعتها والخضوع لها وعدم مناهضتها او

(٩) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ١٣.

(١٠) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٥-١٤.

(١١) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٦.

(١٢) م. ن. ٢ مل ٢٤: ١٧، و. ١٢٤ P. Cit. Op. Alkanmi --

وقد وجدت، في بابل، نقوش تعود الى عهد نبوخذنصر. والى العام ٥٩٧ ق. م. جاء فيها «حاصر ملك بابل مدينة يهوذا واخذها، وسمى عليها ملكا جديدا اختاره هو، واخذ منها غنائم كثيرة حملها الى بابل». P. Cit. P. 117. -- Pritchard, Op.

(١٣) أجلى نبوخذنصر حزقيا، من السلالة الكهنوتية في اورشليم 24 P. Cit. Op. Barnavi -

(١٤) العهد القديم، ٢ مل ٢٥: ٢٧-٣٠.

التمرد عليها، وكان «النبى إرميا» من الفئة الأخيرة، ذلك انه كان يرى ان بابل سوف تحكم الأرض سبعين عاما، هكذا اراد الرب، وعلى يهوذا ان ترضخ لارادته، ومن نبوءات إرميا:

- «هكذا قال الرب: هوذا شعب مقبل من ارض الشمال، وأمة عظيمة ناهضة من اقاصي الأرض، قابضون على القوس والحربة، قساة لا يرحمون، صوتهم كهدير البحر، وعلى الخيول راكبون، مصطفون، كرجل واحد، للمعركة، ضدك يا بنت صهيون»^(١٥).

- «هكذا قال رب القوات: ... ها انذا ارسل وآخذ جميع عشائر الشمال (يقول الرب حول نبوخذنصر، ملك بابل، عبدي) وآتي بها على هذه الأرض وعلى جميع سكانها (وعلى هذه الأمم من حولها) وأحرمهم وأجعلهم دهشا وشفيرا او خربة أبدية، وأزيل منهم صوت الطرب وصوت الفرح... وتكون هذه الأرض كلها خرابا ودهشا، وتستعبد هذه الأمم لملك بابل سبعين سنة (وعند انقضاء السبعين سنة، أفتقد ملك بابل، وتلك الأمة، يقول الرب، بسبب اثمهم، وأرض الكلدانيين، وأجعلهم دمارا أبديا)^(١٦).

واذا كان «صدقياء» ميالا للخضوع لبابل ومسالمتها، فان معظم وزرائه لم يكونوا كذلك، لذا، فهو لم يكن باستطاعته الوقوف في وجه التيار المعارض لبابل في مملكته والذي زاد من ضغطه عليه مستعينا ما لمصر من تأثير في الأوساط السياسية في يهوذا منذ عهود سالفه، وهكذا نراه يسير في سياسة معادية لبابل (عام ٥٩٣ - ٥٩٢ ق.م). معتمدا على وعد من مصر بمساعدته عسكريا^(١٧).

لقد بدأت مصر تعود تدريجا الى الساحة السورية، بعد ان كانت قد انكفأت عنها كليا عقب هزيمتها في معركة كركميش، مما أدى الى وجود استفار مستمر في بابل بغية عدم السماح لمصر باستغلال الفراغ القائم على تلك الساحة بسبب غياب الوجود العسكري البابلي عنها.

ولهذا، فقد بدأت جيوش بابل تعود الى سوريا، بين الغينة والأخرى، اما لاثهار قوة او

(١٥) م.ن.ار.٦:٢٢-٢٣. والجدير بالذكر ان ارميا عاش في أيام ملوك يهوذا: يوشيا بن امون، ويوياقين بن يوشيا، وصدقياء بن يوشيا، حتى اجلاء اورشليم الى بابل. وكان يفتبا في أيام هؤلاء الملوك جميعا (م.ن. ص ١٦٤٣).

(١٦) م.ن.ار.٢٥:٨-١٢.

(١٧) م.ن.٢. مل ٢٥: ٢٤-٢٥. - Barnavi, Op. Cit. P. 24.

كبح تمرد او اخعاد ثورة، فهي قد دخلت سوريا مرة أخرى عام ٥٩٦ ق.م. ثم عادت الى بلادها في العام التالي (٥٩٥ ق.م.) بسبب تمرد حصل في بابل. الا ان هذه الجيوش عادت فدخلت سوريا من جديد بعد سنتين (عام ٥٩٢ ق.م.) بسبب السياسة التي اتبعها صدقيا، وهي سياسة التقرب من مصر، وجمع باقي شعوب سوريا مثل الألوميين والمؤابيين والعمونيين والصيديونيين واللصوريين (عام ٥٩٢ ق.م.) في مؤتمر بأورشليم «يحضره بساميتيك الثاني» الذي خلف «نخو الثاني» على عرش مصر، لتشكيل حلف معاد لبابل^(١٨). وقد نهى النبي ارميا عن هذه السياسة مرارا فلم يرتدع، فقد قال له:

«ضعوا اعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه مع شعبه فتحيا»^(١٩)، وفي رسالة منه الى بني اسرائيل الذين أجلوا الى بابل، قال:

«أبنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنائن وكلوا من ثمرها، اتخذوا نساء ولدوا بنين وبنات... وتكاثروا هناك ولا تقلوا، واطلبوا سلام المدينة التي جلوتكم اليها، وصلوا من اجلها الى الرب، فانه بسلامها يكون لكم سلام»^(٢٠)، الى ان قال في الرسالة نفسها:

«عند انقضاء سبعين سنة في بابل، افتقدكم واتم لكم كلمتي الصالحة بارجاعكم الى هذا المكان»^(٢١).

وغير ذلك من النصائح الكثيرة التي وجهها ارميا الى ملوك يهوذا وشعبها بعدم محاربة بابل والتحالف ضدها، لانها «امر الله الذي لا بد من نفاذه».

ولكن صدقيا لم يستمع لنصائح النبي ارميا، بل انه استمر في سياسته المعادية لبابل، عندها، استدعى نبوخذنصر ملك يهوذا الى بابل ليستجوبه، فاستطاع هذا الأخير اقناع الملك البابلي بصدق نواياه تجاه اسياده البابليين وولائه لهم، فأعاده الى اورشليم، وظلت حكومته، في نظر بابل، موالية لها^(٢٢).

(١٨) م.ن.ار.٢٧:٢ وم.١٦٩١ حاشية (٢) و P. 124. Op. Cit. -- Aharoni.

(١٩) م.ن.ار.٢٧:١٢.

(٢٠) م.ن.ار.٢٩:٧-٥.

(٢١) م.ن.ار.٣٩:١٠.

(٢٢) P. 124. Op. Cit. Aharoni.

الا انه، في عهد خفرع، فرعون مصر الذي خلف بساميتيك الثاني، خليفة نخو الثاني في حكم مصر عام ٥٨٩ ق.م، ازداد التدخل المصري في شؤون سوريا، وازداد معه التأمر على بابل، مما دفع صدقيا، ملك يهوذا، لاعلان التمرد عليها، وذلك «في السنة التاسعة لملكه» عام ٥٨٨ ق.م.^(٢٣)، معتمدا، كما قدمنا، على وعد من مصر بمساعدته عسكريا اذا ما تعرض لهجوم من قبل بابل. وكان رد بابل سريعا وعنيفا، إذ جرد نبوخذنصر حملة لحصار اورشليم (كانون الثاني عام ٥٨٨ ق.م)، وحاول جيش خفرع مهاجمة جيش بابل لرفع الحصار عن اورشليم، فتمكن، في البدء، من ذلك، الا انه عاد فمني بهزيمة نكراء أدت الى تجدد الحصار على المدينة وتشديده عليها، وجرى ذلك كله خلال عام ٥٨٧ ق.م. كما منيت المدن الأخرى في يهوذا بهجوم من قبل الجيوش البابلية أدى الى تدميرها جميعا^(٢٤).

أما نبوخذنصر الذي كان قد زحف على اورشليم بجيوشه، فقد «عسكر عندها، وبني حولها تحصينات»^(٢٥) ولم تتمكن مصر من مساعدة حليفها، كما كان منتظرا، وذلك بسبب الحصار المحكم الذي فرضه نبوخذنصر على المدينة، وبسبب الهزيمة التي لحقت بجيشها عند أسوار اورشليم.

وظل نبوخذنصر محاصرا اورشليم بجيوشه طيلة عامين كاملين، من (السنة التاسعة) لملك صدقيا الى (السنة الحادية عشرة) منه، حتى «اشتد الجوع في المدينة، ولم يبق خبز لشعب تلك الأرض»^(٢٦). وتجمع جنود اورشليم ليلا، عند «الباب الذي بين السورين»: السور الداخلي الذي كان قد بني في أوائل عهد مملكة يهوذا، والسور الخارجي الذي بني في عهد صدقيا، وكان هذا الباب يطل على «بستان الملك» الذي يمتد خارج الأسوار الى «وادي قدرون». وبينما كان جند نبوخذنصر يحيطون بالمدينة وأسوارها احاطة السوار بالمعصم، استطاع الملك صدقيا ان يخرج من المدينة سرا «في طريق العربية» بوادي الأردن، لكن جيش نبوخذنصر شعر بخروجه، فاقتفى اثره حتى ادركه في

(٢٣) العهد القديم، ٢ مل ٢٤: ٢٥ و ١: ٢٥. -- Barnavi, Op. Cit. P. 24.

وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 124.

Aharoni, Ibid. PP. 124-125 (٢٤)

(٢٥) العهد القديم، ٢ مل ٢٥: ١، -- Aharoni, Ibid.

(٢٦) م.ن. ٢ مل ٢٥: ٢.

«برية اريحا» وقد انفض عنه جنده وحاشيته، فقبض جند نبوخذنصر عليه «واصعدوه الى ملك بابل في ربله (في ارض حماة)، وتلوا عليه الحكم، وذبخوا بني صدقيا امام عينيه (ودُبح ايضا جميع رؤساء يهوذا في ربله)، ثم فقأ ملك بابل عيني صدقيا، واوثقه بسلسلتين من نحاس وجاؤوا به الى بابل» اما جميع الجند رجال الحرب، فقد هربوا خلف مليكهم، اذ (خرجوا من المدينة ليلا في طريق الباب الذي بين السورين) (٢٧).

في هذا الوقت، وفي ١٩ تموز عام ٥٨٦ ق. م (٢٨)، كان جيش نبوخذنصر ينقض على أسوار المدينة فيفتح ثغرة فيها ويدخلها بقيادة رئيس الحرس «نبوزر ادان» حيث قتل فتیان المدينة بالسيف «في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى او عذراء ولا على شيخ او أشيب، بل أسلم الجميع الى يده» (٢٩)، ثم «أحرق بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت اورشليم» وكل بيوت العظماء فيها (٣٠)، كما هدم أسوار اورشليم، وأجلى «سائر الشعب الذي بقي في المدينة» وكذلك «الذين نجوا من السيف»، فقد أجلاهم الى بابل «حيث صاروا عبيداً له ولبنيه» (٣١)، ولم يترك نبو زرادان في المدينة سوى «فقراء الأرض» الكرمّامين والفلاحين (٣٢). ولم يكتف جند بابل بذلك، بل انهم حطموا «أعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب، وحملوا نحاسها الى بابل» (٣٣)، كما أخذوا «القدور والمجارف والمقاريض والقصاع وجميع أدوات النحاس التي كانوا يخدمون بها»، و«المجامر والصحاف، ما كان منها ذهباً فالذهب، وما كان منها فضة فالفضة» (٣٤)،

(٢٧) م. ن. ٢. مل ٢٥: ٧. ووادي قنرون. هو وادي مستي مريم العالي. وهو يبتعد عن شمال غربي اورشليم ويسير الى الجنوب الشرقي حتى يصل الى زاوية السور الشمالية الشرقية، ثم ينحدر شرق المدينة، بين سورها وجبل الزيتون وتل المصصة، ثم ينحدر، بعدما، الى مار سابا حيث يسمى وادي الرافبه، ثم يمتد الى بحر لوط، وهناك يسمى وادي النار. (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٧١٦).

ملاحظة: نجد ٢ مل ٢٤: ١٨-٢٠ مل ٢٥: ١-٢١، مكرراً في إر ٥٢: ١-٢٧ مع بعض الإضافات التي وردت في سفر إرميا، وقد وضعناها في المتن بين قوسين.

(٢٨) Altamirani, Op. Cit. P. 125

(٢٩) العهد القديم ٢ مل ٢٦: ١٧ و ٢ مل ٢٥: ٨.

(٣٠) م. ن. ٢ مل ٢٥: ٩.

(٣١) م. ن. ٢ مل ٢٦: ٢٠ و ٢ مل ٢٥: ١١.

(٣٢) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٢.

(٣٣) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٢.

(٣٤) م. ن. ٢ مل ٢٥: ١٤-١٥. ويذكر ابن سليمان كان قد صنع جميع أدوات بيت الرب، أي: المنبرج والمائدة والمنزلة والأزهار والسرّج والمقاصص والطسوت والمقاريض والكؤوس والقصاع والمجامر، كلها من الذهب الخالص (١ مل ٧: ٤٨-٥٠)، وقد أخذت كلها الى بابل. (والمقاريض: المقصات).

«وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن بيت الرب، وخزائن الملك ورؤسائه، أخذها بأسرها الى بابل»^(٢٥) وفيما يلي احصاء لليهود الذين اجلاهم نبوخذنصر كما ورد في سفر إرميا:

- في السنة السابعة لنبوخذنصر: ٣٠٢٢ (من بني يهوذا)
- في السنة الثامنة عشرة: ٠٨٢٢ (من اورشليم)
- في السنة الثالثة والعشرين: ٠٧٤٥ (من بني يهوذا)
- فيكون المجموع: ٤٦٠٠ نسمة (٣٦).

وتتناقض هذه الرواية تناقضا كليا مع ما مر معنا في سفر الملوك الثاني (٢٤: ١٦ و١٧) حيث بلغ عدد الذين اجلوا الى بابل، من اورشليم فقط: ١٠ آلاف منهم:

- سبعة آلاف من رجال الحرب.
- والف من الحدادين والفقّالين.

واختار نبوخذنصر من اهل المدينة صفوتهم ووجهاءهم وساقهم الى الملك في رجلة، فقتلهم جميعا، واما من بقي من الشعب فولى عليهم «جدليا بن احيقاص بن شافان» فبايعوه في «المصفاة». الا ان بعض الرجال، وعلى رأسهم «اسماعيل بن نثنّية بن اليشاماع» من السلالة الملكية، وبتحريض من «بعلش» ملك العمونيين^(٢٧)، اقدموا على قتل جدليا، اذ قصده في المصفاة وضربوه حتى الموت، كما ضربوا من كان معه من اليهود والكلدانيين وهربوا الى مصر^(٢٨)، وقد جرى ذلك في شهرت ١ عام ٥٨٦ ق.م.^(٢٩)

٢- سقوط بابل، وعودة اليهود المسيبيين التي فلسطين على يد الملك الفارسي «قورش»:

لم يطل الامر ببابل بعد ذلك، اذ انه، بعد وفاة نبوخذنصر عام ٥٦١ ق.م، تسلم الملك

(٢٥) م.ن. ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١

بعده، ابنه «أويل مرووخ» إلا أنه لم يستمر فيه أكثر من عامين، إذ قتل على يد جماعة من الثوار كان على رأسهم رجل يدعى «نيرغلسر» وقد تسلم الملك مكانه، إلا أن هذا لم يبق في الملك طويلاً، كذلك، إذ خلفه، بعد ثلاث سنوات أو أربع (في عام ٥٥٦ ق.م.) ابنه الذي لم يملك سوى بضعة أشهر حيث قتل بعدها وتسلم الملك (عام ٥٥٥ ق.م.) رجل يعدى نبونادبوس^(٤٠)، وقد حكم هذا طيلة سبعة عشر عاماً (حتى عام ٥٣٩ ق.م.) حين هزم على يد قورش الفارسي، وأصبحت بابل محمية للملك الفارسي وخاضعة له^(٤١).

يزعم العهد القديم أن قورش، الملك الفارسي، قد تلقى، في السنة الأولى لانتصاره على بابل، أمراً من الرب لكي يعيد المسبيين اليهود إلى أرض فلسطين، ويعيد بناء الهيكل في أورشليم^(٤٢)، ولكننا نميل إلى الاعتقاد، عن قناعة تامة، أنه لا علاقة للرب بهذه الأحداث غير الثابتة علمياً، وأننا نميل إلى اعتماد الرأي الذي اعتمدته المؤرخ (اليهودي) إيلي بارنافي، حين قال: «سقطت بابل بيد الملك الفارسي قورش عام ٥٣٩ ق.م، حيث أصبح السلطان المطلق على كامل آسيا الغربية، فسعى، لتثبيت امبراطوريته، إلى اتباع سياسة متحررة تجاه الشعوب المغلوبة. هكذا يجب أن نفهم اعلانه (عام ٥٣٨ ق.م.) الذي سمع للمنفين من أورشليم بالعودة إلى بلادهم (كذا) وإعادة بناء معبدهم. وأكثر من ذلك، فإن الملك الذي أعلن أنه يريد أن ينفذ إرادة إله إسرائيل (وهو الذي فتح بابل باسم إلهه مردوك) ساعد، بأمواله، أولئك الراغبين بالهجرة»^(٤٣).

وقد جاء في المرسوم الذي أصدره قورش، وذكره سفر عزرا كاملاً، ما يلي:

«هكذا قال قورش، ملك فارس: جميع ممالك الأرض قد أعطاني إياها الرب، إله السموات، وأوصاني بأن ابني له بيتاً في أورشليم التي بيهودا، فمن كان منكم من شعبه

(٤٠) Hérodote, L'Enquête L'I, P. 141 No 188 et P. 488 (Note 201)

وانظر: بورتر، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٧٧-٧٨.

(٤١) انظر وصفاً وافياً لكيفية احتلال قورش البابلي لمدينة بابل:

- Hérodote, Op. Cit. L I PP 141 -- 143 (No 188 191)

(٤٢) العهد القديم، ٢ أخ ٦: ٢٢-٢٣ وعز ١: ٥.

(٤٣) Barnavi, Op. Cit. P. 28 (٤٣) ويؤيد هذا الرأي محققو العهد القديم (النسخة العزبية) الذين يرون أن ملوك فارس كانوا متساهلين جداً، على وجه العموم، في شأن عبادات الهيكل التي استولوا عليها، فقد رموها ودعموها، مع مراقبتهم لها، (العهد القديم، ص ٨٢٨ حاشية ٣).

أجمع، فالله يكون معه، فليصعد الى اورشليم التي في يهوذا وبين بيت الرب، اله اسرائيل، وهو الاله الذي في اورشليم. وكل من بقي في أحد الامكنة حيث هو نزيل هناك، فليمدد اهل مكانه بالفضة والذهب والمال والبهائم، فضلا عما يتبرعون به لبيت الله الذي في اورشليم»^(٤٤). انتهى المرسوم.

لا شك في ان مضمون هذا المرسوم يتلاءم تماما مع الروح اليهودية المعروفة منذ القدم، والمستمدة من مجمل أحداث العهد القديم ونصوصه ووصايا اله اسرائيل، منذ خروج بني اسرائيل من أرض مصر وحتى سببهم الى بابل. فهو يطالب اليهود بالتوجه الى «ارض الميعاد» التي اخرجوا منها، واعادة بناء الهيكل الذي هدمه نبوخذنصر، ومن لم يستطع العودة فعلى «اهل مكانه» ان يمدوه بالمال اللازم ليرسله، بالاضافة الى التبرعات، «لبيت الله الذي في اورشليم». ويبدو، من نص المرسوم، ان بإمكان هذا الذي أجلي ان يبقى في مكانه، شرط ان يرسل المال والتبرعات. وقد جرى ذلك وفقا لما نقل اليينا من تاريخ فارس، اذ إن مجموعة يهودية ظلت، في أرض السبي، في بلاد بابل، تمارس تقاليدها وشعائرها الدينية وقوانينها، وقد اقامت في مرزبانية «ما وراء النهر»^(٤٥). وكتب الملك ارتخششتا، ملك فارس، الى الكاهن عزرا، بشأن هذه المجموعة، رسالة يأمره فيها ان «أقم قضاة وحكاما يقضون بين كل الشعب الذي في عبر النهر، من كل من يعرف شريعة الهك، ومن لا يعرفها فعلموه اياها. وكل من لا يعمل بشريعة الهك وشريعة الملك، فليحكم عليه حكما شديدا اما بالموت او بالنفي او بغرامة مال او بالحبس»^(٤٦).

ان من يقرأ المرسوم الصادر عن قورش الى شعب اسرائيل والرسالة الصادرة عن ارتخششتا الى عزرا يكاد يظن ان كلا الملكين الفارسيين قد تخليا عن ديانتهم واعتنقا الديانة اليهودية، ولكن ما ذكره محققو النسخة العربية من العهد القديم يزيل كل ظن، اذ اورد هؤلاء ما يلي: «يظهر هذا المرسوم بمظهر اعلان وجه بالعبرية، وبلسان منادين رسميين، الى اليهود والمجوس. ولا شك ان تحريره قد تم عن يد الموظفين اليهود الذين كانوا في الديوان الفارسي»^(٤٧). انهم الموظفون اليهود، انن، وراء اصدار هذا المرسوم

(٤٤) العهد القديم، عز ١: ٥-٢.

(٤٥) Aharoni, Op. Cit. P. 127.

(٤٦) العهد القديم، عز ٧: ٢٥-٢٦.

(٤٧) العهد القديم، ص ٨٢٨ حاشية (٦).

وما لحق به من أوامر ورسائل وتعليمات صدرت عن الديوان الفارسي، ولا غرابة في ذلك، فقد عودنا اليهود ان يكونوا المجلّين في هذا المضممار، وان تكون مصلحة الفرد اليهودي، في أي وطن، فوق مصلحة الوطن نفسه، وتلك هي حال الجنس اليهودي منذ القديم الى اليوم^(٤٨).

تري، هل يتاح للشعب العربي الفلسطيني الذي يعيش اليوم الشتات والغربة القسرية والسبي الحقيقي، منذ نحو نصف قرن، رجال مثل قورش وارتخششتا، يعيدونه الى ارضه المغتصبة ويعيدون اليه حقه السليب؟ ما دامت أمة عربية، بكاملها، قد أثبتت عجزها عن اعادته؟

بعد صدور المرسوم الآنف الذكر، بدأ اليهود (يعودون) الى ارض فلسطين، وقد تم ذلك على عدة مراحل أهمها اثنتان (ذكرهما العهد القديم)، وهما:

- المرحلة الاولى: تمت في عهد الملك قورش عام ٥٢٨ ق.م. بقيادة ششباصر (او شناسر) ابن الملك يوياكيم، وكان فيها أحد عشر مرشدا هم: زربابل ويشوع ونحميا وسرايا ورعليا ومردكاي وبلشان ومسفار وبجواي ورحوم وبعنه. اما عدد العائدين فكان:

- ٤٢٣٦٠ من اليهود.

و- ٧٥٢٧ من الاتباع (وهم: ٧٢٣٧ من العبيد والاماء و ٢٠٠ من المغنين والمغنيات)

و- ٧٢٦ من الخيل

و- ٢٤٥ من البغال

و- ٤٣٥ من الجمال

و- ٦٧٢٠ من الحمير^(٤٩).

- المرحلة الثانية: تمت في عهد الملك ارتخششتا الاول عام ٤٥٧ ق.م. بقيادة عزرا،

وقد ضمت:

١٧٥٤ يهوديا^(٥٠).

(٤٨) نحاذر ان نستخدم عبارة للشعب اليهودي لا اعتقادنا ان الصهيونية لم تستطع، حتى اليوم، ان تصنع من شتات اليهود، في مختلف اصقاع الارض، شعبا واحدا.

(٤٩) Aharoni, Op. Cit. P. 127, and Map. No 167 P. 128 (١٩٦٦).

(٥٠) العهد القديم، عز ٨: ١-٢ وانتظر Aharoni, Op. Cit. P. 128 Map 167

وقد أحصى عدد السكان اليهود في اورشليم، بعد العودة من السبي، فبلغ: ٣٠٤٤ يهوديا. وكان أول عمل قام به اليهود، بعد عودتهم الى اورشليم، اعادة بناء الهيكل الذي كان نبوخذنصر قد دمره، ولكن معارضة شديدة ظهرت في فلسطين ضد اعادة بنائه، وكانت هذه المعارضة من قبل الشعوب المجاورة من جهة، ومن قبل فريق من اليهود، من جهة اخرى. ومن الذين عارضوا اعادة بناء اورشليم وسورها وهيكلها: «سنبلُط وطوبيا (اليهوديان) والعرب والعمونيون والاشدوديون»^(٥١)، فقد هدد هؤلاء بان «يحاربوا اورشليم وينزلوا بها شرا» ان اعاد اليهود بناءها^(٥٢)، كما ارسل اهل السامرة رسالة للملك ارتحششتا يطلبون منه عدم السماح ببناء مدينة اورشليم وهيكلها، وقد جاء فيها: «ليكن معلوما لدى الملك ان اليهود الذين سعدوا من عندك الينا وآتوا الى اورشليم، ويبنون المدينة المتمردة الشريرة ويرمون أسوارا، بعد ان احاطوا اساسها بسور، لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة، فيلحق ضرر بدخل الملوك...» ويستطرد اهل السامرة، في الرسالة نفسها: «ليبحث في كتاب ذكريات آبائك فتجد في كتاب الذكريات وتعلم ان هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة الى الملوك والأقاليم، وانهم قد اثاروا فيها فتنا في قديم الزمان، ولذلك ضربت هذه المدينة...»^(٥٣)، فلما تلقت هذه الرسالة امام الملك ارتحششتا، بادر الى وقف اعمال البناء في اورشليم «بالعنف والقوة»^(٥٤). وظلت اعمال البناء متوقفة في هيكل اورشليم الى ان أمر داريوس الأول (عام ٥٢٠ ق.م.) باعادة بنائه، فأعيد بناؤه خلال خمس سنوات (٥٢٠ - ٥١٥ ق.م.)^(٥٥).

فهل ان ما ورد في رسالة أهل السامرة للملك ارتحششتا الأول، بصدد اليهود وهيكلهم، وهل ان معارضة الشعوب المجاورة لأورشليم، وفيهم فئة من اليهود، لاعادة بناء اورشليم وهيكلها، هو افتئات على اليهود وظلم لهم، ام انه نتيجة حتمية لسلوك اليهود تجاه الشعوب والأمم في كل حقبات التاريخ؟

(٥١) العهد القديم، نح ٤: ١ وانظر P. 127 Aharoni -

(٥٢) م ن نح ٤: ١.

(٥٣) م.ن. عز ١٢: ١٦.

(٥٤) م.ن. عز ٤: ٢٢.

(٥٥) م.ن. ص ٨٤٤ و P. 127 Aharoni, Op. Cit. -

حصار بيت فلولى وأسطورة يهوديت

لا شك في أن مؤلف سفر يهوديت قد ألعن في خياله إلى درجة أنه استخدم بعض الرموز التاريخية في غير مكانها وزمانها، مضيفا إليها أسماء أماكن وشخصيات ابتدعها خياله، وربط كل ذلك بسلسلة من الأحداث لا تخفى أسطوريتها على أي قارئ. إلا أن ما لا يمكن إنكاره هو أن المؤلف قد أضفى على السرد الروائي للأحداث، من بلاغة الأسلوب وشفافية الوصف، ما جعله مؤثرا ومقبولا لدى المتدينين والمؤمنين بالعقيدة اليهودية، وهو ما شجّع التوراتيين ودفعهم إلى قبول هذه الرواية الأسطورية وغير المعقولة، كسفر من أسفار العهد القديم.

فنبوخذنصر الذي تدور حوله قصة حصار بيت فلولى في اليهودية، لم يكن ملكا لآشور في نينوى، بل كان ملك بابل، كما مر معنا، وبيت فلولى، التي يروي السفر قصة حصارها على يد جيش نبوخذنصر (الآشوري) وقائده (اليفان)، باعتبارها مدينة يهودية «تقع في السامرة، بالقرب من دوتائين، وفي سهل يزرعيل»^(٥٦)، والتي نشر اليفان جيشه حولها لحصارها، حيث انتشر «في العمق، من دوتان إلى بلما، وفي الطول من بيت فلولى إلى قليمون التي قبالة يزرعيل»^(٥٧)، هي غير معروفة تاريخيا، وغير موجودة في فلسطين. أما «اليفان» فهو اسم فارسي لأحد قادة جيش أرتخششتا الثالث (٣٥٩ - ٣٣٨ ق. م.)^(٥٨)، ولم يكن في جيش نبوخذنصر قائد بهذا الاسم.

ويحاول المؤرخ الدبس في مطالعة غنية بالحجج - وإن كانت غير مقنعة - أن يثبت «حقيقة» هذه الرواية في سفر يهوديت، مستندا إلى أبحاث قدمها، في هذا المجال، الباحثة والعالم الفرنسي «روبواسون» في مجلة «الأرض المقدسة». ويرى الدبس أن أحداث هذا السفر جرت في عهد «أشور بنيبال» ملك آشور، وليس في عهد نبوخذنصر، وأنها «أحداث تاريخية لا تخيلية كما وهم بعض الملحدون، ولا رمزية أو نبوية كما زعم بعض العلماء»^(٥٩)، ثم يؤيد رأيه هذا بما ورد في مجلة «الأرض المقدسة» (في نشرتها الصادرة

(٥٦) العهد القديم، ص ٨٩٩ (مدخل إلى سفر يهوديت).

(٥٧) م ن يه ٢٠٧.

(٥٨) م ن. ص ٩٠٦ حاشية (٢).

(٥٩) الدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٥٩٩.

في ١٥ حزيران ١٨٩٤) عن اكتشافات في الآثار الاشورية توصل اليها العالم روباسون، حيث وجد ان «بيت فُلوى» كانت بالقرب من حطين غرب بحيرة طبرية، وان «دوتان» كانت في حطين كذلك (وليس هي تل دوتان المعروف اليوم)، وان «بلماء» هي «ابل بيت معكة» وكانت في نواحي طبرية، وان «قليمون» كانت في المحل المعروف اليوم «بكفر كاما»، وان جيش «اليفانا» عبر الأردن عند جسر «بنات يعقوب» حيث مواقع هذه المدن «بين صفد شمالا وبحيرة طبرية جنوبا»^(٦١). ولكن المؤرخ الدبس يعرض وجهة نظر أخرى في مواقع هذه المدن وهي وجهة نظر للباحثة «كاران» الذي يرى ان «دوتان» هي المعروفة اليوم «بتل دوتان» في الشمال الغربي من سانور والجنوب الغربي من جنين، وان «بلماء» هي المعروفة «بخربة بلعمة» على مقربة من دوتان، وان «قليمون» وهي المعروفة اليوم «بتل كليمون» في طرف مرج ابن عامر، على طريق عكا» وان «بيت فُلوى» هي المعروفة اليوم «بسانور»، وتقع جميع هذه الاماكن في السامرة.

ويرى الدبس ان الاحداث المروية في سفر يهوديت قد جرت في السامرة قبل خرابها، لذا لا نجد ذكرا لملك فيها، كما ان بيت فُلوى كانت احدى مدن السامرة^(٦٢)، ولكن محققي العهد القديم لا يقرّونه على ذلك، اذ يرون ان «بيت فُلوى» هذه، التي يصفها العهد القديم في السفر نفسه، بانها كانت مبنية «على رأس جبل شديد الانحدار وفوق ينابيع تتدفق في الوادي» غير معروفة في تلك الناحية^(٦٣).

ويبرر الدبس عدم وجود اسم القائد «اليفانا» في الآثار الاشورية بان صحة الرواية «لا تتوقف على الاسم، والأعلام عرضة للتغير، والنص العبراني في سفر يهوديت مفقود وبين ترجماته تباين واختلاف». وينسب الدبس رأيه الى الباحث «فيكورو» في موسوعته^(٦٤).

أما مؤلف سفر يهوديت فهو مجهول، ويرجع انه كتب في القرن الثاني ق. م. بلغة

(٦٠) م. ن. ج ٢: ٥٢١-٥٢٢ حاشية (١).

(٦١) م. ن. ج ٢: ٥٢١.

(٦٢) م. ن. ج ٢: ٥٢٥.

(٦٣) العهد القديم، ص ٨٩٩ (مدخل الى سفر يهوديت).

(٦٤) الدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٥٢٨.

سامية يرجع انها عبرية، ثم نقل الى اليونانية، فاللاتينية حيث تمت ترجمته الى باقي اللغات. واما مسألة إدراجة في «المجموعة الرسمية للأسفار المقدسة» فقد تمت في عهد البابا «اينوقنتيوس» الأول عام ٤٠٥ م، ثم قبلت به مجامع فلورنسا (عام ١٤٢٣ م) وترانتو (عام ١٥٤٦ م) والفاتيكان الأول (عام ١٨٧٠). ورغم ان هذا السفر لم يدرج في مجموعة الأسفار المقدسة التي اعتمدها التوراتيون، في البدء، فان شيوخ استعماله «عند الكتاب المسيحيين، حتى عند الذين كانوا يعارضون معارضة نظرية ان تلك الأسفار موحى بها من لدن الله»، سهل عملية قبوله في مجموعة الاسفار المقدسة التي صادق البابا على قبولها «كلائحة للكتب القانونية». ولكن اصلاحيي القرن السادس عشر عادوا فاطلقوا على الأسفار التي لم ترد في «القانون الكتابي اليهودي» صفة الأسفار «المنحولة» ومن هذه الأسفار، سفر يهوديت^(٦٥).

تقول الرواية:

قرر نبوخذنصر غزو بلاد الميديين وقهر ملكها أرفكشاد (ويبدو انه اسم خيالي لانه لم يعرف في تاريخ الميديين ملك بهذا الاسم)، فاستنفر جيوشه وأتباعه وحلفاءه «جميع سكان بلاد فارس وجميع سكان الناحية الغربية وسكان قيليقية ودمشق ولبنان ولبنان الشرقي وجميع سكان الساحل الذين من أمم الكرمل وجليعاد والجليل الأعلى وسهل يزرعيل الواسع، وجميع الذين من السامرة ومدنها وعبر الأردن الى اورشليم وبيت عنوت وكلود وقادش ونهر مصر وتحفتميس ورمسيس وأرض جاسان كلها، الى ما وراء صوعن ونوف وجميع سكان مصر الى حدود الحبشة»^(٦٦)، الا ان معظم هؤلاء لم يلبوا استنفر نبوخذنصر واستهانوا بأوامره وردوا رسله «فارغي الأيدي خزايا الوجوه»^(٦٧)، عندها قرر ان يغزو السديين «بجيشه الخليط الفقير جداً من المحاربين الذين انضموا اليه»^(٦٨) فقهرهم واحتل بلادهم وقتل ملكهم أرفكشاد^(٦٩). وكان قد اقسم ان ينتقم من أرفكشاد ومن الذين لم يلبوا نداءه «من جميع بلاد قيليقية والشام وسوريا»، ومن «جميع

(٦٥) العهد القديم، ص ٩٠٩ - ٩٠٢ (مدخل الى سفر يهوديت).

(٦٦) م. ن. يه ١: ٧ - ١٠.

(٦٧) م. ن. يه ١: ١١.

(٦٨) م. ن. يه ١: ١٦.

(٦٩) م. ن. يه ١: ١٣ - ١٥.

الساكنين في أرض مؤاب وبني عمون وكل اليهودية، وجميع الذين في مصر الى حدود البحرين»^(٧٠).

وما ان انتهى نبوخذنصر من قتال الميديين وعاد الى عاصمته نينوى (هكذا ورد في الرواية، والحقيقة ان عاصمة نبوخذنصر كانت بابل وليس نينوى، كما انه لم يكن ملك اشور بل ملك بابل، كما قدمنا)، حتى استدعى اليفانا «قائد جيشه وثاني رجل بعده» وأمره بان يخرج بنحو «مائة وعشرين الفا من المشاة» وعدد كبير من الأفراس مع «اثنى عشر ألفاً من الفرسان»^(٧١) ويحمل على اهل بلاد الغرب «لأنهم لم يطيعوا أوامر فمي»^(٧٢) فيحتل «كل ارضهم» ويسلمهم «الى القتل والنهب» ويسوق اسراهم «الى اقاصي الأرض كلها»^(٧٣). وعمل اليفانا بأوامر مليكه، فجمع جيشاً من نحو «عشرين الف رجل واثنى عشر الف فارس نبال» واخذ «عدداً كبيراً جداً من الجمال والحمير والبغال» لحمل الأمتعة و«عدداً لا يحصى من الخراف والبقر والماعز» لاعاشة الجند^(٧٤)، وأعطى كل رجل «مؤونة كثيرة وقدرافرا جداً من الذهب والفضة من بيت الملك»^(٧٥) وخرج بجيشه هذا «الى الغرب» لتنفيذ أوامر الملك.

خط سير اليفانا:

سار اليفانا بجيشه من نينوى الى سهل «بكتيلة»^(٧٦) على نحو ثلاثة ايام من نينوى، حتى وصل الى شمال قيليقية (كيليكية) العليا، ثم سار من هناك بجانب الفرات الى ما بين النهرين، مدمراً، في طريقه، جميع المدن المحصنة، حتى وصل الى البحر، واحتل بلاد قيليقية حتى حدود يافث «الى الجنوب، حيال ديار العرب»، ثم نزل الى سهول دمشق

(٧٠) م. ن. ١٢٠١. ويقصد بمحدود البحرين، البلاد كلها.

(٧١) م. ن. ١٠٢. ٥.

(٧٢) م. ن. ٦ والمقصود ببلاد الغرب، قيليقية والشام وسوريا

(٧٣) م. ن. ١٩. ١١.

(٧٤) م. ن. ٢. ١٧. ١٥.

(٧٥) م. ن. ٢. ١٨.

(٧٦) سهل غير معروف ولم نجد له اسماً على الخارطة.

واتجه منها غربا حتى وصل الى صيدا وصور وعينكا (عكا) (٧٧)، فخشيه جميع اهل «اشدود وأشقلون» وأرسلوا اليه رسلا يستعطفونه ويقدمون اليه الخضوع والطاعة (٧٨)، حتى اذا ما وصل الى سهل يزرعيل «بالقرب من دوتائين التي قبل سلسلة جبال اليهودية الكبيرة» عسكر بجيشه «ما بين جبع وبيت شان» (٧٩) وبدأ يستعد لقتال بني اسرائيل.

وارتعد بنو اسرائيل «للمقيمون في لليهودية» عندما سمعوا بما فعله جيش اليفانا القادم لمحاربتهم «وخافوا خوفا شديدا جدا»، واستنفروا جميع بلدان السامرة «كونا وبيت هورون وبلمايين وأريحا وتوبا وعزورا وولدي شليم» (٨٠)، ثم انهم «احتلوا جميع رؤوس الجبال العالية، وسوروا القرى التي فيها، وتزودوا استعدادا للقتال» (٨١)، وكتب «يواكيم» عظيم كهنة اورشليم الى اهل مدينتي «فلوى وبيت مُستثيم» اللتين هما «هيال يزرعيل وقبالة السهل القريب من دوتائين» يأمرهم ان يمنعوا برجالهم مسالك الجبل «لان بها يتم الوصول الى اليهودية، ولانه من السهل صد المتقدمين» عندها، ذلك لان هذه المسالك لا تسمح بالمرور لأكثر من «اثنين اثنين فقط»، بسبب ضيق ممراتها، فنفذ بنو اسرائيل أوامر رئيس الكهنة بهذا فيراها، وكذلك أوامر «مجلس شيوخ شعب اسرائيل كله، الذي كان يعقد جلساته في اورشليم» (٨٢).

حصار بيت فلوى:

في هذه الأثناء، كان اليفانا يعقد مجلسا حربيا لقادة جيشه لكي يستشيرهم في الأمر، بعد ان عرف بالتدابير التي اتخذها بنو اسرائيل لمنعه من التقدم نحو مدنهم، وكان معه، من اهل البلاد، بنو عيسو (أدوم) وبنو مؤاب وبنو عمون (وهم أعداء تقليديون لبني اسرائيل) وجميع رؤساء الساحل (٨٣).

(٧٧) ذكر محققو العهد القديم ان خط السير هذا يحتوي على «عدد من الأماكن المجهولة او التي لا تعرف معرفة اكيدة، وهناك أماكن أخرى يطلق عليها أسماء معروفة ولكنها تستعمل على نحو غير مالوف، وعلى كل حال، فخط السير الموصوف هنا غير محتمل، فلربما كان المؤلف يجهل جغرافية تلك البلاد، او لربما لم يكن يأنه لان يحدد مكان الأحداث تمديدا ببقية (العهد القديم، ص ٩٠٧ حاشية ٥).

(٧٨) العهد القديم، يه ٢: ٢٨ و ٤: ٤١.

(٧٩) م. ن. يه ٢: ٩.

(٨٠) م. ن. يه ٤: ٤ ولم نجد بعض هذه الاسماء في المعاجم الجغرافية.

(٨١) م. ن. يه ٤: ٨.

(٨٢) العهد القديم، يه ٤: ٥.

وبعد تدارس الوضع العسكري، تبين أن مدينة «بيت فلوى» تشكل، بموقعها، مدخلا مهماً إلى سائر أنحاء بلاد إسرائيل، وإلى اورشليم العاصمة، وأن احتلالها يتيح لجيش اليفانا اجتياح البلاد كلها، ولكن هذه المدينة منيعة وحصينة لأنها تقع على رأس جبل عال محاط بالمنحدرات الصعبة، بحيث يصعب الوصول إليها، إلا أنها تستقي من الينابيع المحيطة بالمدينة والواقعة في السفوح المحيطة بها، فكان قرار القائد اليفانا ما يلي:

- احكام الحصار على المدينة بقواته وقوات حلفائه من أهل المدينة.

- احتلال ينابيع المياه المحيطة بالمدينة ومنع المياه عن أهلها.

توزيع القوات:

وقد قرر توزيع هذه القوات على الشكل التالي:

١- تعسكر قوات على عين الماء «في الوهدة المجاورة لبيت فلوى» ثم:

- تنتشر في العمق «من دوتان إلى بلما»

- وتنتشر في الطول «من بيت فلوى إلى قليمون» قبالة يزرعيل،

٢- تحتل قوات أخرى (من بني ادوم وبني مؤاب وبني عمون ورؤساء الساحل)، رؤوس الجبال القريبة والمحيطة بالمدينة، بحيث تشكل حزاماً محيطاً بها، يمنع الخروج منها أو الدخول إليها، وتشكل، في الوقت نفسه، مخافر أمامية لجيش اليفانا^(٨٤).

توزيع المهمات:

وجرى توزيع المهمات على القوات كما يلي:

١- احتل «جيش من بني عمون» ومعهم ٥ آلاف من جيش اليفانا «عيون ماء بني اسرائيل ويناابيعهم» الكائنة «في الوهدة» حيث عسكروا.

٢- احتل بنو عيسو وبنو عمون «الناحية الجبلية قبالة دوتانيين» وأرسلوا قوات منهم إلى الجنوب والشرق لكي تعسكر «قبالة اغريبيل» بالقرب من «خوس، عند سيل مخمور».

(٨٤) م ن. ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢.

٢- انتشرت باقي القوات من جيش اليفانا في السهل بحيث غطت «وجه الأرض كله»^(٨٥).

استمر الحصار مدة «اربعة وثلاثين يوما» شعر خلالها وبعدها، أهل المدينة، بوطاته، خصوصا عندما نفذت الماء من المدينة وجفت الآبار، وأضحى أهلها مهددين بالموت عطشا، حيث أضحى أطفالهم «خائري القوى» ونساءهم وشبانهم «منهوكين من العطش» يسقطون «في شوارع المدينة، وفي ممرات الأبواب» بلا أية عزيمة^(٨٦). فقرر رؤساء المدينة وشيوخها ان يستسلموا، خلال خمسة ايام، ان لم يمددهم «الرب الاله» اله اسرائيل، بعون من عنده^(٨٧).

دور يهوديت:

عندها، ظهرت في المدينة، امرأة ارملة حسناء، شديدة الجمال، كانت قد فقدت زوجها منذ سنوات، فانشغلت عن الحياة بالصوم والعبادة، وتدعى «يهوديت بنت مراري»، فجمعت اليها شيوخ المدينة ورؤساءها وأعلنت انها سوف تقوم بمغامرة لانقاذ مدينتها، وطلبت اليهم ان يقفوا بها، فمنحوها الثقة والبركة، فاغتسلت وتطيبت، وخلعت ثياب الترمل وارتدت ثياب الفرح وتزينت بكل زينتها، «وتجملت جدا لاغراء عيون الرجال الذين ينظرون اليها»^(٨٨)، واصطحبت معها وصيفتها، وسارت الى معسكر الأعداء حاملة، بالاضافة الى ما بدا فيها من سحر وجمال وفتنة، ما توافر لها من مأكّل، من خمر وزيت ومن «قطائر دقيق الشعير والفواكه اليابسة والأرغفة الطاهرة»^(٨٩)، وما ان وصلت الى معسكر الأعداء حتى أدخلت الى خيمة القائد اليفانا الذي بهره جمالها فاستبقاها لديه.

ولم تُعي يهوديت الحيلة والفصاحة في شرح امرها للقائد اليفانا، اذ استطاعت اقناعه بانها هربت من أهلها لانها أمنت بحتمية انتصاره عليهم، وانهم هالكون لا محالة لانهم

(٨٥) م.ن. يه. ٧: ١٨، ١٧.

(٨٦) م.ن. يه. ٧: ٢٢، ١٩.

(٨٧) م.ن. يه. ٧: ٢٣، ٢١.

(٨٨) م.ن. يه. ١٠: ٤، ٣.

(٨٩) م.ن. يه. ١٠: ٥.

عصوا ربهم بعد ان «قرروا استعمال كل ما نهاهم الله في شرائعه عن أكله»، فقررت عندها ان تهرب من وجههم وان تأتي اليه «لأعمل معك أعمالا تدهش لها الأرض كلها»^(٩٠). ثم التمسّت منه ان يسمح لها بان تأكل مما حملت معها، وان تخرج كل مساء، الى الوادي، في جوار المعسكر مع وصيفتها للصلاة، ولكي تتضرع الى ربها فيخبرها متى يرتكب أهلها الخطيئة «فأجيء وأخبرك، فتخرج بجيشك كله... وأقودك في وسط اليهودية، الى ان تصل الى اورشليم، وأجعل عرشك في وسطها، فتسوقهم كخراف لا راعي لها»^(٩١)، فاذن لها القائد بذلك بعد ان اقتنع بصدق ادعاءاتها.

واستمرت يهوديت على هذه الحال ثلاثة ايام بلياليها، لا تخرج من خيمتها الا للصلاة، خارج المعسكر، ومعها وصيفتها. وفي اليوم الرابع، دعاها اليفانا لتناول الطعام والخمر على مائدته، ومع قادته، في خيمته، وكانت قد راقت في عينيه وعزم على معاشرتها، فلبت دعوته. واستمر الشرب والسمر حتى ساعة متأخرة من الليل غادر بعدها القادة السمار خيمة قائدهم وتركوه يخطي بضيفته، وأقبل «بوغا»، خصيه، الباب عليهما، وانصرف. وكان اليفانا قد اسرف في الشرب حتى غلبه النوم فاستلقى على سريره وغفا، فما كان من يهوديت الا ان سلّت خنجر القائد المضمور كان معلقا فوق السرير فاجتزت به رأس القائد اليفانا، ثم استدعت وصيفتها فوضعت الرأس في جعبتها وخرجتا معا، كعادتهما كل مساء، نحو الوادي، الى خارج المعسكر، للصلاة، كما كان الجميع يظنون، وما ان وصلت الى أسوار المدينة حتى نادى الخفراء ففتحوا لها الباب، واستدعت شيوخ المدينة ورؤساءها وألقت امامهم رأس اليفانا، فخروا امامها خاشعين وطلبت منهم ان يرفعوا الرأس، عند الفجر، على سور المدينة، ويستنفروا رجالهم، ثم يستعدوا للهجوم على معسكر الأعداء عندما يكتشف هؤلاء مقتل قائدهم فيذب الذعر والهلع في صفوفهم، وتنتابهم الفوضى. وهكذا كان، اذ نزل رجال المدينة الى السهل وهاجموا المعسكر، عند الفجر، وطاردا جند اليفانا وحلفائه وقتلوا منهم مقتلة عظيمة^(٩٢). وانهزم جند اليفانا ولوا هاربين «في جميع طرق السهل والناحية الجبلية»^(٩٣) بينما كان جميع المحاربين من

(٩٠) م.ن. يه ١١. ١٦. ٥.

(٩١) م.ن. يه ١١. ١٧. ١٩.

(٩٢) م.ن. يه ١٢. ١٥.

(٩٣) م.ن. يه ١٥. ٢.

بني اسرائيل يتوافدون «من اورشليم ومن الناحية الجبلية كلها»، ومن «بيت مستثيم وبيباي وخويا وكولا» ومن «اسرائيل كلها»^(٩٤)، لمطاردتهم وابادتهم، كذلك هرع المقاتلون من «جلعاد والذين في الجليل»^(٩٥) لكي يضربوا جناحهم «بضربات شديدة، الى ان اقتربوا من دمشق وارضها»^(٩٦)، ونهب من بقي من سكان بيت فلولى معسكر الاعداء وغنموا منه مغانم كثيرة^(٩٧).

وبعد، لن نحاول، في ختام هذه الرواية الاسطورية ان نبرر عدم قناعتنا بصحة ما ورد فيها من أحداث (رغم ما يقدمه المؤرخ الدبس من حجج غير مقنعة ولا واقية)، بل نكتفي بتقديمها للقارئ لكي يحكم على أحداثها، وفقا لقناعاته هو، ولكي يستنتج، من هذه الأحداث مغزى الحوافز الدينية اليهودية التي املتها والتي وضعت من اجلها هذه الرواية الاسطورية.

(٩٤) م.ن.يه.١٥:٤.

(٩٥) م.ن.يه.١٥:٥.

(٩٦) م.ن.يه.١٥:٥.

(٩٧) م.ن.يه.١٥:٦.

الفصل الرابع

ثورة المكابيين وحروبهم ضد السلوقيين وحلفائهم

(١٦٧-١٣٤ ق.م.)

يذكر العهد القديم انه، ما ان اشرف الاسكندر المقدوني على الموت عام ٣٢٣ ق.م. حتى جمع اليه «اشراف ضباطه الذين تربوا معه منذ الصبا، فقسم مملكته بينهم وهو لا يزال حياً»^(١) الا ان معظم المصادر تذكر غير ذلك^(٢) وتروي ان هؤلاء الضباط تقاسموا مملكة الاسكندر بعد موته، فكان نصيب سلوقس «بابل»، وبطليموس «مصر»، وانتيفونس

(١) العهد القديم، ١ مك ١: ٦.

(٢) يذكر «روجيه برفيت، ان بطليموس سأل الاسكندر، وهو على فراش الموت: «الى من ستترك الامبراطورية، فأجاب الاسكندر: «للكثر جدارة»، ولكنه خلع خاتمه الملكي وأعطاه لبرديكاس، Penticeus. وكان اقرب رجاله اليه. وقد جرى ذلك في اليوم العاشر لمرضه، أي يوم وفاته بالضبط. (Peyerlitt, Roger, Alexandre le Grand, PP 515 - 517) ويبدو ان زوجة الاسكندر (وندهي روكسانا) كانت حاملاً حين وفاة زوجها، فهل كان الاسكندر يقصد، من اعطاء الخاتم لبرديكاس، جعله وصياً على العرش الى ان يثبين امر حمل زوجته؟ وان كان ذلك صحيحاً، فلماذا لم يعلنه الاسكندر صراحة قبل وفاته؟

وقد ولد للاسكندر، بعد وفاته، ابن سمي «الاسكندر الرابع». أعلنه الجيش المقدوني ملكاً على المملكة الا انه قتل بعد ذلك، عام ٣١٠ ق.م. بامر من مكساندر، احد قادة الجيش في زمن ابيه (Enc. Quillet, T1, P. 7). ويؤكد المؤرخ فيليب حتي ان التنازع على السلطة بين ورثة الاسكندر أدى الى تقاسم مملكته بين قاداته الاربعة (حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ج ١: ٤٤).

ويذكر «مارفي بورتز» ان الاسكندر توفي دون ان يعين خليفة له ودون عقب، فاجتمع القادة وانفقوا على تعيين «برديكاس» وكبلا على المملكة. وتعيين «الردبوس» ملكاً في الظاهر على ان يشاركه في الملك من سيولد للاسكندر من روكسانا. ان كان ذلك، الا ان هؤلاء القادة عادوا فالتقسوا المملكة فيما بينهم (بورتز، النهج القويم في التاريخ القديم، ص ٢٩٩). كما يشير محققو «العهد القديم» الى ان فكرة تقسيم الامبراطورية لم تتغلب على فكرة ابقائها موحدة الا بعد معركة «ابسوس» ١٧٨ ق.م. (العهد القديم، ص ٩٥٣ حاشية ٢).

«آسيا الصغرى»، وأنتيباتر «مقدونية»^(٣). ولكن ذلك لم يستمر طويلا، إذ ما فتى سلوقس الأول نيكانور (٣٠٥ - ٢٨١ ق.م.) مؤسس المملكة، أن استولى على سوريا، بعد معركة «ابسوس» الشهيرة عام ٣٠١ ق.م.، وعلى جزء كبير من آسيا الصغرى، وأسس مملكة قوية هي «المملكة السورية»، وجعل عاصمتها «أنطاكية» وكانت هذه المملكة موضع نزاع مستمر بين حكامها السلوقيين والبطالسة حكام مصر^(٤)، وكانت فلسطين قد خضعت، من ضمن سوريا، للحكم السلوقي.

أولا: ثورة مَثْتَا وحروبه (١٦٧-١٦٦ ق.م.)^(٥):

كان انطيوخوس الرابع ابيفانوس^(٦) قد تسلم الملك في مملكة السلوقيين خلفا لأخيه سلوقس الرابع، عام ١٧٥ ق.م. (١٧٥-١٦٤ ق.م.). وكان النزاع، من أجل سوريا، على أشده، بين حكامها السلوقيين والبطالسة حكام مصر، مما جعل انطيوخوس الرابع ابيفانوس يفكر باحتلال مصر، فهاجمها «بجيش عظيم ومركبات وأقيال وفرسان وأسطول عظيم» فهزم ملكها بطليموس السادس فيلوميتور^(٧) (١٨٠-١٤٥ ق.م.) وكان ذلك عام ١٦٩ ق.م.

وفي هذه الأثناء، وبينما كان انطيوخوس الرابع ينازع بطليموس فيلوميتور على

(٣) حتي، المصدر السابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) م. ن.، ص. ن. وانظر P. 144. Priehard, J. Atlas du monde Biblique.

(٥) هو مَثْتَا بن يوحنا بن سيمان، كاهن من بني يوياريب، له خمسة بنين أحدهم يهوذا الملقب بالمكابي والذي سوف يأتي الحديث عنه. وقد ورد مَثْتَا، في العهد القديم لنظر بالعربية (ص ٩٥٧)، وفي معظم المراجع الأجنبية (Muttathias).

(انظر: Barnavi, Histoire universelle des juifs, P. 44: --

و) Pritchard, Op. Cit. P. 146.

و) Aburuni, the Macmillan Bible Atlas, P. 142.

الا ان فلانيوس جوزف سماه ماثيا Mattias.

(٦) الملك السابع في سلسلة ملوك السلوقيين في سوريا وبابل. وهو الأخ الأصغر لسلوقس الرابع وابن انطيوخوس الثالث (العهد القديم، ١ مك ١: ١٠ و ٢ مك ٤: ٧ وص ١٠١١ حاشية ٢).

(٧) العهد القديم، ١ مك ١: ١٦-٢٠. وقد اغفل سفر المكابيين الثاني ذكر هذه الحملة. وذكر حملة أخرى لانطيوخوس الرابع ابيفانوس على مصر (٢ مك ٥: ٤٨). جرت عام ١٦٨ ق.م. ولكن سفر دانيال ذكر الحملتين معا الحملة الأولى (دا ١١: ٢٥) والحملة الثانية (دا ٢٩: ١١). وتجدر الإشارة إلى أن سفر دانيال ليس سوى تنبؤات. ويرجح محققو العهد القديم رواية سفر المكابيين الأول، (م. ن.، ص ١٠١٤ حاشية ١) وهو ما نراه بدورنا.

سوريا، كان الأعيان اليهود يتنازعون، بدورهم، السلطة في يهوذا. وقد انتهى هذا النزاع بانتصار «اونيا Onias» أحد كبار الكهنة في اورشليم، على خصومه من آل «طوبيا»، فلجأ هؤلاء إلى انطيوخوس وحرصوه، بل «التمسوا إليه» بأن يهاجم يهوذا ويحتلها، وإن يكونوا له «أدلاء»^(٨)، فهاجم انطيوخوس يهوذا بجيش عظيم، واحتل اورشليم (عام ١٦٩ ق.م.) «ونهب معبدها»^(٩) وأخذ «مذبح للذهب ومنازة النور.... ومائدة التقدمة والأباريق والكؤوس وقصاع الذهب والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل»، كما أخذ «الفضة والذهب والآنية النفيسة و... وما وجد من الكنوز المكنونة» وعاد إلى أرضه بعد أن «أكثر من القتل» في شعب تلك البلاد، إذ بلغ عدد القتلى ٨٠ ألف نفس في ثلاثة أيام^(١٠).

وبعد سنتين^(١١)، أي عام ١٦٧ ق.م. أرسل انطيوخوس رئيس الجزية في مملكته، وقائد المرتزقة، ويدعى «أبلونيوس» إلى مدن يهوذا، وكان واليا على السامرة، فتقدم هذا، على رأس جيش عظيم، بلغ ٢٢ ألف جندي، وسار به من السامرة إلى يهوذا، فدخل اورشليم «وضربها ضربة شديدة وأهلك شعبا كثيرا من إسرائيل، وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها» وسبى النساء وأخذ المواشي، وأعاد بناء «مدينة داود» على الرابية الغربية لمدينة اورشليم، ثم بنى حولها «سورا عظيمة متينا وبروجا حصينة»^(١٢)، فأضحت «قلعة» منيعة تشكل «خطرا على الهيكل الواقع شرقا، في المنطقة التي يقال لها صهيون»^(١٣) ووضع في هذه القلعة التي سماها «عقرا Acra»، الحرس السوري المقدوني واليهود الهلنيين «وجميع غنائم اورشليم» فصارت «عفا عظيما»^(١٤).

(٨) Josephus, Flavius, La guerre des Juifs, P. 124. وهؤلاء اليهود هم الذين سماهم العهد القديم «أبناء لا خير فيهم» (١ مك ١: ١١) أو «رجال لا خير فيهم» (١ مك ١: ٢٤). وهم اليهود الهلنيون «الذين وضعهم أبلونيوس، قائد جيش انطيوخوس في القلعة التي بناها بعد احتلال اورشليم وسماها «مدينة داود». كما سنرى. ومنهم «يشوع، أخو الكاهن «اونيا» الذي غيّر اسمه إلى مياسون، تقريبا من الملك» (٢ مك ٤: ١٧-١٩).

(٩) Pritchard, Op. Cit. P. 146.

(١٠) العهد القديم، ١ مك ١: ٢٠-٢٤، و٢ مك ٥: ١٤. وانظر Barnavi, Op. Cit. P. 44.

(١١) هكذا وردت في العهد القديم. بحيث جاءت حملة أبلونيوس على اورشليم بعد حملة انطيوخوس عليها بسنتين (انظر ١ مك ١: ٢٠ و٢٩).

(١٢) م. ن. ١ مك ١: ٢٩-٣٣ وانظر ٢ مك ٥: ٢٤ والديس. تاريخ سوريا القديم والديني، ج ٢، ١٨٠-١٨١.

(١٣) م. ن. ص ٩٥٥ حاشية ١٢.

(١٤) م. ن. ١ مك ١: ٢٥-٣٤ وص ٩٥٥ حاشية ١٢. وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 142, Map. 186.

ورغب انطيوخوس، بعد ذلك، في توطيد امبراطوريته وجمعها على دينه الوثني، فأبطل الميثاق الذي كان سلفه انطيوخوس الثالث قد أبرمه مع اليهود، عام ١٩٨ ق. م. ومنحهم بموجبيه، الحق في ان يمارسوا ديانتهم، وكتب الى جميع رعاياه ان يكونوا «شعبا واحدا» وان يتخلى كل منهم عن شرائعه و«سننه»، فأطاعه الجميع، واذنعت لكلامه «الأمم بأسرها». ثم ارسل «جيريون الأثيني» الى «أورشليم ومدن يهوذا» لكي «يكره اليهود على الارتداد» عن ديانتهم، فاستبدل بالههم، في هيكل أورشليم، الهه «زوس الأولمبي Olympien» ثم منعهم من ممارسة عبادتهم فيه، وكرسه لعبادة الهه، وقتل كل من كان قد انحاز الى بطليموس من اليهود، بينما فر «اونيآ» الكاهن الى مصر ولجأ الى «بطليموس»^(١٦). ويذكر العهد القديم ان جنود الملك في يهوذا كانوا «يقتلون النساء اللواتي ختن أولادهن ويعلقون اطفالهن في أعناقهن» وانهم أحضروا امرأتين «لانهما ختننا ولديهما، فعلقوا طفليهما على أكذيتهما، وطافوا بهما في المدينة علانية، ثم القوهما عن السور»^(١٦).

لقد كان ذلك كافيا لكي يدفع «مَنَتَيَا» بن يوحنا بن سمعان، احد كهنة بني يوياريب، للخروج من أورشليم والاقامة في «مودين» بجهات اللد، (شمال غربي أورشليم)، وتبعه الى «مودين» أولاده الخمسة: يوحنا الملقب بكَدَّيس، وسمعان الملقب بالطُّسِّي، ويهوذا الملقب بالمكابي، والعازار الملقب بأوران، ويوناثان الملقب بأفوس^(١٧). وجاء الى «مَنَتَيَا» في «مودين» رسل من عند الملك يحثونه على الخضوع لأوامره «كما فعلت الامم كلها، ورجال يهوذا، ومن بقي في أورشليم» ويفرونه «بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة» ان هو أطاع أوامر الملك ونفذها^(١٨). ولكن «مَنَتَيَا» رفض كل هذه الاغراءات والوعود، وألف «تشكيلة مسلحة» من أولاده الخمسة، واخوته، ومضى الى المذبح الذي في «مودين»، وكان يهودي من أتباع الملك السلوقي قد تقدم منه لكي يقدم الذبيحة عليه تنفيذا لأوامر الملك، ووقف بالقرب منه قائد الحامية «باخيدس»، وهو احد رجال الملك مكلف اخضاع الناس لتنفيذ الأوامر واجبارهم على تقديم الذبائح لآلهة انطيوخوس، فطعن «مَنَتَيَا»

(١٦) العهد القديم، مك١: ١٠ و ٦١ و ٢ مك١: ١٠.

(١٧) م. ن. ١ مك١: ١٠ و ١٨٦. Op. Cit. P. 142 Map. 186.

(١٨) العهد القديم، مك١: ١٥-١٨. ومودين. بلدة تقع في جهات اللد. انظر: 142. Op. Cit. P.

اليهودي، ثم رجل الملك، طعنات قاتلة، وفر مع ابنائه واخوته ومن تبعه من أهل البلدة إلى الجبال المسماة «جبال غفنة Gaphna» الواقعة على حدود السامرة، شمال أورشليم^(١٩).

واجتمع لمتتيا «في البرية» الكثير من الأنصار والمؤيدين، فاقاموا معه هناك «هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم»، وعلم رجال الملك وجنده الذين كانوا في «مدينة داود» بأورشليم، بخروجهم انتصاراً لمتتيا، فقرروا مهاجمتهم، وكان ذلك يوم سبت، فقاتلهم جند الملك «فلم يردوا عليهم ولا رموهم بحجر، ولا سدوا مختبأتهم»، فأهلكوهم جميعاً «هم ونساؤهم وبنوهم ومواشيهم، وكانوا ألف نفس»^(٢٠).

وما إن علم «متتيا» بما جرى لأنصاره على يد جند انطيوخوس حتى قرر، ومن بقي معه، أن «كل رجل اتانا مقاتلاً يوم السبت نقاتله»^(٢١)، فكان ذلك أول قرار، يختص بيوم السبت، مخالف للشرعية الموسوية يتخذه بنو اسرائيل، ولا يزال اليهود، إلى يومنا هذا، يقاتلون يوم السبت، خلافاً لما أمرتهم به شريعتهم.

واجتمع، بعد هذه الحادثة، لمتتيا، جمع غفير من «الحسيديين» وهم «أهل الوريح المتمسكين بالشرعية» و«ذوو البأس في اسرائيل»^(٢٢)، ومن أهل البلاد، فاجتمع له منهم جيش بالغ القوة والبأس هاجم به جند انطيوخوس فانصر عليهم وطردهم من يهوذا، وختن «بالقوة» كل من وجد من بني اسرائيل من ذكور قلف (بلا ختان)^(٢٣). ولما استقر الأمر لمتتيا في يهوذا، نودي به حاكماً عليها «بموافقة مواطنيه» جميعهم^(٢٤).

ولم يلبث متتيا أن توفي بعد ذلك (عام ١٦٦ ق. م.) فدفن في قبور آبائه بمودين، وخلفه، في حكم يهوذا، ابنه الثالث «يهوذا المكابي»^(٢٥).

(١٩) العهد القديم، ١ مك ٢: ٢٨-١٥ و Joseph. Op. Cit. PP. 124-125 و Aharoni, Op. Cit. P. 142 أما اليهودي الذي قتله متتيا أمام المذبح فيدعى المازار (Pritchard, Op. Cit. P. 146). وفي سفر المكابيين الثاني رواية أخرى تقول إن يهوذا المكابي هو الذي فر إلى الجبل مع عشرة رجال آخرين، بعد أن اقتحم ايلونيهوس المدينة بالسلاح «وأهلك منها خلقاً كثيراً» (٢ مك ٥: ٢٧).

(٢٠) العهد القديم، ١ مك ٢: ٢٨-٢٩.

(٢١) م. ن. ١ مك ٢: ٤٩.

(٢٢) م. ن. ١ مك ٢: ٤٢-٤٣ وهؤلاء هم اليهود الذين ظلوا يقاتلون ديانة انطيوخوس وشكلوا، فيما بعد، وحدة من المقاومين في جيش يهوذا المكابي (م. ن. ١ مك ٩: ٩٠ حاشية ٦).

(٢٣) م. ن. ١ مك ٢: ٤٤-٤٦.

(٢٤) Joseph. Op. Cit. P. 125.

(٢٥) العهد القديم، ١ مك ٢: ٧٠ و Joseph. Ibid.

ولكن «يوسفسوس» يذكر أن يهوذا هو الابن الأكبر لمتتيا (Joseph. Ibid.)، والصحيح أنه ابنه الثالث (العهد القديم، ١ مك ٢:

(٤)

ثانيا - ثورة يهوذا المكابي وحروبه (١٦٦ - ١٦٠ ق.م):

تسلم يهوذا المكابي قيادة ثورة اليهود ضد الحكم السلوقي بعد موت ابيه عام ١٦٦ ق.م. وانضم اليه «كل اخوته وجميع الذين انضموا الى ابيه»^(٢٦) فاجتمع لديه نحو «ستة آلاف مقاتل»^(٢٧)، وأخذ يستعد لمواجهة جيش ابلونيوس.

١- موقعة بيت حورون (١٦٦ ق.م):

ما ان سمع «ابلونيوس» بالجيش الذي اعده يهوذا لمواجهة، حتى ارتحل «بجيش عظيم» حشده في السامرة، وكان لا يزال واليا عليها، وانتقل به جنوبا لمواجهة يهوذا، فلاقاه يهوذا «عند طلعة لبونة»^(٢٨)، وقاتله فهزمه، وقتل «ابلونيوس» في هذه المعركة، وانهزم باقي جيشه. اما يهوذا فاستولى على الغنائم، كما اخذ سيف ابلونيوس «وكان يقاتل به كل الايام»^(٢٩). ثم تابع يهوذا، بعد ذلك، اجتياح البلاد حيث كان «يفاجئ المدن والقرى ويحرقها» وكان يستولي على المواقع واحدا تلو الآخر، ويهزم «الاعداء الكثيرين»، وكانت معظم غاراته في الليل «فذاخ خبر شجاعته في كل مكان»^(٣٠).

وعلم «سارون» قائد الجيش السلوقي في سوريا، بانتصارات يهوذا، وبخبر مقتل «ابلونيوس» وهزيمة جيشه، فقرر الخروج لمواجهة «بجيش قوي» لعله يستطيع ان ينهي الثورة وينال حظوة عند الملك^(٣١).

انتقل «سارون» بجيشه من اللد الى مودين، ومنها نحو عقبة «بيت حورون»، فكان عليه ان ينزل في واد ثم يعود فيصعد باتجاه «بيت حورون». في هذه الاثناء، كان «يهوذا» قد انتقل بجيشه من جبال غفنة، وسار جنوبا باتجاه «بيت حورون» حيث كمن لخصمه عند المرتفع المشرف على الوادي. وما ان وصل جنود «سارون» متعبين الى ذلك المرتفع

(٢٦) العهد القديم، ١ مك ١، ٢٠١.

(٢٧) م.ن. ٢٠، ٨ مك ١.

(٢٨) هذا ما يترجمه «هاروني»، انظر P. 124، Aharoni, Op. Cit.

(٢٩) العهد القديم، ١ مك ١: ١٢-١١.

(٣٠) م.ن. ٢٠، ٨ مك ٧.

(٣١) م.ن. ١، ٢ مك ١٣-١٥.

بالقرب من البلدة حتى كانت كمائن جيش يهوذا تنقض عليهم من الشمال والجنوب، فتفاجئهم «فانكسر سارون وجيشه» وطارده يهوذا «في عقبة بيت حورون الى السهل»، فقتل منهم «ثمانماية رجل، وانهزم الباقون الى ارض فلسطين»^(٢٢)، الى الساحل.

٢- موقعة عماوس (١٦٥ ق.م.):

كان انطيوخوس الرابع أبيفانوس يتأهب للرحيل الى بلاد فارس لجباية الجزية منها، عندما علم بما جرى لجيشه في بيت حورون على يد يهوذا، فأخذ معه نصف الجيش وترك نصفه الآخر لمن كلفه ادارة المملكة في غيابه، وهو «ليسياس» الذي كان من الاشراف «من الاسرة الملكية»^(٢٣) وأوصاه ان يوجه جيشا لخماد ثورة اليهود في «اليهودية واورشليم»^(٢٤)، فاختار ليسياس لهذه المهمة ثلاثة من قادة المملكة هم: بطليموس بن دوريمانس، وكنانور بن بتركس، وجرجياس، وهم رجال ذوو بأس، من أصحاب الملك، ووضع بامرهم «اربعين الف راجل وسبعة آلاف فارس» وزودهم بالآوامر ان «يأتوا ارض يهوذا ويدمروها، على حسب أمر الملك»^(٢٥). وما ان علم يهوذا بالتحشود القادمة لقتاله حتى استنفر مقاتليه، فاحتشدوا جميعا في «المصفاة» قرب اورشليم، حيث نظم يهوذا جيشه بترتيب الفرق «الالف والمئة والخمسين والعشرة» وأمر على هذه الفرق قادة هم «رؤساء الالف والمئة والخمسين والعشرة»^(٢٦)، وأمر كل من «أخذ في بناء بيت او خطب

(٢٢) م. ن. ١ مك ١: ٢٤-٢٦، وارض فلسطين: عبارة قديمة للدلالة على المنطقة البحرية (م. ن. ص ٩٦١ حاشية ٥)، وانظر:

Ahasani, Op. Cit. P. 142; Barnavi, Op. Cit. P. 45 et Priehard, Op. Cit. P. 146.

(٢٣) العهد القديم، ١ مك ٢: ٢٢.

(٢٤) م. ن. ١ مك ٢: ٢٤.

(٢٥) م. ن. ١ مك ٢: ٢٨-٣٠. وورد في ٢ مك ان بطليموس كان قلنا لبقاع سوريا وفينيقية، وان «فيلبس» ممثل الملك هو الذي أصدر له الأوامر كي يخذ ثورة يهوذا، فاختار بطليموس نكانور بن بتركس، وكان من اصدقاء الملك، وأرفقه بعشرين ألف مقاتل «وضم اليه جرجياس، وهو من القواد الممجنكين في شؤون الحرب» (١ مك ٢: ٩٨) وسنرى، فيما بعد، ان ذلك قد جرى بعد سنتين. عند موت انطيوخوس الرابع، وتولي «فيلبس»، الصديق الحميم للملك، الوصاية على العرش وعلى ابنه انطيوخوس الخامس اوباطور (١ مك ٦: ١-١٧). ويخطئ «أهاروني» عندما يذكر ان القادة الذين كلفهم ليسياس غزو يهوذا واورشليم هم اربعة: بطليموس ودوريمانس (والد بطليموس) وكنانور وجرجياس (Ahasani, Op. Cit. P. 143) بينما يذكر العهد القديم بسفريه (١ مك ٢: ٢٨ و ١ مك ٢: ٩٨) ان هؤلاء القادة هم ثلاثة فقط.

(٢٦) العهد القديم، ١ مك ٢: ٥٥، وكانت «المصفاة» على بعد ١٢ كلم من اورشليم شمالا (م. ن. ص ٩٦٢ حاشية ١٤).

امراة او غرس كرما او كان خلفاء ان يعود الى بيته ولا يشترك في القتال «بحسب ما ورد في الشريعة»^(٢٧). أما أمر اليوم، الذي أصدره يهوذا لجنده فهو التالي:

«تجهزوا وكونوا ذوي بأس، وتأهبوا للغد لمقاتلة هذه الأمم المجتمعة علينا لتبيدنا نحن وأقداسنا، فلأن نموت في القتال خير من ان نعاين الشر في قومنا وأقداسنا. وكما تكون مشيئته في السماء نصنع»^(٢٨).

التحشد والسير للقتال:

أ - الجيش السلوقي: احتشد الجيش السلوقي في انطاكية، شمال سوريا (وكانت عاصمة السلوقيين يومذاك)، وكان لدى بطليموس «قائد بقاع سوريا وفينيقية» والقائد العام للجيش، اربعون ألف رجل وسبعة آلاف فارس، فعين بطليموس: نكانور بن بتركس قائدا للحملة ومعه عشرون ألف مقاتل، وضم اليه جرجيأس ومعه خمسة آلاف رجل وألف فارس، وأمرهما بالسير لاختاد الثورة في يهوذا^(٢٩).

وسار الجيش السلوقي من انطاكية متجها جنوبا نحو فلسطين فوصل الى «اللد»، وتابع منها، جنوبا كذلك، حتى وصل الى سهل «عمّاس»، الواقع شمالها، حيث عسكر بجيشه، وانضمت اليه قوات من الادوميين ومن مقاطعتي يمنية (يبنة) وأشدود، على الساحل الفلسطيني^(٤٠).

ب - جيش يهوذا المكابي: حشد يهوذا، في المصفاة، ستة آلاف مقاتل^(٤١)، وبعد ان حرضهم «ان لا يرتاعوا من الأعداء، ولا يخافوا من كثرة الأمم المجتمعة عليهم ظلما، وان يقاتلوا ببأس»، وبعد ان نكّرهم بتاريخ اسلافهم الذين كانوا قلة وقاتلوا كثرة من

(٢٧) م. ن. ١ مك ٣: ٥٦، ويبدو ان الشريعة الموسوية تمنى هذه الفئات من الخدمة العسكرية. وهو ما لا يتفق الكيان الصهيوني به اليوم. اما فيما يتعلق بالخلفين، فقد ظهر تناقض بين سفر المكابيين الاول والثاني. فبينما يقول الاول باعفانهم من واجب القتال كما مر معنا، يفكر الثاني ان الخلفين وقليلي الايمان جدير الله قد هربوا «وهاجروا الى اماكن اخرى» (٢ مك ٨: ١٢).

(٢٨) م. ن. ١ مك ٣: ٥٨-٥٩.

(٢٩) انظر: م. ن. ١ مك ٣: ٢٨-٢٩ و١ مك ٤: ١ و٢ مك ٨: ٩-١٠.

(٤٠) Azorui. Op. Cit. P. 143 وآزوتس Azorui وجامنيا Jannia هما: أشدود وحمينا أو يمنية (يبنة) على الساحل الفلسطيني.

(٤١) العهد القديم، ٢ مك ٨: ١٦.

«الغلاطيين» في بابل، وفي عهد سنحاريب، بسبب «النجدة التي أنتهم من السماء»، ذلك ان أعداءهم «انما يتوكلون على سلاحهم واعمالهم الجريئة، وأما نحن فنثوكل على الله القدير الذي يستطيع، بإيماء واحدة، ان يصرع الزاحفين علينا، بل العالم بأسره»^(٤٢). وما ان «شددهم» يهوذا بكلامهم هذا «حتى اصبحوا مستعدين للموت في سبيل الشريعة والوطن»^(٤٣)، وزع جيشه اربع فرق، كل فرقة من ألف وخمسمائة مقاتل، وسلم قيادة هذه الفرق الى كل من اخوته: سمعان ويوسف ويوناثان، وتسلم هو قيادة الفرقة الأولى (الكتيبة الأولى)^(٤٤)، كما سلم مهمة الوعظ في الجيش الى «عزرا» الذي اخذ يتلو على الجند «الكتاب المقدس»، وحدد كلمة السر بعبارة «نجدة الله»^(٤٥).

وسار يهوذا بجيشه هذا من المصفاة، متجها جنوبا بغرب، ومخترقا الجبال الوعرة الواقعة شمال غربي اورشليم، حتى وصل الى «عمّاس» فعسكر جنوبها^(٤٦)، قبالة الجيش السلوقي.

- المعركة:

- خرج جرجيَّاس ليلا، مع خمسة آلاف راجل وألف فارس ومعه أدلاء من يهود قلعة «عقرا» بأورشليم، لكي يفاجئ معسكر يهوذا، وهو يبغى ضرب الجيش اليهودي واسر قائده^(٤٧)، وعلم يهوذا، بنية خصمه فغانر معسكره ومعه ثلاثة آلاف رجل «ليضرب جيش الملك الذي في عمّاس، وكان لا يزال متفرقا خارج المعسكر»^(٤٧).

- وصل جرجيَّاس الى معسكر يهوذا فوجده فارغا، وظن انه هرب من طريقه، فاخذ يبحث عنه في الجبال^(٤٨).

(٤١) العهد القديم، ٢ مك ٨: ١٦.

(٤٢) م. ن. ٢ مك ٨: ١٨ - ٢٠. وكم يبدو الاسلوب، في هذا السفر، مختلفا عن ما نجده في مختلف اسفار العهد القديم التي يبدو انه اسرئيل، رب الجند، من خلالها، عنيفا دعويا ظاهريا. كما هو في الحقيقة تماما. مما يدل على ان كاتب هذا السفر مختلف عن كتبة باقي الاسفار في الزمان والمكان.

(٤٣) م. ن. ٢ مك ٨: ٢١.

(٤٤) هكذا وردت تسميتها في العهد القديم، ٢ مك ٨: ٢٣.

(٤٥) م. ن. ٢ مك ٨: ٢٢ - ٢٣.

(٤٦) Aharoni, Op. Cit. P. 143.

(٤٧) العهد القديم، ١ مك ٤: ٤٠ - ٤١. Aharoni, Ibid.

(٤٨) م. ن. ١ مك ٤: ٦٥.

- عند الفجر، وصل يهوذا الى معسكر نكانور فوجده قويا محصنا محاطا بالخيانة المدبرين على الحرب، بينما لم يكن لدى آلافة الثلاثة من «الخوذ والدروع والسيوف» ما يمكنهم من مجابهة خصومهم الأشداء^(٤٩).

- ما ان ابصر جند نكانور جيش يهوذا وقد اقترب من معسكرهم حتى استنفروا وهبوا للقاء العدو خارج المعسكر، لكن يهوذا عاجلهم بالحرب بعد ان نفخ في البوق أمرا جنده بمبادرتهم بالقتال، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة السلوقيين وحلفائهم، حيث سقط منهم بالسيف «جميع الذين في المؤخرة... وكان الساقطون منهم نحو ثلاثة آلاف رجل»، وقيل «تسعة آلاف»^(٥٠). اما الباقون فقد هربوا نحو «جازر وسهول ادوم واشدود ويمنيا»، وقد تعقبهم يهوذا لفترة من الزمن عاد بعدها لكي يواجه جرجياس^(٥١).

- وكان جرجياس عائدا الى معسكره عندما اطل عليه فوجد الدخان يتصاعد منه، وقتلى الجند من بني قومه وحلفائهم يملأون السهل المحيط به، ورأى جيش يهوذا مستعدا للحرب مستنفرا لها، فأمر جيشه ان ينكفي، بلا قتال، الى «ارض الفلسطينيين»، بينما عاد يهوذا الى معسكر الجيش المنهزم يجمع الغنائم، فاخذ «ذهبا كثيرا وفضة وارجوانا بنفسجيا وارجوانا بحريا، وأموالا جزيلا»^(٥٢). ثم عاد الى معسكره.

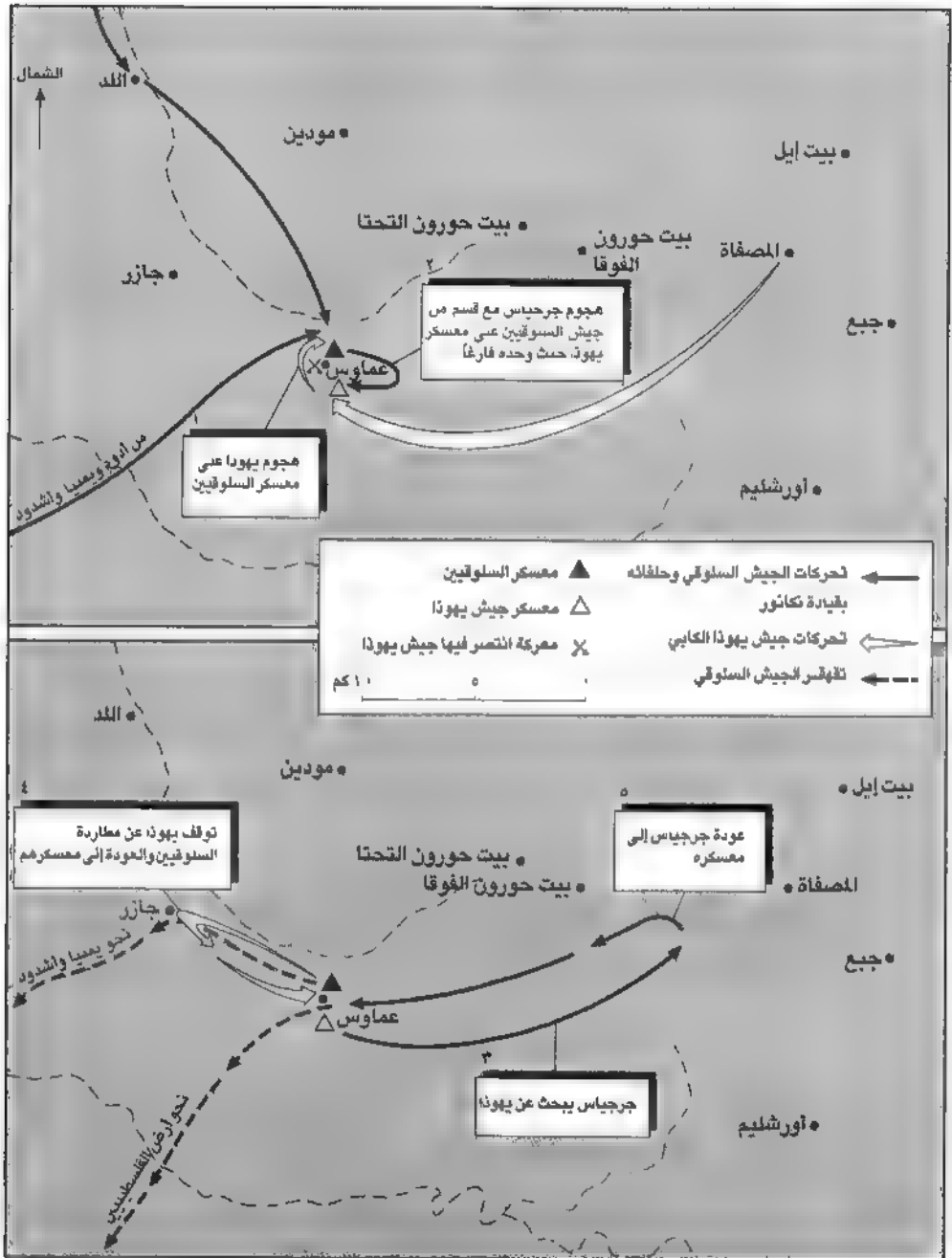
- اما نكانور فقد فر «كالعبد الأبق في الحقول» هاربا الى انطاكية، بعد ان انقرض جيشه^(٥٣). (انظر الخارطة رقم ٢٤)

(٤٩) م. ن. ١ مك ٤: ٧-٦.

(٥٠) م. ن. ١ مك ٤: ١٥ و ٢ مك ٨: ٢٤.

(٥١) م. ن. ١ مك ٤: ١٥ و ١٦ و ٢ مك ٨: ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤

خارطة رقم ٢٢: موقعة عماوس



٢- موقعة بيت صور (١٦٤ ق.م.):

بعد هزيمة نكانور في عماوس، قرر ليسياس منازلة يهوذا، فحشد، لأجل ذلك، جيشا من ستين ألف راجل وخمسة آلاف فارس، (وقيل انه حشد نحو «ثمانين ألف رجل وفرسانه كلهم» ويعدون بالالوف، ومعه ثمانون فيلا)، وسار بهم الى ارض الأدوميين، حلفائه.

وعلم يهوذا بالامر، فاستنفر رجاله، وجمع، لقتال ليسياس، جيشا من عشرة آلاف رجل^(٥٤).

السير للقتال:

أ - ليسياس: سار ليسياس من انطاكية جنوبا نحو ارض الأدوميين، مروراً باللد فجازر «سالكا طريق المياه» خشية ان يعرض قواته للممرات الضيقة والانحدارات والتسلقات الصعبة، حتى وصل الى مريسة (او مريشة) فتجاوزها، منعطفا نحو الشرق، حتى وصل الى بيت صور «وهي مكان حصين على نحو خمس غلوات من اورشليم»، (والغلة رمية سهم اي ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ ذراع)، وتقع على حدود اليهودية مع ارض الأدوميين، فعسكر قبالتها، ثم حاصرها، «وخشيّ عليها الخناق»^(٥٥).

ب - يهوذا: كان يهوذا يتابع تحركات ليسياس بواسطة عيونيه في الداخل، فعرف انه متوجه الى مريسة، فاتجه بجيشه من شمال اليهودية الى جنوبها، وهدفه «بيت صور»، ولكنه وجد ليسياس قد سبقه اليها وحاصرها.

المعركة:

تقدم يهوذا بجيشه لقتال ليسياس (الذي حاصر «بيت صور») بصغوف مترافعة وقد تراءى لجنده «فارس عليه لباس ابيض يتقدمهم وهو يلوح بسلاح من ذهب» وانه «قد اتاهم

(٥٤) م.ن. ٤مك ٢٨: ٢٩ و ٢مك ١١: ٤٧.

(٥٥) م.ن. ٢مك ١١: ٦٥؛ ١٤٣؛ ٢مك ١١: ٦٥.

حليف من السماء برحمة الرب»^(٥٦)، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة ليسيئاس وجيشه الذي سقط منه «خمسة آلاف رجل» (وقيل: أحد عشر ألف راجل والف وستماية فارس) وكان أكثر الناجين «جرحي وبلا سلاح»^(٥٧)، أما ليسيئاس، فقد نجا «بفرار مخجل إلى انطاكية» ليعود بجيش أكثر إلى اليهودية^(٥٨).

موت انطيوخوس الرابع ابيفانوس:

أما انطيوخوس الرابع ابيفانوس، فإنه، بعد هزيمته في فارس وهزيمة جيوشه في فلسطين، أصيب بداء عضال أدى إلى موته عام ١٦٤ ق.م. فخلفه على العرش ولده انطيوخوس الخامس أوباطور، وكان في التاسعة من عمره، فكان، «ليسيئاس» وصيا عليه ومستشارا حميما له^(٥٩).

احتلال اورشليم:

بعد انتصاره في بيت صور، تابع يهوذا تقدمه نحو اورشليم فاحتلها، ثم صعد بجيشه إلى جبل صهيون، فاستولى على الهيكل حيث كان «المقدس مقفرا والمذبح منجسا والابواب محرقة»^(٦٠)، وأرسل جندا لمحاربة من كان في قلعة «عقراء» من جند الملك، من يهود وسواهم، ولكنه لم يستطع إجلاءهم عنها^(٦١). ثم أعاد عبادة إله اليهود إلى الهيكل، وحصّن جبل صهيون، وبني حوله «أسواراً عالية وبروجاً حصينة»، وأقام فيه جيشاً يحرسه، كما حصّن بيت صور «حتى يكون للشعب معقل نجاه لدمه»^(٦٢).

(٥٦) م.ن. ١ مك ١١: ١٠-٨.

(٥٧) م.ن. ١ مك ٤: ٢٤ و ٢ مك ١١: ١١-١٢.

(٥٨) م.ن. ١ مك ٤: ٢٥ و ٢ مك ١١: ١٢. Aharoni, *Ibid.*

(٥٩) مرض انطيوخوس الرابع ابيفانوس مرضاً عضالاً توفي على أثره في أيلول أو تشرين الأول، عام ١٦٤ ق.م. فاهتم بدفنه رفيع طفولته «فيليبوس». إلا أن فيليبوس خاف من انطيوخوس الخامس أوباطور الذي خلف والده انطيوخوس الرابع في الملك ففر لاجأ إلى بطليموس فيلوميتور ملك مصر، فكان ليسيئاس، الوصي على انطيوخوس الخامس الذي فوض إليه تدبير كل شؤون المملكة، وكان ليسيئاس القائد العام لجيوش سوريا وفينيقية (٢ مك ١٠ و ١). وانظر: م.ن. ص ٩٧١ حاشية (٧) وص ٩٧٢ حاشية (٩) وص ١٠٢٥ حاشية (١). وذكر «بريتشارد» أن وفاة انطيوخوس الرابع كانت في كانون الأول عام ١٦٤ ق.م. (Pritchard, *Op. Cit.* P. 146) ويرى محققو العهد القديم أن وفاة انطيوخوس الرابع ابيفانوس قد حصلت قبل احتلال يهوذا لاورشليم وتطهير الهيكل، تماماً كما ورد في سفر المكابيين الثاني (العهد القديم، ص ٩٤٨) بعكس «جوزف» الذي يضع وفاة انطيوخوس بعد احتلال اورشليم. (Joseph Op. Cit. P. 125)

(٦٠) م.ن. ١ مك ٤: ٢٧-٢٨ و ١٤٣. Aharoni, *Op. Cit.*

(٦١) م.ن. ١ مك ٤: ٤١ و. Aharoni, *Ibid.*

(٦٢) م.ن. ١ مك ٤: ٥٢ - ٦١ وانظر Joseph, *Op. Cit.* P. 125

٤- اجتياح الجليل وقلعاد (١٦٣ ق.م.):

١- حروب انتقامية ام وقائية وتمهيدية؟

- اخضاع «بني عيسو» من الأدوميين: ذاع صيت يهوذا بعد انتصاراته هذه، فقرر ان يستغل ذلك ويحارب خصومه في كل الجهات، بدءا «ببني عيسو» من الأدوميين في بلدة «أقربتيين» شمال أورشليم، بحجة انهم كانوا يضطهدون اليهود المقيمين بينهم ويحاصروهم، فهاجم تلك البلدة وضربهم فيها «ودحرهم وسلب غنائمهم»^(٦٣).

- اخضاع «بني بيان»: وانتقل بعد ذلك لمحاربة «بني بيان» وهم قبيلة من البدو كانت تقيم في بلدة تدعى «بعل معون» على الطريق بين أورشليم وإريحا، فتعرض المارة من اليهود وغيرهم وتطلب منهم ضريبة مرور، فهاجم بلدتهم وحاصروهم وأحرق بروجهم^(٦٤).

- اخضاع بني عمون: ثم عبر الى «بني عمون» وكان عليهم «طيموثاوس» والي اقليمهم من قبل الملك، وكانوا «عسكرا قويا وشعبا كثيرا» فشن عليهم هجوما هزموا على أثره، واحتل بلدتهم «يعريز» وتوابعها، ثم عاد، بعدها، الى اليهودية^(٦٥).

- مهاجمة حصون الأدوميين واحتلالها: كان الأدوميون قد تحالفوا مع «جرجيئاس» الذي تسلم قيادة البلاد واخذ يعد المدة لقتال اليهود، وكانوا - أي الأدميون - يحرضون الشعب على قتالهم ولا يفتأون يضايقونهم من خلال حصونهم التي كانت قائمة في مواقع منيعة وملائمة لهذا الغرض، فقرر يهوذا ان يتخلص من خطرهم وأعد، لذلك، جيشا قاده بنفسه للهجوم على تلك الحصون واحتلالها. وقد استطاع دحر المدافعين عنها والاستيلاء عليها بعد معركة عنيفة «ذبح» رجال يهوذا خلالها «كل من وقع في أيديهم» من المدافعين عن الاسوار «وأهلكوا لا اقل من عشرين ألفا»^(٦٦).

(٦٣) م. ن. ١ مك ٥: ٢ و ١٤٤. Abaruni, Op. Cit. P. 144

(٦٤) م. ن. ١ مك ٥: ٤٤ و ٤٥. Abaruni, Ibid.

(٦٥) م. ن. ١ مك ٥: ٦٧ و ٦٨. Abaruni, Ibid.

اما «يعريز» فربما كانت «بيت زرعة» (الدبس، تاريخ سوريا، ج ٢: ١٨٢).

(٦٦) العهد القديم، ٢ مك ١٠: ١٤-١٧، ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه.

اما الناجون، وعددهم تسعة آلاف، فقد فروا وتحصنوا في «برجين حصينين جدا، مجهزين بكل أسباب الثبات للحصار»^(٦٧)، عندهما، ترك يهوذا، قبالة هذين البرجين، اخاه سمعان على رأس قوة من رجاله لمحاصرتهما، وانصرف الى اماكن اخرى كانت امس حاجة^(٦٨) غير ان الاعداء المحاصرين استطاعوا اغواء بعض المسؤولين في جيش سمعان الذين سمحوا لهم بالخروج من الحصار لقاء «سبعين الف درهم»^(٦٩)، ولما علم يهوذا بذلك عاد و«قتل اولئك الخونة، واستولى من فوره على البرجين» بعد ان قتل «ما يزيد على عشرين الفاً ممن كانوا يدافعون عنهما»^(٧٠).

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن، اثر هذه العمليات، هو: هل كانت هذه العمليات، بالفعل، انتقامية، قام بها يهوذا لكي يثار لليهود المضطهدين، ممن اضطهدهم، كما ورد في العهد القديم، أم انها كانت عمليات وقائية وتمهيدية للحروب التي سوف يقوم بها، وذلك لكي يتمكن من الانصراف الى عملياته في الجليل وجلعاد دون ان يفشى اي خطر يمكن ان يتهدده في خطوطه الخلفية ومن وراء جيوشه المتجهة، شمالا، نحو جلعاد والجليل؟ يرجح ان هذا هو السبب الحقيقي والمبرر الفعلي لهذه العمليات.

ب - الإعداد لحملة الجليل وجلعاد، وتوزيع القوى والمهمات:

تكاثرت الاعتداءات على اليهود في جلعاد وارض ملوب فلجأوا الى حصن «ديماتما» وكتبوا الى يهوذا يستنجدون به^(٧١). وجاءه، في الوقت نفسه، رسل من الجليل يشكون اليه ما يتعرضون له من تهديد ومضايقات من أهالي «بَطْلُمَايس (عكا) وصور وصيدا وكل جليل الأمم» بقصد ابادتهم^(٧٢)، فقرر يهوذا، عندئذ، تسيير حملتين على كل من الجليل وجلعاد:

(٦٧) م. ن. ٢ مك ١٠: ١٨.

(٦٨) م. ن. ٢ مك ١٠: ١٩.

(٦٩) م. ن. ٢ مك ١٠: ٢٠.

(٧٠) م. ن. ٢ مك ١٠: ٢٢-٢٣. ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه كذلك (انظر ملاحظة المحققين في م. ن. ص ١٠٢٦ حاشية ٥).

(٧١) م. ن. ١ مك ٥: ١٣-١٢. وديماتما: مكان غير معروف، في غرب بَصْرَة (م. ن. ص ٩٦٨ حاشية ٧).

(٧٢) م. ن. ١ مك ٥: ١٤-١٥.

- أمر أخاه سمعان بقيادة حملة من ثلاثة آلاف مقاتل إلى الجليل.

- وقاد هو، ومعه أخوه يوناثان، حملة من ثمانية آلاف مقاتل، إلى أرض جلعاد.

- وأما بقية الجيش فظلت في اليهودية بقيادة «يوسف بن زكريا وعزريا، قائد الشعب».

وكانت وصيته إليهما أن «توليا أمر هذا الشعب، ولا تتشتا حربا حتى نعود»^(٧٢).

ج - حملة سمعان على الجليل:

قاد سمعان حملة مظففة على الجليل «فانسحقت الأمم أمام وجهه»^(٧٣)، واستطاع أن يهزم كل مقاومة تصدت له، وطارد المنهزمين من «نمرين» إلى أبواب عكا (بطلمائس)^(٧٤)، وقتل منهم «نحو ثلاثة آلاف رجل» ونال الكثير من الغنائم ثم جمع المقيمين من اليهود في الجليل وعربات (العربة) مع نسلهم وأولادهم، وعاد بهم جميعا إلى اليهودية حيث أقاموا^(٧٥).

د - حملة يهوذا على أرض جلعاد (السلط) (١٦٣ ق.م.):

بعد أن أخضع يهوذا الشعوب المجاورة له (من أدوميين وبيانيين وعمونيين)، وبعد أن صرف أخاه سمعان في حملة على الجليل، انصرف بدوره، مع أخيه يوناثان، في حملة على أرض جلعاد (السلط)، تلبية لاستغاثات أطلقها يهود تلك المنطقة، وخصوصا أولئك الذين حوصروا في حصن «ديانما».

روايتان للحملة: نحن امام روايتين لهذه الحملة، حاولنا أن نوفق بينهما فلم نفلح، لذا، أترنا أن نروي كلا منهما على حدة.

(أ) - الرواية الأولى: وردت في سفر المكابيين الأول:

انطلق يهوذا من اورشليم، بثمانية آلاف مقاتل، فعبر الأردن، وسار ثلاثة أيام في

(٧٢) م.ن. مك ١: ٥-١٧.

(٧٤) م.ن. مك ١: ٢٦ و. ١٤٤. P. 144. Aharoni, Op. Cit.

(٧٥) م.ن. مك ١: ٢٦ و. Aharoni, Ibid.

(٧٦) م.ن. مك ١: ٢٢-٢٣ و. Aharoni, Ibid.

البحرية، في ارض يقطنها عرب من النبطيين، تلقوه بسلام، وسمحوا له بالمرور عبر ارضهم الى حيث حوصر اليهود في «بُصرة وباصر وعليم وكُسفور ومكيدو وقرنائيم» وفي «سائر مدن جلعاد»^(٧٧).

اجتاز يهوذا ارض النبطيين وتقدم نحو مدينة «باصر» فحاصرها ثم استولى عليها وقتل «كل ذكر» فيها، وسلبها «واحرق المدينة بالنار»^(٧٨). وكان عليه ان يسرع لنجدة اليهود المحاصرين في حصن «دياتما» شرق بحيرة الجليل (طبرية)، وعند نهر اليرموك، لذا، كان عليه ان ينتقل بجيشه من «باصر» شرقا، الى «دياتما» غربا، مجتازا بلاد الطوب^(٧٩) وبرية جلعاد، فسار يهوذا بجيشه، من باصر ليلا، حتى بلغ الحصن عند الفجر، ثم اعد الهجوم على الحصن بان قسّم جيشه الى ثلاث فرق، وباغت جيش طيموتاوس، الذي يحاصر الحصن، بفرقه الثلاث من الخلف، ومن كل جانب، وقد حمل جنده السلاالم والمجانيق لفتح الحصن، وكان يهوذا يقول لجنده: «قاتلوا اليوم عن اخوتكم» محرضا اياهم على الهجوم والفتك بالعدو لانقاذ المحاصرين في الحصن.

وما ان رأى جيش طيموتاوس جند يهوذا يباغتونهم من الخلف حتى هربوا في كل اتجاه، فضربهم يهوذا «ضربة شديدة» وقتل منهم «في ذلك اليوم، ثمانية آلاف رجل»^(٨٠).

اما يهوذا، فانه، بعد ان انقذ اليهود المحاصرين، استكمل حملته باحتلال حيلام وكسفور ومكيد وسائر مدن ارض جلعاد^(٨١).

في هذه الاثناء، كان طيموتاوس، يجمع قواته من جديد لكي يعود الى محاربة يهوذا، وقد عسكر بهذه القوات قبالة مدينة «رافون» عبر الوادي^(٨٢)، وقال لقادته: «ان عبر (يهوذا) الينا، فلا نستطيع الثبات امامه، فانه يتفوق علينا تفوقا، وان نخوف وعسكر في عبر النهر، جزنا اليه وتغلبننا عليه»^(٨٣).

(٧٧) م. ن. ١ مك ٥: ٢٧-٢٤. وكان مركز النبطيين مدينة «البتراء» (م. ن. ص ١٦٨ حاشية ٦).

(٧٨) العهد القديم، ١ مك ٥: ٢٨.

(٧٩) بلاد الطوب ارض لبني عمون تحكمها اسرة الطوبيين، ويقوم فيها حصن المذكور الذي هو مقر الوالي. (م. ن. ص ١٠٣٠ حاشية ٣).

(٨٠) العهد القديم، ١ مك ٥: ٢٩-٣٤. ولا شك في ان عدد القتلى مبالغ فيه الى حد كبير، كما تعودنا ان نرى في حروب يهوذا كلها.

(٨١) م. ن. ١ مك ٥: ٣٦، ٣٥.

(٨٢) م. ن. ١ مك ٥: ٣٧. وربما كان الوادي المقصود هو (وادي اليرموك).

(٨٣) م. ن. ١ مك ٥: ٤٠-٤١.

علم يهوذا بأمر الحشود التي اعدّها طيموتاوس للقاءه، فأرسل عيوناً يأتون اليه باخبارها، فعادوا اليه قائلين: «ان جميع الوثنيين الذين حولنا قد انضموا الى طيموتاوس، وهم جيش عظيم جداً، وقد استأجروا عرباً يظاهرونهم، وعسكروا في عبر الوادي، وفي عزيمتهم ان يأتوك للقتال»^(٨٤). عندها، خرج يهوذا للقاءهم، وما ان وصل الى الوادي «وادي الماء» حتى أمر جنده بعبور النهر نحو العدو لقتاله، «وعبر هو في المقدمة، وكل الشعب وراءه»^(٨٥)، واقام كتبة للجيش (اي الضباط الاداريين) في المؤخرة، على الوادي، وأمرهم ان «لا تدعوا احداً يعسكر هنا. بل ليعضوا جميعاً الى القتال»^(٨٦).

ودارت رحى الحرب بين الفريقين، فانهمز جيش طيموتاوس امام يهوذا والقي معظم جنده السلاح وفرّ الى معبد «قرناتيم»، واستولى يهوذا وجيشه على مدينة رافون ثم دخلوا المعبد وأحرقوه «مع كل من كان فيه بالنار»^(٨٧).

وجمع يهوذا، بعد ذلك، «كل من كان من اسرائيل وارضى جلعاد، من صغيرهم الى كبيرهم، ونسائهم واولادهم مع امتعتهم» وسار بهم الى اليهودية مروراً ببلدة «عفرون» التي منعه اهلها من دخولها بعد ان اغلقوا ابوابها في وجهه، فاجتاحها واهلك اهلها ودمرها ثم اجتاز المدينة «من فوق القتلى» وعبر الأردن «الى للسهل الكبير قبالة بيت شان» حتى وصل الى اليهودية^(٨٨).

(ب) - الرواية الثانية: وردت في سفر المكابيين الثاني:

بعد فشل حملته على «بيت صور» قرر ليسيّاس مهادنة العبرانيين ريثما يتمكن من اعداد العدة اللازمة لايقاع الهزيمة بهم في الوقت المناسب. لذا، أوفد من يعرض على يهوذا المصالحة على أن «يرغم الملك على مصادقتهم»، فوافق يهوذا على عرض ليسيّاس، وتمت

(٨٤) م. ن. ١ مك ٥: ٣٩-٣٨.

(٨٥) م. ن. ١ مك ٥: ٤٣.

(٨٦) م. ن. ١ مك ٥: ٤٣.

(٨٧) م. ن. ١ مك ٥: ٤٤-٤٣، وقرناتيم: القرنين، وهي صفة لعشائر ذلك المكان. ويشق منها اسم هيكل قرنيم (م. ن. ص ٩٦٩ حاشية ٩).

(٨٨) م. ن. ١ مك ٥: ٥٢-٤٥. والعجيب انه لم يسقط احد منهم، في هذه الحملة. (م. ن. ١ مك ٥: ٥٤). اما عفرون فتقع عبر الأردن، بين تل عشيرة وباسان (الليس). المصدر السابق. ج ٢: ١٨٤).

المصالحة على هذا الأساس ووفقا لهذه الشروط، وأقر انطيوخوس، بدوره، هذه المصالحة^(٨٩).

ويبدو ان يهوذا وضع شروطا خطية للمصالحة وارسلها الى ليسياس مع موفدين من قبله هما: أخوه حنا واحد الزعماء المقربين منه ويدعى «ابشالوم»، وذلك ما يظهر من رسالة ليسياس الى اليهود، وقد جاء فيها: «من ليسياس الى شعب اليهود سلام، قد سلم يوحنا وابشالوم، الموفدان من قبلكم، الوثيقة المنسوخة ادناه، وسالانا ان نبرم ما تتضمنه، فشرحت للملك ما ينبغي ان يُرفع اليه، ووافقت على ما هو في امكاني» (الى آخر الرسالة)^(٩٠).

واما «الوثيقة المنسوخة ادناه» فيبدو انها الرسالة التي وجهها انطيوخوس الى اليهود، وقد جاء فيها: «من الملك انطيوخوس الى مشيخة اليهود سلام... قد أبحنا لليهود اطعمتهم وشرائعهم، كما كانوا عليه من قبل، وكل من هفا منهم فيما سلف فلن يضايق» (الى آخر الرسالة)^(٩١). وجاء في رسالة من الملك الى ليسياس ما يلي: «من الملك انطيوخوس الى اخيه ليسياس سلام... وبلغنا ايضا ان اليهود غير راضين بما امرهم والدنا من التحول الى سنن اليونانيين، بل انهم يفضلون مذهبهم الخاص، ويسألون ان يباح لهم العمل بسننهم.... فاننا نحكم بان يرد لهم الهيكل، وان يعيشوا بحسب عادات آبائهم....» (الى آخر الرسالة)^(٩٢).

وكان من نتيجة هذه المعاهدة ان قضى يهوذا وشعبه ما تبقى من عام ١٦٤ ق.م. بهدوء وطمأنينة، وانصرفوا الى «حرث اراضيهم»^(٩٣).

(٨٩) العهد القديم، ٢ مك ١١: ١٣-١٥.

ويحتار محققو العهد القديم في اي من المهددين يضمنون هذا النص، ففي عهد انطيوخوس الرابع ابيفانوس ام في عهد ابنه انطيوخوس الخامس ابوباطور (وكلا المهددين شغلا العام ١٦٤ ق.م)، فبينما يرون ان كاتب النص يرويه على اساس انه جرى في عهد انطيوخوس الخامس، باعتبار ان ليسياس يستطيع ان يرغم انطيوخوس الصغير ولا يستطيع ان يفعل ذلك مع ابيه (م. ن. ص ١٠٢٨ حاشية ٢) نراهم يرون، في مكان آخر، ان الملك، المقصود في النص هو «انطيوخوس الرابع، لا الخامس (م. ن. ص. ن. حاشية ٥).

(٩٠) م. ن. ٢ مك ١١: ١٦-٢٠.

(٩١) م. ن. ٢ مك ١١: ٢٧-٢٢.

(٩٢) م. ن. ٢ مك ١١: ٢٢-٢٦. ويبدو، من هذه الرسالة، ان الاحداث جرت في عهد انطيوخوس الخامس.

(٩٣) م. ن. ٢ مك ١٢: ١.

الا ان عهد الهدوء هذا لم يطل، اذ انه، وبتواطؤ مع بعض القادة في البلاد وهم طيموتاوس، وابلوننيوس بن جثاينوس، وايرونيمس، وديمفون، بالاضافة الى «نيكانور» حاكم قبرس، ارتكب اهل يافا، بحق لليهود في مدينتهم، «جريمة فظيعة»، وذلك عندما صدر قرار من «شعب المدينة» بان يرحل جميع يهودها بحرا في قوارب اعدت لهم، وكان عددهم نحو مايتي نسمة، وما ان وصلت للقوارب الى عرض البحر حتى اغرقت بمن فيها^(٩٤).

وعلم يهوذا بما جرى لابناء ملته في يافا على ايدي مواطنيهم في المدينة، فقرر الانتقام، وسار الى مرفأ يافا، ليلا، فاشعه واحرق القوارب وحاول مهاجمة المدينة الا انها كانت قد اغلقت ابوابها في وجهه. وكان قد سمع بان اهل يمينيا (يمين) ينوون ان يفعلوا بيهود بلدتهم ما فعله اهل يافا، فارتحل بمن معه الى يمينيا وهاجمها ليلا فاحرق «المرفأ مع الاسطول، حتى رؤي الضوء من اورشليم، على بعد متتين واربعين غلوة»^(٩٥).

قرر يهوذا، بعد ذلك، ان يزحف بجيشه على طيموتاوس في ارض جلعاد، «فتصدى له قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف ومعهم خمسمئة فارس»^(٩٦) وحاولوا منعه من اجتياز ارضهم نحو جلعاد فقاتلهم وهزمهم ثم هاجمهم^(٩٧). واغار، في طريقه، على مدينة تحميها سدود من تراب وتحيط بها الاسوار ويسكنها خليط من الامم، واسمها «كسفيش»^(٩٨)، فغابذ اهلها يهوذا وجنده وشتموهم وجدفوا ونطقوا بما لا يحل^(٩٩) فهاجمهم واحتل المدينة وقتل من اهلها «ما لا يحصى» حتى ان بحيرة قريبة منها «ظهرت كأنها امتلات وطفحت بالدماء»^(١٠٠).

(٩٤) م. ن. ٢ مك ١٢: ٤. ولم يذكر النص كيف تم الحراق هذه القوارب، ومن اغرقها. افرقها ملاحوها الذين لا بد من ان يعرفوا هم ايضا، ام اغرقت بوسائل اخرى لم تعدد، وهذا ما يشير الى بُعد هذه الواقعة عن الواقعة عن الواقعة.

(٩٥) م. ن. ٢ مك ١٢: ٥. اولا تشير هذه الاحداث الى الكره المتصل في نفوس مختلف الشعوب في ارض كنعان لليهود الدخلاء والمفتصبين؟ اما الفقرة فهي مرمية سهم بأبعد ما يُقدر عليه، وتقدر به ٢٠٠ الى ٤٠٠ ذراع (محيط المحيط).

(٩٦) م. ن. ٢ مك ١٢: ١٠. وهؤلاء العرب هم الانباط الذين ورد ذكرهم في الرواية الاولى (١ مك ٥: ٢٥) وذكر انهم تلقوه بسلام وسمحوا له بالممرور.

(٩٧) م. ن. ٢ مك ١٢: ١١-١٣.

(٩٨) م. ن. ٢ مك ١٢: ١٤. ولم نستطع تحديد موقع هذه المدينة. كما لم يستطع «الديس» ذلك (الديس). المراجع السابق، ج ٢: ١٩٣.

(٩٩) م. ن. ٢ مك ١٢: ١٤.

(١٠٠) م. ن. ٢ مك ١٢: ١٦.

وسار يهوذا، بعد ذلك، نحو «سبعمئة وخمسين غلوة» حتى بلغ «الكرك» وكان يحكم تلك الارض اسرة من اليهود تعرف «بالطوبيين»، وهي ارض لبني عمون^(١٠١)، فلم يجد طيموتاوس الذي كان قد غادر تلك الارض بعد ان ترك في قلعتها «الكرك» حامية من نحو عشرة آلاف رجل لحراستها، فهاجم اثنان من قادته (وهما: دوستياسو وسوسيباطير) القلعة وفتكا بمن كان فيها من جند طيموتاوس^(١٠٢). وتابع يهوذا زحفه باحثا عن طيموتاوس في ارض جلعاد.

علم طيموتاوس بزحف يهوذا نحوه بجيش لا قبل له على مواجهته. ومع انه كان مع طيموتاوس «مئة وعشرون ألف راجل وخمسمئة فارس»^(١٠٣) فقد أثر عدم المواجهة، ووضع النساء والاطفال والمتاع في مكان يسمى «قرنيم»، وكان «موضعا منيعا يصعب الوصول اليه لضيق جميع الممرات»^(١٠٤). وعندما علم يهوذا بما صنعه خصمه قسم جيشه ثلاث فرق وعين لكل فرقة قائدا «وحمل على طيموتاوس». وما ان بدت ملائح الفرقة الاولى لجيش يهوذا حتى دب الرعب في قلوب جند طيموتاوس «فاسرعوا الى الفرار من كل جهة، حتى ان بعضهم كان يؤذي بعضا، وطعن بعضهم بعضا بحد السيوف»^(١٠٥). وطاردهم يهوذا بجيشه وقتل منهم خلقا كثيرا، حتى بلغ عدد قتلاهم «ثلاثين ألف رجل»^(١٠٦).

اما طيموتاوس فقد وقع اسيرا «في ايدي رجال دوستيتاوس وسوسيباطير» ولكنه استطاع اقناعهم بان يخلوا سبيله «بهدية ان اباء واخوة للكثيرين منهم قد يهلكون» ان هلك هو، فاخلوا سبيله^(١٠٧).

وأغار يهوذا، بعد ذلك على قرنيم واترجيتون، فقتل فيهما «خمس عشرة ألف نفس»^(١٠٨).

(١٠١) م. ن. ٢ مك ١٧: ١٢ وم. ن. ص ١٠٣٠ حاشية (٢).

(١٠٢) م. ن. ٢ مك ١٧: ١٢-١٨.

(١٠٣) م. ن. ٢ مك ١٧: ٢٠.

(١٠٤) م. ن. ٢ مك ١٧: ٢١.

(١٠٥) م. ن. ٢ مك ١٧: ٢٢.

(١٠٦) م. ن. ٢ مك ١٧: ٢٣.

(١٠٧) م. ن. ٢ مك ١٧: ٢٤.

(١٠٨) م. ن. ٢ مك ١٧-٢٥. ويلاحظ دائما المبالاة في عدد قتلى العدو. وقرنيم. هي قرنايم او قرنائيم التي سبق ذكرها في الرواية الاولى.

خارطة رقم ٢٥: حملة يهوذا على أرض جلعاد وموقعة جازر



ثم زحف يهوذا، بعد ذلك، على عفرون، «وكان ليسياس يقيم فيها، وكان على اسوارها شبان من ذوي البأس، يقاتلون بشدة، ومعهم كثير من المجانيق والقذائف، فهاجمها يهوذا واحتلها وقتل من حمايتها «نحو خمسة وعشرين الفا»^(١٠٩)، ثم تابع تقدمه نحو مدينة «بيت شان، وهي على ستمئة غلوة من اورشليم» فشهد يهودها بان اهل مدينتهم قد احسنوا معاملتهم، فشكرهم يهوذا وتابع سيره الى اورشليم^(١١٠).

هذه هي الرواية الثانية لحملة يهوذا على ارض جلعاد كما وردت في سفر المكابيين الثاني، فهل هذه الرواية هي رواية اخرى للحملة الاولى، ام انها رواية لحملة اخرى غيرها؟ ونرد على ذلك بالقول: «كان يمكن لهذه الرواية ان تكون لحملة ثانية ليهوذا على ارض جلعاد لولا ان المنطلق الزمني للروايتين واحد، وهو ان احداثهما قد جرت بعد موقعة «بيت صوره» مباشرة. (انظر الخارطة رقم ٢٥).

نكسة يمينياً (بيئة):

بينما كان يهوذا (ويوناثان) في جلعاد وسمعان في الجليل يقاتلان، كان يوسف وعزريا في اليهودية يتلقيان، وهما قابعان في مواقعهما، انتصارات اولئك القادة ومقاتليهم، فخطر لهما ان يسعيا، بدورهما، لكي يحققا انتصارات مماثلة، فزحفا، بمن معهما من الجيش، على يمينياً، (وكان فيها «جرجياس» حاكم أدوم) دون ان يحاولا ان يجترحا اي مبرر لهجومهما هذا، سوى قولهما: «لنقم لنا نحن ايضا اسما، ولنمض لمحاربة الامم التي حولنا»^(١١١). وكان على يمينياً «جرجياس» الذي اسرع لمواجهةهما فهزمهما وطاردهما «الى حدود اليهودية» وقتل من جيشهما ألفي رجل^(١١٢)، وكانت تلك «هزيمة عظيمة» لشعب اسرائيل^(١١٣).

(١٠٩) م. ن. ٢٠ مك ١٢: ٢٨٢٧.

(١١٠) م. ن. ٢٠ مك ١٢: ٢٩-٣٩.

(١١١) م. ن. ١٠ مك ٥: ٥٨.

(١١٢) م. ن. ١٠ مك ٥: ٥٩-٦٠.

(١١٣) م. ن. ١٠ مك ٥: ٦٠.

٥- حملة يهوذا على الأدوميين والفلسطينيين (١٦٣ ق.م.):

بعد عودته من جلعاد، خرج يهوذا واخوته على الأدوميين انتقاما لفشل يوسف وعازار في حملتهما عليهما، فهاجم بني عيسو (من الأدوميين في الجنوب) و«ضرب حبرون وتوابعها، وهدم حصونها واحرق البروج التي حولها»^(١١٤)، ثم جاوزها الى مريشة، (عاصمة ادوم) وكان «جرجيَّاس» قائد ارض ادوم قد اعد جيشا من «ثلاثة آلاف راجل واربعمئة فارس»^(١١٥)، فاقبض على الفريقان، وسقط من اليهود نفر قليل كان منهم بعض الكهنة الذين «خرجوا الى الحرب عن غير فطنة»^(١١٦) وهزم «جرجيَّاس» وجيشه، وفر الى مريشة^(١١٧)، بينما تابع يهوذا طريقه الى «فلسطين» فاحتل «اشدود» وهدم مذابحها «وسلب غنائم المدينة»، ثم جمع جيشه وسار به الى «عدلام»^(١١٨) ومنها الى اورشليم.

٦- موقعة «جازر» ومقتل طيموتاوس (١٦٣ ق.م.):

بعد هزيمته في جلعاد، حشد طيموتاوس، في جازر، «جيشا عظيما» جمعه من «الغرباء» ومن «أفراس آسية»، وبدأ كمن كان في نيته الاستيلاء على اليهودية بقوة السلاح^(١١٩)، مما دفع بيهوذا لان يحشد، بدوره، جيشا ويتقدم لملاقاة طيموتاوس في جازر.

وصل يهوذا، بجيشه، الى مشارف «جازر» عند الفجر، حيث اصبح العدو على مقربة منه، وما ان اشرقت الشمس حتى التحم الفريقان. وتراءى للمقاتلين اليهود، عندما حمى وطيس المعركة، ان رجالا خمسة «رائعي المنظر، على خيل لها لجم من ذهب» نزلوا من السماء وتقدموهم للقتال، وقد أحاطوا بيهوذا «يحمونه بأسلحتهم، ويقيانه الجراح»، ثم

(١١٤) م.ن. ١ مك ٥: ٦٥.

(١١٥) م.ن. ١ مك ٥: ٦٦ وص ٩٧٠ حاشية (١٣)، و٢ مك ١٢: ٣٢-٣٣.

(١١٦) م.ن. ١ مك ٥: ٦٧ و٢ مك ١١: ٣٤.

(١١٧) م.ن. ٢ مك ١٢: ٣٥. وجاء في النص ان «دوسيتوس» احد قادة جيش يهوذا، قبض على رداء جرجيَّاس واراد ان يأسره حيا، ولكن احد فرسان جرجيَّاس بدر الى انقاذ سيده بان ضرب دوسيتوس بسيفه ضربة قطعت كتفه (م.ن. ٢ مك ١٢: ٣٥).

(١١٨) م.ن. ١ مك ٥: ٦٨ و٢ مك ١٢: ٣٨. وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 145.

(١١٩) م.ن. ٢ مك ١٠: ٢٤.

اخذوا «يرمون الأعداء بالسهام والصواعق»^(١٢٠) حتى أعموا ابصارهم واضطروهم الى التشتت والفرار. وقد «ذبح» من جيش طيموتاوس، في هذه الموقعة «عشرون الفا وخمسمائة» ومن الفرسان «ستمئة»^(١٢١)، اما طيموتاوس فقد لجأ الى حصن جازر الذي كان بامرة اخيه «خيرائوس»، فحاصر اليهود الحصن «اربعة ايام» حتى اذا كان فجر اليوم الخامس، جرت مهاجمة الحصن على الشكل التالي:

١- تسلق «عشرون فتى» من جيش المكابي الاسوار، واخذوا يذبجون «كل من عرض لهم» من حراسه^(١٢٢).

٢- وفي الوقت نفسه، تسلق «آخرون» السور من الخلف، ودخلوا الحصن، وأشعلوا النار ببرجيه حتى قضوا حرقا بالنار على كل من كانوا بداخله^(١٢٣).

٣- في هذه الاثناء، كان «آخرون» يحطمون ابواب الحصن ويفتحون في أسواره ممرات لكي يدخل الجيش اليه، وهكذا دخل الجيش ثم استولى على المدينة^(١٢٤).

اما طيموتاوس الذي اختفى في «جب» هو واخوه خيرائوس واحد قادته ويدعى «أبلوفانيس»، فقد اكتشفهم جند يهوذا، وذبحوهم جميعا^(١٢٥).

(١٢٠) م. ن. ٢٠ مك ١٠: ٢٧-٣٠. ونجد في القرآن الكريم، آيات تتشبه، في المعنى، مع ما هو وارد في هذا النص. قال تعالى: «إِذْ سَأَلْتَهُمْ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجِبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ» (الأنفال ٩/٨).

وقال تعالى: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا فَانْقُضُوا عَنْهُمْ أَلْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ» بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدَدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» وما جعلهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلَسَطَلَّاتٌ فُورُكُمْ بِهِ. وما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» (آل عمران ١٢٣/٢-١٢٦) وقد جاء في تفسير الجلالين لهذه الآيات ان الملائكة قاتلت، يوم بدر، مع المسلمين، على خيل بلغ عليهم عمائم صفراء بيض ارسلوها على اكتافهم. وجاء في مكان آخر من القرآن الكريم قوله تعالى «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ بَكْرَةَ. وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوتُكُمْ فَلَمْ تُحَنِّ عَنَّا شَيْئًا وَهَاجَتْ فَلَيْتُكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ وَلَيْتُم مُّذَبِّحِينَ» ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا...» (التوبة ٢٥/٢٦) ولا شك في ان القوة التي امد الله بها المسلمين في مائتين الموقعةتين، بدر وحنين، لم تكن سوى قوة معنوية تساوي، في قدرتها، قوة الجند (الملائكة) الذين ذكرهم القرآن الكريم. ولم تكن قوة مادية في اي حال.

(انظر، للتفصيل، كتابنا، الفن العسكري الاسلامي، ص ٤٤-٤٦)

(١٢١) العهد القديم، ٢٠ مك ٩: ٣٩.

(١٢٢) م. ن. ٢٠ مك ١٠: ٣٥.

(١٢٣) م. ن. ٢٠ مك ١٠: ٣٦.

(١٢٤) م. ن. ٢٠ مك ١٠: ٣٦.

(١٢٥) م. ن. ٢٠ مك ١٠: ٢٧.

٧ - حصار قلعة «عقرا» وحملة الملك انطيوخوس الخامس على اليهودية (١٦٣ - ١٦٢ ق.م.):

كانت قلعة «عقرا» للقريبة من الهيكل، في اورشليم، لا تزال بأيدي رجال الملك الذين كانوا يمنعون اليهود من الوصول الى الهيكل نظرا لوقوع القلعة في مكان مشرف عليه، فقرر يهوذا احتلالها واخراج رجال الملك منها و«ابادتهم»، فحشد، لذلك، «كل الشعب» وحاصر القلعة ونصب عليها «القنايات والمجانيق»^(١٢٦).

الا ان بعض المحاصرين ومعهم «نفر كافرون من اسرائيل»^(١٢٧) استطاعوا اختراق الحصار والمضي الى الملك انطيوخوس الخامس أوباطور لكي يشكو اليه امر يهوذا معهم وحصاره لهم والضيق الذي هم فيه من جراء ذلك^(١٢٨)، مما دفع الملك لان يعد حملة على اليهودية، بقيادته هو، ومعه ليسيئاس، لكي يفك الحصار عن رجاله في قلعة «عقرا».

- الحملة على اليهودية (١٦٣-١٦٢ ق.م.):

أعد انطيوخوس الخامس، لغزو اليهودية، جيشا من «مئة ألف راجل وعشرين ألف فارس و٣٢ فيلا مدربا على الحرب»، وقيل: «١١٠ آلاف راجل، و ٥٢٠٠ فارس و ٢٢ فيلا، و ٣٠٠ مركبة ذات مناجل»^(١٢٩) وكان قد جاءه جنود مرتزقة من مختلف الممالك والجزر البحرية^(١٣٠)، وزحف بجيشه هذا، مجتازا ارض أدوم حتى وصل الى «بيت صور» فحاصرها وحاربها «اياما كثيرة» ونصب عليها المجانيق، الا ان اهلها خرجوا منها واحرقوها^(١٣١).

(أ) - موقعة بيت زكريا (١٦٢ ق.م.):

كان يهوذا لا يزال يحاصر قلعة «عقرا» عندما علم بالغزو، فرفع الحصار عنها وتوجه

(١٢٦) م.ن. امك:٦، ٢٠-١٨.

(١٢٧) م.ن. امك:٦، ٢١.

(١٢٨) م.ن. امك:٦، ٢٢.

(١٢٩) م.ن. امك:٦، ٢٣ و ٢٠-١٣.

(١٣٠) م.ن. امك:٦، ٢٨-٣٠.

(١٣١) م.ن. امك:٦، ٣١.

لللقاء الملك عند «بيت زكريا» الواقعة شمال «بيت صور»، فعسكر بجيشه قبالة معسكر الملك^(١٢٢).

الاستعداد للقتال: اعد انطيوخوس جيشه للقتال على الشكل التالي:

- قسم الرجال آلافاً «لابسين الزرد وعلى رؤوسهم خوذ النحاس» وجعل فيلًا في مقدمة كل الف^(١٢٣).

- قسم الفرسان على الفيلة، مع كل فيل نصف الف «خمس مئة فارس منتخبين» يتواجدون «حيثما وجد الفيل» ويذهبون «حيثما ذهب... لا يفارقونه»^(١٢٤).

- وجعل على كل فيل برجًا حصينًا، وفي البرج ثلاثة مقاتلين، فضلا عن الفيال^(١٢٥).

- وجعل بقية الفرسان على جانبي الجيش «يضايقون العدو ويسترون الكتائب»^(١٢٦). وهكذا يكون التشكيل القتالي لجيش انطيوخوس كالتالي:

١- الفيلة في المقدمة، وعلى كل فيل ثلاثة مقاتلين، وفيال.

٢- يلي كل فيل: خمسماية فارس يحيطون به ويكتنفونه ويعمونه ويتبعونه.

٣- وراء الفرسان: الف راجل للقتال (خلف الفرسان الخمسمائة).

٤- على المجنبتين: من بقي من الفرسان (لمضايقة العدو وحماية كتائب الجيش).

المعركة: عند الفجر اطلق انطيوخوس جيشه باتجاه بيت زكريا بعد ان روى الفيلة بعصير العنب كي يهيجها^(١٢٧)، فسار الجيش نحو الهدف بالتنسيق الذي اعد له، وما ان اشرقت الشمس على رؤوس الجبال المحيطة بالمدينة حتى بدت خوذ المقاتلين

(١٢٢) م. ن. ١ مك ٦: ٢٢. وورد في سفر المكابيين الثاني ان يهوذا عسكر عند بلدة «مودين» وجعل كلمة السر لجيشه «نصر الله» (١ مك ٢: ١٣-١٤).

(١٢٣) م. ن. ١ مك ٦: ٣٥.

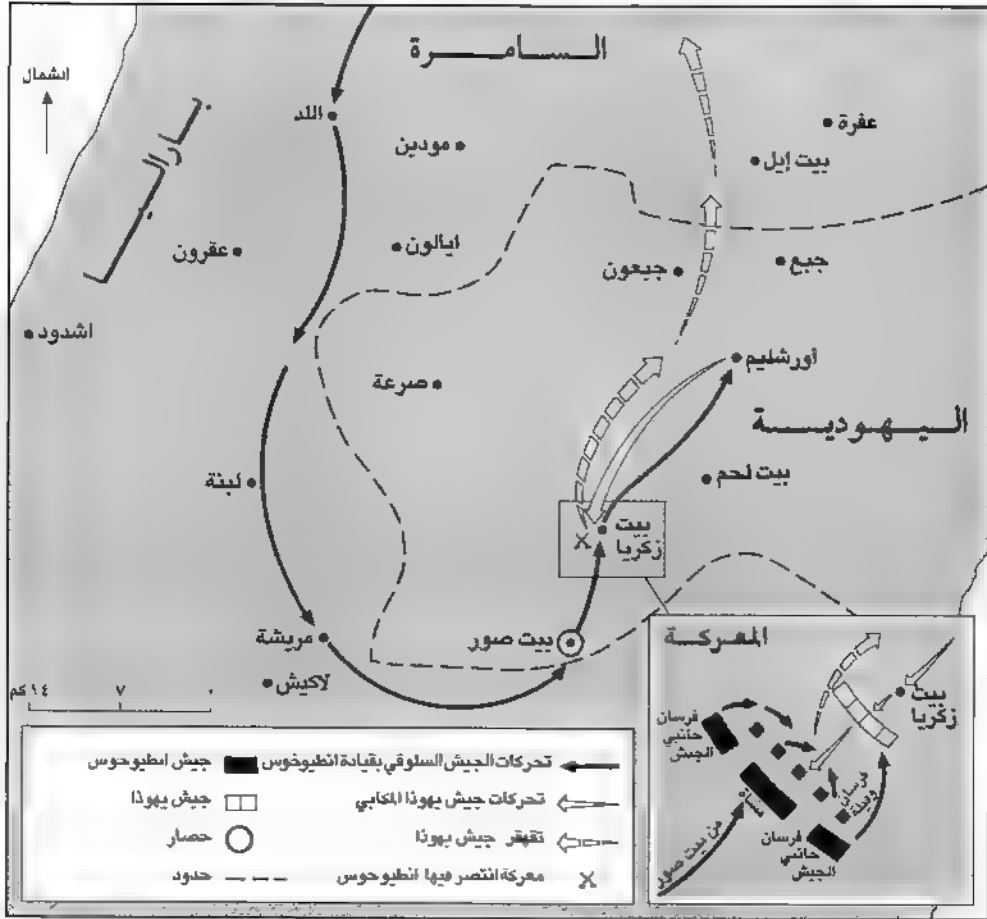
(١٢٤) م. ن. ١ مك ٦: ٢٦.

(١٢٥) م. ن. ١ مك ٦: ٢٧.

(١٢٦) م. ن. ١ مك ٦: ٢٨.

(١٢٧) م. ن. ١ مك ٦: ٢٤.

خارطة رقم ٢٦: موقعة بيت زكريا



وتروسمهم، وقد ملأت القمم والسفوح، وهي تلمع «كمشاعل من نار»^(١٢٨)، فقد نشر الملك قسما من جيشه على القمم وانتشر القسم الآخر في السفوح، ومشوا، جميعا، «برباطة جاش وانتظام». لقد كان جيش انطيوخوس هذا «عظيما وقويا جدا»^(١٢٩).

وتقدم يهوذا وجيشه للقتال، ودارت رحى معركة عنيفة سقط خلالها، من جيش

(١٢٨) م. ن. امك ٦٣٩.

(١٢٩) م. ن. امك ٦٤٠-٤١.

انطيوخوس «ستمئة رجل»^(١٤١). ورأى اليعازار، اخو يهوذا، فيلا «مدرعا بدروع ملكية» فظن انه الفيل الذي يحمل الملك، فهجم عليه آملا ان يقتله ويأسر الملك فينال، من جراء ذلك، مجدا لا يضامى، ودخل بين قوائم الفيل حتى صار تحته وقتله، فسقط عليه الفيل الى الارض فمات مكانه»^(١٤٢).

ورغم ذلك فقد هزم يهوذا وجيشه^(١٤٣)، وتابع الملك تقدمه نحو اورشليم. (انظر الخارطة رقم ٢٦).

(ب) - سقوط بيت صور وحصار جبل صهيون (١٦٢ ق.م.):

حاصر الملك «بيت صور» فافتقد اهلها الطعام «فخرجوا منها واحرقوها بالنار، وقاتلوا ببأس»، ثم ان الملك «عقد صلحا» معهم^(١٤٤) واستولى على المدينة «واقام فيها حراسا يقومون بحراستها»^(١٤٥)، ثم تقدم، بجيشه، نحو اورشليم فحاصر الهيكل وجبل صهيون «اياما كثيرة، ونصب هناك القذافات والمجانيق وآلات لرشق النار والحجارة وادوات لرمي السهام ومقاليع»^(١٤٦). وحارب اليهود بدورهم «اياما كثيرة» ايضا، دفاعا عن الهيكل، وصفوا «مجانيق» قبالة مجانيق العدو^(١٤٧)، ولكن نفاد المؤونة جعلهم يتفرون بعد ان غلبهم الجوع، ولم يبق في الهيكل «الا نفر يسيره»^(١٤٨).

في هذه الاثناء، كانت اورشليم لا تزال مقسمة بين:

- جند الملك المعتصمين في قلعة «عقراء»، وهم حاميتها.

- واليهود المقيمين في جبل صهيون ويقومون بحماية الهيكل.

(١٤٠) م. ن. ١ مك ٦: ٤٢.

(١٤١) م. ن. ١ مك ٦: ٤٤٣. وانظر Abanui, Op. Cit. P. 145- 146.

(١٤٢) جاء في النص كما يلي «ولما رأى اليهود سطوة الملك ويطش الجيوش ارتشوا عنهم» (١ مك ٦: ٤٧) ولم يقل، صراحة، بهزيمة يهوذا.

(١٤٣) م. ن. ١ مك ٦: ٤٩ و ٣١.

(١٤٤) م. ن. ١ مك ٦: ٥٠.

(١٤٥) م. ن. ١ مك ٦: ٥١.

(١٤٦) م. ن. ١ مك ٦: ٥٢.

(١٤٧) م. ن. ١ مك ٦: ٥٤ و ٥٣.

كانت الانبياء قد بدأت تترى، من انطاكية، عن محاولة انقلاب ضد الملك يعدها نائبه «فيليبس» الذي عاد من فارس بالجيش وحاول ان يستولي على الحكم في غياب الملك^(١٤٨)، ورأى الملك انه من الصعب الاستيلاء على جبل صهيون، وان حصاره سيستمر وقتا طويلا، وقد بدأت مؤونة جيشه بالنفاد، فاستمع الى مشورة «ليسياس» وقرر مصالحة اليهود على ان تترك لهم حرية معتقداتهم، وتم ذلك فعلا. الا ان الملك، ما ان دخل جبل صهيون، حتى نقض العهد وهدم السور المحيط بالجبل وعاد الى انطاكية ليخمد ثورة فيليبس الذي كان قد استولى على المدينة، ويستعيد انطاكية، عاصمة ملكه، بالقوة^(١٤٩).

- رواية سفر المكابيين الثاني:

واورد سفر المكابيين الثاني رواية لهذه الحملة على الشكل التالي:

في العام ١٤٩ من التقويم السلوقي (خريف عام ١٦٢ ق.م.) اعد انطيوخوس الخامس، أوباطور جيشا من ١٠ آلاف راجل و ٥٢٠٠ و ٢٢ فيلا و ٢٠٠ مركبة ذات مناجل، وغزا اليهودية، ومعه ليسياس «وصيه» وقيم المصالح» في مملكته، فانضم اليه «منلاوس» الذي كان قد عزل من منصبه كعظيم الكهنة في اورشليم، وكان يبغى العودة الى منصبه الذي عزل منه، ولكن الملك ادرك مقاصده فحكم عليه بالموت، فسيق الى البرية والقي من برج علوه خمسون ذراعا، حيث هلك. وتابع الملك تقدمه في اليهودية باتجاه اورشليم، فاستنفر يهوذا شعبه واعد جيشا لمواجهة انطيوخوس، وعسكر عند «مودين» قبالة معسكر الملك، وجعل كلمة السر لجيشه «نصر الله». وفي الليل اختار نخبة من جنده وهجم بهم على خيمة الملك فقتل «نحو اربعة آلاف رجل في المعسكر»، واطعن فيلا، ونشر الذعر في المعسكر، وعاد الى معسكره «عند طلوع الفجر»^(١٥٠).

ولما علم الملك بما فعل يهوذا في معسكره ادرك استحالة انتصاره عليه، واخذ يحاول احتلال المعازل اليهودية «بالحيلة»، فزحف على «بيت صور»، وهي قلعة منيعة، فهزم

(١٤٨) م.ن. ١ مك ٦: ٥٥-٥٦.

(١٤٩) م.ن. ١ مك ٦: ٥٧-٦٣. ويبدو ان الملك ابقى لليهود ميكلهم (م.ن. ص ٩٧٤ حاشية ١٧).

(١٥٠) م.ن. ٢ مك ١٢: ١٧. ولا يمكن قبول هذه الرواية لاسطوريتها.

مرتين، خصوصا وان يهوذا كان يمد حاميتها بما تحتاجه، مما دفع الملك لان يفاوض تلك الحامية ويدعوها للصلح، فتم له ذلك. ثم هاجم يهوذا في مواقعه فهزم كذلك^(١٥١).

وعلم الملك ان «فيليبس» الذي كان قد تركه في انطاكية لتدبير الأمور «قد تمرد عليه وطلب الملك لنفسه، فاضطر للتفاوض مع اليهود والمواقفة «على جميع شروطهم» فصالحوه على ذلك. واستقبل الملك يهوذا ورحب به، ثم ترك «هيجمونيديس» واليا على البلاد «من بطلمائيس (عكا) الى حدود الجرجانيين»، وانتقل الى بطلمائيس التي رفض أهلها اتفاقية الصلح، فسعى «ليسياس» لاقتناعهم، فاقنعهم، وعاد الملك الى انطاكية^(١٥٢).

رواية فلافيوس جوزف (المعروف بيوسفوس):

اما فلافيوس جوزف (يوسفوس) فذكر ان انطيوخوس جمع جيشا من «خمسين الف راجل ونحو خمسة آلاف فارس وثمانين فيلا» ودخل اليهودية حتى بلغ المنطقة الجبلية، واحتل «بيت صور» فلاقاه يهوذا عند «بيت زكرياء»، وما ان بدأ الاشتباك حتى لقي العازار، اخوه، مصرعه منسحقا تحت فيل ظن انه يحمل الملك، فهاجمه يريد قتله وأسر الملك، وطعن الفيل الذي هوى عليه فقتله. وكان هذا الحدث مصدر تشاؤم ليهوذا، وكان اليهود يقاومون بصلابة وبأس، ولكنهم لم يكونوا قادرين على الصمود طويلا امام جيش اكثر منهم عددا وأوفر حظا بالنصر. وكان يهوذا قد فقد عددا كبيرا من جنده، فأثر الفرار، مع من بقي من جيشه، نحو جبال غفنة، على مسافة عشرين كلم شمال اورشليم^(١٥٣).

٨- موقعة كفر سلامة (١٦١ ق.م):

بعد سنتين من ملك انطيوخوس الخامس أوباطور، وفي العام ١٥١ (التقويم السلوقي) اي في أواخر العام ١٦٢ ق.م. (وأولئ العام ١٦١ ق.م.) اغتصب ديمتريوس الأول عرش انطاكية من ابن اخيه انطيوخوس، وذلك بعد ان قتله هو ووصيه

(١٥١) م. ن. ٢٢ مك ١٢: ١٨-٢٢.

(١٥٢) م. ن. ٢٠ مك ١٢: ٢٢-٢٦.

(١٥٣) Joseph, Flavius, La guerre des Juifs, PP. 125- 126.

«إيسياس»^(١٥٤). وجاء من يشكو لديمتريوس تصرف يهوذا وتمرده، وعلى رأس هؤلاء «ألكيمس» وهو يهودي منشق كان يطمح لأن يكون «عظيم الكهنة» في اليهودية. عندها قرر الملك وضع حد لتمرّد يهوذا واختار، لهذه المهمة، أحد قادته ويدعى «بغديس»، وأرسله، هو وألكيمس، بعد أن «ثبته في الكهنوت» ومعهما «جيش جرار»، للانتقام من «بني إسرائيل»^(١٥٥).

سار «بغديس» بالجيش إلى اليهودية، واتفق إلى «يهوذا وأخوته» رسلاً يدعوهم إلى السلام «مكرًا» فلم يستجيبوا^(١٥٦)، لكن بعض اليهود صدقوه، «فقبض على ستين رجلاً منهم وقتلهم في يوم أحد»^(١٥٧)، ثم غادر وجيشه اورشليم إلى «ببرزيت» حيث عسكر فترة من الزمن قتل خلالها عدداً غفيراً من اليهود «الذين كانوا قد التحقوا به» ثم غادر البلاد إلى انطاكية، بعد أن أوكل أمرها إلى ألكيمس الكاهن «وأبقى معه جيشاً يؤازره»^(١٥٨).

وجمع ألكيمس إليه كل المنشقين في اليهودية واستولى «على أرض يهوذا» وضرب إسرائيل «ضربة شديدة»^(١٥٩).

عندها، قرر يهوذا أن يخرج لمواجهة ألكيمس، فحشد، لذلك، جيشاً بلغ من القوة ما جعل ألكيمس يهرع إلى الملك يطلب النجدة، فأنجده الملك بقائد من قادته مشهور بالقوة والبأس ويدعى «نكانور» (وكان هذا قد اشتهر في موقعة عماوس)، وكان «مبغضاً ومعادياً لاسرائيل» وزوّد الملك نكانور بأوامر واضحة وصريحة تقضي «بإبادة الشعب» في إسرائيل^(١٦٠).

(١٥٤) العهد القديم، أمك ٧: ٤١، وانظر Barnavi, Op. Cit. P. 45.

ألا إن بريشارد يضع هذا الحدث عام ١٦٦ ق.م. P. 146. Priebe, Op. Cit. وهذا ما يراه أيضاً محقق العهد القديم (ص ٩٧٤ حاشية ١). وقد بلغت انتهاء هذا الحدث اليهودية في ربيع العام ١٦٦ ق.م. (ص ١٠٢٤ حاشية ١)، إذ ورد في النص أنه «بعد مدة ثلاث سنوات بلغ اصحاب يهوذا...» (م.ن. أمك ٢: ١٤). لذا، لا نجد فرقاً كبيراً بين الرأيين. ونظن أن الحدث قد جرى في أواخر عام ١٦٢ ق.م. ولوائل العام الذي يلي (١٦١ ق.م.). وعلى هذا تكون موقعة كفرسلامة، قد جرت في العام ١٦١ ق.م. وليس في العام ١٦٢ ق.م. كما ذكر تالروني P. 146. Aharoni, Op. Cit. وتقع كفر سلامة، قرب اورشليم، بينها وبين بيت حورون العليا، والقرب من جبعون.

(١٥٥) العهد القديم، أمك ٧: ٥-١.

(١٥٦) م.ن. أمك ١٠: ١١١.

(١٥٧) م.ن. أمك ٧: ١٦.

(١٥٨) م.ن. أمك ٧: ١٩-٢٠.

(١٥٩) م.ن. أمك ٧: ٢٢.

(١٦٠) م.ن. أمك ٧: ٢٦-٢٥، وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 146.

سار نكانور الى اليهودية على رأس «جيش كثير»، وارسل الى يهوذا واخوته رسلا يدعونهم الى السلام «مكرأ»، وجرى لقاء حذر بينه وبين يهوذا، واستشعر يهوذا، من خلال ذلك اللقاء، مان كان عليه نكانور من مكر فلم يعد لمقابلته. وحاول نكانور، بعدها، ان «يفتح طريق بيت حورون التي تصل اورشليم بالقواعد السلوقية في السهل الساحلي»^(١٦١)، فتصدى له يهوذا في معركة عند «كفر سلامة» سقط فيها من جيش نكانور «نحو خمسة آلاف رجل» وفر نكانور ومن بقي معه الى اورشليم^(١٦٢).

٩- موقعة «اداسة» او «دساو» ومقتل نكانور (١٦١ ق.م.):

يذكر سفر المكابيين الثاني ان موقعة «دساو» جرت بين سمعان، اخي يهوذا، وبين نكانور قائد جيش ديمتريوس الأول السلوقي، وانها لم تنته الى نتيجة حاسمة، بل أدت الى اجراء مفاوضات وعقد اتفاق سلام بين يهوذا ونكانور، وقد تزوج يهوذا، بعدها، ببناء على نصيحة من نكانور، «وذاق الراحة وتنعم بالحياة»^(١٦٣).

ويذكر السفر نفسه ان الصلح الذي تم بين يهوذا ونكانور أغضب الكاهن الكيمس الذي اوغر صدر الملك (ديمتريوس الأول) قائده وحرصه على إبطال ذلك الصلح، فكتب الملك الى نكانور يأمره بارسال يهوذا «مقيدا الى انطاكية»^(١٦٤).

ومهما يكن من أمر صحة هذه الرواية او خطئها، فقد قرر نكانور محاربة يهوذا وغادر اورشليم لكي يحشد جيشه في بيت حورون العليا، وانضم اليه هناك جيش سوريا الذي قدم من الساحل عن طريق اللد، فقابله يهوذا بالتوجه من جبال غفنة، حيث كان يقيم مع رجاله، الى اداسة، على الطريق بين اورشليم وبيت حورون، فحشد جيشه هناك منتظرا نكانور، وكان معه ثلاثة آلاف رجل^(١٦٥).

(١٦١) Aharoni, Ibid.

(١٦٢) العهد القديم، ١ مك ٧: ٢٧-٣٢.

(١٦٣) م. ن. ٢ مك ١٤-١٥-٢٥. ويذكر محققو العهد القديم ان «دساو» هي «اداسة» نفسها، وهي «حادشة الحديثة»، وتقع بين اورشليم وبيت حورون (م. ن. ص ٩٧٦ حاشية ١).

(١٦٤) م. ن. ٢ مك ١٤: ٢٧-٢٨.

(١٦٥) م. ن. ١ مك ٧: ٣٩-٤٠ و ١٤٦ و Aharoni, Op. Cit. P. 146.

وما ان التحم الجيشان في القتال حتى قتل نكانور، فذب الهلع والذعر في صفوف جيشه، فألقى جنده السلاح وهربوا، «فتعقبهم اليهود مسيرة يوم من اداسة الى مدخل جازر»^(١٦٦)، وما ان رأهم يهونذا يهربون حتى امر ان يُنفخ في الأبواق نفخة الاستنفار، فهرع سكان القرى من اليهود من كل جانب، واخذوا يطوقون الجند الهاربين ويقتلونهم بحد السيف حتى لم يبق منهم احده^(١٦٧) وقيل انه قتل من جيش نكانور ٢٥ الف رجل^(١٦٨). واخذ يهونذا السلب والغنائم، ثم قطع رأس نكانور ويده اليمنى (التي كان قد مدّها امام الهيكل ليقسم بانه سيحرقه ان لم يأت يهونذا مستسلما)، وعلقهما قبالة اورشليم^(١٦٩). ويذكر سفر المكابيين الثاني ان يهونذا قطع رأس نكانور حتى الكتف ولسانه، و«أمر بان يقطع قطعاً وي طرح على الطيور» وتعلّق ذراعه تجاه الهيكل^(١٧٠). وقد اعتبر ذلك اليوم، الثالث عشر من آذار من كل عام (١٢ آذار عام ١٥١ في التقويم السلوقي الموافق لـ ٢٨ آذار عام ١٦٠ ق.م، بحسب ما يرى محققو العهد القديم)، عيداً وطنياً عند اليهود^(١٧١). (انظر الخارطة رقم ٢٧).

وقد اختلف في تأريخ هذه الموقعة فأرخها محققو العهد القديم في آذار عام ١٦٠ ق.م. (كما رأينا اعلاه)، وأرخها آهاروني وبارنافي عام ١٦١ ق.م. اما بريتشارد فظل هائراً بين عام ١٦١ ق.م. و ١٦٠ ق.م. فأتى النص عنده كما يلي: «ولكن نكانور ضُرب عسكرياً وقتل في معركة اداسة (١٦١ - ١٦٠)»^(١٧٢).

اما المؤرخ جوزف (يوسفوس) فانه يؤثر موقعة اداسة في عهد انطيوخوس (الخامس) وليس في عهد ديمتريوس الاول، كما ورد في سفر المكابيين الاول والثاني. اذ

(١٦٦) م.ن. مك.٧: ٤٤-٤٥.

(١٦٧) م.ن. مك.٧: ٤٦.

(١٦٨) م.ن. مك.١٥: ٢٧.

(١٦٩) م.ن. مك.٧: ٤٧-٤٨.

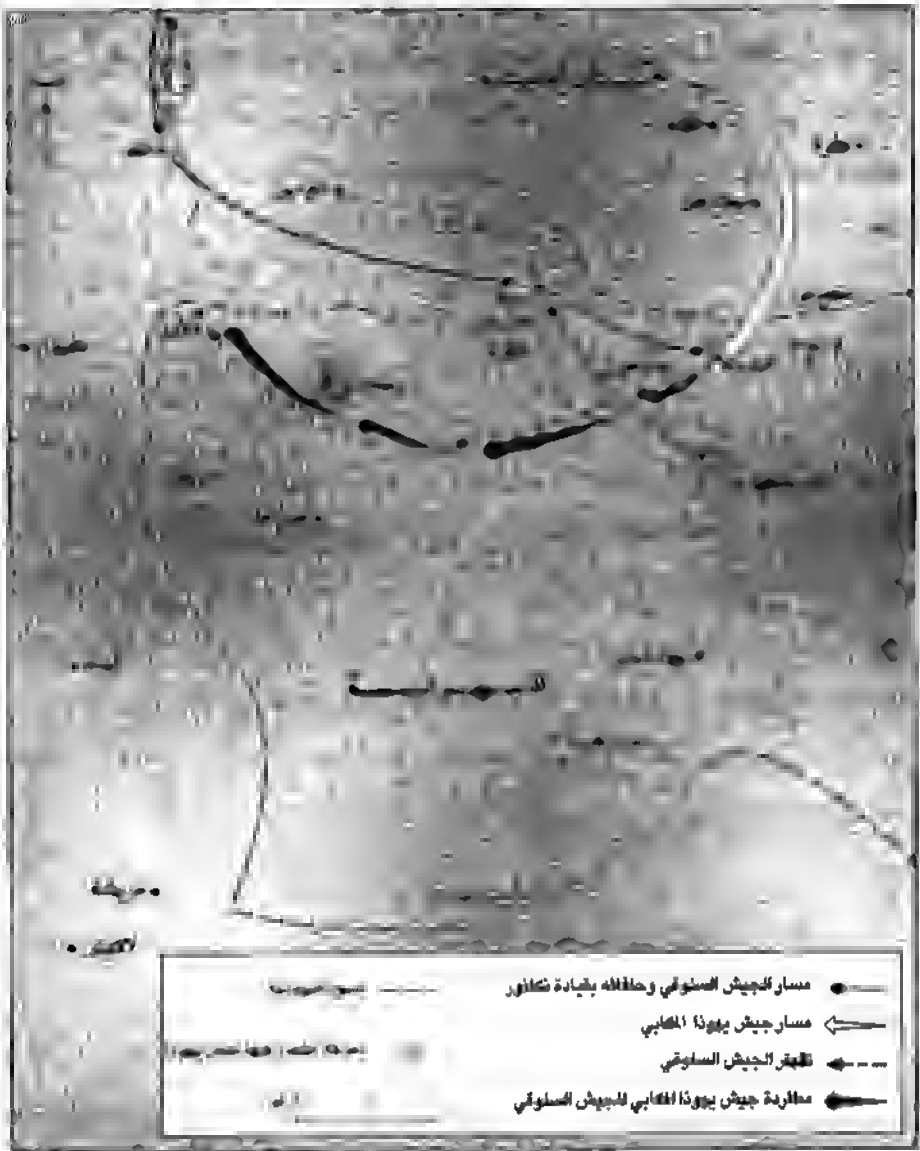
(١٧٠) م.ن. مك.١٠: ٢٢-٢٣.

(١٧١) م.ن. مك.٧: ٤٧ و ٤٩. وانظر من ١٧٦ حاشية (١١).

(١٧٢) انظر Aharoni, Op. Cit. P. 146.

و Barnavi, Op. Cit. P. 45.

و Priehard, Op. Cit. P. 146.



يذكر ان يهوذا خاض معركة في ضواحي اداسة «ضد قادة انطيوخوس»، وانه، بعد ان انتصر في هذه المعركة، وبعد ان قتل كثيرا من الاعداء «قتل هو نفسه»، كما قتل، بعد ايام «اخوه حنا» على ايدي متآمرين «من انصار انطيوخوس»^(١٧٣)، دون ان يأتي، ولو بشارة، على ذكر مقتل نكانور في هذه المعركة. ويبدو ان يوسفوس قد خلط بين معركة «اداسة» التي قتل فيها نكانور، والمعركة التالية (معركة بثروت وايليسا) التي جرت بعد عام على معركة «اداسة» وقتل فيها يهوذا.

معاهدة تحالف بين يهوذا والرومانيين^(١٧٤):

كانت روما، القائمة على نهر «التبير» والقريبة من الساحل التيراني، قد بدت قوة عظيمة ومرهوبة للجانب، وذاع صيت قوتها وعظمتها في العالم المعروف آنذاك، ووصلت شهرتها الى اسماع يهوذا، الذي لم يتردد في طلب صداقتها والتحالف معها ضد السلوقيين الذين كانوا يحكمون الساحل الآسيوي المقابل، فاختر اثنين من خاصته هما «ابولمس بن يوحنا بن اكوس، وياسون بن العازر» موفدين، من قبله، الى روما، لكي يقيما معها، باسمه، معاهدة «للسداقة والتحالف»، ذلك ان «مملكة اليونان (السلوقيين) قد استعبدوا اسرائيل استعبادا»^(١٧٥)، وكانت روما تطمح الى ان تمد سلطانها الى الساحل الآسيوي، حيث يحكم السلوقيون.

ذهب الموفدان الى روما وتفاوضا مع مجلس الشورى والسلطات الحاكمة فيها، وعادا بمعاهدة تحالف جاء فيها: «اذا قامت حرب، في روما اولا، او عند اي كان من حلفائها في كل امتداد سيادتها، فامة اليهود تحارب معها بكل عزمها، كما تقتضيه الحال، ولن يعطى المعتدون ولن يقدم لهم قمع ولا اسلحة ولا فضة ولا سفن. هكذا حسن لدى الرومانيين،

- Flavius. Joseph. Op. Cit. P. 126 (١٧٣)

(١٧٤) نجد الإشارة الى ان جوزف (يوسفوس) يذكر ان يهوذا عقد معاهدة التحالف هذه مع روما في عهد انطيوخوس الرابع ابيفانوس، وان موقعة ببيت صوره التي جرت عام ١٦٤ ق. م. واحتلال اورشليم قد جريا بعد هذه المعاهدة. (Joseph. Op. Cit. P. 125)

(١٧٥) العهد القديم، ١ مك ١٧: ١٨.

ويحافظون على هذه الالتزامات من دون ان يأخذوا شيئاً. وكذلك فان وقعت لليهود حرب اولاً، فالرومانيون يحاربون معهم بكل عزمهم، كما تقتضيه الحال. وان يعطى المعتدون قمحاً ولا اسلحة ولا فضة ولا سفناً. هكذا حسنَ لدى الرومانيين، ويحافظون على التزاماتهم من دون غش. على هذا الكلام عاهد الرومانيون شعب اليهود. واذا شاء هؤلاء او اولئك ان يزيّدوا على هذا الكلام او يسقطوا منه، فيفعلون برضاهم، وكل ما زادوا او اسقطوا يكون ملزماً^(١٧٦).

١٠ - موقعة بثروت (البيرة) او موقعة ايليسا (قرب رام الله)، ومقتل يهوذا (١٦٠ ق.م.)^(١٧٧):

عندما علم ديمتريوس بأنباء هزيمة نكانور ومقتله في موقعة «اداسة» على يد يهوذا وجيشه، قرر سحق الثورة اليهودية نهائياً، وجرّد، لذلك، جيشاً من «عشرين ألف راجل والقي فارس»^(١٧٨) وعلى رأس هذا الجيش كل من «بگيديس والكيمس»^(١٧٩).

انطلق بگيديس على رأس هذا الجيش من دمشق «مجتازاً بادية الشام ووادي الأردن صعوداً في طريق الجلجال»^(١٨٠) حتى وصل الى «مشاكوت» باربيل (أربد الحالية)^(١٨١). فعسكر عندها بعد ان استولى عليها وقتل الكثير من اهلها^(١٨٢)، «من اليهود القاطنين في العرب»^(١٨٣). وفي الشهر الأول من السنة المئة والثانية والخمسين «بالتقويم السلوقي

(١٧٦) م. ن. أم ١٩: ٣٠.

(١٧٧) يذكر محققو العهد القديم ان «بثروت» هي «ببرزيت» عند يوسفوس وفي الترجمة السريانية القديمة. اما في اليونانية واللاتينية فهي «بثروت» (العهد القديم، ص ٩٧٨ حاشية ٢). كما يذكرون ان هذه الموقعة جرت في نيسان - ايار عام ١٦٠ ق. م. (م. ن. ص. ن. حاشية ٢). اما أمالروني فيذكر ان «بثروت» هي «البيرة الحالية». وبالقرب منها «ايليسا» التي هي بالقرب من رام الله (انظر الخارطة) (Alkarmi, Op. Cit. P. 147).

(١٧٨) العهد القديم، أم ٩: ٤.

(١٧٩) م. ن. أم ٩: ٦.

(١٨٠) Alkarmi, Op. Cit. P. 147.

وقد اختصر العهد القديم هذه الطريق بقوله ان القلدين «سارا في طريق الجليل» (العهد القديم، أم ٩: ٢).
(١٨١) العهد القديم، أم ٩: ٢. واربيل، او اريشيل او بيت اريشيل، أربد الحالية في شرق الأردن (عبد الملك، قاموس الكتاب المقدس، ص ٢٠٠).
(١٨٢) العهد القديم، أم ٩: ٢.

(نيسان - ايار ١٦٠ ق.م.)^(١٨٤) كان قد وصل الى اورشليم حيث عسكر فترة من الزمن انتقل بعدها شمالا باتجاه «بيرزيت» الى ان بلغ بثروت «البيرة» فعسكر عندها، مانعا، بذلك، اي مدد يمكن ان يصل من جبال غفنة، المعقل الرئيسي للثوار اليهود، الى «ايليسا» حيث يعسكر يهوذا^(١٨٥).

في المقابل، كان يهوذا قد حشد لمواجهة بگيديس جيشا من «ثلاثة آلاف رجل منتخبين» وعسكر في «الفاسه» او «ايليسا» قرب رام الله^(١٨٦). وما ان رأى جنده كثرة جيش العدو حتى «خافوا خوفا شديدا» وبدأوا «ينسلون من المعسكر» هربا، حتى لم يبق معه منهم سوى «ثمانمئة رجل»^(١٨٧).

ويبدو ان يهوذا «فشل في فهم ما يجري، ولم يحشد قواته في الوقت المناسب»^(١٨٨) او انه وثق بوعود روما التي ابلغته، مع رسولها اليه، انها كتبت الى الملك ديمتريوس تحذره من التحرش باليهود، وانها سوف تهب لقتاله «بحرا وبراء» ان هو قاتلهم،^(١٨٩) ولهذا نراه يفاجأ «بظهور بگيديس في ضواحي اورشليم»^(١٩٠)، وكان عليه، امام هذا الواقع، وامام واقع فرار جنده من المواجهة، وانحياز «اليهود الهلينييين» في اورشليم الى بگيديس^(١٩١)، ان يختار بين المواجهة، وهي معروفة النتائج «فلنموتن بشجاعة عن اخوتنا ولا نبقى على مجدنا وصمة»، كما قال لجنده،^(١٩٢) او التنحي عن القتال ولو الى حين،

Aharuni, Op. Cit. P. 147. (١٨٢)

والعربة هي الاسم الجغرافي للوادي الذي يجري فيه نهر الاردن، وفيه بحيرة طبرية والبحر الميت (عبد الملك، المرجع السابق، ص ٦١٥).

(١٨٤) العهد القديم، مك ١: ٢٠ وص ١٧٨ حاشية (٢).

(١٨٥) م. ن. ١: ٩ مك ١: ٢٠ و Aharuni, Op. Cit. P. 147 ويبدو ان «بثروت» ترجمت «بيرزيت» نقلا عن يوسلفوس والترجمة السريانية القديمة، اما في اليونانية واللاتينية فهي «بثروت» (العهد القديم، ص ١٧٨ حاشية ٢). ونمن ترجح ان تكون «بثروت» هي «البيرة» (انظر الخارطة، وانظر عبد الملك، المرجع السابق، ص ١٥١).

(١٨٦) م. ن. ١: ٩ مك ١: ٥.

(١٨٧) م. ن. ١: ٩ مك ١: ٦.

Aharuni, Op. Cit. P. 147 (١٨٨)

(١٨٩) العهد القديم، مك ١: ٢١.

Aharuni, Op. Cit. P. 147 (١٩٠)

- Ibid (١٩١)

(١٩٢) العهد القديم، مك ١: ١٠.

ريثما يستكمل استعداداته للمعركة، كما قال أصحابه له، «ليس في طاقتنا اليوم ان ننجو بنفوسنا، ثم نرجع مع اخوتنا ونقاتلهم، فانتا عدد قليل»^(١٩٣). واختار يهوذا المواجهة.

الاستعداد للمعركة:

بكيديس: كان بكيديس قد حشد جيشه، في ساحة القتال التي اختارها بنفسه، بين بثروت (البيرة) وايليسا في السهل الواقع بين المدينتين، والذي يسمح لقواته الثقيلة بالمناورة^(١٩٤)، ورتبه بالشكل التالي:

- في المقدمة: رماة المقاليح والقصي «وكلهم من ذوي البأس».

- ويليهم الجيش من الرّجالة، وعلى جناحه الايمن بكيديس.

- وفي الجانبين: الفرسان الذين انقسموا قسمين، على ميمنة الجيش وميسرته^(١٩٥).

يهوذا: اما يهوذا، فقد حشد جيشه قبالة جيش بكيديس وفي الطرف المقابل من السهل، ورتبه ميمنة وميسرة، وكان مركزه في ميسرة الجيش قبالة بكيديس. وكان البواقون، في الجيشين، الى جانب القائد.

المعركة: امر القائدان البواقين ان ينفخوا في الابواق ايذاذا ببدء المعركة، والتحم الجيشان «من الصبح الى المساء»^(١٩٦).

في المرحلة الاولى: بدأت ميمنة بكيديس بالتراجع نحو جبل حاصور (او بعل حاصور) «على بعد نحو سبعة أميال من ساحة المعركة»^(١٩٧) شمالا بشرق. ولاحظ يهوذا ذلك، فوقع في الخطأ المميت، اذ اندفع، بمسيرته، خلف ميمنة العدو^(١٩٨)، مخلفا، بينه وبين باقي جيشه فراغا هائلا لم يكن ممكنا سده.

Aharoni, Op. Cit. P. 147 (١٩٤)

(١٩٥) العهد القديم، مك١ ٩: ١٢-١٣

(١٩٦) م. ن. مك١ ٩: ١٢-١٣

(١٩٧) Aharoni, Op. Cit. P. 148. وانظر العهد القديم، مك١ ٩: ١٥.

(١٩٨) العهد القديم، مك١ ٩: ١٥-١٤ وAharoni, Ibid

في المرحلة الثانية: في هذه الاثناء، كان الجناح الايسر لجيش بكيديس يترصّد تحركات ميسرة جيش يهوذا، فما ان رآه يتوغّل بعيدا في مطاردة ميمنة الجيش المتراجعة، حتى انقسم (اي الجناح الايسر) الى قسمين: قسم ظل يواجه من تبقى من جيش يهوذا في ساحة المعركة، بينما التف القسم الآخر على مؤخرة ميسرة يهوذا ومهاجمها من الخلف.

في المرحلة الثالثة: وجد يهوذا، نفسه، بميسرته، وقد أضحي بعيدا عن باقي جيشه الذي يقاتل قسما من ميسرة جيش بكيديس، لذا فهو لم يستطع نجدة، كما اضحي بين نارين: نار ميمنة بكيديس التي عادت فنظمت صفوفها واستدارت لمواجهته، ونار قسم من ميسرة بكيديس التي باغتت مؤخرته من الخلف^(١٩٩)، فقاتل، مع جنده قتال المستميتين، واشتد القتال وحمل وطيس للمعركة، الى ان انتهت بسقوط قتلى كثيرين «من الفريقين» وسقوط يهوذا قتيلا، وهرب من بقي حيا من رجاله^(٢٠٠). (انظر الخارطة رقم ٢٨).

لقد اتقن بكيديس المناورة في هذه المعركة الى درجة ان يهوذا لم ينتبه للخدعة التي اعتمدها القائد السلوقي في ذلك التراجع التضليلي المنظم والمعد بدقة، والذي لم يكن اكثر من شرك وقع به، وبكل بساطة، القائد اليهودي.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن: هل ان التحذير الذي ارسلته روما الى انطاكية، بعد عقدها تحالفاً مع يهوذا، لم يصل الى ديمتريوس في الوقت المناسب ام انه لم يصل اطلاقا، ام ان ديمتريوس لم يعتدّ به؟

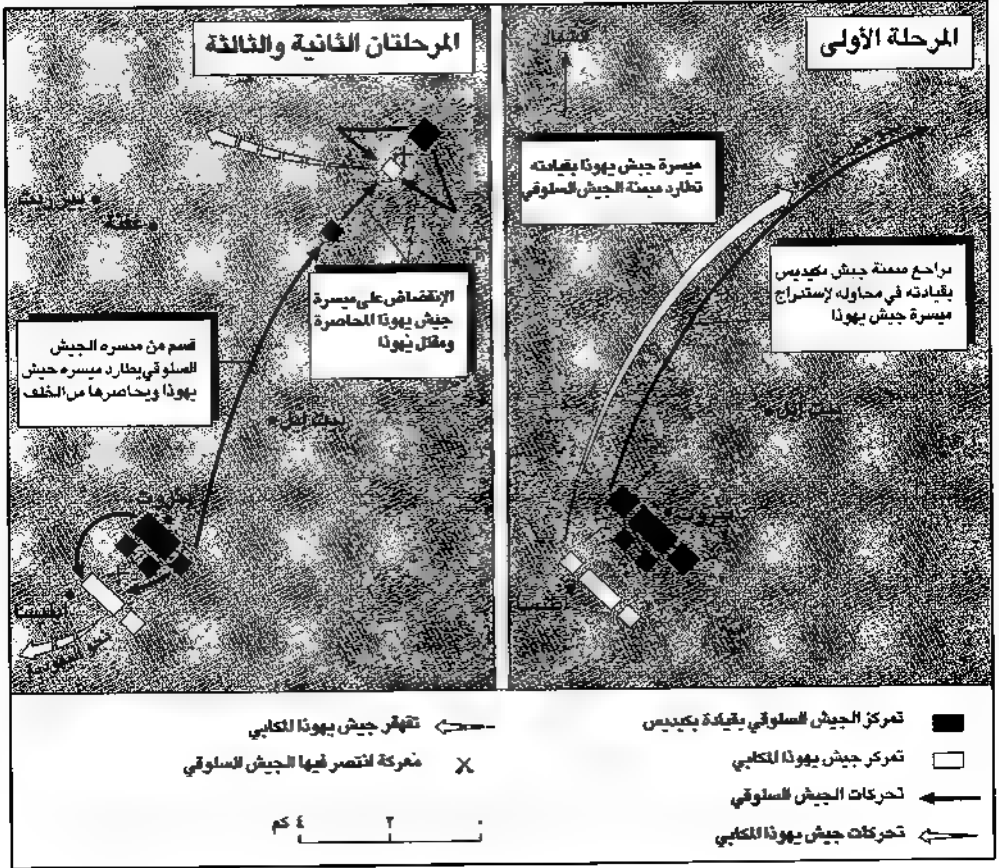
وهل ان روما لم تعلم بالهجوم السلوقي على اليهودية ام انها علمت متأخرة ولم يكن لديها الوقت الكافي للتدخل، ام انها استخفت به ولم تابه لاهميته وخطورته على حليفها، ام انها لم تكن، اطلاقا، على استعداد للمغامرة بالتدخل لمصلحة يهوذا وشن حرب على الدولة السلوقية ومهاجمتها وهي بعيدة عنها، على الساحل الآسيوي المقابل للساحل الاوروبي، وبينهما البحر المتوسط بكل ابعاده؟

الجواب عن هذه التساؤلات: كم يكون الصغار حمقى وجهلة عندما يظنون ان الكبار على استعداد لحمايتهم والقتال في سبيلهم، ان لم يكن لهؤلاء الكبار مصلحة في ذلك. ودفن يهوذا في قبر آبائه في مودين^(٢٠١)، وخلفه في زعامة اليهود اخوه «يوناتان».

(٢٠٠) العهد القديم، امك ٩: ١٨-١٧.

(٢٠١) م. ن. امك ٩: ١٩.

(٢٠٢) م. ن. امك ٩: ٢٨-٣١.



ثالثا: حروب «يوناتان» (١٦٠-١٤٢ ق.م):

بعد موت يهوذا، لم يكن ممكناً أن يستمر اليهود بلا قائد لهم، فوقع اختيارهم على «يوناتان» أخي يهوذا الذي ما لبث أن تسلم مهام أخيه^(٢٠٢)، ولما علم بكديس بذلك عزم على قتله، فهرب يوناتان، مع أخيه سمعان وانصارهما، إلى بركة «تقوع»^(٢٠٣)، وهي بركة تقع جنوب بيت لحم، بينها وبين حبرون (الخليل)، وتشرف على منطقة قاحلة تصل منحدراتها حتى البحر الميت، وكانت، فيما مضى، ملجأ لداود وانصاره^(٢٠٤).

(٢٠٢) م. ن. ١٥ مك١-٤٠-٤١.

(٢٠٣) م. ن. ١٥ مك١-٢٢-٢٣. ويرى النسن أن تقوع هذه تقع عبر الأردن شرقاً، وهي غير تلك الواقعة بين بيت لحم والخليل (الديس المرجح السابق، ج٢، ٢٠٥). إلا أننا نرى رأيه.

(٢٠٤) العهد القديم، ص ١٧٩ حاشية (٥).

١- موقعة ضفاف الأردن (١٦٠) ق.م:

ويبدو ان يوناتان اتجه برجاله شرقاً، ثم شمالاً، نحو اريحا، حيث تحصن بالصحراء التي تصل الى ضفاف نهر الاردن، فتبعه بكيديس الى هناك «في جيش عظيم» وكان يوم السبت، فطلب يوناتان من رجاله القتال في ذلك اليوم «فليس الامر اليوم كما كان امس ولا قبل»^(٢٠٥)، (خصوصاً وانه لم يكن قد نسي، بعد، تلك الموقعة التي جرت ايام ابيه «متتيا» وقتل فيها معظم رجالهم) مع النساء والاطفال، بسبب تمسكهم بقداسة «السبت» وعدم تعرضهم للعدو الذي هاجمهم وقتك بهم جميعاً، وكانوا نحو الف نفس، دون ان يدافعوا عن انفسهم^(٢٠٦). وجرت، اثر ذلك، مواجهة عنيفة بين جيش بكيديس ورجال يوناتان انتهت بسقوط الف قتيل من جند بكيديس. ولم يذكر العهد القديم عدد القتلى من رجال يوناتان الذي فر، مع رجاله، سباحة عبر الاردن، وباتجاه الشرق، اما بكيديس فقد ارتد بجيشه، عائداً الى اورشليم^(٢٠٧).

- تحصينات بكيديس في اورشليم واليهودية:

ما ان عاد، بكيديس الى اورشليم حتى بدأ بانشاء حملة تحصينات في اورشليم واليهودية، وذلك بغية تعزيز دفاعاته في المدينة والمنطقة، وقد اقام خطين من التحصينات:

- الخط الخارجي: وهو الخط الذي يسير مع حدود اليهودية، من تفوح (شيخ

ابوزرد)، الى تمعة، فجازر، فعماموس، فبيت صور، فأسفار، فتقوع.

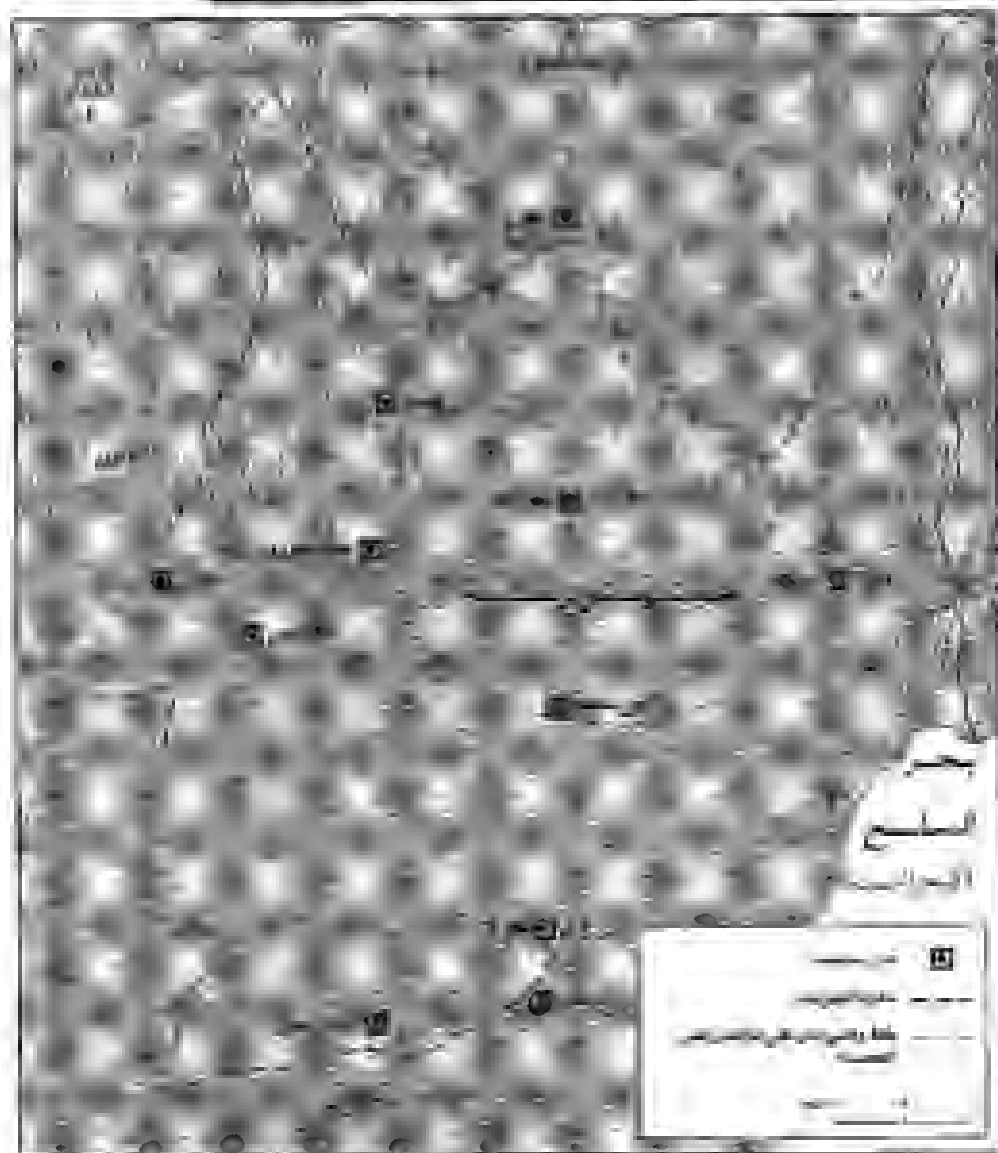
(٢١٥) م. ن. ١ مك ٩: ٤٠-٤١. ١٠٠٢ حاشية (٤).

(٢٠٦) م. ن. ١ مك ٩: ٢٩-٣٨.

(٢٠٧) م. ن. ١ مك ٩: ٤٣-٤٤. ويقع الدبس في التناقض عندما يفسر الى متابعة نظريته بأن تقوع تقع «عبر الاردن» ليعتبر ان بكيديس لحق بيوناتان الى عبر الاردن حيث جرت المعركة، ثم يذكر ان يوناتان ورجالهم عبروا الاردن «سابعين» (ولا يذكر باي اتجاه). وان بكيديس لم يلحق بهم، بل عاد الى اورشليم (الدبس المصدر السابق، ج ٣، ٢٠٥-٢٠٦). ولكننا لا نلزم الدبس على تناقضه هذا، وذلك عندما نجد، في النص نفسه من العهد القديم، ان بكيديس زحف بجيشه الى «عبر الاردن» لقتال يوناتان (١ مك ٩: ٢٤). ولكن العهد القديم نفسه يعود فيذكر ان بكيديس «جاء الى ضفاف الاردن، يوم السبت، بجيش عظيم» (١ مك ٩: ٤٣) دون ان يذكر ان بكيديس هذا قد عبر النهر شرقاً لقتال يوناتان كما يذكر العهد القديم حادثة مقتل يوحنا اخي يوناتان على يد قبيلة من العرب تدعى «بني يعمري» كانت تقيم عند ميديابا (او ميديا او مادبا، عبر الاردن شرق البحر الميت). وانه -أي يوناتان- ذهب مع اخيه سمعان ورجالهما الى هذه القبيلة، فكمنوا لبعض رجالها وهم يزفرون عروساً، فانقضوا عليهم وقتلوه... ولما انتقموا دم اخيهم، رجعوا الى غيضة الاردن» (١ مك ٩: ٣٦-٤١). وكان قد مر معنا ان يوحنا هذا قد قتل على ايدي متآمرين من رجال انطيوخوس. وذلك بعد ايام فقط من وقعة «اداسة» (126) (Anaplik, Op. Cit. P. 126) فهل تكون هذه الحادثة هي نفسها التي يقصدها «يوسفوس» خصوصاً وان يهوذا قد قتل في موقعة «اداسة» حيث تسلّم. بعدما، اخوه يوناتان قيادة الثورة المكابية؟

الخطة الداخلية: (هو الذي يلاء في مواقع - نقاط في داخل اليهودية، وهي بيت جورين، والعة نفرا نابور شليم، وأربعا، وعيتايل (ستين حائلنا) (انظر الخطة رقم ٣).

الخطة رقم ٣: الخطة الداخلية في أريئيل واليهودية



ثم انه، بعد ان حصن هذه المدن، أحاط كلا من اريحا وعماروس وبيت حورون وبيت ايل وتمنة وفرعتون وتقون (تقوح)، «باسوار عالية وابواب ومزاليج، وجعل فيها حراسا يضايقون اسرائيل»^(٢٠٨). ثم جعل في كل من بيت صور وجازر والقلعة «جيوشا وميرة». اما الرهائن التي اخذها من «ابناء رؤساء البلاد» فوضعها في «القلعة» التي بأورشليم (قلعة عفر) (٢٠٩).

في هذه الاثناء، توفي «الكيمُس» الكاهن الاعظم ورفيق بكيديس في حملته على اليهودية، وكانت وفاته عام ١٥٩ ق.م. (السنة الثالثة والخمسين في التقويم السلوقي)، فعاد بكيديس الى انطاكية بعد وفاة الكيمُس، «وهناك ارض يهوذا سنتين»^(٢١٠).

٢- حصار بيت بيساي (١٥٦-١٥٥ ق.م):

حاول يوناتان ان يفتنم فرصة الهدوء هذه بتحصين وضعه الداخلي ضد خصومه وتعزيز تحالفاته^(٢١١) ولكن خصومه لم يدعوه يستقر طويلا، اذ حرضوا بكيديس عليه وزينوا له سهولة القاء القبض على يوناتان وانصاره «اجمعين في ليلة واحدة»، وكان يوناتان وانصاره يقيمون بهدوء في معقلهم الحصين «مودين»، فجمع بكيديس جيشا وسار به الى اليهودية، وكان قد سبق ان ارسل الى حلفائه في البلاد كي يقبضوا على يوناتان ورجاله، ولكن يوناتان كان حذرا وفطنا فأدرك للشرك المنصوب له واستطاع ان يقبض على خمسين من خصومه، دفعة واحدة، ويقتلهم^(٢١٢)، ثم احتل، هو واخوه سمعان ومن معهما، مدينة قديمة مهمة تقع جنوب بيت لحم وتدعى «بيت بيساي» في البرية (في صحراء اليهودية) وأعاد ترميمها وتحصينها^(٢١٣).

(٢٠٨) العهد القديم، امك ٩: ٥٠-٥١، وانظر Athanasi, Op. Cit. P. 148.

(٢٠٩) العهد القديم، امك ٩: ٥٢-٥٣.

(٢١٠) م.ن. امك ٩: ٥٤-٥٧.

(٢١١) يُفهم، من كلام يوسفوس، ان يوناتان هو الذي عقد تحالفاً مع روما وليس يهوذا، اذ يقول انه «عزز سلطته بتحالف مع الرومانيين».

ولكن العهد القديم يذكر ان يوناتان قد جدد هذا التحالف الذي اقامته يهوذا مع روما (انظر العهد القديم، امك ١٢ و٢٠).

(٢١٢) العهد القديم، امك ٩: ٥٨-٦١.

(٢١٣) م.ن. امك ٩: ٦٢. ويرى اللدبس ان «بيت بيساي» هي «بيت حجلة» او «عين حجلة» (لو دير حجلة) الواقعة شرق اريحا (اللدبس، المصدر السابق، ج ٢: ٢٠٦).

وما ان وصل بگيديس بجيشه الى اليهودية حتى توجه لحصار «بيت بيصاي»، حاشدا كل قواته حولها ومستنجدا بحلفائه في اليهودية «وحاربها اياما كثيرة ونصب المجانيق» حولها، ولكنه لم يستطع ان يقهرها. وقد استطاع يوناتان ان يخرج من المدينة مع قسم من رجاله، مخلفا اخاه سمعان مع القسم الآخر للدفاع عنها، وبعد ان اجتاز الصحراء، راح يهاجم بعض القبائل العربية التي كانت تتعاون مع بگيديس (مثل بني فاسرون وأدورين واخوته) بهدف مضايقة بگيديس، خصوصا ان بعض هذه القبائل انضم الى يوناتان في قتاله ضد بگيديس وحلفائه. ثم خرج سمعان ومن معه من المدينة، فجأة، فانقضوا على المجانيق واحرقوها، وقتلوا بگيديس وهزموه. عندها قرر بگيديس مغادرة اليهودية بجيشه، بعد فشله هذا، فبعث اليه يوناتان يعرض عليه الصلح فصالحه بگيديس وعاد الى انطاكية بعدها (عام ١٥٥ ق.م) اما يوناتان فاقام مع رجاله واخيه سمعان في مكماش (مخماس)^(٢١٤).

- يوناتان بين الاسكندر ابيفانوس وديمتريوس الأول:

في العام الستين بعد المائة من التقويم السلوقي (١٥١ ق.م.) ادعى «الاسكندر ابيفانوس» (المعروف بالاسكندر بالاس) انه ابن الملك انطيوخوس الرابع ابيفانوس، وقدم الى سوريا يطالب بملك أبيه ساعيا لانتزاعه من يد ديمتريوس الأول، فاحتل بطلمايس (عكا). وعلم ديمتريوس بما جرى في عكا، فكتب الى يوناتان يدعوه لمناصرته والتحالف معه، واذن له، مقابل ذلك «ان يجمع جيوشا، ويصنع اسلحة» ويعلن على الملأ في شعبه انه حليف الملك، وامر ان ترد اليه الرهائن التي احتجزها بكيديس في قلعة «عقرا» بأورشليم^(٢١٥).

وافق يوناتان على عروض ديمتريوس واعلن في اليهودية انه حليفه، وتم اطلاق سراح الرهائن اليهود، واقام يوناتان في اورشليم وشرع في بنائها وتجديدها، واعاد بناء

(٢١٤) م ن ١ مك ٦٣-٧٣ و ١٤٩-١٤٨ Aharoni, Op. Cit. P.P. 148-149 ويرى قماروني ان «بني أدورين» هم قبيلة «أدوميرا» Odumera. وان هذا الاسم يشبه اسم قبيلة بدوية تدعى «بني نامر» Nam ta'amare. لا تزال تعيش الى يومنا هذا بجوار خربة بيت بيصاي (Aharoni, Op. Cit. P. 149)

(٢١٥) العهد القديم، ١٠م ١٠٦.

اسوارها، واستعاد الحصون التي كان بكيديس قد بناها ووضع فيها بعض «الغرباء» فهرب هؤلاء منها بعد ان استولى يوناتان عليها^(٢١٦).

وما ان علم الاسكندر^(ابيفانوس) بذلك حتى عمد الى تقديم عروض أكثر إغراء ليوناتان فأقامه «عظيم الكهنة» وسماه «صديق الملك» واهداه «أرجوانا وتاجا من ذهب» ودعاه الى تبني قضيته وحفظ صداقته. ووافق يوناتان على عروض الاسكندر ولبس «الحلة المقدسة... وجمع الجيوش وصنع اسلحة كثيرة»^(٢١٧).

وعاد ديمتريوس فقدم ليوناتان عروضاً أكثر إغراء من تلك التي قدمها خصمه، إذ أنه:

- أعفى اليهود من «كل جزية» ومن «رسم الملح والاكاليل»^(٢١٨).

- وضم «الأقضية الثلاثة الملحقة باليهودية من بلاد السامرة» الى اليهودية ووضعها تحت سلطة «عظيم الكهنة»^(٢١٩).

- وأعفى من حقوقه في «ثلث غلال الارض ونصف ثمار الشجر»، كل ارض اليهود و«الأقضية الثلاثة الملحقة بها من ارض السامرة والجليل»^(٢٢٠).

- وتخلّى عن قلعة عقرا في اورشليم، وأعطاهما لعظيم الكهنة الذي «يقيم فيها من يختاره من الرجال لحراستها».

- وأطلق سراح كل من سبي من اليهود في مملكته وأعفاهم من الضريبة «حتى عن المواشي».

(٢١٦) م. ن. امك ١٠. ١٤. ٧.

(٢١٧) م. ن. امك ١٠. ١٥. ٢١.

(٢١٨) م ن امك ١٠. ٢٩. ورسم الملح هو الرسم المتوجب للملك. مقابل قيمة ملح البحر الميت والاكاليل: السعف والحصان الزيتون التي كانت تقدم للملك وهي. في الحقيقة. عبارة عن نقود. وكان مبرر هذه الضرائب ان الارض كلها ملك للملك يؤجرها لسكان البلاد (م. ن. ص ٩٨٢ حاشية ٥)

(٢١٩) م ن امك ١٠. ٢٨. وهي الاقاليم التي كان يهونا قد استولى عليها فاعتبرها اليهود ملكاً لهم (م. ن. ص ٩٨٢ حاشية ٦)

(٢٢٠) م. ن. امك ١٠. ٣٠.

- ومنع مطالبة اليهود بالديون والرسوم «في الأعياد كلها» وفي «السبوت ورؤوس الشهور والايام المخصصة والايام الثلاثة التي قبل العيد والايام الثلاثة التي بعد العيد» وجعل تلك الايام «ايام اعفاء وعفو»^(٢٢١).

- وسمح بأن ينخرط «في جيوش الملك» من اليهود حتى «ثلاثين ألف رجل»، ويعطى لهؤلاء رواتب كسائر جنود الملك، ويوضعون في الحصون وفي «مناصب الثقة في المملكة» هم و«رؤساؤهم ومديروهم»^(٢٢٢).

- وضم عكا، وما يتبعها، لهيكل اورشليم «لاجل نفقة المقدس»، وزاد على ذلك «خمسة عشر ألف مثقال فضة، كل سنة، من دخل الملك»، واعفى الهيكل من دفع «خمسة آلاف مثقال فضة» كانت تؤخذ سنويا من دخله^(٢٢٣).

- واعفى «من لاذ بالمقدس، في اورشليم، في جميع حدوده» من اي مال او حق عليه للملك.

- وتبرع، من حسابه، بنفقة «البناء واعمال الترميم» في الهيكل، كما تبرع، ومن حسابه كذلك، بنفقة «بناء اسوار اورشليم وتحسينها... وبناء الاسوار في سائر اليهودية»^(٢٢٤).

ورغم كل هذه العروض المغرية، رفض يوناتان (والشعب)، الانحياز الى صف ديمتريوس ضد الاسكندر، بل «أثروا الاسكندر» عليه، لانهم لم ينسوا «ما انزله ديمتريوس باسرائيل من الشر العظيم والضغط الشديد» ولان الاسكندر «يفوقه عطايا في نظرهم، ولانهم كانوا لا يزالون من حلفائه»^(٢٢٥).

وكان بعد ذلك (عام ١٥٠ ق. م.)، بين الاسكندر وديمتريوس، قتال شديد انتهى بهزيمة ديمتريوس ومقتله^(٢٢٦). وملك الاسكندر ابيفانوس (او الاسكندر بالاس) سوريا

(٢٢١) م. ن. امك ١٠: ٢٤-٢٥.

(٢٢٢) م. ن. امك ١٠: ٢٦-٣٧.

(٢٢٣) م. ن. امك ١٠: ٣٩-٤٢.

(٢٢٤) م. ن. امك ١٠: ٤٣-٤٥.

(٢٢٥) م. ن. امك ١٠: ٤٦-٤٧.

(٢٢٦) م. ن. امك ١٠: ٤٨-٥٠ وانظر: Athenei Op. Cit. P. 150.

وصاهر بطليموس الرابع ملك مصر، وكرّم يوناتان وجعله «من اصدقائه الخواص»، واقامه «قائداً وحاكماً»^(٢٢٧).

٢- موقعة سهل يمينياً (بينة)، (١٤٧ ق.م.):

في العام ١٦٥ بالتقويم السلوقي (١٤٧ ق.م.) ظهر ديمتريوس الثاني (ابن ديمتريوس الاول) في كريت، وانتقل منها الى قيليقية مطالباً بعرش ابيه. وكان الملك الاسكندر أبيفانوس (او بالاس) خارج عاصمته انطاكية، فعاد اليها ما ان سمع بالخبر. وكان أبلونيوس (ابن أبلونيوس الذي سبق ان كان والياً على بقاع سوريا وفينيقية في عهد انطيوخوس أبيفانوس) والياً على سوريا من قبل الاسكندر، فانهاز الى ديمتريوس الثاني الذي ثبته «والياً على بقاع سوريا»^(٢٢٨). اما يوناتان فظل على تحالفه مع الاسكندر.

الاستعداد للقتال: حشد ديمتريوس الثاني «جيشاً عظيماً» بقيادة أبلونيوس، الذي عسكر بهذا الجيش في يمينياً (بينة)، استعداداً لمنازلة «يوناتان» حليف الاسكندر، وكان في معاقله بجبال اورشليم.

وارسل أبلونيوس الى يوناتان يتحدها بان ينزل من معاقله في الجبال الى سهل «لا صخرة فيه ولا حصاة ولا مكان تهربون اليه» وقال له: «لماذا تتسلط علينا في الجبال؟ فان كنت الآن واثقاً بجيوشك، فانزل الينا في السهل فنتبارز هناك»^(٢٢٩). فنزل يوناتان بعشرة آلاف رجل، وتبعه اخوه سمعان، وعسكر الجميع «تجاه يافا»، ولكن هذه المدينة اقفلت ابوابها في وجوه اليهود، اذ كان حراسها من رجال أبلونيوس، الا ان يوناتان لم يلبث ان دخلها بعد ان فتح له اهلها الابواب خوفاً.

وما ان علم أبلونيوس باحتلال يوناتان ليافا حتى توجه، بجيشه، نحو اشدود، ثم انعطف شمالاً نحو السهل، عند يمينياً (بينة) استعداداً لمنازلته^(٢٣٠).

(٢٢٧) م. ن. مك. ١٠-١١ و٦٦ وكان يدعى أيضاً الاسكندر بالاس. (Alexander Balas) وانظر Pritchard, Op. Cit. P. 146

وAharoni, Op. Cit. P. 149

(٢٢٨) العهد القديم. مك. ١٠-١١ و٦٦ ومن ٩٨٥ حاشية (١١-١٠) وانظر الدير. المرجع السابق. ج. ٢. ٢١٢.

(٢٢٩) م. ن. مك. ١٠-١١ و٧١.

(٢٣٠) م. ن. مك. ١٠-١١ و٧٦.

ترتيبات القتال:

أ - جيش ابلونيوس: توجه ابلونيوس نحو ساحة القتال «بجيش كبير» و«ثلاثة آلاف فارس»، حاشداً، لملاقاة يوناتان، جيشاً من المشاة مع ألفي فارس، وتاركاً ألف فارس خلف جيش يوناتان، بين يميناً واشدود، لكي ينصبوا كميناً له. وكانت خطته ان ينسحب بجيشه، امام يوناتان، نحو اشدود، لكي يتيح للكمين ان ينقض بدوره على مؤخرة جيش يوناتان.

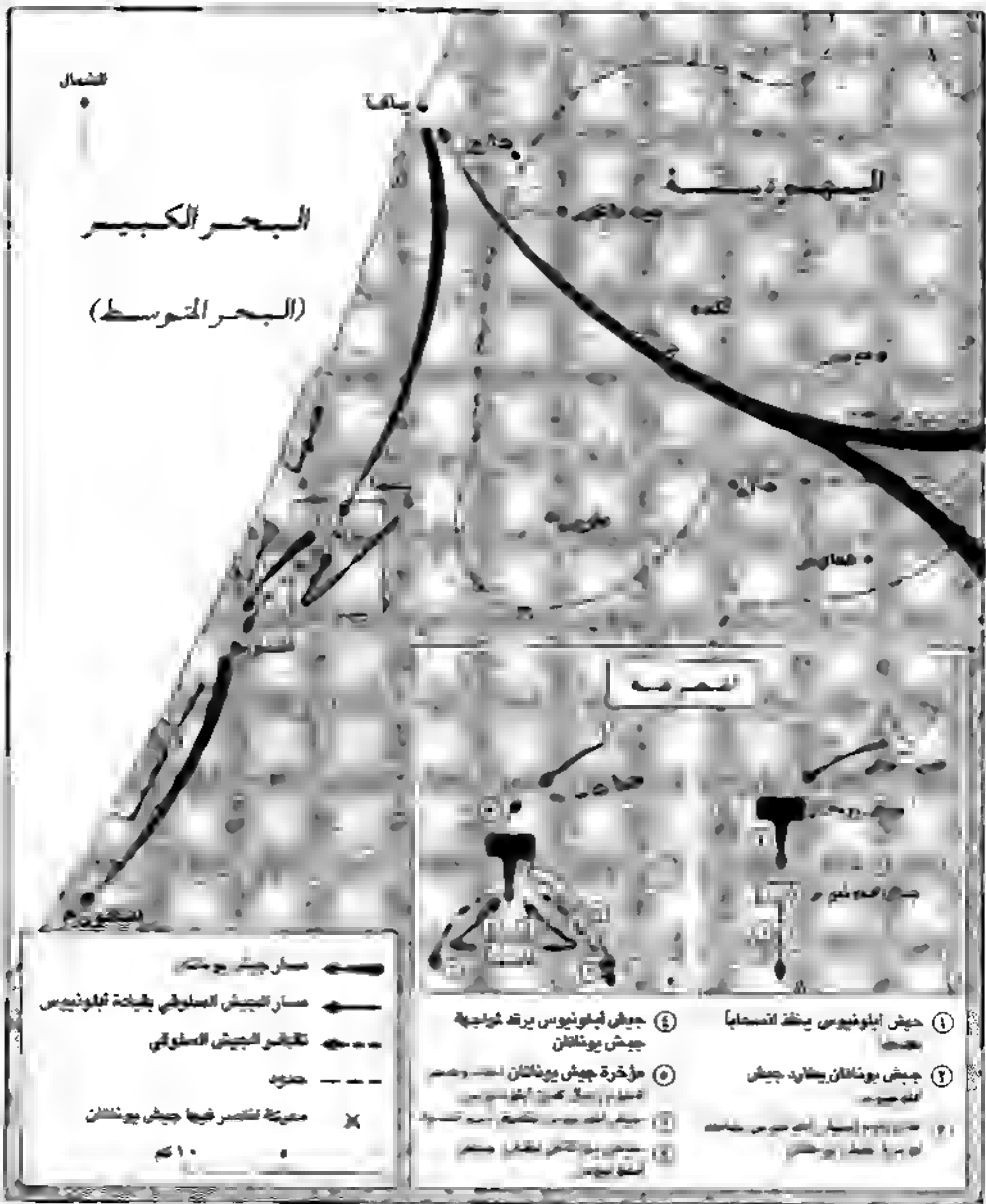
ب - جيش يوناتان: تقدم يوناتان بجيشه نحو سهل يميناً حيث استعداد جيش ابلونيوس لمنازلته، وكان قد علم ان كميناً نصب لمهاجمته من الخلف عند بدء القتال، فأعد، لمواجهة هذا الكمين، قوة بقيادة اخيه سمعان، ثم امر مؤخرته بالاستعداد لمواجهة الكمين عند انقضاضه، ومقاومته، والصمود في وجهه، حتى يحين اوان انقضاض سمعان برجاله عليه.

المعركة: بدأت المعركة بمناورة تراجعية قام بها جيش ابلونيوس امام جيش يوناتان الذي لحق به، ثم انقض الكمين على مؤخرة جيش يوناتان، وطلق فرسان الكمين ذلك الجيش «ورموا الرجال بالسهام من الصباح الى المساء»، بينما استدار ابلونيوس وجيشه للقتال، ولكن جند يوناتان صمدوا في مواقعهم «كما امر يوناتان» الى ان ارهقت خيل المهاجمين، فانقض عليهم سمعان برجاله، «فانسحق الاعداء وهربوا» في السهل نحو اشدود «ودخلوا بيت داجون، معبد صنمهم»، وطاردهم يوناتان بجيشه واحرق «اشدود والمدن التي حولها»، ودخل بيت داجون واحرق هيكله، وقد سقط في هذه الموقعة، من جيش ابلونيوس، اضافة الى «الذين احرقوا، ثمانية آلاف رجل»^(٢٢١).

ومن اشدود، توجه يوناتان بجيشه نحو اشقلون (عسقلان) فلقبه امهلاً «باجلال عظيم» ثم عاد الى اورشليم. وقد وهب الملك ليوناتان، بعد هذه الموقعة، «عقروت وارضيه»^(٢٢٢). (انظر الخارطة رقم ٢٩)

(٢٢١) م. ن. ١ مك. ١: ٧٧-٨٥. وانظر ١ مك. ١: ١٥٠. Alkanmi, OP. Cit. P. 150

(٢٢٢) م. ن. ١ مك. ١: ٨٦-٨٩.



بطليموس الرابع، ملك مصر، يحتل سلوقية ويعلن نفسه ملكا عليها:

انتهر بطليموس الرابع، ملك مصر، فرصة غياب صهره، الاسكندر بالاس، ملك سلوقية، عن عاصمته انطاكية، وانشغاله بقمع تمرد في قيليقية بشمال البلاد، فتوجه بجيش الى سوريا ودخل مدنها واحدة بعد الاخرى، وترك في كل مدينة حرسا من قبله، ثم دخل العاصمة انطاكية واعلن نفسه ملكا على مصر وسلوقية معا. عندما عاد الاسكندر من قيليقية ونازل بطليموس في معركة انتهت بهزيمة الاسكندر الذي قتل، فيما بعد، وفي اثناء فراره، على يد «زبدبثيل العربي». اما بطليموس فقد توفي اثر ذلك، «وفي اليوم الثالث»، من جراء جروح اصابته في المعركة. وعاد ديمتريوس الثاني ملكا على سلوقية، في السنة «المئة والسابعة والستين» في التقويم السلوقي اي عام ١٤٥ ق. م. (٢٣٣).

٤- حصار يوناتان لقلعة «عقرا» باورشليم (١٤٥ ق. م.):

حشد يوناتان جيشا من اليهود وحاصر قلعة «عقرا» باورشليم ونصب عليها المجانيق، فشكا قوم من اهل المدينة امره الى الملك الذي استدعاه للقاء معه في بطلميس (عكا)، طالبا اليه، في الوقت نفسه، ان يكف عن حصار القلعة وضربها. ولكن يوناتان ابي ان يفك الحصار عن القلعة رغم انه ذهب، مع نخبة من «شيوخ اسرائيل والكهنة» للقاء الملك، وقد حمل اليه يوناتان «من الفضة والذهب والحلل وسائر الهدايا شيئا كثيرا» (٢٣٤).

وكان ان تم التفاهم بين الملك ويوناتان على منح يوناتان صفة «الكهنوت الاعظم» مع امتيازات، وجعله «اول اصدقاء» الملك (٢٣٥). ووضع الملك ميثاقا جديدا منح، بموجبه، اليهود بعض الامتيازات. ومما جاء في الميثاق:

«الاقرار لليهودية بالاقضية الثلاثة وهي «أفيرمة ولدة والرامتائيم» وهي الاقضية «التي الحقت باليهودية من ارض السامرة، وجميع توابعها» (٢٣٦).

(٢٣٣) م ن امك ١١ ١٩-١٠م ن. مس. ٩٨٧ حاشية (٤).

(٢٣٤) م ن امك ١١ ٢٤.

(٢٣٥) م ن امك ١١ ٢٧.

(٢٣٦) م ن امك ١١ ٢٤، وأفيرمة. اللطية. ولدة اللد. اما الرامتائيم فقد اختلف في تحديد موضعها (انظر فهرس الاعلام).

٥ - اعفاء اليهود من الضرائب التي كانت تستوفي منهم سنويا «من محصولات الارض وثمار الاشجار».

٦ - اعفاؤهم كذلك من «العشور والضرائب ووهاد الملح والاكاليل»^(٢٢٧).

ويبدو ان هذا الميثاق مستمد، جزئيا، من ذلك الذي سبق ان عرضه ديمتريوس الاول (والد ديمتريوس الثاني) على يوناتان ورفضه^(٢٢٨). الا انه لم يتضمن كل العروض التي سبق ان عرضها ديمتريوس الاول على يوناتان، فهو لم يتضمن مثلا: رد القلعة ولا «التبرعات لاعادة بناء اورشليم او لنفقات العبادة»^(٢٢٩).

٥ - اليهود يحرقون انطاكية ويقتلون اهلها:

عجز يوناتان عن اخضاع قلعة «عقراء» رغم محاصرته لها فترة طويلة من الزمن، فارسل الى الملك ديمتريوس يطلب اخلاءها واخلاء «سائر الحصون» في اليهودية من جنده «لانهم كانوا يحاربون اسرائيل»^(٢٣٠). وكان الملك قد اطمأن الى وضعه المستقر في الحكم وفي البلاد فصرف جنده من اهل البلاد ولم يبق بتصرفه سوى «الجنود الغريباء الذين جاء بهم من جزر الأمم»، لذا، مقتله اهل البلاد وكرهوه^(٢٣١). واستغل احد قادته ويدعى «تريفون» (وكان من انصار الاسكندر سابقا) كره الجنود واهل البلاد للملك فحرضهم عليه، وسعى لاعادة انطيوخوس (ابن الاسكندر، كان في رعاية ايملكوثيل العربي)^(٢٣٢) الى العرش بدلا منه. واستنجد ديمتريوس بيوناتان طالبا منه ان يرسل اليه رجالا «يكونون في نجدتي، فقد خذلتني جيوشي كلها»^(٢٣٣). فارسل يوناتان اليه «ثلاثة آلاف مصارب» توجهوا الى انطاكية حيث وجدوا اهل المدينة كلهم، «وكانوا مئة وعشرين

(٢٢٧) م. ن. ١ مك ١١: ٣٤-٣٥. وقد سبق ان شرحنا ماذا تعني ضرائب «الملح والاكاليل»، فارجع اليه.

(٢٢٨) م. ن. ١ مك ٩: ٨٧ حاشية (٨).

(٢٢٩) م. ن. ١ مك ٩: ٨٨ حاشية (١٠).

(٢٣٠) م. ن. ١ مك ١١: ٤٩.

(٢٣١) م. ن. ١ مك ١١: ٣٨. والمقصود بالجنود الغريباء اولئك الذين اتوا معه من جزيرة كريت.

(٢٣٢) م. ن. ١ مك ١١: ٣٩-٤٠ ويرى محققو العهد القديم (م. ن. ١ مك ٩: ٨٨ حاشية ١١) ان ايملكوثيل هذا ربما كان ابن زبدئيل.

(٢٣٣) م. ن. ١ مك ١١: ٤٣.

الف رجل» وقد ثاروا على الملك يحاولون قتله، فهرب منهم الى داره حيث حاصروه واستولوا «على شوارع المدينة، وشرعوا في القتال»^(٢٤٤)، فهاجم لليهود الثائرين وقتلوا منهم «في ذلك اليوم، مئة الف رجل، واحرقوا المدينة، واخذوا غنائم كبيرة... وخلصوا الملك»^(٢٤٥). ولما رأى اهل المدينة ما حل بهم على يد اليهود لجأوا الى الملك طالبين الصفر منه و«متضرعين» اليه ان «يكف اليهود عن محاربتنا ومحاربة مدينتنا»، ثم «القوا السلاح وعقدوا الصلح»، وعاد اليهود الى اورشليم^(٢٤٦). وحكم الملك ديمتريوس، سعيدا، بفضل اولئك «الثلاثة آلاف» من اليهود، حيث جلس «على عرش ملكه، وهذات البلاد في قيادته»، ولكن ديمتريوس ما لبث ان نقض عهده ليوناتان واخلف «في كل ما وعده» به^(٢٤٧).

ملاحظة: لقد حاولنا ان نستشهد بحرفية النص الوارد في كتاب اليهود عن مآثرهم في هذه الموقعة ضد اهل انطاكية، وما ورد من مبالغة غير معقولة وغير منطقية اذ يقتل «ثلاثة آلاف» من اليهود في يوم واحد «ماية الف» من اهل انطاكية الثائرين على الملك وحاملي السلاح ضده، وتخضع انطاكية لهؤلاء «الثلاثة آلاف» خضوعا تاما، وتستجدي عطف الملك ورافته بها من غضب هؤلاء اليهود وبطشهم، بعد ان فتكوا بأهلها وقتلوههم واحرقوا مدينتهم. فهل بعد هذه المبالغة من مبالغة؟ ولا شك في ان هذا النوع من المبالغة يتردد، في مواضع كثيرة من العهد القديم، لا بد من ان يكتشفها القارئ، سواء اشرنا اليها ام لم نشر، مكتفين بالقول ان ايرادنا مثل هذه المبالغات في سياق البحث كله لا يعني، على الاطلاق، اقتناعنا بها.

٦ - موقعة حاصور (١٤٤ ق.م):

في كل حال، ما ان عاد الجنود اليهود الى اورشليم، بعد فظائلمهم في انطاكية، حتى اضمى الملك، في عاصمته، وحيدا، غريبا، ومنعزلا، وقد ازداد ضعفا، مما شجع «تريفون» لان يعود فيسمى، من جديد، لاعادة انطيوخوس الصغير (السادس) ديونيسيوس الى عرش ابيه (الاسكندر ابيفانوس)، فانمازت اليه «جميع الجيوش» التي كان ديمتريوس قد

(٢٤٤) م ن امك ١١: ٤٦٤.

(٢٤٥) م ن امك ١١: ٤٨٤٧.

(٢٤٦) م ن. امك ١١: ٤٩٠١.

(٢٤٧) م. ن. امك ١١: ٥٢٠٢.

سرحها. وقاتل «تريفون» ديمتريوس (عام ١٤٥ ق.م) فهزمه، وفر ديمتريوس من انطاكية الى سلوقية (السويدية)، ودخل تريفون انطاكية ومعه الملك، دخول الفاتحين، وجلس «الملك الجديد» انطيوخوس السادس ديونيسيوس» على عرش ابيه في ذلك العام^(٢٤٨).

وكان اول عمل قام به انطيوخوس (وتريفون وزيره والوصي على عرشه) هو انه كتب الى يوناتان يقره في منصبه «ككهنوت اعظم» ويقيمه على «الأقضية الاربعة» وهي: أفيرايرمة ولدّة والرامتائيم واقربتين، ويتخذّه واحدا من اصدقائه^(٢٤٩)، ويقيم اخاه سمعان قائدا على المنطقة البحرية «من عقبة صور الى حدود مصر»^(٢٥٠).

وكل ذلك كان كافيا لان ينحاز يوناتان، كليا، الى جانب انطيوخوس السادس، حيث طاف في مدن «عبر الاردن» شرقا، فاجتمعت اليه باسم الملك «جميع جيوش سوريا»، ثم اجتاز النهر غربا الى اشدود، فأيده اهلها وناصروه، اما اهل غزة فأغلقوا الابواب في وجهه «فحاصرها واحرق ضواحيها بالنار ونهبها» الى ان خضعوا له فدخلها واخذ ابناء الرؤساء من اهلها رهائن وارسلهم الى اورشليم، ثم تابع طوافه في مدن سوريا كلها حتى وصل الى دمشق^(٢٥١).

في هذه الاثناء، كان ديمتريوس يحشد جيوشا لاسترجاع عرش انطاكية، وقد اجتمع لديه «جيش جزار» في قادش الجليل (على بعد ٣٦ كلم من صور)^(٢٥٢)، فانبرى يوناتان لمواجهته (وكان يحسب انه قد اتى لعزله عن الولاية)^(٢٥٣) وزحف لملاقاته بعد ان ترك اخاه سمعان عند اسوار «بيت صور» التي حاصرها وحاربها «اياما كثيرة» حتى استسلمت له^(٢٥٤). وتابع يوناتان زحفه من «جنّاسر» شمالا باتجاه «حاصور» حيث وصل اليها «قبل الفجر»، وكان قد عسكر في سهولها «جيش الغرباء» الذي دخل من «قادش الجليل» ليؤازر الملك المخلوع (ديمتريوس)^(٢٥٥).

(٢٤٨) م. ن. امك ١١: ٥٤-٥٦. وانظر الديس. المرجع السابق. ج ٢، ٢١٩.

(٢٤٩) م. ن. امك ١١: ٥٧ وم. ن. ص. ١٨٩ حاشية (١٤).

(٢٥٠) م. ن. امك ١١: ٥٩ وم. ن. ١٨٩. حاشية (١٥).

(٢٥١) م. ن. امك ١١: ٦٠-٦٢.

(٢٥٢) م. ن. امك ١١: ٦٣ وم. ن. ص. ١٨٩-١٩٠ حاشية (١٧).

(٢٥٣) م. ن. امك ١١: ٦٣.

(٢٥٤) م. ن. امك ١١: ٦٤-٦٦.

(٢٥٥) م. ن. امك ١١: ٦٧-٦٨. وجنّاسر. او ارض جنّيسارت. هي ارض تقع غرب بحر الجليل (او بحيرة طبرية وتسمى بحيرة جنّيسارت). (عبد الملك. المرجع السابق. ص ٢٧٦). وحاصور: قلعة كانت تقع على بعد عشرة اميال شمال جنّاسر (بحيرة طبرية). العهد القديم. ص ١٩٠ حاشية (١٨).

المعركة:

جيش ديمتريوس:

اصطف جيش ديمتريوس في سهل حاصور، وقد حاول استعادة المناورة التي اتبعت في موقعة يمينيا، اذ اخفى كميناً في الجبال المشرفة على السهل بغية مفاجأة جيش يوناتان والانقضاض عليه اثناء القتال.

جيش يوناتان:

ما ان وصل الى سهل حاصور، عند الفجر، وشاهد جيش ديمتريوس، حتى استعد للقتال واخذ يتقدم باتجاه العدو، ولكن الكمين فاجاه «ففر رجال يوناتان جميعاً، ولم يبق احد الا متتيا بن ابشالوم ويهوذا بن حلفي، قائدا الجيش»^(٢٥٦)، الا ان يوناتان وقائديه سرعان ما استعادوا روعهم الذي فقدوه من جراء المباغتة وعادوا يقاتلون جنود العدو الذين «انهزموا وهربوا، وما ان رأى جنود يوناتان الهاربون ذلك حتى استعادوا، بدورهم، روعهم، وانكفأوا يقاتلون الى جانب قادتهم ويطاردون فلول العدو الى معسكره في قادش»^(٢٥٧). وقد سقط من جيش ديمتريوس، في هذه الموقعة، «ثلاثة آلاف رجل». وعاد يوناتان الى اورشليم^(٢٥٨).

- يوناتان يوطد تحالفه مع روما واسبارطة:

ما ان استتب الأمر ليوناتان، بعد موقعة حاصور، حتى سعى لتعزيز سلطته بتجديد التحالف مع كل من روما واسبارطة^(٢٥٩)، فارسل الى كل من الدولتين الرومانية والاسبارطية، رسائل لتجديد التحالف معهما، حملها كل من «نومانوس ابن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون». ويظهر واضحاً من النص الوارد في الرسالتين اللتين بعثتهما

(٢٥٦) العهد القديم، امك ١١: ٦٨-٧٠.

(٢٥٧) م. ن. امك ١١: ٧٢-٧٣.

(٢٥٨) م. ن. امك ١١: ٧٤. وانظر. Aharoni, Op. Cit. P. 151.

(٢٥٩) م. ن. امك ١٢: ١-٦ و ١٢٦ و ١٢٧. Josephus, Op. Cit. P. 126.

يوناتان ان مهمة الموفدين هي «تجديد» التحالف الذي كان معقوباً، وليس انشاء تحالف لم يسبق ان عقد، فقد ورد في رسالة يوناتان الى روما ان هذين الموفدين «مرسلون من قبل يوناتان عظيم الكهنة وامة اليهود، لنجدد ما بينكم وبينهم من الصداقة والتحالف، كما كان من قبل»^(٢٦٠). وورد في رسالته الى اسبارطة اننا «حاولنا مراسلتكم لنجدد الاخاء والصداقة... اذ قد مضى على مكاتبتكم لنا زمان طويل»^(٢٦١)، واننا «قد اخترنا نومانئوس بن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون وارسلناهما الى الرومانيين لنجدد ما كان بيننا قبلا من المصادقة والتحالف، وامرناهما بان يذهبا اليكم ويبلغاكم السلام ويسلماكم الكتب من قبلنا في تجديد اخائنا»^(٢٦٢)، مما يؤكد، بلا ادنى شك، ان معاهدات للصداقة كانت قد وقعت بين كل من روما واسبارطة من جهة، وبين حكام اليهودية من جهة أخرى، قبل عهد يوناتان.

٧- مواجهة (لم تقم) في ارض حماة (١٤٣ ق.م):

عاد انصار ديمتريوس يحتشدون لمنازلة يوناتان بعد هزيمتهم امامه في موقعة حاصور وحشدوا، لذلك، جيشا يزيد على ذلك الذي سبق ان حشدوه في تلك الموقعة^(٢٦٣). وعلم يوناتان بذلك فخرج لملاقاتهم في ارض حماة حيث عسكروا، ولم يمهلهم ان يطأوا ارضه^(٢٦٤)، ثم ارسل، من معسكره «جواسيس الى معسكرهم» فأتوه باخبارهم، وانهم سوف يهجمون عليهم في الليل، فاستعد يوناتان لمواجهتهم، وذلك بان امر جنده باليقظة والحذر، ووزع الحرس حول المعسكر، وامر الجميع ان «يسهروا تحت السلاح الليل كله، استعدادا للقتال»^(٢٦٥).

علم قادة جيش ديمتريوس باستعدادات يوناتان لقتالهم، فخافوا، ثم اشعلوا نيران معسكرهم وفروا هاربين دون ان يثيروا انتباه يوناتان الذي، ما ان اصبح الصباح، حتى

(٢٦٠) العهد القديم، ١ مك ١٤: ٢.

(٢٦١) م. ن. ١ مك ١٢: ١١.

(٢٦٢) م. ن. ١ مك ١٢: ١٧.

(٢٦٣) م. ن. ١ مك ١٢: ٢٤.

(٢٦٤) م. ن. ١ مك ١٢: ٢٥. وهو امر يقترب من استراتيجية الحرب في ارض العدو او للحرب الممثلة، التي طبقتها اسرائيل منذ إنشائها (عام ١٩٤٨) الى اليوم.

(٢٦٥) م. ن. ١ مك ١٢: ٢٨.

وجد معسكر الاعداء خاليا، فحاول تعقبهم الا انه عجز عن اللحاق بهم، فارتد الى حيث تخيم قبيلة عربية تدعى «بني زبيدي» او «الزبيديين»، فضربهم، ثم اتجه نحو دمشق «وجال في البلاد كلها»^(٢٦٦). اما سمعان، اخوه، فوصل الى اشقلون (عسقلان) وحصونها، ثم عاد الى يافا «فاستولى عليها» للمرة الثانية، واقام عليها «حرسا يحافظون على المدينة»^(٢٦٧).

وعاد يوناتان، بعد ذلك، الى اورشليم، قرفع اسوارها، وبنى حائطا عاليا بين المدينة وقلعة «عقرا» التي كانت لا تزال بيد السلوقيين لكي «يفصلها عن المدينة وتبقى منعزلة» بينما بنى سمعان بلدة «حاديده» في السهل المشرف على ساحل اللد، وحصنها، وجعلها قاعدة له^(٢٦٨).

اسر يوناتان على يد تريفون ومقتله (١٤٣-١٤٢ ق.م):

كان تريفون قد بدأ يطمح لتسلم ملك السلوقيين بقضائه على انطيوخوس (السادس ديونيسيوس) وكان لا يزال وصيا عليه. ولكن خشيته ان يعتمد يوناتان الى عرقلة مساعيه هذه جعله يسعى، قبل كل شيء، لازاحة حاكم اليهودية عن طريق طموحاته، ولم يكن ذلك ممكنا الا بالتغلب عليه، عسكريا، او بالحيلة، فقرر منازلته عسكريا، واتجه نحو اليهودية بجيش لجب حتى وصل الى بيت شان (بيسان)، فعسكر هناك^(٢٦٩).

وما ان علم يوناتان بنوايا تريفون حتى توجه لملاقاته في بيت شان (بيسان) بجيش بلغ تعداده اربعين الف رجل، مما جعل تريفون يخشى منزلته، فعمد الى استخدام الخداع والحيلة للقبض عليه، وتمكن من اقناعه انه لم يات لقتاله، بل هو يبغى مرافقته الى بطلمائس (عكا) لكي يسلمها اليه مع «سائر الحصون ومن بقي من الجيوش وجميع الموظفين»^(٢٧٠). ونصحه ان يصرف جيشه ولا يستبقى معه سوى ثلاثة آلاف رجل،

(٢٦٦) م. ن. ١٢: ٣٩-٣٤.

(٢٦٧) م. ن. ١٢: ٣٤-٣٤. ١٥٢. Aharoni, Op. Cit. P. 152.

(٢٦٨) م. ن. ١٢: ٢٨-٢٥. وتقع حاديده على بعد ٦ كلم شمال شرق اللد (م. ن. ص. ٩٩٢ حاشية ١). وانظر Aharoni, Op. Cit. P. 152.

(٢٦٩) العهد القديم. ١٢: ٣٩-٤٠ وانظر. الديس. المرجع السابق. ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢٧٠) م. ن. ١٢: ٤١-٤٥.

فعمل يوناتان بنصيحة تريفون وصرف الجيش كله باستثناء ثلاثة آلاف استبقى منهم
الذين في الجليل وتوجه، بصحبة تريفون، ألف من رجاله، إلى عكا. وكان هذا ما يبغيه
تريفون^(٢٧١).

وما إن دخل تريفون مع يوناتان ورجاله إلى المدينة حتى أقفل أبوابها عليهم، ثم
انقض، ورجاله، على رجال يوناتان فقتلوه جميعا، وأسر تريفون يوناتان^(٢٧٢)، ثم أرسل
جيشا إلى الجليل لضرب رجال يوناتان الذين كانوا قد عسكروا هناك بناء على أوامره، وما
إن رأى هؤلاء جيش تريفون قادمًا نحوهم حتى أدركوا غرضه، وكانوا قد سمعوا بمصير
يوناتان ورجاله في عكا، فاستعدوا لقتالهم، مما جعل جيش تريفون يتراجع عن تنفيذ
مهمته ويعود إلى عكا، بينما اتجه رجال يوناتان نحو اليهودية^(٢٧٣).

وبلغ سمعان أن تريفون قصد لليهودية بجيش كبير وهو يريد إخضاعها، فجيش
الشعب وحضه على المقاومة وحشد، للقاء تريفون، «جميع رجال القتال»، ثم حصن
أورشليم وأتم أسوارها، ووجه واحدا من قادته هو «يوناتان بن ابشالوم» إلى يافا، فطرد
منها حاميتها وأقام فيها^(٢٧٤).

وزحف تريفون بجيشه نحو المدينة «ومعه يوناتان تحت الحراسة»، فلاقاه سمعان،
بجيش كذلك، إلى «حاديده» حيث عسكر «قبالة السهل». ولما علم تريفون أن سمعان قد
تسلم قيادة الجيش والبلاد بدلا من أخيه يوناتان، وأنه عازم على قتاله ومستعد لذلك، تردد
في مواجهته وحاول أن يسلك السبيل نفسه الذي سلكه مع أخيه، فأرسل إليه يقول «إننا
إنما قبضنا على يوناتان أخيك لئلا كان عليه للملك فيما قام به من الوظائف، فأرسل الآن
مئة قنطار فضة وابنين من ابنائه رهينة، لئلا يفدر بنا إذا أطلقناه، وحينئذ نطلقه»^(٢٧٥).

(٢٧١) م. ن. مك ١٢: ٤٦-٤٧.

(٢٧٢) م. ن. مك ١٢: ٤٨.

(٢٧٣) م. ن. مك ١٢: ٤٩-٥٢. ويذكر العهد القديم أن شعب إسرائيل أقام مناحة كبيرة على يوناتان. وكان اليهود يعتقدون أن
«جميع الأمم التي حولهم» تسمى إلى تدميرهم. وإن هذه الأمم تقول عنهم أنهم «لا رئيس لهم ولا نصير». لمقاتلتهم ولنصح
ذكرهم من البشر. (م. ن. مك ١٢: ٥٢-٥٣). فهل تساءل لليهود، يوما، عن أسباب كره «جميع الأمم التي حولهم» لهم؟
مما خلف لديهم شعورا مزمنًا وإنما بالقربة والعزلة للمشويتين بالرغبة المتصلة في الاعتناء على الآخرين وكرمهم
والحقد عليهم واستعمال مختلف وسائل العنف والارهاب ضدهم؟ ويشهد تاريخهم أنهم لم يندمجوا يوما بشعب ولم
ينصهروا بامة.

(٢٧٤) م. ن. مك ١٢: ١١-١٢.

(٢٧٥) م. ن. مك ١٢: ١٦-١٧.

وادرک سمعان مکر تریفون وخداعه، ولكنه استجاب لطلبه وارسل اليه المال والبنين، وذلك كي لا يقول الشعب «لانه لم يرسل اليه المال والولدين هلك»، الا ان تريفون اخلف وعده ولم يطلق سراح يوناتان^(٢٧٦).

ورغبة في ان لا يكون القتال مع سمعان وجهاً لوجه، قرر تريفون القيام بالمناورة الالتفافية التي سبق ان قام بها «ليسياس» قبله^(٢٧٧)، فاستدار، بجيشه، نحو أدورا (او ادورائيم) على بعد ٨ كلم من حبرون غرباً^(٢٧٨)، وكان رجال الملك في قلعة «عقراء» يلحون على تريفون ان يأتيهم «من طريق البرية» (اي للصحراء) ويرسل اليهم مؤونة، ولكن سمعان ادرک مقاصد تريفون فكان يقاقله اينما ذهب، وساعد تكاثف الثلج في طريق تريفون على عرقلة خطته هذه، فرحل الى ارض جلعاد (السلط) مروراً بوادي الاردن الدافئ، وما ان اقترب من بسكاما (وهي بيت شكما في اقصى غرب راس الكرمل في نواحي السلط)^(٢٧٩) حتى قتل يوناتان ودفنه هناك، ثم قفل عائداً الى انطاكية^(٢٨٠). اما سمعان فأرسل واخذ رفات اخيه ودفنها في «مودين»^(٢٨١) وتسلم حكم اليهودية مكانه، وكان ذلك عام ١٤٢ ق.م.

رابعا: حروب سمعان (١٤٢-١٣٤ ق.م):

ما ان عاد تريفون الى انطاكية حتى اغتال الملك الصغير «انطيوخوس السادس ديونيسيوس» عام ١٤٢ ق.م، واستولى على عرش سلوقية. بينما انصرف سمعان الى تحصين مدن اليهودية وتعزيز الدفاع عنها «بالبروج الشامخة والاسوار العظيمة والأبواب والمزاليج»^(٢٨٢) وخزن المؤن في حصون تلك المدن استعداداً لأي هجوم محتمل، ثم

(٢٧٦) م.ن. امك ١٢ ١٩٧.

(٢٧٧) م.ن. امك ١٢ ٢٠ وم ن ص ٩٩٤ حاشية (٤) وانظر امك ٤ ٢٩ وامك ٦ ٢١. وانظر كذلك Aharoni, OP. Cit. P. 153

(٢٧٨) م.ن. امك ١٣ ٢٠ وم.ن. ص ٩٩٤ حاشية (٥). وانظر Aharoni, Ibid.

(٢٧٩) العهد القديم. امك ١٣ ٢١-٢٢ وم ن ص ٩٩٤ حاشية (٥). وانظر الدبس. المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٢٥. وانظر كذلك Aharoni, Ibid.

(٢٨٠) العهد القديم. امك ١٣ ٢٢-٢٤ وم.ن. ص ٩٩٤ حاشية (٥) وانظر: Aharoni, Ibid. وانظر كذلك Joseph, Flavus, Op. Cit. PP. 126-127

(٢٨١) العهد القديم. امك ١٣ ٢٥.

(٢٨٢) م.ن. امك ١٣ ٢١-٢٢.

اختار رجال ارسلهم الى «ديمترىوس» وكان هذا لا يزال يسعى لاستعادة العرش، فعرض عليه الصلح والتحالف ضد تريفون «لان كل ما فعله تريفون انما كان اختلاسا»^(٢٨٣)، فاجابه ديمترىوس برسالة فيها الكثير من الود والصداقة، وقد جاء فيها: «وفي عز منا ان نعقد معكم سلما تاما، ونكتب الى الموظفين ان يعفوكم عما عليكم. وكل ما رسمناه لكم يبقى مرسوما، والحصون التي بنيتوها تكون لكم. وكل ما فرط من هفوة وخطأ الى هذا اليوم نتجاوز عنه. والاكليل الذي لنا عليكم، وكل رسم آخر على اورشليم نعفياكم منهما. وان كان فيكم اهل للاكتتاب في جندنا فليكتبوا، وليكن فيما بيننا سلم»^(٢٨٤).

ومنذ ذلك الحين، بدأ اليهود يؤرخون عقودهم وصكوكهم بدءا من «السنة الاولى لسمعان عظيم الكهنة، قائد اليهود ورئيسهم» وكان ذلك عام ١٧٠ بالتقويم السلوقي، اي عام ١٤٢ ق.م.^(٢٨٥).

- تجديد التحالف مع روما واسبارطة (١٤٢ ق.م):

وكتب سميان الى حكام روما واسبارطة يطلب منهم تجديد التحالف معهم، وأوفد، لهذا الغرض، «نومانيوس بن انطيوخوس» الى روما كما أوفد الى اسبارطة «نومانيوس بن انطيوخوس وانتيباتر بن ياسون» (وهما الرسولان اللذان سبق ان أوفدهما اخوه يوناثان الى كل من روما واسبارطة)، فاستجابوا الى طلبه^(٢٨٦).

١- الاستيلاء على جازر (١٤٢ ق.م):

في ذلك العام، هاجم سميان مدينة جازر وحاصرها، ثم صنع برجاً نقالا ملاء بالجنود واقترب بواسطته من الاسوار فضرب احد ابراجها واستولى عليه، ودخل جنده

(٢٨٣) م.ن. امك ١٢: ٣٤.

(٢٨٤) م.ن. امك ١٢: ٢٧-٤٠ والاكليل: الجزية السنوية (م.ن. ص ٩٩٥ حاشية (٨)) والاكتتاب التلوع في الجيش.

(٢٨٥) م.ن. امك ١٢: ٤٢ وم.ن. ص ٩٩٥ حاشية (٩ و ١٠).

(٢٨٦) م.ن. امك ١٦: ١٤ و ١٥: ٢٤-٢٤. ويرى محققو العهد القديم (م.ن. ص ٩٩٧ حاشية ٦) ان هناك خطأ في ترتيب الاحداث. اذ وضع تجديد التحالف مع روما واسبارطة في امك ١٤ او ١٥ (أي علمي ١٤٠ و ١٢٩ ق.م) وهو قد تم في الحقيقة بعد تسلل سميان حكم اليهودية بقليل. أي عام (١٤٢ ق.م.).

المدينة، فخرج نساؤها واولادها الى السور يطلبون من سمعان الامان، فامنهم «وكف عن محاربتهم» بعد ان استولى على المدينة^(٢٨٧).

٢- الاستيلاء على قلعة عقرا باورشليم (١٤١ ق.م):

وكان الجوع قد فتك برجال الملك المقيمين في قلعة عقرا باورشليم بعد ان حوصروا فيها ومنعوا من الخروج والبيع والشراء، وكان قد مر عليهم عامان وهم في هذه الحالة، منذ ايام يوناتان، «فاشدت مجاعتهم ومات كثير منهم»، فعرضوا على سمعان الاستسلام على ان يؤمنهم فامنهم واخرجهم من القلعة، واستولى سمعان على القلعة في العام ١٧١ بالتقويم السلوقي (عام ١٤١ ق.م) وكان في ذلك نهاية الحكم السلوقي لاورشليم الذي استمر ستة وعشرين عاما (منذ عام ١٦٧ ق.م)^(٢٨٨).

- تعيين يوحنا بن سمعان قائدا للجيش اليهودية (١٤١ ق.م):

وبعدها استولى سمعان على قلعة عقرا و«حصن جبل الهيكل الذي بجانب القلعة» وسكن، ومن معه، هناك، ثم عين ابنه يوحنا قائدا لجيشه وجعل اقامته في جازر، وكان سمعان قد «حصنها وبني فيها منزلا لنفسه»^(٢٨٩).

- اسر الملك ديمتريوس الثاني في ميديا (١٤١-١٤٠ ق.م):

وكان الملك ديمتريوس قد قرر محاربة تريفون فسار، بجيشه، الى ميديا، يطلب النجدة، الا ان ارساكيس (السادس)، ملك فارس وميديا، حاربه واسره وزجه في السجن^(٢٩٠). وخلا الجو بعدها لسمعان الذي استقل باليهودية «فاتخذ يافا مرسى، وفتح مجازا لجزر البحر، ووسع اراضي امته وقبض بيده على البلاد، وجمع اسرى كثيرين،

(٢٨٧) م. ن. ١ ملأ ١٣-١٤. ٤٧.

(٢٨٨) م. ن. ١ ملأ ١٣-١٤. ٥١. م. ن. ص ٩٦ حاشية (١٢). ويضيف «يوسفوس» مدينة «يمنيا» الى المدن التي استولى سمعان عليها. (Joseph. Op. Cit. P. 127)

(٢٨٩) م. ن. ١ ملأ ١٣. ٥٢. ٥٤. ٤٨. ولكن سمعان اقام في اورشليم. كما سنرى. فيما بعد.

(٢٩٠) م. ن. ١ ملأ ١٤. ٣١.

واستولى على جازر وبيت صور والقلعة... وامتد المدن بالميرة وعززها بالتحصينات»^(٢٩١).

- حصار انطيوخوس السابع (أخي انطيوخوس السادس) لتريفون، في دورا (١٣٩ ق.م):

كان انطيوخوس السابع لا يزال في «جزر البحر» عندما طالب بعرش أخيه الذي اغتصبه تريفون، وأرسل رسالة إلى سمعان يقره فيها على حكم اليهودية ويثبته بمنصب الكاهن الأعظم، ويعفيه من كل الرسوم والضرائب التي سبق أن أعفاه منها الملوك السابقون، ويأذن له أن يضرب نقوداً خاصة للتداول بها في بلاده، ويأذن له بالاحتفاظ بكل ما صنعه من أسلحة وما بناه من حصون^(٢٩٢). ثم خرج، في العام ١٧٤ بالتقويم السلوقي (١٣٩ ق.م) لقتال تريفون الذي تخلى عنه معظم رجاله ولم يبق معه من الجند إلا نفر يسير^(٢٩٣) بينما اجتمع لانطيوخوس نحو مائة وعشرين ألف رجل وثمانية آلاف فارس^(٢٩٤)، فهرب تريفون إلى مدينة دورا على الساحل واعتصم بها، ولحق به انطيوخوس وحاصر البلدة، بجيشه براء، وبأسطوله بحراً، وأخذ يضيق الخناق على المدينة المحاصرة^(٢٩٥)، وضربها بالمجانيق، ومنع الدخول إليها والخروج منها^(٢٩٦)، وقد استطاع تريفون أخيراً أن يخرج من المدينة ويهرب بحراً إلى لاروسياس^(٢٩٧).

(٢٩١) م. ن. أمك ١٤: ٥-١٠ م. ن. ص ٩٩٦ حاشية (٢١).

(٢٩٢) م. ن. أمك ١٥: ٨١ ويبدو أن جزيرة كريت هي المقصودة بتسمية «جزر البحر».

ويذكر محققو العهد القديم أنه لم يثر، حتى اليوم، على أي نقد يمكن أن ينسب إلى سمعان (م. ن. ص ٩٩٦ حاشية ١).

(٢٩٣) م. ن. أمك ١٥: ١١، ١٠، ١١. ويذكر محققو العهد القديم أن انطيوخوس أبر على ساحل سوريا في خريف عام ١٣٩ ق.م. تلبية لدهرة امرأة أخيه كليوبترا (م. ن. ص ٩٩٦ حاشية ٢).

(٢٩٤) م. ن. أمك ١٥: ١٣.

(٢٩٥) م. ن. أمك ١٥: ١١ و ١٢٧ ١٢٨ Inscr. Op. Cl. P.

(٢٩٦) م. ن. أمك ١٥: ٢٥.

(٢٩٧) م. ن. أمك ١٥: ٢٧. ولاروسياس: موقع هو بين طرابلس ونهر الوطارس (م. ن. ص ١٠٠١ حاشية ١٠). ونهر

الوطارس (أو الوتارس): النهر الكبير الذي يفصل لبنان (الحالي) عن سوريا، وكان يشكل الحدود الشمالية لإقليم بقاع سوريا وفينيقية التي كان يونانان فيها قتلاً أعلى (م. ن. ص ٩٩٦ حاشية ٥). والمعروف أن تريفون هرب إلى أناميا حيث أعدم، ما لم يكن قد انتحر على حد قول استرابون (م. ن. ص ١٠٠١ حاشية ١).

١- الخلاف بين انطيوخوس السابع وسمعان حول يافا وجازر وقلعة عقرا:

وبينما كان انطيوخوس يحاصر دورا، ارسل اليه سماعيل الفيني مقاتل «منتخبين» لتجديته، وارسل اليه «فضة وزهبا وعتادا كثيرا»^(٢٩٨)، ولكن انطيوخوس رفض قبولها، ووافد احد قادته ويدعى (اتينوبيوس) ليقاوضه حول استرداد يافا وجازر وقلعة عقرا، ناقضا، بذلك ما كان قد سبق ان عاهد سماعيل عليه. ومما نقله «اتينوبيوس» لسمعان، عن انطيوخوس قوله: «انكم مستولون على يافا وجازر والقلعة التي في اورشليم، وهي مدن مملكتي، وقد اتلفتم اراضيها، وضربتم البلاد ضربة شديدة، وتسلمتم على اماكن كثيرة في مملكتي، فاسلموا الآن المدن التي استوليتم عليها، وادوا ضرائب الاماكن التي تسلمتم عليها في خارج حدود اليهودية، والا فادوا عنها خمس مئة قنطار فضة، وعن الإتلاف الذي اتلفتموه، وعن ضرائب المدن، خمس مئة قنطار اخرى، والا اتيناكم محاربين»^(٢٩٩)، ورد سماعيل على رسول الملك رافضا عرضه «فرجع اتينوبيوس الى الملك غاضبا»^(٣٠٠).

٢- موقعة قدرون (١٣٧ ق.م):

عندما علم انطيوخوس بفرار تريفون من الحصار قرر مطار دته، وأوكل الى قائده «قندباوس» قيادة الساحل، ووضع بتصرفه جيشا من المشاة والفرسان، وأمره ان يعسكر امام اليهودية» وان يعيد بناء «قدرون» ويحصنها^(٣٠١).

وانطلق «قندباوس» لتنفيذ المهمة الموكلة اليه، جاعلا «يمنيا» مقر قيادته، وبدأ يحتاج مدن اليهودية «ويسبي الشعب ويقتل». ثم اعاد بناء قدرون وحشد فيها المشاة والفرسان «كما أمره الملك»^(٣٠٢).

وصعد يوحنا، قائد جيوش اليهودية، من جازر الى اورشليم حيث يقيم والده، وأنباء بتحرك «قندباوس» قائد جيش انطيوخوس، وبما فعله في ارض اليهودية ومدنها وشعبها،

(٢٩٨) م. ن. اكله ٢٦:١.

(٢٩٩) م. ن. اكله ٣٦:١-٣٧:١.

(٣٠٠) م. ن. اكله ٣٦:١-٣٧:١.

(٣٠١) م. ن. اكله ٣٦:١-٣٧:١. وقدرون. هي قطرة، على بعد ٦ كلم جنوب شرقي يمنية (م. ن. ص ١٠٠١ حاشية ١١).

(٣٠٢) م. ن. اكله ٤٠:١-٤١:١.

فجمع سمعان ولديه «يوحنا ويهوذا»، وكان هو قد شاخ وكبر، وأمرهما ان يخرجاً لقتال «قندياوس»، واختار لهما، من الجيش «عشرين الفا من رجال الحرب وفرسانا». ولا شك في انه جعل يوحنا قائداً لهذا الجيش، باعتباره القائد العام لجيوش اليهودية، وهو ما يتبين، كذلك، من النص الوارد في الكتاب^(٢٠٢). وزحف يوحنا بالجيش الى «مودين» فعسكر فيها لليلة واحدة^(٢٠٤).

الاستعداد للقتال:

أ - جيش يوحنا: انطلق يوحنا، بالجيش، من «مودين» فجر اليوم التالي، فأشرف على سهل ينتهي بواد يقع بين مودين واشدود (وربما كان وادي قطرا او وادي سريك)^(٢٠٥). وشاهد، في مواجهته وعبر الوادي، معسكر قندياوس وهو يعج بجيش عظيم «من المشاة والفرسان» فتوقف بجيشه في السهل قبالة جيش قندياوس، استعداداً لعبور الوادي.

ب - جيش قندياوس: كان جيش قندياوس قد اصطف في ترتيب القتال، عبر الوادي، في السهل، وهو على اتم الاستعداد للقتال.

ترتيبات القتال:

أ - جيش يوحنا: قسم يوحنا مشاة جيشه الى فرقتين: ميمنة وميسرة، وجعل الخيالة في القلب، ثم عبر بنفسه الوادي، في مقدمة الجيش، باتجاه العدو، وعبر الجيش بعده^(٢٠٦).

ب - جيش قندياوس: لم نجد في النص ما يشير الى ترتيب جيش قندياوس، الا ان

(٢٠٢) م. ن. ١ مك ٤: ١٠-١٤.

(٢٠٣) م. ن. ١ مك ٦: ١-٤. وراجع النص نفسه (١ مك ٦: ٧).

(٢٠٤) م. ن. ١ مك ٦: ١٠ و ١٥. Aharuni, Op. Cit. P. 154.

(٢٠٥) م. ن. ١ مك ٥: ٥-١٠. حاشية (٢) Aharuni, Ibid.

(٢٠٦) م. ن. ١ مك ٦: ٧-٥. وقد ورد في النص ان جنود يوحنا خلفوا من عبور الوادي فعبره يوحنا أمامهم وتبعوه (١ مك ٦: ٦).

(٦) ويرى آهاروني ان يوحنا نشر فرسانه بين المشاة (Aharuni, Op. Cit. P. 154).

أهاروني يذكر أن السلوقيين كانوا قد انتشروا، في هذه الموقعة «وفقا للطريقة التقليدية: المشاة في الوسط، والخيالة في الجناحين» أي الميمنة والميسرة^(٢٠٧). فإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن يوحنا وضع القوة الضاربة (مدرعات ذلك العصر) في وسط الجيش، ومقابل مشاة العدو، حيث تبدو كسهم يخترق قلب العدو فيشطره إلى شطرين، ذلك أن المشاة يكونون عادة أضعف مقاومة من الخيالة.

المعركة: ما أن عبر يوحنا الوادي بجيشه حتى انشب القتال مع العدو مخترقا قلبه بخيالاته، ورغم أن خيالة «قندباوس» كانت أكثر عددا، فهي لم تصمد أمام هجمات الجناحين من مشاة يوحنا، فانهزم قندباوس وجيشه «وسقط منهم قتلى كثيرون، وفر الباقون إلى الحصن»، بينما جرح يهوذا أخو يوحنا في المعركة^(٢٠٨).

وقد تعقب يوحنا فلول الهاربين وفي مقدمتهم «قندباوس» الذي وصل إلى قدرون (وكان قد أعاد بناءها وحصنها) فلجأ إليها، وفر الباقون «إلى البروج في أرض أشدود»، وعندها أحرق يوحنا هذه البروج بالنار.

وقد سقط من جيش قندباوس، في هذه الموقعة «ألفا قتيل» ولم يذكر النص عدد قتلى جيش يوحنا الذي عاد إلى اليهودية^(٢٠٩). إلا أن ليوسفوس رواية أخرى لهذه الموقعة، إذ يذكر أن سمعان، رغم شيخوخته، قاد هذه الحرب «بحمية الشباب»، فهو قد أرسل ابنائه في المقدمة مع «أفضل الفرق»، أما هو «فتقدم، مع قسم من الجيش، باتجاه آخر»، ثم، أنه، «بفضل الكمائن التي جهزها في نقاط مختلفة من الجبل «أحرز النصر» في كل الاشتباكات^(٢١٠). (انظر الخارطة رقم ٣٠)

موت سمعان (١٣٤ ق.م):

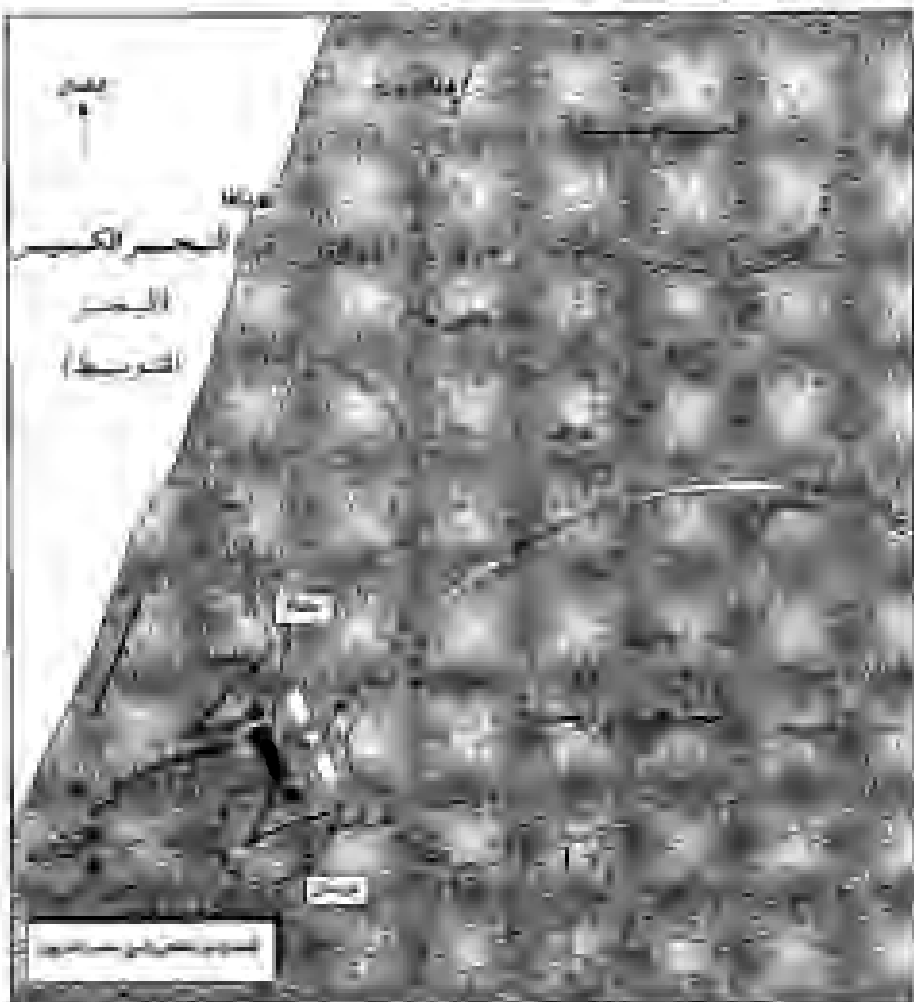
كان بطليموس بن أبوبس، قائد موقع أريحا وصهر سمعان «عظيم الكهنة» قد جمع

Aharoni, Ibid (٢٠٧)

(٢٠٨) العهد القديم، ١ مك ١٦: ٩-١٧. ويذكر أهاروني أن يهوذا جرح في قدرون Aharoni, Ibid.

(٢٠٩) العهد القديم، ١ مك ١٦: ٩-١٠.

(٢١٠) Josephus, Op. Cit. P. 127.



- | | |
|---|--|
| <p> تمركز جيش يوحنا </p> <p> معركة انتصر فيها جيش يوحنا </p> <p> بروج سلوقية </p> <p> حدود </p> <p> ١٠ كم </p> | <p> تحركات الجيش السلوقي بقيادة قنديباوس </p> <p> تحركات جيش يوحنا </p> <p> تقهقر الجيش السلوقي </p> <p> مطاردة جيش يوحنا للجيش السلوقي </p> <p> تمركز الجيش السلوقي </p> |
|---|--|

ملا كثيرا، فترأى له ان يغدر بنفسيه سمعان وابنائيه ويستولي على الحكم. وبينما كان سمعان يجول في البلاد، هو وابناه «متتيا ويهوذا»، دعاهم بطليموس الى اريحا لكي يكرمهم ويحتفي بهم، وكان قد اعد، مع اهل اريحا، مؤامرة لاغتيال سمعان وولديه.

ولبى سمعان الدعوة، فاستقبله بطليموس في حصن صغير يطل على المدينة ويدعى «دوق» (وهو حصن يقع على رأس جبل الاربعين المطل على اريحا)^(٣١١)، ثم اقام له ولولديه وليمة عامرة. وما ان فعلت الخمرة قطعها في رأس سمعان وافقدته صوابه حتى انقض بطليموس ورجاله عليه وعلى ولديه فقتلوههم وقتلوا بعض من كان معهم من حاشيتهم^(٣١٢)، ثم ارسل بطليموس الى الملك انطيوخوس ينبئه بمقتل سمعان وولديه ويطلب جيشا لنجدة، كما ارسل الى «رؤساء الألوف» يدعوهم لطاعته مغريا اياهم «بالذهب والفضة والهدايا»، وارسل آخرين للاستيلاء على اورشليم وجبل الهيكل^(٣١٣). ولم ينسَ بطليموس ان يرسل قوما الى جازر لكي يقتلوا يوحنا، الا ان يوحنا كان اكثر حذرا من والده واخويه، خصوصا وانه كان قد انبى بما جرى لهم، فاستعد لاستقبال موفدي بطليموس الاستقبال اللائق بهم، وما ان وصلوا اليه حتى قتلهم جميعا^(٣١٤). وكان ذلك عام ١٧٧ بالتقويم السلوقي، اي عام ١٣٤ ق.م^(٣١٥).

رواية يوسفوس:

الى هنا تنتهي رواية العهد القديم (سفر المكابيين الأول) لموت سمعان، ولا بد من ان نعود الى البحث عن تتمتها عند «يوسفوس» أقدم المؤرخين اليهود.

يقول يوسفوس:

ذهب سمعان ضحية مؤامرة حاكها ضده صهره بطليموس الذي قبض، كذلك، على

(٣١١) العهد القديم، امك ١٦: ١٥ و.ن.ص ١٠٠٢ حاشية (٥).

(٣١٢) م.ن. امك ١٦: ١٦. وللمحقي العهد القديم رأي آخر في هذه الحادثة يتفق مع رأي المؤرخ يوسفوس الذي سوف نفضله فيما بعد. (م.ن.ص ١٠٠٢ حاشية ٦).

(٣١٣) م.ن. امك ١٦: ١٨-٢٠.

(٣١٤) م.ن. امك ١٦: ٢١-٢٢.

(٣١٥) م.ن. امك ١٦: ٤ و.ن.ص ١٠٠٢ حاشية (٤).

زوجته وولديه (ميتيا ويهوذا)، وما ان علم يوحنا (الملقب بهرقانوس) بما جرى لوالده حتى اسرع الى اورشليم، وكان يثق باهلها، لما تركه لهم من مآثر حميدة، ولما يحملونه لبطليموس من كراهية. واسرع بطليموس، بدوره، الى اورشليم، وحاول ان يدخلها من باب آخر، لكن الشعب صدّه ومنعه من دخول المدينة، بينما استقبل يوحنا هرقانوس بحفاوة بالغة. عندها انسحب بطليموس ولجأ الى حصن يقع فوق اريحا ويدعى «دوق»، فلحق به يوحنا هرقانوس الى الحصن بغية انقاذ امه واخويه.

الا ان هرقانوس لم يكن ليجرؤ على اقتحام الحصن خشية ان يفكك بطليموس بامه واخويه، رغم انه كان لديه من القوة ما يكفي لاسقاط الحصن والاستيلاء عليه. اذ انه، ما ان كان بطليموس يشعر بقرب الهزيمة، حتى يرفع ام هرقانوس واخويه الى اعلى السور ويوسعهم ضرباً على مرأى منه، ويهدده بأنه سوف يقضي عليهم ان لم يبتعد عن اسوار الحصن. وكانت النتيجة ان عاطفة الشفقة والخوف على مصير اهله كانت تغلب، عند هرقانوس، عاطفة الحقد على بطليموس والكراهية له، فيحجم عن الاقدام على اقتحام الحصن، رغم ان امه لم تكن تنفك عن التضرع اليه لن لا يتراجع ولا ينثني امام هذا «الكافر» كما انها، هي نفسها، لم تكن لتضعف تحت ضربات سياطه وفي مواجهة تهديداته بالموت. وكان هرقانوس يتشجع، بعد ان يسمع كلام امه من اعلى السور، ويقرر الاقدام واقتحام الحصن، لكن، ما ان تظهر امه ويظهر اخواه على السور وهم يُجلدون ويُعذبون، حتى يفقد شجاعته وينضج قلبه بالعذاب والالام. وقد استمر الوضع على هذه الحال حتى جان وقت تعليق الحصار بسبب حلول السنة السابعة «سنة الراحة» التي تقم عند اليهود، بعد كل ست سنوات، (تشبهاً بيوم السبت الذي هو اليوم السابع او «يوم الراحة» من الاسبوع)، وما ان علّق الحصار حتى اقدم بطليموس على قتل ام هرقانوس واخويه وفر الى عند «زينون» الملقب بـ«كوتيلاس» وهو طاغية فيلادلفيا (عمان) (٣١٦).

تنتهي هنا، حروب اليهود للمروية في العهد القديم، ويبدأ عهد «يوحنا هرقانوس» الذي خلف والده سمعان، عام ١٢٤ ق. م. كحاكم لليهودية، وككاهن اعظم.

مراجع الخارطات

* الخارطة رقم (١): الفروج من مصر:

المصدر: «العهد القديم»: خر ١٥: ٢١-٢٥ وعد ١٤: ٤٥ وعد ٢٢: ١-٤٩ ويش ١٣: ٢١-٢٤.

-- Aharoni, the Macmillan Bible Atlas, Maps 48, 51 المراجع:

-- Pritchard, Atlas du Monde Biblique, page 57

-- Smith, Historical Atlas of the holyland P.P. 33 - 36.

- ابن خلدون، تاريخه، ج ٢: ص ١٦٢.

* الخارطة رقم (٢): حدود ارض الميعاد والشعوب التي تقطنها.

- عد ٢٤: ٣-١٢ وخر ٤٧: ١٣.

-- Aharoni, M. 51.

-- Smith, P.P. 7- 8.

* الخارطة رقم (٣): العبور الى ارض كنعان:

- يش ٢: ١٤-١٧ ويش ٤: ١-١٩.

-- Aharoni, M54

-- Smith, PP. 35, 36.

* الخارطة رقم (٤): موقعة العي:

- يش ٨: ٢٨-٣٠

-- Aharoni, M. 56

-- Smith, PP. 35, 36.

✽ الخارطة رقم (٥): موقعة جيبعون:

- يش ٩: ١ ويش ١٠: ٣-٣٩.

-- Aharoni, M. 56.

-- Smith PP. 35- 36.

✽ الخارطة رقم (٦): موقعة مياه ميروم:

- يش ١١: ٣-٨.

-- Smith, PP. 35,36

-- Pritchard, P. 63 carte 5

✽ الخارطة رقم (٧): توزيع ارض الميعاد على اسباط اسرائيل:

- يش ١٣-١٩

-- Smith, P. P. 35,36.

✽ الخارطة رقم (٨): حروب يهوذا:

- قض ١: ١-٣٦

-- Aharoni, M57, 113

-- Smith, P. P. 35, 36

✽ الخارطة رقم (٩): حروب دبورة (موقعة نهر قيشون):

- قض ٤: ١-٢٢.

- عبد الملك بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٠١.

✽ الخارطة رقم (١٠): حروب جدعون: (موقعة تل المورة)

قض ٧ وقض ٨: ١-٢١

-- Aharoni, M. 75, 76

-- Smith, P. P. 35, 36

✽ الخارطة رقم (١١): حروب يفتاح الجلعادي:

يش ١٠: ١٧ ويش ١١: ١-١١ و٢٩-٤٠ ويش ١٢: ١-٦

-- Aharoni, M 78

✽ الخارطة رقم (١٢): الحرب بين سبط بنيامين وباقي اسباط اسرائيل:

قض ٢٠: ١٤-٤٧

-- Aharoni, M. 81.

* الخارطة رقم (١٣): موقعة يابيش جلعاد:

١ صم ١١: ١ - ١١.

-- Aharoni, M. 87

-- Pritchard, P. 74

-- Smith, P.P. 35, 36

* الخارطة رقم (١٤): موقعة مكماش (أو مخماس):

١ صم ١٣ و صم ١٤: ١ - ٢٢ و ٢١ و ٤٦.

-- Aharoni, M. 88, 89

-- Smith, P. P. 35, 36

* الخارطة رقم (١٥): احتلال ييبوس وموقعة وادي رفائيم

٢ صم ٥: ٦ - ٩ و ١٧ - ٢٥ و ١٤ أخ ١٤: ٨ - ١٧.

-- Aharoni, M. 100

-- Pritchard, P. 78.

* الخارطة رقم (١٦): حروب داود ضد العمونيين وحلفائهم الآراميين (موقعة ربة عمون):

٢ صم ١٠: ٦ - ١٩ و ٢ صم ١١: ١ و ١٩ أخ ١٩: ٦ - ١٩ و ٢٠: ١ - ٢.

-- Aharoni, M. 101, 102

-- Smith, P. P. 35 - 36

* الخارطة رقم (١٧): للحرب بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك اسرائيل:

٢٢ أخ ١٦: ١ - ٥ و ١ مل ١٥: ١٦ - ٢٢

-- Aharoni, M. 123, 124

-- Pritchard, P. 104

* الخارطة رقم (١٨): للحرب بين بنهدد الثاني ملك آرام وآحاب ملك اسرائيل (حصار

السامرة وموقعة أفيق):

١ مل ٢٠: ١ - ١٢ و ٢١ و ٢٦ - ٢٠.

-- Aharoni, M. 125

-- Smith, P. P. 35, 36

* الخارطة رقم (١٩): موقعة عين جدي أو حصون تامار:

٢٠-١: ٢

-- Aharoni, M. 129

* الخارطة رقم (٢٠): موقعة قرقر:

- لا يوجد لها ذكر في العهد القديم.

-- Aharoni, M. 127

-- Pritchard, P. 108

* الخارطة رقم (٢١): مسار حملة سرجون الثاني:

٢- مل ١٧: ٥-٦ و ٢ مل ١٨: ٩-١٠

-- Aharoni, M. 127

-- Pritchard, P. 108

* الخارطة رقم (٢٢): مسار اجلاء اليهود عن مملكة اسرائيل في عهد آشور:

٢- مل ١٥: ١٠ و ٢ مل ١٧: ٥-٦ و ٢٣-٢٤.

-- Pritchard, P. 115

* الخارطة رقم (٢٣): حروب سنحاريب في فلسطين

٢- مل ١٨: ١٣-٢٥.

-- Aharoni, M. 154

-- Pritchard, P. 107

-- Hérodote, l'Enquête, L. II, P. 238, Note 141

* الخارطة رقم (٢٤): موقعة عماوس

١ مك ٣: ٢٨-٤١ و ٤٦ و ٧٥ و ١ مك ٤: ١-٢٢.

-- Aharoni, M. 188

* الخارطة رقم (٢٥): حملة يهوذا على ارض جلعاد وموقعة جازر:

١ مك ٥: ٢٤-٥٤ و ٢ مك ١٠: ٢٤-٣٨.

-- Aharoni, M. 190

* الخارطة رقم (٢٦): موقعة بيت زكريا:

١ مك ٦: ٢٨-٤٨

-- Aharoni, M. 193

-- Pritchard, P. 146, C. 1

* الخارطة رقم (٢٧): موقعة أداسة:

١ مك ٧: ٢٩ - ٥٠

-- Aharoni, M. 195

* الخارطة رقم (٢٨): موقعة بثروت (أو ايليسا):

١ مك ٩: ١ - ١٨

-- Aharoni, P. 148 , M. 197.

* الخارطة رقم (٢٩): موقعة سهل يمنية:

١ - ١ مك ١٠: ٦٩ - ٨٦.

-- Aharoni, M. 201

* الخارطة رقم (٣٠): موقعة وادي قدرون:

١ مك ١٥: ٤١ و ١ مك ١٦: ١٠.

-- Aharoni, M. 208.

فهرس الخارطات والمخططات والرسوم والصور

فهرس الخارطات

الموضوع	رقم الخارطة
٧٩..... الخروج من مصر.....	رقم (١)
١٠١..... حدود أرض الميعاد والشعوب التي تقطنها..	رقم (٢)
١١٠..... العبور الى أرض كنعان ..	رقم (٣)
١٦٥..... موقعة العلي.....	رقم (٤)
١٦٨..... موقعة جبعون.....	رقم (٥)
١٧١..... موقعة مياه ميروم.....	رقم (٦)
١٧٥..... توزيع أرض كنعان على أسباط اسرائيل ..	رقم (٧)
١٨٣..... حروب يهوذا ..	رقم (٨)
١٨٨..... حروب دبور (موقعة نهر قيشون) ..	رقم (٩)
١٩٤..... حروب جدعون (موقعة تل المورة) ..	رقم (١٠)
١٩٩..... حروب يفتاح الجلعادي.....	رقم (١١)
٢٠٣..... الحرب بين سبط بنيامين وباقي أسباط اسرائيل	رقم (١٢)
٢١١..... موقعة بابيش جلعاد ..	رقم (١٣)
٢١٦..... موقعة مكماش (او مخماس) ..	رقم (١٤)
٢٢٨..... إحتلال ييوس (لورشليم) وموقعة وادي رفائيم	رقم (١٥)
٢٣٥..... حروب داود ضد اللعمونيين وحلفائهم الآراميين (موقعة ربة عمون)	رقم (١٦)
٢٧٤..... الحرب بين آسا ملك يهوذا ويعشا ملك اسرائيل ..	رقم (١٧)
٢٨٢..... الحرب بين بنهد الثاني ملك آرام وآحاب ملك اسرائيل ..	رقم (١٨)
..... (حصار السامرة وموقعة أفيق) ..	
٢٩٥..... موقعة عين جدي او حصون تامار.....	رقم (١٩)

٣١٤.....	موقعة قرقر.....	رقم (٢٠)
٣١٩.....	مسار حملة سرجون الثاني.....	رقم (٢١)
٣٢٠.....	مسار إجلال اليهود عن مملكة اسرائيل في عهد آشور.....	رقم (٢٢)
٣٢٦.....	حروب سنحاريب في فلسطين.....	رقم (٢٣)
٣٦٣.....	موقعة عماوس.....	رقم (٢٤)
٣٧٤.....	حملة يهوذا على أرض جلعاد وموقعة جازر.....	رقم (٢٥)
٣٨٠.....	موقعة بيت زكريا.....	رقم (٢٦)
٣٨٧.....	موقعة لداسه.....	رقم (٢٧)
٣٩٣.....	موقعة بثروت (او يليسا).....	رقم (٢٨)
٤٠٢.....	موقعة سهل يمينيا.....	رقم (٢٩)
٤١٨.....	موقعة وادي قدرون.....	رقم (٣٠)

فهرس المخططات

الموضوع	الرقم
١٤٧.....تصميم سور المصفاة في عهد آسا ملك يهوذا.....	مخطط رقم (١)
١٥٤.....تحصينات رحبعام.....	مخطط رقم (٢)
٣٩٥.....تحصينات بڤديس.....	مخطط رقم (٣)

فهرس الرسوم

الموضوع	الرقم
١٢٩.....	النبل
١٣٦.....	القوس والسهم والترس
١٤١.....	المنجنيق

فهرس الصور

الموضوع	الرقم
جبل نبو - أعلى قمة تشرف على نهر الأردن وأريحا في فلسطين..... ٥٥	صورة رقم ١
جبل نبو - النصب التذكاري تخليداً للنبي موسى..... ٥٦	صورة رقم ١١

فهرس المضمون

الجزء الأول

٩	المقدمة
٥٧	الباب الاول: سير الاقتراب من الهدف
٥٩	- الفصل الاول: الخروج من مصر
٨١	- الفصل الثاني: التيه في سيناء
٩٩	- الفصل الثالث: العبور الى أرض كنعان
١١٢	- الفصل الرابع: دراسة مسرح العمليات
١٢٧	- الفصل الخامس: وسائل القتال المستخدمة في حروب العبرانيين
	(من عام ١٢٥٠ ق.م. الى عام ٧٢ م.)
١٥٧	الباب الثاني: الاجتياح
١٥٩	- الفصل الاول: حروب يشوع بن نون
١٧٩	- الفصل الثاني: حروب القضاة
٢٠٩	- الفصل الثالث: حروب الملوك
٢٥١	الباب الثالث: حروب المملكتين
٢٥٢	- الفصل الاول: الحروب الاهلية بين مملكتي يهوذا واسرائيل
٢٧٩	- الفصل الثاني: الحروب بين المملكتين وأهل البلاد

الباب الرابع: حروب الغزاة (العبرانيين) مع الغزاة (الآخرين)

- ٢٠١..... على أرض كنعان
- ٢٠٢..... - الفصل الأول: حروب العبرانيين مع الفراعنة والكوشيين
- ٣١١..... - الفصل الثاني: حروب العبرانيين مع الآشوريين
- ٣٣١..... - الفصل الثالث: حروب العبرانيين مع الكلدانيين
- ٣٥٣..... - الفصل الرابع: ثورة المكابيين ضد السلوقيين
- ٤٢١..... - مراجع الخارطات
- ٤٢٧..... - فهرس الخارطات والمخططات والرسوم والصور

فلسطين في العهد القديم

الشمال

البحر الكبير

(البحر المتوسط)

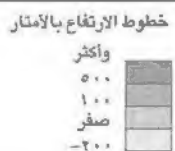
سهل شارون

الجليل

الغور

بحر الملح
(البحر الميت)

النقب



طريق دولية قديمة

صفر 10 20 كم

